الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم التاريخ

معارضة إقليم خراسان للدولة الأمــوية

100 – 132 هـ / 718 – 749 م

(أسبابها وأثرها في سقوط الدولة)

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في التاريخ الإسلامي

إعداد :

جهيدة بوجمعة

إشراف الأستاذة الدكتورة :

بوخالفة نور الهدى

أعضاء لجنة المناقشة :

– أ . د / حاجـيات عبد الحميد (جامعة تلمسان) رئيـسـا .

– أ . د / بوخالفـة نور الهدى (جامعة وهران) مشرفة ومقررة .

– أ د / دحـو فغـرور (جامعة وهران) عضوا منـاقـشا .

– أ د / بـخاري حمـانـة (جامعة وهران) عضوا مـناقـشا .

– د / سيدي محمد الغوثي بسنوسي (جامعة تلمسان) عضوا مناقـشا .

– د / معروف بلحـاج (جامعة تلمسان) عضوا مناقشا .

السنة الجامعية : 2002 / 2003 م .

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــداء

إلى زوجي الدكتور عز الدين المخزومي الذي لولاه ما كان
لهذا البحث أن يظهر إلى الوجود أبداً .
وإلى أمل حياتي وأزهار عمري ...أبنائي :

- محمّد الحبيب .
- ولي الدّين .
- عـــاتكـــة .

جهـــيرة .ب

المقدمة

يعود اهتمامي بموضوع هذا البحث إلى بدايات النصف الثاني من الثّمانينيات، سنوات إعدادي لرسالتي للماجستير عن " مجتمع سجستان في ظل الدولة الصفّاريّة " المسجّل آنذاك بجامعة عين شمس بالقاهرة — حيث كنت أتنقل بين مكتبات كل من جامعة عين شمس وجامعة القاهرة و دار الكتب ومعهد الدراسات العربية العالي والمكتبة الأمريكية، لجمع مادة بحثي ، وأثناء اطلاعي على كتاب " السيادة العربية و الإسرائيليات في عهد بني أمية " لفان فلوتن ، أذهلتني أوصافه لأحوال الموالي السياسية والإجتماعية في خراسان واتهامه — المتعصب — لخلفاء بني أمية بالظلم واللاعدل واللادين، الشيء الذي دفعني — في أوقات الفراغ — إلى العودة إلى بعض المصادر و المراجع العربية ، مثل الأغاني للأصفهاني والعقد الفريد لابن عبد ربه وتاريخ الدولة العربية لفلهوزن و تاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان ، بغية التّحقق في ما قيل عن الدولة الأموية، ولكني فوجئت باتفاق تلك المؤلفات على إدانتها و الحطّ من شأنها .

وقد كانت هذه المواقف دافعا قويا لاهتمامي أكثر بهذا الموضوع الذي رسّخته في ذهني مطالعات كثيرة — بعد مناقشتي لرسالة الماجستير — في الكثير من الدراسات الحديثة التي وجدت معظمها لا تختلف عن أفكار فان فلوتن وترى أن بني أمية ظلموا الموالي واحتقروهم وخنقوهم بالضرائب مما جعلهم يتمردون عليهم في معارضات صارخة ، ظهرت أشَدُّها في الثلث الأول من القرن الهجري الثاني ، والتي نجحت في ختامها المعارضة العباسية التي أسقطت الدولة الأموية ، والتي يعدها البعض معارضة فارسية قامت على أكتاف الفرس ، معبرة عن مدى كرههم ومقتهم للأمويين .

وشَكّل كل ذلك قناعتي بالبحث في المعارضات التي قامت في خراسان ، في الثلث الأول من القرن الهجري الثاني — بالذّات — ، ذلك أن هذا الإقليم أصبح مجمعا لمعارضات عديدة . من بينها معارضات آل هاشم الذين رأوا في الإقليم المكان الأمثل . بعد أن فشلت معارضاتهم الكثيرة في العراق من قبل .

وَالشّيْءُ الذي شجعني أكثر على البحث في هذا الموضوع هو أن الدراسات التي تعرضت للدولة الأموية لم تتطرق إلى دراسة المعارضات في خراسان ،وإن كانت هناك بعض

الإشارات عند فان فلوتن و فلهوزن ، جاءت — كما سبق الذكر — بصورة مُغْرِضَة حاقدة على الدولة العربية ، بعيدة عن كل موضوعية .

وبناء على هذه القناعة سَجَّلْتُ موضوعي لدكتوراه الدوّلة تحت عنوان :

" معارضة إقليم خراسان للدولة الأموية (100 –132 هـ) (718 – 749م)

(أسبابها وأثرها في سقوطها).

ومن هذا المنطلق بدأت أُولَى خطواتي في البحث التي تمثلت في جمع المادة من مكتبة قسم اللغة العربيّة بكلية الآداب ومكتبة الجامعة بوهران ، ومكتبة جامعة القاهرة ،ومكتبة كلية الآداب ومكتبة الجامعة بعين شمس ، ودار الكتب ، ومعهد الدّراسات العربية العالي بالقاهرة ، ومعهد الدّراسات الشرقية بالقاهرة ، حيث صورت وترجمت الكثير من الدراسات المكتوبة باللغة الفارسية ...واستفدت كذلك من المكتبات الخاصة بمجموعة من الأساتذة . وبعد تدوين المادّة وتصنيفها توصّلت إلى الخطة التالية :

قسمت البحث إلى خمسة فصول وخاتمة :

– الفصل الأول : جغرافية إقليم خراسان وتطوره التاريخ إلى نهاية القرن الهجري الأول .

– الفصل الثاني : ولاة بني أمية في خراسان وسياستهم (100-132هـ/718-749هـ)

– الفصل الثالث : دراسة الأسباب الشائعة لمعارضة الدولة الأموية في خراسان .

– الفصل الرابع : معارضات إقليم خراسان وأسبابها الحقيقية (100-132هـ/ 718-749م) .

– الفصل الخامس : سقوط خراسان وأثره في سقوط الدولة الأموية .

تعرض الفصل الأوّل إلى دراسة أحوال خراسان الجغرافية والتاريخية إلى نهاية القرن الهجري الأول ،وقد كان الهدف من ذلك هو رسم الحدود الجغرافية لإقليم خراسان الذي اختلف الجغرافيون العرب القدامى والمحدثون و المستشرقون في تعيينها ،وإعطاء صورة

شاملة عن طبيعة هذا الإقليم وتضاريسه ومناخه وأهم مدنه وقراه ومعرفة خصائصه البشرية و الفلاحية والحرفية ، ثم توقفنا عند أهم معالمه التاريخية ، من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الهجري الأوّل، التي استطعنا ، بوقوفنا عندها ، أن نتعرض إلى أهم التطورات السياسية التي عرفها هذا الإقليم ، منذ خلافة عثمان (رضي الله عنه) إلى عهد عمر بن عبد العزيز .

وتناول الفصل الثاني بالدراسة والتحليل سياسة ولاّة بني أمية في الإقليم من (100-132هـ) (718-749م) ، متعرضا لأهم إنجازاتهم وغزواتهم والمشاكل الدّاخلية والخارجية التي واجهتهم .

وعالج الفصل الثالث — الذي يعد أطول فصل — بالدّراسة والتحليل والنقد أسباب المعارضات الشائعة ، كما يراها الكثير من المؤرخين ، المتمثلة في احتقار الموالي الفرس وإبعادهم عن الوظائف المهمة واستغلالهم في الغزوات دون منحهم العطاء وخنقهم بالضرائب، وبخاصة الجزية والخراج ،وإبقاء الجزية على من أسلم منهم ، وكرههم لآل أمية وولاّتهم الدنيويين البعيدين عن الدين الإسلامي .

ودرس الفصل الرابع مظاهر المعارضات وأسبابها الحقيقية والمواجهات التي حدثت بين المعارضين وولاّة بني أميّة ، مركزا على تطور المعارضة العباسية في الإقليم إلى سقوط عاصمته مَرْو .

وأما الفصل الخامس والأخير فقدّ تعرّض بالدراسة والتحليل إلى مراحل سقوط خراسان وإعلان الدولة العباسية التي خرجت من السّرّيّة إلى الجهر ،وخروج الجيوش العبّاسية من خراسان لفتح العراق والشام ثم ملاحقة آخر خليفة أموي إلى أن قتلوه في مصر. وناقش هذا الفصل - إلى جانب كل ذلك — هوية الدّعوة العباسية وتقويم دور أبي مسلم الخراساني في إنجاح الدعوة العباسية ، وانتهى هذا الفصل بالوقوف عند الأسباب الحقيقية لسقوط الدولة الأموية .

وأما الخاتمة فقد عرضت أهم الاستنتاجات التي توصّل إليها هذا البحث .

وأمّا المنهج المتّبع في هذه الرسالة فهو منهج تَشكّل من مجموعة من المناهج أوّلها المنهج التاريخي الوصفي الذي حاولنا من خلال تطبيقه الوقوف عند الأحداث والوقائع التاريخية كما عرضها أو رآها أصحابها ، وذلك للمحافظة على روح الموضوعية والحياد . وأما المنهج الثاني فهو المنهج التحليلي الذي كان الهدف من تطبيقه هو الوصول إلى حقائق القضايا والآراء المتمثلة في منطلقات أصحابها العقائدية والمذهبية والفكرية . وأمّا المنهج الأخير فهو المنهج النقدي الذي استطاع هذا البحث أن يقف ، بتطبيقه ، عند الحقائق الموضوعية لسير الأحداث في مسارها التاريخي المنطقي ، وبه استطاع البحث أن يقف بثبات — في أحكامه — ضدّ كلّ المغالطات التاريخية مهما كان مصدرها . وهو إذن " منهج وصفي تحليلي نقدي ".

وأما الشق الثاني من هذه المقدمة فيتمثل في عرض أهم مصادر هذا البحث التي استطاع بها أن يأتي على صورته الحالية . وهي تنقسم إلى :

* مصادر تاريخية .
* مصادر جغرافية .
* مصادر فقهية .
* مصادر أدبية .

أوّلا : المصادر التاريخية : ويعدّ كتاب " تاريخ الأمم والملوك " للطبري أهمّ المصادر التاريخية التي قام عليها هذا البحث من حيث التسلسل التاريخي للأحداث ، والخطب والمراسلات التي كانت بين الخلفاء وولاتهم ، وأفاد منه البحث بالأشعار التي أوردها مثبتة للأحداث و الوقائع التي تعرض لها إقليم خراسان بخاصة والدولة الأموية بعامة . والملاحظ عن هذا المصدر أنه كان يقع — أحيانا — في الغموض في ذكره لبعض الأحداث ، حتى إنها لا تكاد تُفهم ، وذلك مثل حديثه عن بعض مراحل الدّعوة العباسية في خراسان.

ويعد كتاب " الكامل في التاريخ " لابن الأثير مكملا لكتاب الطبري ، بل هو — على وجه العموم — نسخة ثانية منه ملخصة ، تَخلّص فيها من ذكر العديد من الخطب والمراسلات والأشعار .

وأفاد هذا البحث أيضا من كتاب " فتوح البلدان " للبلاذري ، الذي تميز بالتخصص في الفتوحات والغزوات وعرض معاهدات الصلح التي كانت تتم بين الولاة وحكام الأقاليم والمدن المفتوحة . وهذا فضلا عن كتاب " البداية والنهاية " لابن كثير الذي أو جز في عرض الأحداث التاريخية ، لكنه تميز بالحديث الموضوعي عن بعض خلفاء بني أمية . وبخاصة منهم معاوية ويزيد ابنه .

ونذكر كذلك " تاريخ الخلفاء " للسيوطي الذي اختص بذكر جوانب كثيرة ، خاصة وعامة من حياة الخلفاء ، هذا فضلا عن حوليات تاريخية أخرى عامة استعان بها البحث.

ثانيا : المصادر الجغرافية : نذكر من أهمها " معجم البلدان " لياقوت الحموي ، الذي أفاد منه البحث – برغم أنه جاء متأخرا عن العصر الأموي – من حيث عرضه لتاريخ الأقاليم والمدن ، منذ العصور القديمة ، مع عرض أهم الأحداث التي وقعت فيه ، فضلا عن عرضه للجغرافية الطبيعية ، وأنواع المزروعات وأهم النشاطات الفلاحية بالإقليم. وقد كان دقيقا في تفصيلاته حتى إنه لم يغفل الحديث عن القرى الصغيرة .

ونذكر كذلك " صورة الأرض " لابن حوقل ، و " المسالك والممالك " للأصطخري و " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " للمقدسي ، الذين وإن كانت كتاباتهم متأخرة عن العصر الأموي إلا أنهم تعرضوا بالتفصيل للإقليم جغرافيا وتاريخيا .

ثالثا : مصادر فقهية : قد اعتمدنا في هذا الجانب على " الفتاوى الكبرى " و" منهاج السنة " لابن تيمية ، الذي ربط الأحداث التاريخية المهمة ، المتعلقة بالخلاف بين علي ومعاوية (رضى الله عنهما) ، وشرعية الخلافة الأموية وتقويم شخصية بعض الخلفاء من المنظور الديني .

واعتمدنا في تحديد النظم الإسلامية كالتشريع للجزية والخراج على كتاب " الأحكام السلطانية والولايات الدينية " للماوردي ، الذي أفادنا في عرض شروط الذمة ، ونذكر إلى جانبه " كتاب الخراج " لأبي يوسف و " كتاب الخراج " لِيَحْيَى بن آدم و " الاستخراج لأحكام الخراج " للحنبلي .

رابعاً : الكتب الأدبية :نذكر منها " الأغاني" للأصفهـاني ، الذي أخذنـا منـه وصفه لبعض خلفاء بنـي أمية و بخاصة وصفه للوليد بن يزيد ، ونذكر كذلك " العقد الفريد" لابن عبد ربه الذي أخذنا منه روايات عديـدة ، عـبّر بها عن احتقـار العرب للموالي ، كمـا اعتمـدنـا أيضـا علـى " الكـامل " – في اللغـة والأدب – للمـبرد ، الذي أفادنـا في بعـض الروايات الخاصة بعلاقة العرب بالموالي و أيضـا ببعـض المراسـلات التي كانت بين الخلفـاء وَ وُلاّتِهِـمْ.

وأتـقدّم ، في النهاية ، بعظيـم شـكري و تقديري لأستاذتـي الأستاذة الدكـتورة بوخالـفة نور الهدى على قَـبولها الإشـراف على هذا البحث و على توجيهـاتها النّـيرة التي أضاءت سُبُلَه وقوّمت ما اعوجّ فيه . وأتقدم بخالص شكري و تقـديري و عرفاني إلى زوجـي الدكـتـور عز الـدين المـخـزومـي الـذي لـولا جـهوده المخـلـصـة في جمـع مادّة هذا البحـث –من داخل الوطن و خارجه – ما كان له أن يأتـي بهذه الصورة الـتي هو عليها الآن.كما أشكر الأستاذ الدكـتور السباعي محمد السـباعي– رئيس قسم اللغات الشرقية بكـلية الآداب بجامعة القاهـرة ومدير معهد الدّراسات الشـرقية التابع لها – على توجيهاته و نصائـحه لي، فله منّي خالص التقدير .

وأخيراً . أرجو أن أكون قد وُفقـت ، في هذا البحث المـتواضع ، إلى إزاحة بعـض الغبار عن حقائق في تاريخـنا الإسلامي ظلت مغمورة في عالم التنكر و النسيان .

والله و ليّ التوفيق

جهيدة بو جمعة .

الفصل الأول

الفصل الأول :

جغرافية إقليم خراسان وتطوره التاريخي إلى نهاية القرن الهجري الأول

خراسان معناها باللغة الفارسية " بلاد الشرق " أو "بلاد الشمس المشرقة "وهي كلمة مركبة من " خُر" و معناها الشمس ، و " أسان " ومعناها مشرقة [1] وتُنسب إلى خراسان ابن عالم بن سام بن نوح "عليه السلام" الذي خرج هو وأخوه " هَيْطل" لما تبلبلت الألسن ببابل[2] فاستقر " خراسان في المكان الذي أخذ أسمه واتجه أخوه " هيْطل" إلى ماوراء نهر جيحون [3] واستقرّ به[4] .

فهي بلاد الشمس المشرقة التي تشمل مساحة واسعة تقع إلى الشرق من بلاد فارس [5] وتترامى إلى نهر جيحون[6] وعرفت في العصور

---

(1) ياقوت، الحموي (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ياقوت بن عبد الله)، معجم البلدان ، مكتبة خياط،بيروت ، د.ت.ج2 ، ص 409 ، الدمشقي ، نخبة الدّهر في عجائب البرّ والبحر ، مكتبة المثنى بغداد ، د.ت. ص 223،كي لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عوّاد ، مؤسسة الرسالة،بيروت 1405 هـ (1985م) ط 2 ص 423 ، دائرة المعارف الاسلامية ، يصدرها باللغة العربية أحمد الشنتاوي وآخرون ، مراجعة وزارة المعارف ، القاهرة (دت) ط1ج8، ص 282.

(2) مدينة ودولة ذات حضارة قديمة ازدهرت في وادي الفرات الأوسط وأطلق عليها العرب إسم " أرض بابل " يقال سكنها نوح بعد انحسار الطوفان ومنها تفرق أبناؤه ومن ثمّ تبلْبَلتِ ألسُنهم ، أحمد عطية الله ، القاموس الاسلامي ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة (دت) ج1 ص 242 وما بعدها .

(3) الإسم الذي أطلقه الترك على النّهر المعروف باسم " أمو" أو " أموداريا " أو " أوكسوس" بتركستان ، ينبع نهر جيحون من مرتفعات هندكوش ويسير غربا في شبه قوس حتى يصب في الطرف الجنوبي من بحر أرال ، ويبلغ طوله 1150 ميلا ، وتبلغ مساحة حوضه نحو 221 ألف م ، سهراب ، كتاب عجائب الأقاليم السبعة التي بها العمارة، قدم له وحققه هانس فون مريل ، مكتبة أدولف هولزهوزن فيناّ 1347 هـ 1929 م ص 19 ، الدمشقي نخبة الدهر ص 94 أحمد عطية الله ، القاموس الاسلامي ج1 ، ص 665.

(4) المقدسي — المعروف بالبشاري — أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،مطبعة بريل ، ليدن ، 1906 م ط 2ص 161، الدمشقي ، نخبة الدهر ص 221 ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج 2 ص 409.

(5) عرّفه اليونان بأسم بَرسِس PERSIS و وهو إقليم واحد من أقاليم إيران الجنوبية ، لكنهم ساروا خطأ يقصدون به دولة إيران بأسرها. وشاع وَهْمُهم هذا في استعمال هذا الإسم في أنحاء أوربا إلى يومنا هذا . لقد كانت فارس موطن الدولة الإخميدية وقاعدة حكومتها، كي لسترنج بلدان الخلافة الشرقية ص 283.

(6) خراسان مقسومة في الوقت الحاضر بين ثلاث دول : روسيا وأفغانستان ، وإيران ، أمّاما أضيف منها إلى روسيا فيشمل المنطقة الممدّدة من مَرْو الشاهجان إلى نهر جيحون . وأمّاما ضُمَّ منها إلى أفغانستان فهي الرقعة الواقعة إلى=

الميديه [1] القديمة باسم " أريانا" ARYANA نسبة إلى أصل سكانها الآري[2] ويبدوأن هذا الإسم قد حور قليلا حيث جاء في" الأوستا "[3] في صورة " أيرايانا " AIRYANA [4]. ولم ينتشر إسم خراسان إلا في القرن الخامس الميلادي [5] وفي عصر الساسانيين [6] ويعلل ذلك

= الشرق من الخط الذي يبدأ من سرخس في الشمال ، ويمتدّ إلى الجنوب مارّا بمنتصف المسافة بين طوس وهراة، وأمّا سائرها فتابع لإيران ، دائرة المعارف الإسلامية ج8 ، ص 282.

[1] دولة قديمة أسّسها قوم من الآريين في بداية القرن السابع ق م ، في أذربيجان وكردستان الحالية ، مؤسسها الملك " ديا أوكو" 701-655 ق م ، وتوسعت في إيران حوالي القرن العاشر ، جمعتها مع الدولة الآشورية حروب متقطعة ومستمرة إلى أن حلّ الضعف بالميديين في سنة 605 ق م الذي استمر حتى انقراضهم النهائي في سنة 550 ق م وظهر حكم الفرس الهخمانش ." حسن پيرنيا ، تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساساني ، ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم ، والسباعي محمد السباعي . مراجعة وتقديم ، يحيى الخشاب، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة 1979 . ص 58 و 59 و 357- 358.

[2] هو اسم أشتهر به فرع من فروع الجنس الأبيض ، استولى الآريون في القديم على السهول الشرقية الواقعة على نهر الأندوس بالهند وعلى حوض نهر الغانج بالهند أيضا ثم توسعوا في الأراضي القريبة منها ، محمد فريد وجدى ، دائرة معارف " القرن العشرين دار المعرفة، بيروت ط 3(1971)، ج 1 ، مادة آري. وكلمة آري كلمة " سنسكريتية " مشتقة من كلمة " آيا " ومعناها شريف عريف ، فالآريون أي الأشراف.محمد عبد الرحمن مرحبا . أصالة الفكر العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1983 ط 2 ، ص 55.

[3] تعتبر " الأوستا " أو " الأفستا " أقدم لغة فارسية استعملت في أيام الدولة الهخمانشية " وكانت القوانين والمراسيم الملكية تكتب بها ، ولغة الأفستا " هي التي كُتب بها كتاب زردشت الديني حوالى 600 ق م ، رضا زاده الشفق تاريخ الأدب الفارسى ، ترجمة محمد موسى هنداوي،دار الرائد القاهرة ص 18 • محمد غنيمى هلال ، مختارات من الشعر الفارسى،الدار القومية للنشر القاهرة 1384 هـ (1965) ص 07 • إدوارد براون ، تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي ، ترجمة أمين الشواربي ، القاهرة ، 1954 م ص 7 .

[4] مير غلام محمد غبار ، أفغانستان دَرْمَسير تاريخ ، طبعة كابل 1346 هـ ش : 1967 ص 9، و 10.

[5] پُوهاند عبد الحيّ حبيبي ، أفغانستان بعد ازإسْلام ، طبعة كابل 1345 هـ ش 1966 م ج 1 ، ص 140.

[6] أوآل ساسان ، دولة إيرانية قديمة تنسب إلى ساسان وهو شخصية أسطوريّة أو شخصية تاريخية عاشت في أواخر القرن الثالث الميلادي . قامت على يد أردشير بن بابل عام 226 ق م ودام حكمها أكثر من أربعة قرون حكم خلالها 32 ملكا وملكة وطويت بمقتل آخر ملوكها يَزْدَجَرد الثالث عام 651 م على يد المسلمين ، وتُعرف هذه الدّولة في المصادر العربية بدولة الأكاسرة ، جمع كسرى • الدمشقي ، نخبة الدهر من عجائب البرّ والبحر ، ص 257• أحمد عطية الله ، القاموس الاسلامي ، ج3 ، ص 187.

الباحث صلاح الدين السَلْجُوقي [1] -سبب اختيار تسمية خراسان على هذا الإقليم- قائلا: " بدأت فكرة تقسيم المناطق على حسب الكواكب السيارة ، ولما كانت هذه المنطقة على حساب التنجيم آنذاك مرتبطة بالشّمس . سمّوها خراسان أي أرض الشمس" ولا شك أن ذلك التقسيم كان مستمداً من الفكر اليوناني الذي انتشر في إيران في عهد الإسكندر الأكبر[2] الذي ملك بلاد فارس[3].

لقد اختلف الجغرافيون القدامى في تحديد حدود خراسان فقد أدخل بعضهم [4] إقليم ما وراء النهر [5] فيها . وأدخل البعض الآخر [6] إقليم

---

(1) أضواء على ميادين الفلسفة واللغة و الفن والأدب ، المكتبة السّلفية القاهرة 1381 هـ – 1962 م ، ص 14.

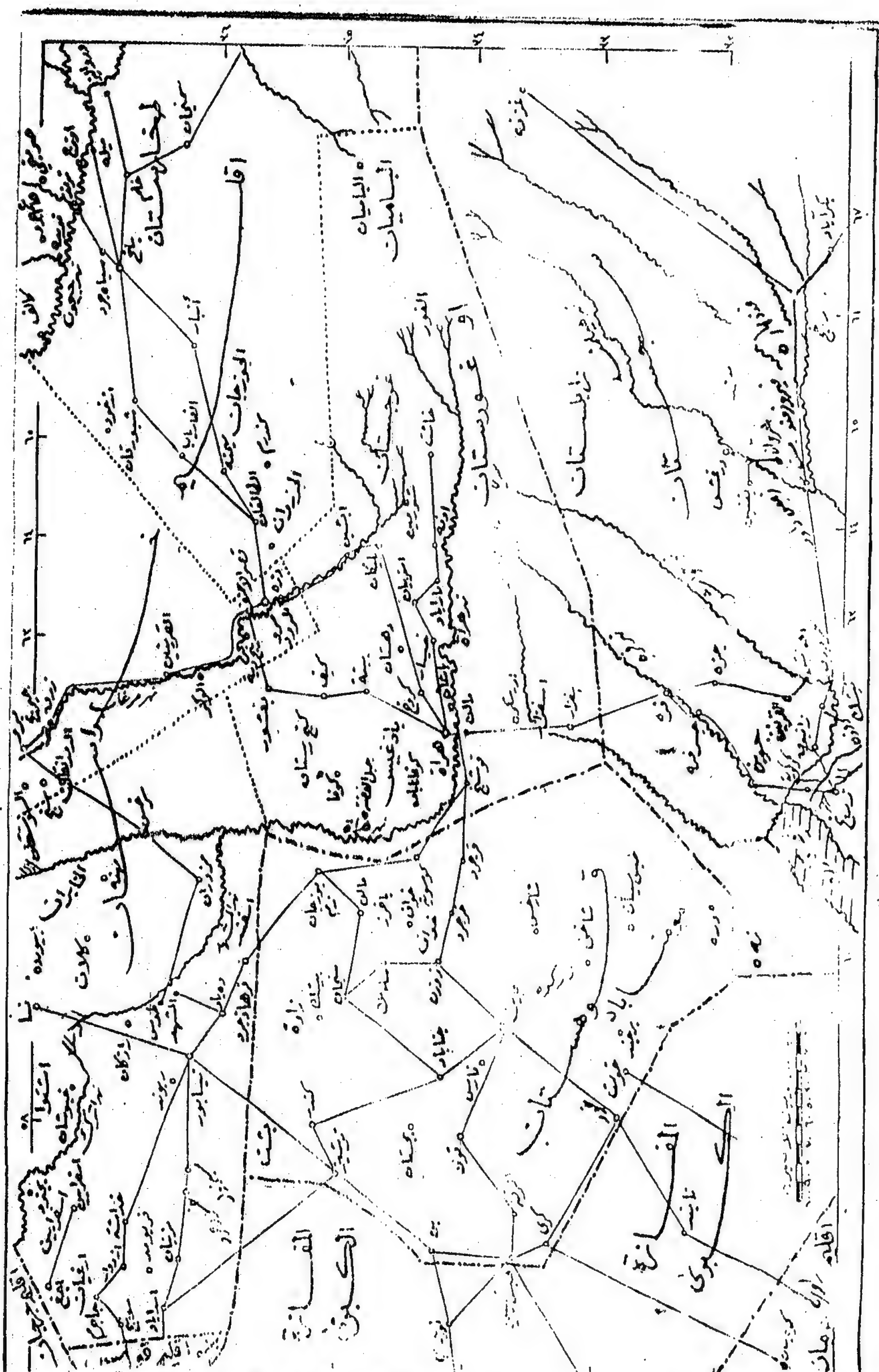
(2) ملك يوناني ، وهو الاسكندر بن فيلبس بن مصريم بن هرمس يعود نسبة إلى يونان بن يافث بن نوح ، لقد اختلف في أنه هو ذو القرنين . ملك بلاد فارس وتزوج إبنة ملكها " دَارا" بعد قتله ودانت له السّند والهند والصين والتّبت، المسعودي (أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي) المتوفى في عام 346، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية بيروت 1407 هـ/ 1987 م،ج 1،ص 288.

(3) المسعودي ، نفس المصد و الصفحة .

(4) ابن الفقيه (أبوبكر أحمد بن محمد الهمذاني) كتاب البلدان ، ليدن 1891 م ص 295 ، ابن رسته (أبو علي أحمد بن عمر) ، الأعلاق النفيسة ، ليدن 1891 ، ص 105 ، ابن خرداذابة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله) المتوفى في حدود 300 هـ ، المسالك والممالك،مكتبة المثنى بغداد (د.ت) ص18 ، البلاذريّ (الإمام أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري) ، فتوح البلدان حققه عبد الله أنيس الطبّاع وعمر أنيس الطباع دار النشر للجامعيين ، بيروت 1377هـ ، 1957م ، ص 567 وما بعدها ، ينظر أيضا ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص 409 و 410.

(5) وهي الأراضى التى تقع شمال نهر جيحون ، وتسمى أيضا " الهيطل " وهو يعتبر الحد الفاصل بين الأقوام الناطقة بالفارسية والتركية ، أي إيران وتوران ، ياقوت الحموى ، نفس المصدر ج2 ، ص 409 ، كي لسترنج بلدان الخلافة الشرقية ص 476.

(6) الأصطخرى (أبو إسحق إبراهيم بن محمد الفارسى الأصطخري المعروف بالكرخي) المتوفى في النصف الأول من القرن الرابع الهجرى،المسالك والممالك تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني ، مراجعة : محمد شفيق غربال،دار القلم القاهرة : 1381هـ 1961م،ص 144، ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل النصيبي)،صورة الأرض دار الحياة بيروت ، دت ص 361 ، ابن قدامة (أبو الفرج قدامة بن جعفر) المتوفى 320 هـ ، من نُبَذ كتاب الخراج وصنعة الكتاب ، مكتبة المثنى بغداد (د.ت) ص 243 ، إبن رُسته ، الأعلاق النفيسة ، ص 105، البلاذري ، فتوح البلدان ص 567.



المرجع : نقلا عن كتاب ، بلدان الخلافة الشرقية لـ : كي لسترنج- ص 377

قهستان "[1] كما أدخل البعض أيضا [2] إقليم سجستان [3] ويذكر المقدسي [4] أن هناك من لم يفرق بين خراسان وفارس كما اعتبر ابن الفقيه[5] قُومس[6] منها أيضا. غير أن هناك من فَصَلَ كل تلك الأقاليم منها و أعطاها حدوداً معينة . فأبو الفدا [7] يذكر أنّ " جميع ما دون جيحون يقال له إيران وهي أرض الفرس وأمّامًا وراء جيحون فيقال له توران [8] وهي أرض الترك".كما حَدَّدَهَا القزويني [9] قائلا :"إن خراسان بلاد مشهورة،شرقيها ما وراء النهر وغربيها قهستان ".وحددها ياقوت الحموي[10] بدقة أكبر حيث قال : خراسان بلاد واسعة ، أول حدودها ممّا يلي بلاد

[1] معناه بلاد الجبل ، لطبيعة أرضه . ذكره " ماركوبولو " باسم مملكة " تُونُوكاين " ، من أجلّ مُدُنِهِ مدينة "قاَيَن"، كي لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ص 392.

[2] المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص 293. ابن خرداذ بة المسالك والممالك ، ص : 18.

[3] سِيْستان وسمتها المراجع العربية القديمة " سجستان " من الاسم الفارسى " سكستان "SAGI STAN ، وهي البلاد السهلية حول بحيرة " زرة " وفي شرقها ، يدخل فيها دَلْتَانهر" الهِلْمَند" عاصمتها "زرنج"،إبن سعيد (أبو الحسن علي موسى بن سعيد المغربي) كتاب الجغرافيا ، حققه ووضع مقدمته وعلق عليه إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1982 ط 2 ، ص 162، كي لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ص 372 ص 372

[4] أحسن التقاسيم ص 260، و 305.

[5] كتاب البلدان ، ص 322.

[6] إقليم صغير في محاذاة جبل " البرْز " وهو بين الرّي ونيسابور يقطعها طريق خراسان ، وقد صار ناحية من نواحى الرّيّ أي طهران الحديثة ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج 4 ص 203 ، كي لسترنج ، بلدان الخلافه الشرقية ص 404.

[7] أبو الفِدَا (عماد الدين إسماعيل أبو الفداء) المختصر في أخبار البشر ، دار المعرفه لبنان دت ج 1 القسم 1 ص 82.

[8] وهم آريون برابرة . كانوا يعيشون على الساحل أو الجانب الآخر من نهر جيحون ، يُطلق العرب عليهم إسم الهياطلة ، وهم " الأفثلاطيون " EPHTHALITES لدى المؤلفين البزنطيين ، ويعرفون أيضا بالهون الأبيض ، كي لسترنج ، بلدان الخلافة ص 476.

[9] القزويني (زكرياء بن محمود) آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر بيروت ص 361.

[10] معجم البلدان ج 2، ص 409.

العراق" أزَاذْوار" قصبة جوين وبيهَق ،وآخر حدودها مما يلي الهند" طخارستان [1] وغزنة [2] وسجستان وكِرْمان[3] وليس ذلك منها وإنما هو أطراف حدودها " .

ومع ذلك فإنه من الصعب تحديد حدود خراسان تحديدا دقيقا ، ولعل ذلك راجع للظروف التاريخية التي مرّ بها الإقليم ، حيث كان إسم خراسان في العهود الساسانية يطلق على العموم على جميع الأقاليم الإسلامية في الشرق ، حتى حدود الهند ، وكانت خراسان تضم كلّ بلاد ماوراء النهر التي في الشمال الشرقي ما خلا سجستان وقوهستان في الجنوب [4] بل كادت تمثل إيران الساسانية كلها حيث أصبح يطلق عليها إسم إيران شهر و " معنى " شهر " أي بلد ، فكأنهم قالوا بلد إيران " [5] .

أما في العهود الإسلامية فلقد انحصرت حدودها كثيرا ، إذْ إنّها لم تتعدّ نهر جيحون

---

[1] تعرف أيضا بطَخَيْرستان ، تقع في شرق بلخ ممتدة بحذاء الضّفّة الجنُوبية لنهر جيحون حتى حدود بدخشان ، وتحدّها من الجنوب الجبال التي في شمال الباميان وبنجهير،يا قوت الحموي،معجم البلدان ج3 ، 518 .

[2] تعرف أيضا بغزنين ، ويُعربونها فيقولون " جَزنة " ويقال لمجموع بلادها " زابلستان " وهي ولاية واسعة في طرف خراسان ، وهي الحد بين خراسان والهند، القزويني ، آثار البلاد ص 428 ، ياقوت الحموي معجم البلدان ج 3 ص 798. اشتهرت في ختام المئة الرابعة للهجرة إذ كانت عاصمة للسلطان محمود الغزنوي ، وهي تابعة للهند اليوم، كي لسترنج ، بلدان الخلافة ص 387.

[3] ولاية مشهورة ، وناحية معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجسْتان وخراسان ، القزويني آثار البلاد وأخبار العباد ص 247، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج 4 ، ص 313، كي لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ص 337.

[4] ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ص 18 ، محمد معين وسيد جعفر شهيدي ، لغت نامه ، مؤسسة لغت نامه تهران 1332 هجرى شمسي ، خلد ششم – خدث – دريرچيين ، ص 8257 ، محمد أمان صافي أفغانستان والأدب العربي عبر العصور ، المكتبة السلفية القاهرة 1408هـ ، 1988 ط 1 ص 54 و 55 ، كي لسترنج بلدان الخلافة ص 423 ، رضى عبد الله عبد الحليم ، دراسات في تاريخ خراسان ، دار الأندلس القاهرة للإعلام 1987 ص 108.

[5] الدمشقي ، نخبة الدهر من عجائب البر والبحر ، ص 255 و 256 .

في الشمال الشرقي ، وأصبحت إحدى ولايات إيران فقط [1] لكنها ظلت تشتمل على جميع المرتفعات في ماوراء هراة . [2]

تنقسم خُراسان جغرافيا إلى أربعة أقسام ، يجري في كل قسم منها نهر عظيم يفصل الربع عن الآخر [3] ويبدو أن هذا التقسيم الجغرافي فرض على الساسانيين تقسيما إداريًا مماثلاً ، جعلوا فيه كل ربع تحت حكم " مُرزبان" [*] [4] يطلق عليهم البلاذري [5] إسم العظام ، وذلك لأنه كان هناك مرازبة أقل درجة يحكمون المدن والمناطق المهمة ، كما يتضح ذلك في المصادر العربية عندما تتحدث عن الفتوحات الإسلامية. نسب الساسانيون كل ربع من الأرباع الأربعة إلى إحدى أربع مدُن كُبْرى كانت في أوقات مختلفة عواصم للأقليم بصورة منفردة أو مجتمعة ، وهذه المدن هي ، نيسابور ، ومَرْو و هُراة وبلَخ [6] .

---

(1) لقد حدّد بطرس البستاني موقعها الجغرافي الحالي ما بين خط عرض 30°-31° و 40° – 38° شمالا وخط طول 40° -52° و 60° – 61° شرقا وذكر أن مساحتها تبلغ 124.400 ميل مربع ، دائرة المعارف ، دار المعرفة بيروت (دت) المجلد السابع ص 353.

(2) كي لسترنج بلدان الخلافة | 423.

(3) الدمشقي ، نخبة الدّهر في عجائب البر و البحر ص 224.

(*) كلمة فارسية معناها بالعربية حارس الحدود ، أو حاكم الحدود ، عبد النعيم محمد حسنين ، قاموس الفارسية ، فارسي /عربي،مطبعة نهضة مصر-القاهرة 1402 هـ/ 1982م ط 1 ، 641 ، و مرزبان من " مرز" (حدود) كان العظماء منهم يطلق عليهم لقب " شاه " أي ملك ، ولذلك لُقِّب الملك بـ " شاهنشاه " محمد عبد القادر محمد ، إيران من فجر التاريخ حتى الفتح الإسلامي،مكتبة الانجلو المصرية-القاهرة ، 1982 ، ط1 ص 212.

(4) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ص 18 ، كرستنسن آرثر ، إيران في عهد الساسانيين ، ترجمة يحيى الخشاب راجعه عبد الوهاب عزام،دار النهضة العربية-لبنان (دت) ص 502 ، حسين عطوان ، الشعر في خراسان من الفتح إلى نهاية العصر الأموي ، دار الجيل لبنان 1409هـ ، 1989 ط 2ص 72 ، رضى عبد الله عبد الحليم دراسات في تاريخ خُراسان ص 109 .

(5) فتوح البلدان ص 570.

(6) الأصطخرى ، المسالك والممالك ص 145 ، ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص 361، الدمشقي،نخبة الدهر ص 361 ، القزوينى ، آثار البلاد وأخبار العباد ص 361 ، كي لسترنج،بلدان الخلافة الشرقية ص 424 ، رضى عبد الله عبد الحليم ، دراسات في تاريخ خراسان ص 109.

ومع خضوع إقليم خراسان للفتح الإسلامي ، ظلّ المرازبة يُبَاشرون مسؤوليتهم مثلما كانوا في العصر الساساني تحت إشراف عمال عرب على أن يخضع الجميع إلى والي الإقليم الذي كان يعين مباشرة من الخليفة أحيانا ، أو من قبل والي العراق أحيانا أخرى [1] كما ظل تقسيم خراسان إلى أرباع مستمرا أيضا إلاّ أننا نجد أن عاصمة ربع " بلخ " ظلّت " مرو الرُوذ " إلى سنة 51هـ 671 م السنة التي تمكن فيها الربيع بن زياد الحارثي[2] من فتح مدينة بلخ[3] ولاشك أن دراسة جغرافية خراسان لا تأتي إلا اعتمادا على هذا التقسيم أيضا ، الذى كان في الأساس تقسيما جغرافيا [4] .

1/ربع نيسابور : [5]

يقع ربع نيسابور في الجزء الغربي من خراسان ، سميت قصبته نسبة إلى الملك سابور الثاني [6] الساساني الذي جَدَّد بناءها في المئة الرابعة

---

[1] يوليوس فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة وحبين مؤنس ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة (د.ت) ص 413، رضى عبد الله عبد الحليم ، دراسات في تاريخ خراسان ، ص 117 ، نجدة خمّاش ، الإدارة في العصر الأمويّ دار الفكر دمشق 1400 هـ – 1980 م ط1 ص 63و 120.

[2] الربيع بن زياد بن أنس الحارثي ، من بني الديان ، أمير فاتح ، ولاّه الرسول (ﷺ) على البحرين ، وولاّه عبد الله بن عامر سجستان سنة 29 هـ التي فتحت على يديه ، توفّي في سنة 53 هـ / 673 م ، الزركلي خير الدين، الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب و المستعربين والمستشرقين بيروت (دت) ط 3 ، ج3 ص 38 .

[3] الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) تاريخ الأمم والملوك ، دار القاموس الحديث بيروت ج6 ، ص 127 ، إبن الأثير (عز الدين أبو الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني) الكامل في التأريخ،دار بيروت للطباعة والنشر لبنان 1402هـ ، 1982 م ، ج3 ص 489.

[4] الدمشقي ، نخبة الدّهر في عجائب البرّ و البحر ص 224.

[5] يُلفظ اسمها بالفارسية الحديثة " نيشابور " وهي في العربية "نِيْسَابُورْ " وهو مشتقٌّ من " نِيُوشاه بور " في الفارسية القديمة ، ومعناه : شيءُ أو عمل أو موضع سابور الطيب ، كي لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ص – 424.

[6] حَكَمَ بعد أبيه هرمز الثاني ، من سنة 309 إلى 379م ، وهو يلقب أيضا بشابور العظيم ، وسابور ذو الاكتاف، المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج1 ص 254 ، محمد عبد القادر محمد ، إيران من فجر التاريخ حتى الفتح الاسلامي ص 176، حسن بيرنيا ، تاريخ إيران القديم ص 235.

للميلاد [1] وهي تعرف عند بعض الجغرافيين [2] بـ " أبرشهر " (أي مدينة الغيم) وعند البعض . الآخر [3] "إيران شهر " أي مدينة إيران ، ويبدو أن هذا الإسم كان "لقب شرف "[4] ذلك لأن إيران شَهْر كان قد عرف بها إقليم خراسان كله [5] .

تقع " نيسابور " في أرض سهلة ، ومساحتها قدرها فرسخ [6] في فرسخ ، أبنيتها كلها من طين [7] لها قُهَنْدز وَربض (أي قلعة وضاحية) وللمدينة أربعة أبواب ، أحدهم يعرف بباب القنطرة ، والثاني بباب سكة معقل ،والثالث بباب القهندز (أي باب القلعة) والرابع بباب قنطرة تَكِيْن وأرباضها في خارج قهندزها ومدينتها [8].

لنيسابور نهر عظيم إسمه " شغاور " الذي ينحدر إليها من قرية " بشتنقال " المجاورة لها ، وكان على هذا الوادي قنوات كثيرة كانت توزع الماء على كل دار بالمدينة ، وهي تحت مساكنها لا تُرى لكنها اذا ما تجاوزت المدينة ، ظهرت على وجه الأرض ، فتسقي

---

[1] البلخي (أبو زيد أحمد بن سهل) البدء والتأريخ مكتبة الخواجة أرنست باريس فرنسا 1907 ج1 ص100 ، كي لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ص 424.

[2] ياقوت الحموى، معجم البلدان ج4 ، ص 256 ، الأصطخري ، المسالك والممالك ص 145، ابن حوقل، صورة الأرض ص 361.

[3] المقدسي ، أحسن التقسيم في معرفة الأقاليم ، ص 299.

[4] كي لسترنج بلدان الخلافة الشرقية ص 424.

[5] الدمشقي ، نخبة الدّهر من عجائب البر و البحر ، 255 و 256 المقدسي أحسن التقاسيم ص 299 ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج 4 ، ص 887.

[6] مقياس قديم من مقاييس الطّول ، يقدر بثلاثة أميال ، مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، قام بإخراج هذه الطبعة د.إبراهيم أنيس وآخرون ، وأشرف على الطبع حسن علي عطيّة ومحمد شوقي أمين،مطابع المعارف بمصر القاهرة 1393 هـ 1973م ط 2 ج 2 ، ص 681 ،

[7] الأصطخرى، المسالك والممالك ص 145، ابن حوقل، صورة الأرض ص 362،كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقيّة ص 424.

[8] الاصطخرى ، نفس المصدر ، ص 146 ، ابن حوقل ، نفس المصدر والصفحة ، كي لسترنج ، نفس المرجع ص 425.

المزارع والبساتين [1] .

لقد أكثر الرحالة العرب في مدح نيسابور ، فهي قويّة الهواء ، صحيحة التراب[2] بل إن الأصطخري [3] وابن حوقل [4] اعتبرا تُرابها من أجود التربة على الإطلاق ، وهي كثيرة المياه ، حتى تكاد مياهها تتساوى مع مياه نهر دجلة(*) [5]،وكثيرة الخَيْرات والفواكه والثمار وجامعة لأنواع المسَرَّات [7] جعلت الأمراء الطاهريين [*] ينقلون عاصمتهم إليها ،

---

(1) الأصطخري ، المسالك والمملك ص 142 ، ابن حوقل،صورة الأرض ص 363،ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج4 . 887 ، كي لسترنج،بلدان الخلافة الشرقية ص ص 425 .

(2) المقدسي ، أحسن التقاسيم لمعرفة الأقاليم ص 314.

(3) المسالك والممالك ص 148.

(4) صورة الأرض ص 377 .

(*) يبلغ طول نهر دجلة 1150 ميلاً ، وله منبعان رئيسيّان ، الأول من القرب من بحيرة " كولجيك " (بالأناضول) والثاني إلى الشرق ويقع بالقرب من بحيرة "وان" بجمهورية أرمينيا ، وهو يلتقي مع نهر الفرات ، ويطلق عليهما متحدين وادي الرافدين ، أو النهرين ويطلق على الإقليم المحصور بينهما إسم بلاد " بين النهرين" ويلتقي دجلة بالفرات مكونين مجرى واحد يعرف بشطّ العرب ، أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ، ج2 ، ص 348 وما بعدها .

(5) المقدسي أحسن التقاسيم ص 299.

(6) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ج4 ، ص 457 ، القزويني،آثار البلاد وأخبار العباد ص 473 ، المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص 314 ، كي لسترنج،بلدان الخلافة الشرقية ص 424.

(*) أسّس الدولة الطاهرية " طاهر بن الحسين " الذي لُقّب " بذي اليمنين " في سنة 205 هـ ، في إقليم خراسان ، وكانت الدولة الطاهرية أول دولة فارسية مستقلة ، تأسست في عهد الخليفة المأمون العبّاسي ، الذي كافأ طاهرا بها لتفانيه في مساعدته في حربه ضدّ أخيه الأمين ، سقطت على يد الصفّاريين في سنة 259 هـ خواند مير (محمد بن خاوند شاه) المتوفى سنة 903 هـ ، روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء ، ترجمه عن الفارسية وعلق عليه وقدم له ، أحمد عبد القادر الشاذلي ، راجعه وقدم له السباعي محمد السباعي ، دار مصر للكتاب القاهرة 1408 هـ 1988 م ط 1 ص47، فتحى أبوسيف ، المشرق الإسلامي بين التبعيّة والإستقلال . الطاهريون (تاريخهم السياسي والحضارى مكتبة سعيد رأفت جامعة عين شمس ، القاهرة 1978 ص 134 وما بعدها . انظر أيضا دائرة المعارف الإسلامية ج 10 ، مادّة الدّولة الطاهرية .

بعدما كانت العاصمة في مرو وفي بلخ[1] .

ومهما قال فيها الرحالة فتُعتبر العبارة التي قالها عنها عمرو بن الليث الصفار [2] حينما كان الصفّاريون يقاتلون لفتحها وذلك في سنة 259هـ (882 م) [3] أصدق وصف وتشريف للمدينة حيث قال :" أقاتل على بلدة حشيشها الرِّيْبَاس[4] ، وترابها البقْلُ، وحجرها الفيروزج* "[5] .

ولنيسابور حدود واسعة ورَسَاتيق [6] عامرة قدّرت بثلاثة عشر رُسْتَاقًا [7] يضم كل واحد منها عددا هائلا من القرى قدّرها إبن الفقيه [8] بمائة وستين

---

[1] الأصطخرى،المسالك والممالك ، ص 147 ، ابن حوقل ، صورة الأرض ص 363،كي لسترنج،بلدان الخلافة ص 426.

[2] هو ثاني أمير للدولة الصفارية ، تولى الإمارة بعد أخيه يعقوب بن اللّيث الصفار مؤسس الدولة ، في شوال 265 هـ/879م ، حكم الدولة إلى سنة 289هـ (900 م) حيث تغلب عليه إسماعيل السّاماني ، وأرسله إلى بغداد حيث أدخل السّجن فيها إلى أن مات في سنة 288 هـ (901) الكرزيدي (أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود) المتوفّى عام 443هـ ، زين الأخبار ، ترجمةُ عن الفارسية عفاف السيّد زيدان ، دار الطباعة المحمدية بالازهر ، القاهرة 1402 هـ (1982م)ط1 ، 226 و ما بعدها FRYE (RN) The Cambridge History of IRAN period from the Arab invasion to the Saljugs . Cambridge University Press , V=4 p : 13 .

[3] مجهول ، تاريخ سيستان ، بتصحيح ملك الشعراء محمد تقي بهار،چاب دوم تهران ، 1352 هـ ، ص 219.

[4] نبات ينبت في الربيع على الجبل ، وله قوة " حماض الحصرم " . مطفىء قاطع لتسكين الحرارة ، ينفع في الطاعون ، يحدّ البصر إذا أكتحل بعصارته ، نافع في الاسهال الصفرواى ، وينفع في الحصبة والطاعون والجدري، إبن سينا ، القانون في الطب ، شرح وترتيب ، جبران جبّور ، قدم له خليل أبو خليل ، تعليق أحمد شوكت الشطي ، مؤسسة المعارف بيروت ، 1404 هـ/ 1934 م ط4 ص 279.

* الفيروزج ، فيروز ، إسم فارسي ، يعني جوهرا أزرق هو فلفات الألومين المائي الطبيعي ، وهو أنواع منها فيروزج فحنجي وفيروزج بُسحاقي Emir Moustapha Chèhabi,Dictionnaire des termes Agricoles Français-Arabe librairie du liban 1982 p 659.

[5] القزويني،آثار البلاد وأخبار العباد،ص 473.

[6] وهو موضع فيه مُزدرع ، وقرى أوبيوت مجتمعة ، مجمع اللغة العربية،المعجم الوسيط ج 1 ص 341.

[7] المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص 317 ، ابن رُسته ، الأعلاق النفيسة ص 105 حسين عطوان ، الشعر في خراسات من الفتح إلى نهاية العصر الأموي ص13.

[8] كتاب البلدان ص 320 .

قـريـه فـي كـل رُسْتَاق ، ارتـقـت بعضـهـا لتصل درجـة الـمـدن الكبرى الـتي مـن أهمها :

1/ سُرْخُس:

تـقـوم مـدينـةُ " سُرْخُس" بـين نيسابور ومَرْو ، وهـي فـي أرض سـهلة [1] تـقـع في الـضـفة الشـرقية مِن نـهر " مشهـد " [2] الـذي ينـبـع مـن منـطقـة " كوُجَان"[3] .

الـذي يجـرى في البداية نحو الجنوب الشرقي مَارًّا بمنطقة " مشهد" وحينما يجاوزها مسافة تقـترب مـن مـئة ميـل ، يلـتقي في الجـنوب مـن نهر" هراة" فيصل إلى « سُرخس » فتتوزّع مياهـه ، وتخـتفي في الـرّمال عـند موضـع يُقـال لــه " الأجمَـة" إلاّ في بعض أيام السنة [4] والظاهـر أنّ هـذا الـنّهر لم يذكـر عـند الـرحالة العـرب باسمـه فقد اكـتفى بعـض الـرّحالة الجغرافيين[5] بالإشارة إليه بعبارة " وهو فضل من مياه هراة "

تُعَدّ سُرخس مدينة عامرة صحيحة التُربة ، ولكن زراعتها قليلة لقلة مائها الذي ينعدم في فصـل الصـيف حيـث يصبح فيـه البئر المنقذ الوحيد[6] ولهذا غلب على نشاط أهلها الرّعْيُ وتربيّة الجِمَال فضلا عن التجارة حيث كان سوقها مطرحا لحمولات ما يحيط بهامن مدن[7]

---

[1] الأصطخري ، المسالك والممالك ص 154 ، ابن حوقل ، صورة الأرض 371 ، المقدس أحسن التقاسيم ص 312

[2] يسمى اليوم نهر " تجَنْد" كي لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ص 437.

[3] ذكرها المقدسي في ص 425 باسم خوشان " أو " خُوجَان ".

[4] الأصْطَخرى، المسالك والممالك ص 154 • إبن حوقل، صورة الأرض ، ص 371 • كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية ص 437.

[5] الأصطخرى، المسلك و الممالك ص 154 • إبن حوقل، صورة الأرض، ص 371 ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج3 ص 72.

[6] الأصطخرى، نفس المصدر والصفحة • ابن حوقل ، نفسه • القزوينى ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص 390 ، ياقوت الحموى، نفس المصدر والصفحة .

[7] الأصطخرى، نفسه • إبن حوقل، نفسه • كي لسترنج بلدان الخلافة ص 438 .

2/ نَسَا :

يَفْصِل بين مدينة " نَسَا [1] و " سُرْخُس " مسافة يومين ، ويفصلها عن نيسابور " مسافة سِتة أو سبْعة أيّام .[2] وهي مدينة خصبة كثيرة المياه والبساتين ، ولها رساتيق كثيرة وواسعة وخصبة[3] يقال لها أيضا " شهر فيروز "[4] نسبة إلى بانيها إلاّ أنّها وَبِيئة جدًّا يكثر فيها خروج العرق المَدِينِي[5] حتى أنه قَلّ من ينجو منه في الصيف[6] .

3/ إيبورد :

تقع مدينة إيْبُورد" بين سرخس ونَسَا ، تُلْفَظ أحيانًا باسم " بَاوْرد "[7] ، وهي مدينة وَبيئة رديئة الماء ، يكثر فيها خروج العرق المديني[8] ومع ذلك ، يبدو أن أرضها كانت

---

(1) يقال كان سبب تسميتها بهذا الإسم أن المسلمين لما وردُوا خراسان قصدوا " نَسَا " فبلغَ أهْلَهَا ذلك ، فهربوا ولم يتخلف بها غير النساء فلما أتاها المسلمون لم يروا بها رجالا فقالوا : "هؤلاء نساء ، والنساء لا يقاتلن فننسى أمرها إلى أن يعود رجالهن " ..ياقوت الجموي،معجم البُلدان ج 4 ، 776 .

(2) ياقوت الحموى،نفس المصدر والصفحة .

(3) الاصطخرى،المسالك والممالك ص 154 ، ابن حوقل،صورة الأرض ص 371.

(4) وهو فيروز بن يزدجرد الثاني حكم بعد أن تمكن من قتل أخيه هرمز الثالث الذي حكم بعد أبيهما ، وذلك في سنة 459 م ، وقُتل هو بدوره في معركة ضد الهون البيض في 484 م ، بعد أن حكم 25سنة سادها الجفاف الشديد والمجاعات القاسية ، محمد.عبد القادر محمد ، إيران من فجر التاريخ حتى الفتح الإسلامي، ص 182، حسن بيرنيا ، تاريخ إيران القديم ص 249 .

(5) اسمه بالفرنسية Filaire Medinensis " وهو جنس من الدود الصغير المضر من " السلكيات " تُصيب الإنسان والخيل والبقر لونها أبيض طولها ست أقدام ، تنضج داخل الجلد ثم تخرج منه لولادة آلالاف من الأجنّة الصغيرة في الماء التي تُصيب بدورها الإنسان المُعافى عن طريق شربه له ، ينتشر هذا المرض في المناطق الحارة خاصة في الهند وإيران وغرب آسيا الجنوبية وإفريقيا الحارة Emir Moustapha chéhabi , Dictionnaire des termes Agricoles,Français-Arabe p.277 و ينظر أيضا NOUVEAU LAROUSSE , MEDICAL, LIBRAIRIE LAROUSSE PARIS 1981 تحت مبحث : DRACUNCULOSE .

(6) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ج4 ، ص 776 ، القرويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص 465 ، كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية ص 438.

(7) ياقوت الحموي،معجم البلدان ج1 ص 111 و ج 1 ص 485.

(8) ياقوت الحموي/نفس المصد ج1 ص 111 القزوينى،آثار البلاد ص 289.

خصبة وكثيرة الإنتاج ، حتى إنّ المقدسي[1] لم يفته أن يعبّر عن إعجابه بها حيث قال : " إنها أحبُّ إلىّ من نَسا ، وأحرّ سُوقًا وأرخى وأخْصب ".

4/ طوُس :

بين " طوُس " ونيْسابور نحو عشرة فراسِخ ، وتشتمل على بلدتين يقال لأحداهما " الطابران " وللأخرى " نُوقان " ولهما أكثر من ألف قرية [2] .

كانت " نوقان " مشهورة بصنْع البرام [3] التي تحمل منها إلى سائر البلدان[4] ويبدو أن هذه البرام كانت عجيبة لدرجة أن القزويني[5] ذكر " ألاَنَ اللهُ لأهل طُوس الحجَرَمَا ألاَنَ لِدَاوُد عليه السلام الحديد."

يُستخرج منْ طُوس معادن كثيرة منها الفضة والنُحاس والحديد والفيروزج ، وتباع هذه المعادن في أشهر سوق فيها وهو سوق بلدة " النوقان " [6] التي اشتهرت فيما بعد بِشُهْرة إحدى قُرَاها الصغيرة وهي قرية "سَنَابَاذ " وذلك لأنها المكان الذى تُوُفِي ودفن فيه الخليفة هارون الرشيد [7] في سنة 193هـ (809 م) وأيضا الإمام عليّ

---

(1) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص 321.

(2) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ج3 ، ص 560 ، القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد 411،كي لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ص 430 .

(3) برمة " برام " وهي القدرة من الحجارة ، مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، ج1 ص 52.

(4) الأصْطخرى ، المسالك والممالك ، 147.

(5) آثار البلاد : ص 411.

(6) كى لسترنج،بُلدان الخلافة الشرقية ص 430.

(7) هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي ، خامس خلفاء العباسيين في العراق وأشهرهم وُلِدَ بالرَي ، ونشأ في دار الخلافة ببَغْداد وبُويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي في سنة 170هـ ، فقام بأعبائها فازدهرت الدولة في أيامه . دامت خلافته 23 سنة ، إبن قتيبة الدينورى،المتوفى سنة 276هـ ، المعارف ، صَحّحهُ وعلق عليه وراجعَهُ : محمد إسماعيل عبد الله الصاوى ، دار إحياء التراث العربي بَيروت 1390 هـ (1970م) ط 2 ص 166 وما بعدها ، الزركلي ، الأعْلام ، ج 9 ، ص 43 وما بعدها .

الرِّضَا [1] الذي مات ودُفِن بها أيضا في سنة 202 هـ (817 م) [2].

5- بَيْهَق :

وهي عبارة عن رُسْتاق يقع في غرب نيسابور التي تبعدها نحوستين فرسخا ، أصلها بالفارسية " بَيْهَـه" أي " بهايـن" ومعناه الأجود ، تشتمل على ثلثمائة وإحدى وعشرين قرية ، كانت قصبتها الأولى تدعى " خسْرُ وجَرْد " ثم صارت " سَابْزَوار " التي يُسميها العامة سَبْزور" اشتهرت بيهق بخصوبة أرضها التي تنتج فواكه عديدة ومتنوعة وبالأخص الأعناب .[3]

2/ ربع مَرْو :

يقع ربع مرو في القسم الشمالي من خراسان ، قصبته مدينة " مرو" التي تعرف أيضا " بمرو الشاهجَان [4] وقد عَرَّفَ ياقوت [5] الحموى هذا الإسم قائلا : " لفظ مرْو يعني الحجارة البيضاء التي يقتدح بها . إلا أننى لم أرَ بها من هذه الحجارة شيئا البَتّة ، أما الشاهجا فهي فارسية معناها" نفس السلطان " لأن " الجَان هي النفس أو الروح ،و" الشاه" هو السلطان وسميت بذلك لجلالتها عندهم " أما المستشرق كي لسترنج [6] فيقول: " لعل الشاهجان " ليست إلاّ الصيغة العربية لـ " شاهكان " الفارسية القديمة ومعناها " السُلْطاني

---

(1) على بن مُوسى الكاظم بن جعفر الصادق أبو الحَسن ، الملقب " بالرِضَى" ثامن الأئمة الإثنى عشر عند الإمامية ، ومن أجلاّء سادة أهل البيت وفضلائهم وُلد في المدينة وكان أسود اللون ، أمه حبشية ، أحبه المأمون العباسي ، فعهد إليه الخلافة من بَعده وزَوّجه إبنته ، وضَرب اسمَه على الدِيْنار والدِّرْهم وغَيّر من أجلهِ الزّىّ العباسّي الذي هو أسود فجعله أخضر إلا أن علّي الرضى توفي في حياة المأمون ، وقيل مات مَسْمُومًا . المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ج4 ، ص5.الزّركلى الأعلام ج5 ص 178.

(2) ياقوت الحموى ، معجم البُلدان ج 3 ، ص 560 ، القزويني،آثار البلاَد وَأخـبَار العِباد ص 392.

(3) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج 1 ص 804 ، كي لسترنج،بلدان الخلافة الشرقية ص 423.

(4) ياقوت الحموي ،معجم البلدان ج4 ، ص 507 ، الأصطخرى، المسالك والممالك ، ص 147.ابن حوقل، صورة الأرض ص 364 ، المقدسي،أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص 298.

(5) نفس المصدر والصفحة .

(6) بلدان الخلافة ص 440.

" أو يَخُصُّ السُّلطان ".

يُذكر أنّ الذي بنى " مروَ هو ذو القرنين [1] في حين لقد بنى " قَهَنْدِزها " الذي يعدّ أقدم منها " طَهْمور [2]" . [3]

تقع " مرو" في أرض مستويه بعيدة عن الجبال ، أرْضها سَبخَة كثيرة الرّمال ، وأبنيتها من طين ، ويوجد بها مسجد جامع بُنِيَ مع دخول الإسلام إليها ، كما بَنَى بها أبو مسلم الخراساني [4] ، مسجداً آخر على ظهر دار الإمارة [5] .

لِمرْو نهرٌ عظيم يتشعب منه كل أنهار الرّبع ، ينبع من وراء جبال " البَاميَان " ويعرف باسم " مَرْغاب " [6] ويُقْسَم ماؤه في قرية زَرْقٌ حيث جُعل لكل مَحَلّة وسكّة من هذا النهر نهر صغير عليه ألواح خشب فيها ثُقب يتساوى بها الناس في تناول حصصهم من الماء. إن نَقُص أو ازْدَاد، ويُشرف على هذه العملية أمير يترأس عدداً كبيراً من العمال قد يصل إلى عشرة آلاف عامل . [7]

---

(1) ذُكرت هذه العبارة ثلاث مرات في القرآن ، كلها في سورة الكهف ، وأجمع المفسرون على أن ذا القرنين هو الأسكندر المقدوني ذلك لأنه بلغ في فتوحاته مَطْلعي الشَمْس أي قرنيها ، أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ج2 ص 449.

(2) مَلَكَ بَعْدَ موت "أوْشَهْنَج" وهو طهمورت بن بُونْجهان ، إسمه يعني " خيرالأرض " ، كان أوّل من أتخذ الصّوف والشعر للبس و أول من أتخذ زينة الملوك من الخيل والبغال والحمير ، وأوّل من إتخذ الكلاب لحفظ المواشي وأخذ الجوارح للصيد ، وأول من كتب بالفارسية ، في عهده ظهر " بيوراسب " ودعا إلى ملة الصابئين.إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 1 ص 61.المسعودي ، مروج الذهب ج1 ص 223.

(3) الأصطخري ،المسالك والممالك 147 ، إبن حوقل، صورة الأرض 364.المقدسي ، أحسن التقاسيم ص 299.

(4) هو عبد الرحمن بن مسلم صاحب الدّعوة العباسية في خراسان، المتوفى في 137هـ - 755 ، أحمد عطية الله القاموس الإسلامي ج 2 ، ص 224 . سيأتي الحديث عنه .

(5) الأصطخري ، المسالك والممالك ص 147، إبن حوقل،صورة الأرض ص 365.

(6) معناه " مرو آب " أي ماء مرو وقد تعود تسميته إلى المكان الذي ينبع منه والذي يسمى " مرْغاب " الأصطخري نفس المصدر ص 148 .

(7) الأصطخري،المسالك والممالك ص 147 ، إبن حوقل صورة الأرض ص 365.

تعتبر " مرو" من أشهر مدن خراسان وأكثرها خيراً ، وأحسنها منظراً[1] طعامها طيب وخبزها ليس مثله نظير في كل خراسان فهو الألذّ و الأنْظَف. وهي كثيرة الفواكه والأعناب والحبوب والحمام ، وزبيبها وغيره من فواكهها اليابسة يُفَضّل على كل الإقليم ، بل إن من صحة وجودة فواكهها كان البطيخ يُقدّد ، وفاق إنتاجها طلبها فأصبح يُحمل منها إلى سائر الدنيا منتوجات كثيرة ومتنوعة بالأخص القطن والأبريسم [2] و القزّ و الاشْترغار [3](4) لكن أهلها وُصِفُوا بالبخل المْطلق حتى جَوّعوا حيواناتهم فأصبح ديكهم يسلب الدجاج ما في مناقيرها من الحبّ في الوقت الذي كان فيه في البلدان الأخرى يَلْفظ ما يأكله من فيه لها. [5]

أما أهم مدن هذا الربع فهي :

1/ سنج :

حسب ياقوت الحموي [6] كانت هناك قريتان بربع " مَرْو" تأخذ إسم " سَنْج" واحدة لم يتمكن من تحديد مكانها والثانية ذكر أنها تسمى أيضا بـ " سنج عبّاد" وهي تبعد عن مَرْو حوالي أربعة فراسخ طولها نحو فرسخ لكن عرضها أقل من ذلك نسبيا . وهي تعدّ من أعمر المدن وأخصبها ، حيث كانت البساتين منتشرة في كل مكان ، لقربها من المياه وذلك لأن المدينة بنيت على نهر ، كما أنها كانت خصبة في المجال العلمي أيضا حيث أصبحت مجمع العلوم والمعرفة منذ أن انتشر الإسلام فيها . [7]

---

(1) القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد 456، المقدسي،أحسن التقاسيم ص 299.

(2) وهو الخَيط الذي ينسجه دود القزّ EMIR MOUSTAPHA CHEHABI DICTIONN-AIRE DES TERMES AGRICO LES P-607.

(3) جنس الكثيراء والقتاد والعنزروت و غيرها من فصيلة القرنيات الفراشية يُسمى باللآتينية ASTRAGALUS وهو 13 نوعا . IbiD p36

(4) الأصطخري،المسالك والممالك ص 149. ابن حوقل،صورة الأرض ص 364 .

(5) ياقوت الحموي،معجم البلدان ج 4 ص 508.

(6) نفس المصدر ج 3 ص 161 .

(7) المقدسي،أحسن التقاسيم ص 312 ، كي لسترنج،بلدان الخلافة الشرقية ص 442 .

2/ الدّندانقان :

تقع " الدَندانِقان " في الجنوب الغربي من مرو الشاهجان ، وهي صغيرة نسبيا ومحصنة بباب واحد[1]، ونظرا لأن أرضها كانت رملية ، فإن حظها في المزارع قليل حيث تنتهي عندها مزارع " مرو الشاهجان " التي تبعدها حوالي عشرة فراسخ .

لقد عُرفت " الدندَانقان " بكثرة الحمَّامَات التي تقع خارج سورها إلاَّ أن آثارها مجهولة الآن فقد دمرت تماماً من طرف الأتراك الغُزّية[2] في شوال سنة 553 هـ (1158م) وما بقي منها غطّته الرّمال .[3]

3/ آمل :

تقع " آمل : على يَسار نهر جيحون ، تربطها مع " مَرْو " مَسَالك صَعْبَة مُغطاة بالرمال وَ مَفازة [4] أشبه بالمَهْلك [5].وقد عرفت باسم " أموية [6] و عرفت أيضا باسم "جهارجوي " (أي أربعة أنهار)، و لازال موضعها يعرف بهذا الاسم حتى الآن [7].

تعدّ آمل مجمع طرق خراسان إلى ماوراء النّهر ، فهي تحتل موقعا هاما زادها عمارة وشهرة.[8]

---

(1) المقدسي،أحسن التقاسيم ص 312ه كي لسترنج،بلدان الخلافة الشرقية ص 442

(2) لقد قسم الجغرافيون العرب القبائل التركية إلى 6 قبائل هي : القرغُزْ وَآلتَ وقُرْغيْز ، و الكيماك و الأوغُوز أو الغُزّ والقُرْلُق ، أحمد عطيّة الله ، القاموس الإسلامي ج 1 ص 458 .

(3) ياقوت الحموى،معجم البلدان ج 2 ص 610 ، كي لسترنج،بلدان الخلافه الشرقية ص 442.

(4) ج " مفاوز ، وهي الصحراء والمَهلكه ، مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط ج2 ص 706.

(5) ياقوت المحوى،معجم البلدان ج 1 ، 69 ، الأصطخري،المسالك و الممالك ص 157، ابن حوقل ، صورة الأرض 376.

(6) ياقوت الحموي ، نفس المصدر و الصفحة.كي لسترنج،بلدان الخلافة ص 445.

(7) كي لسترنج،نفس المرجع والصفحة .

(8) ياقوت الحمويّ،نفسه ، المقدسي،أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم 391.

لقد ذكر ياقوت الحَمَوي [1] عدة مناطق باسم " آمل " وهي " آمل زَمْ " و " آمل جيْحون" و " آمل شطّ " وقال : " رُبّما ظَنّ قَوْمٌ أنّ هذه الأسامي لعدة مُسَمّيات ولَيْسَ الأمر كذلك ". و حَسْب ظَنّه أن كل هذه المُسمَّيات لِمنْطقة واحدة . إلا أن الأصطخري [2] وابن حوقل ذكرا [3] أن " آمل " و آملزم " هما مدينتان متقاربتان في الكِبَر على شط نهر جيحون ولهما ماء جارٍ وبَساتين وزرع ، سوى أن " زم " " دون آمُل " في العمارة .

ويبدو أن ليس هناك تناقض بين الرّأيَيْنِ ، فقد تكون المدينتان " آمل " و" آمل زم" توسّعتّا حتّى كوّنتا مدينة واحدة في القرن السّابع الهجري ، القرن الذي عاش فيه ياقوت الحموي .

4/ مرو الرّوذ :

وَ معْناها بالعربية " مرو النهر" [4] أومرو الشّط [5] وهي مدينة قريبة من " مرو الشاهجان " بينهما مسافة خمسه أيام ، وهي تقع على نهر " المَرْغَاب " العظيم وتتوسط سلسلة من الجبال التي تحيط بالمدينة من الغرب على بعد ثلاثة فراسخ ومن الشرق على بعد فرسخين [6] وُصفت على أنها طيبة التربة والهواء غنية بالبساتين التي تنتج الكثير من الفواكه وبالأخص الكروم . [7]

3/ ربع هراة :

يقع رُبع ّ هُراة " في منطقة تغطي غالبية الجزْء الجنوبي الشرقي من خُراسان وهو يقع

---

(1) ياقوت الحموي/معجم البلدان ج 1 ، 69.

(2) المسالك والممالك ص 157.

(3) صورة الأرض ص 376.

(4) ياقوت الحموي/معجم البلدان ج 4 ص 506.

(5) كى لسترنج ، بلدان الخلافة ص 447.

(6) ياقوت الحموي/معجم البلدان ج4 ص 506.

(7) الأصطخري/المسالك والممالك 152 • ابن حوقل/صورة الأرض 329.

اليوم في البلاد المعروفة بأفغانستان (*) .(1) ; قصبته مدينة هُراة ، وهي مدينة جليلة وعظيمة كثيرة السُكان والخيْرات والمياه والبساتين (2) تقع على نهر يسمى باسمها " هراة " أو هُري روذ" وقد يُعرف أيضاً " بخجاچران" الذي يُعتبر من الأنهار العظيمة في خراسان حيث تأخذ منه تِسْعة أنهار سَقْي (3) .

يخرج نَهر " هراة" من تحت الغور (4) ثم يَمرُّ بمدينة " فوشنج" ثم يعطف شمالا فيجري إلى " سُرْخُس " ، وقبل أن يصلها ، يستقبل مياه نهر " مشهد" ثم فيما يَلي ذلك تفنى مياهه في مفازة بشمال " سُرخُس " (5).

بَنَى " هراة" الإسكندر الأكبر وذلك لما دخل بلاد الشرق ذاهبا إلى الصِّين حيث أمر كل قوم ببناء سور يُحَصِّنهم من الأعداء ، وعلم أن أهل هراة كانوا شَماساً (عندهم قلة القبول) فعيّن لهم مدينة بطولها وعرضها وسُمْك حيطانها وعدد أبْوابها ، لِيُوفيَهم أُجُورهم عند العودة لكنّه عندما عاد لم تَرُقْهُ الهيئة التي بُنيت بها"هراة" فامتنع عن دفع الأجُور.(6)

لمدينة هراة حِصن وسُور له أربعة أبواب : باب سُرَاي مما يلي الشمال في الطريق إلى بلخ ، والباب الثاني إلى الغرب يُفضي إلى نيسابور وهو بَاب زِيَاد. والباب الثالث في

(*) دولة إسلامية قديمة ، تقع في الشمال الغربي لشبه الجزيرة الهندية ، وهي دولة داخلية لا سَواحل لها تُجاوِرُ تُركُستان الرّوسية وإيْران وباكستان والصين وكشمير ، تبلغ مساحتها نحو 250 ألف كلم². أحمد عطية الله،القاموس الاسلامي ج1 ، ص 144.

(1) كي لسترنج،بلدان الخلافة الشرقية ص 449.

(2) ياقوت الحموي ، معجم البُلدان ج 4 ص 958 ، القزوِيْني ، آثار البلاد وأخبار العباد 481،اليَعْقوبي،البُلدان ص 280.

(3) الأصطخري ، المسالك والممالك 150 ، إبن حوقل،صورة الأرض 367 ، كي لسترنج،بلدان الخلافة الشرقية ص 450.

(4) ولاية بين هُراة وغزنه عامرة ، ذات عيون وَبساتين كثيرة خصبة جدا والجبال محتوية عليها من جميع جوانبها،وهي شديدة البرودة لا تنطوي على مدينة مشهورة وأكبر ما فيها قلعة يقال لها " فيْرُوزكُوه " القزويني،آثار البلاد 429.

(5) الأصطخري، المسالك والممالك ص 150 ، ابن حوقل ، صورة الأرض ص 367.

(6) ياقوت الحمويّ ،معجم البلدان ج4 ، 959 ، القزويني آثار البلاد ص 481.

الجـنوب يخرج إلى سِجِسْتَان إسْمُه بَاب " فيروز آباد " أما الباب الرابع فهو في شرق المدينة ويـؤدي إلى جـبال الغُور واسمُه باب " خُشك "[1] وكل هذه الأبواب من الخشب ماعدا باب سَرَاي الذي صنع من الحديد ، يوجد على كل باب سوق حافل ، كما يُوجد أيضا في حصن هُـرَاة أربعـة أبـواب أيضـا بحذاء كل باب من أبواب المدينة باب لهذا الحصن ويسمى باسم ذلـك الباب ، كما يوجد خارج الحصْن جدار طويل يطوف به من كل النواحي بينهما مقدار ثلاثـين خطـوة ، ويُوجـد المسجد الجامع في وسط المدينة تحيط به الأسواق وعلى ظهره بُني سجن المدينة [2] .

تُعـد " هُـواة مطرح الحُمـولات الكـثيرة والمتنوعة ، من خُراسان وفارس وسِجِسْتان[3] وهـي كـثيرة الرّسـاتيق حيث بلغ عدد قراها أربعمائة قرية منها الكبيرة والصغيرة ، وفيما بـين هـذه القـرى سـبع وأربعـون " دسْـكرة"[4] تشتمل كل واحدة منها على عشرة أنفس إلى عشرين نفسا [5] .

تقـع هُـراة عـلى بُعد فرسخين من جبال خالية يتراوح ارتفاعها ما بَين 11و 13 ألف قدم [*][6] ، ليس فيها سوى الحجارة يستعملونها للأريحة وللفرش ، لكن يُـوجد عَلى

---

(1) الأصطخري/المسالك والممالك ص 150 ، إبن حوقل/صورة الأرض ص 366 ، كي لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية 450.

(2) الأصطخري، نفس المصدر والصفحة ؛ إبن حوقل/نفس المصدر و الصفحة .

(3) الأصطخري. نفسه ـــــ أبن حوقل نفسه

(4) كلمة فارسية تَعْني قرية وتعني أيضا المنازل التي تتوفر فيها أسباب العيش ، عبد النعيم محمد حسنين/قاموس الفارسية ص 252 ، وهي أيضا بناء كالقصر حَوّلَه بيوت للأعاجم فيها الشراب والملاهي ويكون للملوك ، مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط ج1 ص 283.

(5) ابن رسته ، الأعلاق النفيسة ص 173 ، حسين عطوان ، الشعر في خراسان ص — 16.

(*) وحدة قياس تُساوي ثُلث يَارْدة ، واليَارْدة مقياس طولي يُقدّر بنسبة 32 إلى 35 من المتر ، مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط ج2 ص 720 و 1062.

(6) دائرة المعارف الإسلامية ج 8 ، ص 283.

رأسـها بَيْـت للنار عامر في أغلب الأحيان يُسمى " سِرْشك" ويقع بينها وبين المدينة كنيسة للنصارى[1] ومن أهم مُدن رُبع هراة هي :

1/ كروخ :

تقـع عـلى مرحلة من شمال هراة ، تسمى " بكروخ" أو " كاروخ " [2] وتعد أكبر مدن رُبـع هـراة بعد قصبتها ، يقطعها نهر كبير يصب في " هري رُوذ" يَنْفَرِدُ ياقوت [3] الحموي بتسميته نهر " كراغ" .

تقـع كـروخ في شعب بـين الجبـال ، وهـي مَبْـنِيَة مـن الطّـين ، مِساحتُها واسعة قد تـتجاوز العشـرين فرسـخا جميعهـا مشـتبكة بالبسـاتين والمياه و الأشجار والغياض والقرى العامرة ، التي يكثر فيها إنتاج الزبيب الطائفي [4] والمشمش[5].

2/مَـالَـنْ :

وهـي بـلدة صـغيرة مُتَشَابكَة البَسَـاتين[6] ، ذكـرها يـاقوت الحموي[7] باسم " مالين " و"مـالان" أيْضـا ، وهـي رستاق يجمع خمسا وعشرين [8] قرية من أشهرها قرية " مرغاب " وبَاشْيَنَاب" و"زَنْسَان" وَعبسَقَان"[9].

---

(1) الأصطخري،المسالك والممالك ص 150.ابن حوقل،صورة الأرض ص 367، كي لسترنج،بلدان الخلافة الشرقية ص 450.

(2) كي لسترنج،نفس المرجع ص 452.

(3) معجم البلدان ج 4 ، ص 247.

(4) زبيب أو عنب عناقيده متراصفة الحَبّ ، مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، ج2، 571.

(5) الأصطخري،المسالك والممالك ص 151 ، ابن حوقل ، صورة الأرض ص 367.حسين عطوان ، الشعر في خراسان ص 16 ، كي لسترنج،بلدان الخلافة ص 542.

(6) الأصطخري ، المسالك ص 151.ابن حوقل،صورة الأرض ص 367، كي لسترنج ، بلدان الخلافة ص 453 .

(7) معجم البلدان ج4ص 397.

(8) ياقوت الحموى،نفس المصدر والصفحة .

(9) كي لسترنج،بلدان الخلافة الشرقية ص 452.

3/ بَادْغِيْس :

أصلها بالفارسية " بَادْخِير" ومعناها قيام الربيع أو هبوب الربيع[1] وذلك لِكثرة هبوب الرِّياح بها ، تقع على الطريق الضَارب من " هراة" شَمالا إلى مَرْو الروذ ،وَهي تعتبر كُورة[2] عظيمة كثيرة المدن والقرى تحتلّ مساحة واسعة تمتد بين هُرَاة من الغَرْب إلى مياه " مرغاب الأعلى " في الشرق ، بناؤها من طين وفيها أسراب [3] كثيرة في الأرض ، لكنها قليلة البَساتين والكروم ، وإن كان يَكثر فيها شجر الفُسْدق الذي كان يَملأ أرضها حتى إن الكثير من الناس كانوا يعيشون على أرباح تجارته طول السنة :[4]

4/ بُوشَنْج :

تُنطق " بوشَنْج " أو " فُوشنج" وهي تَبْعد عن هُراة حوالي عشرة فَراسخ وتقع في وادٍ مشجّر [5]تحتل مساحتها نحو نصف مساحة هراة ، بناؤها من طِين ، ولها مياه وأشجار كثيرة ، تُعدّ أشجار " العرعر" أشهرها،لذا أصبحت أخشابها أهم ما تُصدِّره المدينة.[6] أما المزروعات فقد اشتهرت فيها زراعة البَطيخ والأعناب بأصنافها التي تجاوزت مائة وخمسة أصْنَافٍ.[7]

5/ البَاميَان :

وهي كورة في جبالٍ بين بَلَخْ وهُراة وغَزْنَة ، ذات مدُن وقُرى وجبال وأنهار كثيرة ،

---

(1) كي لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ص 452.

(2) حِصةٌ نَصِيبٌ جُزءٌ من الدولة ، ويُسمى أيضا خُرة وخُورة ؛ و الكورة في العربية بمعنى الإقليم والمحافظة ، عبد النّعيم محمد حسنين ، قاموس الفارسية 553.

(3) الرصاص ، مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ج1 ص 17.

(4) ياقوت الحموي،معجم البُلدان ج 1 ص 461 ، الأصطخري ، المسالك والممالك 152 ، ابن حوقل صورة الأرض 368 ، المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص 308 .

(5) ياقوت الحموي،نفس المصدر ج1 ص 758 ، كي لسترنج،بلدان الخلافة الشرقية 453.

(6) الأصطخري،المسالك والممالك ص 151،إبن حوقل،صورة الأرض ص 368.

(7) كي لسترنج، بنفس المرجع والصّفحة

قصبتها البَاميَان " التي تقع بدورها على جبل ، وهي مدينة ليس لها سور وليس بها بَسَاتِين [1].

يوجد بـالْكورة مَعادن كثيرة أَوّلُها الزئبق ، كما يُوجد بها " عين عجيبة " ينبع منها ماء كثير ، فيه كميات من الكبريت تُزيل مرَض الجَرب ، وإذا ما وُضع من ذلك الماء شيْء في ظرف وشدّ رأسه شداً وثيقا وتُرك يوما كاملا حتى يَتخثر يصبح سهل الاشتعال إذا ما تعرض للنار .[2]

كما بها من عجائب الدنيا أيضا بيت ذاهبٌ في الهواء بأساطين مرفوعة منقوش فيه كل طير خلقه الله على وجه الأرض وفيه صنمَان عظيمان نُقرا في الجبل من أسفله إلى أعلاه يُسمى أحدهما " سُرخبد" و الآخر " خِنكبد" وقيل ليس لهما في الدنيا نظير[3].

تعتبر منطقة الباميان من أبرد مَناطق إقليم خراسان حيث إنها المنطقة الوحيدة التي تسقط بها الثلوج [4].

رُبع بَلخْ :

يقع ربع " بلخ " في الجزء الشمالي الشرقى من خراسان ، وهو يقع اليوم في البلاد المعروفة اليوم بأفغانستان [5]. عاصمته مدينة " بلخ" التي تعتبر من أجَلّ مدُن الإقليم وأذْكَرِها وأكثرِها خيْرا وأوسعها غلّة حيث كانت غلتّها تُحمل إلى جميع الإقليم وخارجه أيضا [6]

(1) الأصطخري،المسالك والممالك ص 156 ، ابن حوقل صورة الأرض ص 375،المقدسي أحْسَن التقاسيم ص 303

(2) القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ص 154.

(3) يا قوت الحموى،معجم البلدان ج 1 ص 481 ، القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ص 154 يُسمّي القزويني الصنمين بـ " سَرج بتْ " و " خنْلابَت".

(4) الأصطخرى،المسالك والممالك ص 157 ، ابن حوقل،صورة الأرض ص 375،كي لسترنج،بلدان الخلافة الشرقية 460.

(5) كي لسترنج،نفس المرجع ص 464 ، رضى عبد الله عبد الحليم ، دراسات في تاريخ خراسان 115.

(6) ياقوت الحموي معجم البلدان ج1 ص 713.

بل إنها هي " أمُّ البلاد"[1] .

تقع مدينة بلخ مقابلة لنهر جيحون [2] الذي يأخذ اسمها أحيانا ويُسمى بنهر بلخ [3]

وعن بنائها يذكر ياقوت الحمَوي [4] روايتين ينسبه مَرّة إلى الملك " لَهْرَاسف" ومرة أخرى إلى الملك الإسكندر الأكبر حيث أخذت إسمه وسُمّيت بالإسكندرية ، غير أن القزويني [5] ينسب بناءها إلى الملك " مُنُوجَهَرْ" [6] وقد لايكون اختلاف في هذه الروايات، بل قد يكون هؤلاء الملوك كلهم قد اشتركوا في بناء مدينة بلخ أوْ ما جَاوَرَها وخاصّة أن المنطقة تسمح بذلك لسعتها .

تقع " بلخ " في أرض مسْتوية بينها وبين أقرب الجبال إليها المُسماة " كُو" أربعة فراسخ [7] وكان على المدينة ثلاثة أسوار وثلاثة عشر بابا [8] وكان لها ربض يُسَمّى " النّوبهار " ومسجد جامعٌ بوسط المدينة تحيط به الأسواق ، وأبنيتها كلها من طين [9] .

تُعدّ بلخ مدينة غنية بالمياه حيث كان يَجري في ربضها نهر " دهاس " الذي معناه على رأي ابن حوقل [10] " عشرة أربحة " ، الذي كان سَبباً في نجاح الزراعة بها وخاصة

---

(1) كي لسترنج، بُلدان الخلافة ص 462.

(2) يَاقوت الحموي، معجم البلدان 1 ص 714 • موريس لومبار ، الإسلام في مَجْدِهِ الأوّل (ق 8-11 م) (2-5هـ) ترجمة وتحقيق إسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر 1979 ص 56.

(3) ياقوت الحموي، نفس المصدر والصفحة.المسعودي ، مروج الذّهب ومعادن الجوهر ج 1 ص 101.

(4) نفسه .

(5) آثار البلاد ، ص 331.

(6) هو من ملوك الفُرس القدامى تعاصر مع النبي " مُوسَى" وَحكَم حوَالى 20 سنة وكان ينزل بابل ، المسعودي، مروج الذهب ، ج 1 ص 225.

(7) الأصطخري، المسالك ص 155 • إبن حوقل، صورة الأرض ، 376.

(8) اليعقوبي، البلدان 287.

(9) الأصطخري، المسالك ص 155 • إبن حوقل، صورة الأرض ص 376.

(10) نفس المصدر والصفحة .

زراعة أشجار الكروم [1] . ويبدو أن المدينة كانت فائقة الجمال لذا استحقت التسمية التي جاءت في كتب الأعاجم "بلخ البهيّة"[2].

كان يحتوي ربض المدينة المُسمّى النُّبهار عَلى أكبر بيت للنار وصفه القزويني [3] وصفا دقيقا قائلا ": لمّا سمع ملوك ذلك الزمان بشرف الكعبة واحترام العرب إياها ، بنوا هذا البَيْت مضاهاة لها ، وزينوه بالديباج [4] و الحرير والجواهر النفيسة ، ونصبوا الأصنام حَوْله ، والفُرْس والتُّرْك تعظّمه وتحجّ إليه وتهدي إليه الهدايا ، وكان طول البيت مائه ذراع[5] وعرضه مائة ، و أكثر من مائة إرتفاعا وَسدانته للبرامكة [6] وملوك الهند والصين يأتون إليه ...".

لقد عُدّت " بلخ " مدينة خراسان العظمى في العهود الساسانية،لذا نزلها بعض ملوكها فازدادت بذلك شهرة وشرفا [7] كما زادها الوالي الأموي أَسَدُ بن عبد الله القَسْري شرفا أيضا عندما جعلها عاصمة الإقليم بدلا من " مَرو " وذلك في سنة 107 هـ (725 م) [8].

---

(1) ابن حوقل ، صورة الأرض ص 376، الجاحظ (عمرو بن بحر الجاحظ) كتاب التبصرة بالتجارة ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، دار الكتاب الجديد بيروت 1403هـ (1983م) ط 2 ص 37.

(2) المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم 302 ، كي لسترنج،بلدان الخلافةالشرقية 462 .

(3) آثار البلاد وأخبار العباد ص 331.

(4) ضرب من الثياب سُدَاه و لُحْمَته حرير (فارسي معرّب) مجمع اللغة العربية،المعجم الوسيط ج 1 ص 268.

(5) اليد من طرف المرفق إلى طرف الأصبع الوَسطى ، ومقياس أشهر أنواعه الذراع الهاشمية ، وهي 32 إصبعا أو 64 سنتمترا ، مجمع اللغةالعربية،نفس المرجع ج1 ص 311.

(6) أسرة من الوزراء العباسيين تُنْسب إلى جدها برْمك ، عاصرت قيام الدولة العباسية وخلافة السّفاح والمنصور و المَهْدِي والهادي والرشيد . من أشهرها خالد البرمكي وإبنه يحيي الذي أنجب جعفرًا الذي صادقه الرشيد ثم نكبه وأسرته جميعها ، أحمد عطية الله،القاموس الإسلامي ج 1 ص 294 .

(7) اليعقوبي ، البلدان 287.

(8) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج8 ، 189 ، إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ، 138.

هناك مدن أخرى مشهورة بناحية " الجوزجَان " زيادة على قصبتها ومنها مدينة الأنبار التي كانت أكبر مساحة من " مرو الروذ " تقع على جبل وبناؤها من طين أيضا مثْلما كانت بناية أغلبية مدن الإقليم وهي غنية بالمياه والبساتين واشتهرت بها خاصة زراعة الكروم [1] كما تشتهر مدينة " الفارياب " في الناحية أيضا حيث كانت جامعة للصنائع والتجارة ، وهي تعرف أيضا باسم " الفيرياب" [2] كما أن هناك مدناً أخرى مثل مدينة " سَان" ومدينة كُنْدرْم " اللتين عُرفتا بزراعة الجوز والعنب ومدينة " أشْتَرج" التي اشتهرت بتربية الأغنام والإبل [3]

2/ طَخَارِسْتان :

تعدّ " طخارستان " ناحية عظيمة في شرق " بلخ" ممتدة بحذاء الضفة الجنوبية لنهر جيحون حتى حدود " بَدخشان " تحدها من الجنوب الجبال التي في شمال " الباميان " و"بنجهير " . وتنقسم " طخارستان " بدورها إلى قسمين؛طخارستان العليا وهي في شرق بلخ وغرب نهر جيحون بينها وبين بلخ ثمانية وعشرون فرسخا ، وطخارستان السفلى وهي في الجنوب الشرقي على حدود " بدخشان " [4] تدخل فيها أيضا حسب الطبري [5] وابن الأثير [6] منطقة آخرون وشومان . ولناحية طخارستان أهمية كبرى ، إذ اعتبرت من أهم الثغور [7] الإسلامية في العصر الأمويّ [8].

---

(1) الأصطخرى ، المسالك والممالك ، ص 152 ، إبن حوقل،صورة الأرض ص 370 .

(2) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج 3 ، ص 840 و ص 930.

(3) الأصطخري،المسالك والممالك ص 152 ، ابن حوقل،صورة الأرض ص : 370.

(4) ياقوت الحموي،معجم البلدان ج3 ، 518 ، كي لسترنج،بلدان الخلافة الشرقية 469.

(5) تاريخ الأمم والملوك ج 8 ، ص 60 .

(6) الكامل في التاريخ ج4 ، ص 523.

(7) موضع يخاف هجوم العدو منه ، و الموضع يُخاف منه العدو ، ج ثغور مجمع اللغة العربية ،المعجم الوسيط ، ج 1 ص97.

(8) يوليوس فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص 410 ، حسَن أحمد محمود،الإسلام و الحضارة العربية بين الفتْحيْن العربي والتّركي ، دار النهضة العربية القاهرة 1968 ص 19 و 116.

يَعتبر ياقوت الحموى [1] مدينة " الطالقان " أكبر مدن طخارستان ، وهي مدينة في مُسْتَوٍ من الأرض بينها وبين الجبل غلوة سهم ولها نهر كبير وبساتين ومقدارها نحو ثلث بلخ . كما اعتبرت مدينة " خُلم " من أكبر مدن الناحية أيضا وهي تقع على مسافة يومين من شرق بلخ [2] وبها نهر يأخذ اسمها لا يصب في جيحون بل يفنى فيها [3] ، وهي مدينة ذات قرى وبساتين ورساتيق وشعاب ، خصبة الأرض كثيرة المنتوجات إلا أن رياحها لا تسكن أبدا في فصل الصيف [4] ويبدو أن هذه المدينة قد نالت إعجاب العرب حيث نزلوها منذ الفتوحات الإسلامية [5] .

وقريباً من خُلم وعلى بعد يومين توجد مدينة " سِمِنْجَان" التي بها شعاب كثيرة والتي سكنها أيضا الكثير من العرب و بخاصة بَنُو تميم [6]، اشتهرت كثيرا بالزراعة وتربية المواشي والصيد [7] ، وهناك أيضا مدن أخرى مهمة في الناحية منها " بدخشان " التي اشتهرت بمعادنها الكثيرة وخاصة مَعْدَن " البُخش " المقاوم للياقوت ومعدن اللاّزورد [8] . [9] ومدينة "أندرَابَة " التي كانت كثيرة الوديان والخصوبة والأسواق ومدينة " خُشت " التي أعتبرت نزهة مشجرة خصبة أحبّها أيضا العرب و سَكنوا بها [10] .

(1) معجم البلدان، ج 3 ، ص 491.

(2) ياقوت الحموي، نفس المصدر، ج 2 ص 465 ، كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية 469 .

(3) كي لسترنج، نفس المرجع 470.

(4) ياقوت الحموي، نفسه ج 2 ص 465، كي لسترنج ، نفسه ص 469.

(5) ياقوت الحموي ،نفسه.

(6) ياقوت الحموي ،نفسه ج 3 ، ص 142 المقدسي أحسن التقاسيم 303.

(7) المقدسي، نفس المصدر والصفحة .

(8) اسمه أيضا العوهق " ويقابله بالفرنسية إسم LAPIS ou LAPISLAZULI OU LAZULITE وهو جوهر أزرق سماوي جميل ، وهو صوّانات الألومينيوم والصوديوم والكلسيوم مع قليل الكلور Emir Moustapha chéhubi Dictionnaire des termes Agricoles p383.

(9) ياقوت الحموى، معدم البلدان ج 1 ص 528 ، القزويني ، آثار البلاد و أخبار العباد 306 .

(10) المقدسي ، أحسن التقسيم ص 303.

أما عن مناخ خُراسان ، فإنه بصفة عامة يميل إلى الإعْتدَال فهو ليس حارًّا شديد الحرارة ولا باردًا شديد البرودة ، اللّهمّ إلاّ منطقة الباميات التي اُعتبرت أكثر المناطق برودة، والمنطقة الوحيدة التي تسقط بها الثلوج [1] كما أن هناك مفازات يسودها المناخ الصحرواي وهي منتشرة في بعض ربع هراة[2] ، وفي منطقة سرْخُس[3]، ومنطقة بين آمل ومرو[4].

و إذا كان المقدسي [5] قد ذكر أن إقليم خراسان إقليم بارد فيبدو أنه كان يقارن فيما بينه وبين بعض المناطق الحارة كخراسان مثلاً "والبُسْت " [6] كما أنه لا يفوتنا أنهُ أدخل إقليم ماوراء النهر البارد ضمن خراسان ، ولكنه مع ذلك ، يقول في جهة أخرى أن برد خراسان ألْيَن من برد هَيْطل [7]. و الواقع أن مناخ خراسان لم يكن يختلف عن مناخ العراق والشام كثيراً ، فكان مناخ " بلخ " عراقيا و مناخ " مرو " شاميا" [8].

❀ ❀ ❀

تعد اختلافات الرحالةالعرب في تحديد حدود خراسان وجغرافيتها ، أهون بكثير من الإختلافات التاريخية الخاصة بالفتوحات الإسلامية لها وبتاريخها إلى نهاية القرن الهجري الأوّل .

---

(1) الأصطخري، المسالك والممالك ، ص 157 ، 158 . ابن حوقل، صُورة الأرض ص 375و377.

(2) دائرة المعارف الاسلامية ج 8 ، ص 283.

(3) الأصطخري، نفس المصدر، ص 150. ابن حوقل، نفس المصدر ص 367.كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية ص 450.

(4) ياقوت الحموي، معجم البلدان ج1 ص 69 . الأصطخري، نفسه 157. ابن حوقل، نفسه ص 376.

(5) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص 322.

(6) يقول عنها ياقوت الحموي :" مدينة بين سجستان وغزنين وهراة وأظنها من أعمال كابل"، وهي من البلاد الحارة المزاج ،وهي كبيرة ويقال لها اليوم" كرم سير " معناه النواحي الحارة المزاج ، معجم البلادان ج 1 ص 612 ، لكن المستشرق كي لسترنج يضعها ضمن مدن سجستان ، بلدان الخلافة ص 383 .

(7) المقدسي أحسن التقاسيم ص 322.

(8) نفس المصدر والصفحة .

ونحن نعتقد أنّ العيب لم يكن في قلة فطنة هؤلاء المؤرخين والرّواة ، بل نرى أن جلّه مرتبط بتلك الأحداث المتشابكة و المتشابهة والمتكرّرة التي عاشها الإقليم ، والتي نحصرها فيما يلي :

1. إن الفتح الاسلامي لخراسان لم يَتِمّ دُفْعه واحدة بل تم عبر مراحل شملت عهودًا كثيرة ابتداءً من عهد الخليفة عمر بن الخطاب واستمرارا بعهد الخليفة عثمان ومعاوية ابن أبي سفيان بل والكثير من الخلفاء والأمويين بعده وذلك لأن بعض مناطق الإقليم وبخاصة الشرقية منها – ظلّ " مَرَازِبَانَتُهَا " يتمرّدون كلما وجدوا الفرصة سانحة لذلك .

2. ارتباط تاريخ خراسان بتاريخ أغلب الأقاليم الشرقية مثل سجستان و جُرْجَان وطبرستان وقهستان ودهستان وخوارزم وخاصة إقليم ماوراء النهر و الأراضي الشرقية إلى الصين وذلك لأنّ فتح هذه المناطق كان من مهامّ والي خراسان .

3. اعتبار خراسان ثَغْراً إسلاميا مواجها لأعدائهم الأتراك الذين كثيرا ما وحّدوا قُوَاهم للقضاء على المسلمين .

بدأت الفتوحات الإسلامية لخراسان،إذن،في عهد الخليفة عمر بن الخطاب13-23هـ (634، 643م) حينما عهد للأحنف بن قيس التّميمي [(1)] فتحها بعد أن شهد العرب المسلمون انتصارا كبيرا على الفرس السَّاسَانيّين في معركة " نَهاوَنْد"[(2)] 21هـ (641م)

[(1)] الأحنف بن قيس بن معاوية بن حُصَيْن المريّ السّعدي المنقري التميمي ، أبو بحر ، سيد تميم ،ولد سنة 3 ق هـ (619 م) في البصرة وأدرك النبي (ﷺ) ولم يرَهُ ، و وفد إلى عمر رضى الله عنه فاختاره لفتح خراسان ، إعتزل الفتنة يوم الجمل ثّم شهد صفين مع عليّ ، اشتهر بمحاربة الخوارج لاسيما الأزارقة ، وناصر مصعب بن الزبير في حربه مع المختار الثقفيّ ، وينسب إليه " قصر الأحنف " بخراسان توفي بالكوفة سنة 72هـ (691 م) . أحمد عطية الله القاموس الإسلامي ج1 ص 43 ، الزركلي ، الأعلام ج1 ص 262 .

[(2)] تقع على نحو أربعين ميلا جنوب همذان " وكانت مدينة جليلة منذ أيام الساسانيين ،القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص 471 ، كي لسترنج،بلدان الخلافة الشرقية ص 232.

التي سمي فتحها " بفتح الفتوح " فدخلها الأحنف من " الطَبَسَيْن[1]" في 22هـ (644م) وأفتتح " هراة"[2] واستخلف عليها صحّار بن العَبَدي[3] و أرسل إلى نيسابور"القائد مطرف بن عبد الله "[4] وإلى "سرخس" الحارث بن حسّان[5] وتوجه إلى مدينة " مرو الشاهجان " التي كان قد التجأ إليها الملك يزدجرد الثالث[6] . هاربا من العرب المسلمين ، والذي ما إن سمع بقدوم الأحنف حتى خرج منها إلى مدينة " مرو الرّوذ " فنزل الأحنف "مرو الشاهجان " وفتحها واستخلف عليها القائد الحارثة بن النعمان الباهلي"[7] وبعدما لحقت به امدادات عسكرية من أهل الكوفة اتبع الأحنف أثر الملك الساساني الذي كان قد هرب إلى " بلخ"وأشتبك معه

---

(1) هما حصنان يقال لأحدهما " طبس العناب " والآخر " طبس التمر ، والعرب تسميها باب خراسان ، لأنها أول فتوحهم ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج3 ص 514 . البلاذري/فتوح البلدان ص 567.

(2) الطبري تاريخ الأمم والملوك ، ج 4 ص 263 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج3 ص 33 ، ابن كثير(الحافظ الدمشقي) المتوفى 774 هـ ، البداية والنهاية،مكتبة المعارف-لبنان 1409هـ (1988م) ط 6 ، ج 7 ص 227. أبو الفدا المختصر في أخبار البشر ، ج1 ق 1 ص 164.

(3) هو صحار بن عباس بن شراحبيل العبدي نسبة لبني عبد القيس ، كان من النسابين ومن الخطباء المفوّهين ، شهد صفين مع معاوية توفي بالبصرة حوالي سنة 40 هـ (660م).أحمد عطية الله/القاموس الاسلامي ج4 ص 253 .

(4) مطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشي العامريّ، أبو عبد الله : زاهد من كبار التابعين له كلمات في الحكمة مأثورة ، وأخبار، ثقة فيما رواه من الحديث،ولد في حياة الرسول (ﷺ) وكانت إقامته ووفاته بالبصرة ، في سنة 87 هـ (706م) الزركلي/الأعلام ج 8 ص 154.

(5) الحارث بن حسان بن كلدة البكري ، قدم المدينة أيام الرسول (ﷺ) شهد يوم الجمل ، ومعه راية بكر بن وائل، فقتل وقتل معه ابن له وخمسة من أهله، وذلك سنة 36 هـ (656م) الزركلي/نفس المرجع ج2 ص 154.

(6) هويَزْدَجَرْد الثالث آخر ملوك بني ساسان وهو حفيد كسرى برويز ، حكم من سنة 634 م وهو ابن خمس عشرة سنة ، وقتل في سنة 651 م في كوخ طحّان بقرب مرو ، وكان جميع حكمه عشرين سنة.ابن قتيبة/المعارف ص 293 حسن بيرنيا ، تاريخ إيران القديم ، ص 289 ، 290.

(7) حارثة بن النعمان بن عبيد بن ثعلبة بن غنم ، أمه جعدة بنت عبيد ، شهد بدراً وأحد والخندق وهو من المئة الصابرة.ابن سعد (أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزّهري)، ت 230 هـ ، الطبقات الكبرى ، القاهرة 1355 هـ (1936م) ج 2 ص 487.

في معارك فرّ بعدها مهزوما إلى إقليم ماوراء النهر[1] فتشجع المسلمون وأخضعوا معظم إقليم خراسان فيما بين " نيسابور وطخارستان " ثم عاد الأحنف إلى " مرو الروذ " وكتب بهذا النصر إلى الخليفة عمر بن الخطاب الذي أمره أن يقتصر على ما دون النهر ولا يجوزه[2].

ظلت خراسان خاضعة للمسلمين دون اضطرابات تُذكر، بقية عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، واستمرت على هذا الحال في السنتين الأُولَيَيْن من خلافة عثمان بن عفان 23 هـ 35 هـ (643 ، 655 م) لكنها اضطربت وتمرّدت غالبيّة مدنها بعد ذلك[3] وحسب ياقوت الحموي[4] فإن هذا الإضطراب-أوّل ما بدأ- بدأ بنيسابور حين سيّره بنو كنازا " وهم أخوال الملك كسرى (531-579م)، ولا شك أن الطبقة الحاكمة كانت قد شجّعت هذا التمرد حتى تعيد مجدها الأول مع آل ساسان . ويظهر أن التمرد كان عظيما جعل الملك يَزْدَجرد الثالث ينتهز الفرصة ويستنجد بخاقان الترك[5] وأهل فرغانة[6] والصّغد[7] لاسترجاع خراسان . فوافقوه ودخلوا الإقليم ونزلوا " بلخ " وتوجهوا إلى " مرو الروذ " التي

---

(1) الطبرى/تاريخ الأمم والملوك ج 4 ، ص 263 ، إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 3 ص 34 ، ابن كثير البدايةوالنهاية ، ج 7 ص 127 ، ياقوت الحموى، معجم البلدان ج 2 ص 411.

(2) الطبرى ،نفس المصدر والصفحة.ابن الأثير ،نفس المصدر والصفحة ، لقد أورد الطبرى الرسالة التي رد بها الخليفة على الأحنف :" أما بعد ، فلا تجوزنّ النهر ، واقتصر على ما دونه وقد عرفتم بأي شيء دخلتم على خراسان فداوموا على الذي دخلتم به خراسان يدم لكم النصر وإياكم النصر وإياكم أن تعبروا فتفضوا."

(3) الطبري/نفسه ج 4 ص، ص 266 ، ابن الأثير ، نفسه ، ج3 ، 36.ياقوت الحموي/معجم البلدان ج2 ص 411 ، أبو الفدا ، مختصر ج1 ق1 ، 168 .

(4) معجم البلدان ج 2 ص 411 .

(5) لقب من ألقاب السادة ، أطلق على أباطرة المغول العظام . وخاقان هو اللفظ العربي لكلمة " قاغان " أو قاقان " أو قآن " أحمد عطية الله/القاموس الإسلامي ج 2 ص 200.

(6) فرغانه إقليم واسع في ماوراء النهر ، متاخمة لبلاد " تركستان " بينها وبين سمرقند خمسون فرسخا ، كانت قصبتها في العصور الوسطى مدينة " أُخسيكث " وعُرف الإقليم أيضا باسم " بخانية حوقند " وهو تابع الآن لروسيا ، ياقوت الحموى/معجم البلدان ج3 ، ص 879 ، كى لسترنج/بلدان الخلافة الشرقية ص 520.

(7) وهو إقليم " صغديانا "sogdiana" القديمة ، وكان يشمل الأراضى الخصبة الواقعة بين نهري " جيحون " و" سيجون " ، ونقصد أرض سمرقند و بخارى وهذا الإقليم تابع لدولة أزبكستان الحالية.ياقوت الحموي/معجم البلدان ج3 ص 394 ، كي لسترنج/بلدان الخلافة الشرقية ص 503.

كان بها الأحنف الذي ما إن سمع بذلك حتى تهيّأ للقائهم وهو على رأس عشرة آلاف من أهل البصرة ونحوهم من أهل الكوفة .[1] واختار البَدْء بخاقان الذي كان يعسكر قريبا وسرعان ما تمكن من قتل عدد من عسكره،منهم ثلاثة من فرسانه الأَكْفَاء الذين كان من عادة الأتراك التبرك بهم أثناء حروبهم ، حيث لا يخرج جيشهم إلا بعد هؤلاء الثلاثة الذين يُشَرِّفون بضرب الطبل ، ولمّا سمع خاقان بالحدث تَطير وقال " قد طال مقامنا وقد أصيب هؤلاء القوم بمكان لم يُصب بمثله قط ، ما لنا في قتال هؤلاء القوم من خير "[2] وانسحب راجعا إلى بلخ .

في هذه الأثناء كان الملك " يَزْدَجَرد الثالث " ومَنْ معه قد وصَلُوا مدينة "مرو الشاهجان " وحاصر الحارثة" بن النعمان وجماعتَه فيها ، وطلب مرزبانها إخراج الخزائن العظيمة ليأخذها ويلتحق بخاقان الترك أو ليذهب بها إلى الصين ، لكن المرزبان وبعض الخاصة رفضوا أن تخرج الخزائن من خراسان ، وطلبوا من " يزدجرد " أن يُصالح العرب المسلمين " فإنهم أوفياء وهم أهل دين ، وأن عَدُوًّا يَلِينَا في بلدنا أحبّ إِلَيْنا مَمْلَكَةً مِنْ عَدُوٍّ يَلِينَا في بِلادِهِ لا دِينَ لهُ ولا نَدْرِي مَاوَفَاؤُهُ"[3] لكنه أَبَى فاعتزلوه وأخذوا منه الخزائن ففرّ الملك هاربا وأقام في بيت نقار الرّحى على شط " المرغاب" فلما غفل قتله النقار وأخذ متاعه وألقاه في النهر[4] .

والواقع،أن هذا الحدث يعطينا دليلا واضحا ، على درجة الانهيار والتصدع الذي وصلت إليه الدولة الساسانية أثناء الفتوحات الإسلامية كما يبرهن على وجود هُوّة واسعة

---

(1) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ، ج4 ص 264 ، ابن الأثير،الكامل في التاريخ ج3 ص 34 .

(2) الطبري،نفس المصدر ج4 ، 266 ، ابن الأثير ، نفس المصدر ج 3 ، ص 36 ، ابو الفدا ، مختصر أخبار البشر ، ج1 ق 1 ص 164.

(3) الطبري، نفسه ج 4 ، 265 ، ابن الأثير نفسه ، ج 3 ، 36 ، محمد أحمد محمد، بخاري في صدر الإسلام ، دار الفكر العربي القاهرة 1413 هـ (1996م) ط1 ص 35

(4) الطبري، نفسه ـ ج 5 ، ص 71 ، ابن الأثير، نفسه 3ص 123 ، الأصطخري، المسالك والممالك ص 149 ، ابن حوقل ، صورة الأرض،ص 365 ، البيروني (أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي) المتوفى 440هـ،الآثار الباقية عن القرون الخالية،مكتبة المثنى بغداد دت ص 31.

بين الملك وطبقة " المرازبة " فلو كان الملك مصدر احترام لِعَدْلِه وحنكته لمَا رفض هؤلاء مساعدته ولكان قد لقي الدعم من شعبه ، دون الالتجاء إلى الأجانب .

ويبدو أن الطّبرى [1] وابن الأثير [2] قد وقعا في خلط كبير حتى لا تكاد تبدو الأحداث واضحة ، فهما يذكران أن الاضطراب قد وقع في السنة الثانية من خلافة عثمان بن عفان ، لكنهما يذكران في الأخير أن الأحنف كتب بالخبر للخليفة عمر بن الخطاب.

ومهما يكن ، فيبدو أن الأحنف لم يتمكّن من السيطرة على خراسان كلها ، وهذا ما جعل الخليفة عثمان بن عفان يكلف عامله على البصرة عبد الله بن عامر بن كريز [3] ليعمل على إعادة فتح ما انتقض من الإقليم وذلك في سنة 29 هـ / 649م ، فأمر عبد الله الناس بالاستعداد للجهاد ودخل خراسان وسرعان ما تمكّن من استرجاع مدن كثيرة منها وذلك في 30هـ (650م) ولكن مدينة نيسابور استعصت عليه وقاومته مقاومة شديدة مما اضطرّ إلى ضرْب الحصار عليها عدة أشهر حتّى طلب مرزبانها الصلح [4] الذى ما إن تم حتى جعل المدن المتمرّدة الباقية كنَسَا وإيبُوردْ وسُرّخُس ومَرْو الشّاهِجَان تطلب الصلح أيضا [5] كما سارع مرزبان هراةْ إلى ابن عامر ليعقد الصلح عن هراةْ وبادغيس وبوشنج على قيمة مالية قدرها ألف ألف درهم . [6]

---

(1) الأمم والملوك ج4 ، ص 266 وما بعدها .

(2) الكامل في التاريخ ج3 ص 36.

(3) عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن دجانة بنت أسماء السلمي ، ولد في عهد الرسول (ﷺ) بمكة المكرمة عام 14هـ (625) تولى البصرة في خلافة عثمان بن عفان ، وعمره خمسة وعشرون سنة افتتح البصرة ثم عزل عنها وعاد إليها واليا مرة أخرى في خلافة معاوية ابن أبي سفيان لمدة ثلاث سنوات ، ثمّ رحل عنها إلى المدينة المنورة.الطبرى، نفس المصدر ج5 ص 54 ، ابن الأثير، نفس المصدر ج3 ، ص 99 ، الزركلي، الأعلام، ج4، ص 228 .

(4) الطبري، نفسه ج5 ص76 ، ابن الأثير ، نفسه ج3 ص 124 ، البلاذري، فتوح البلدان ص 565، و تصالحوا على ألف ألف درهم ، وفي رواية أخرى سبعمائة ألف درهم .

(5) الطبري، نفسه 5 ، 77 ، ابن الأثير ، نفسه 3 ، 125.

(6) الطبري، نفسه ، ج5 ، ص 77 ، إبن الأثير ، نفسه ج3 ، ص 125. البلاذري، فتوح البلدان ص 570.

لقد رأى عبد الله بن عامر الفرصة سانحة لأستكمال إعادة فتح الإقليم كله ، فوجه القائد الأحنف بن قيس في أربعة آلاف عربي وألف من الموالي نحو " طخارستان " فنزل الموضع الذي يُعرف بقصر الأحنَف (على اسمه) ويُدعى " بسَوَانجرد" فحصر أهله حتى صالحوه على ثلاثمائة ألف درهم و لكن الأحنف قال لهم " أصالحكم على أن يدخل رجل منّا القصر فيؤذن ويقيم فيكم الصلاة حتى أنصرف " فرضوا بذلك [1] ثم توجه إلى " مرو الروذ" التي قاتلته قتالا ذريعا ، لكنه تمكن من هزيمتهم في النهاية ، فجاءه مَرْزُبَانُها يطلب منه الصلح[2] قائلا : " إنه دعاني إلى الصّلح إسلامُ بَاذان [3]" فصالحه على ستمائة ألف[4] وقيل على ستين ألف[5] ثم تطلع الأحنف لفتح " الجوزجان " و" الطالقان " و"الفارياب " لكنه تراجع عندما أدرك أن جيشه الصغير المتكون من أربعة آلاف من العرب وألف من مسلمي العجم لا يفي بالمهمة .[6] ففضل العودة إلى مرو الرُوذ والسير بخطة جديدة تمثلت في جمع كل عناصر جيشه وإرساله في كل مرة إلى منطقة من هذه المناطق على حِدَة . وبذلك تمكن من النجاح [7] .

وبعد أن أعاد الأحْنَفُ فتح معظم المدن في ربع " بلخْ" تطلّعَ إلى إعادة فتح عاصمته "بلخ " التي حاصرها حتى صالحه أهلها على أربعمائة ألف [8] ويقال سبعمائة ألف [9] ثم

---

(1) إبن الأثير ،الكامل في التاريخ ج 3 ، ص 126 ،البلاذري،فتوح البلدان ص 571.

(2) ابن الأثير،نفس المصدر والصفحة ، البلاذري نفس المصدر والصفحة،إبن كثير ، البداية والنهاية ج 7 ص 120

(3) هو آخر والٍ فارسي على اليمن ، ولاّه الملك " كسرى " عليها . وارتبط اسمه بظهور الدعوة الإسلامية ذلك لأنه أسلم بعد أن تحقق من نبوة محمد (ﷺ) وهو من أقارب مرزبان مَرو الروذ ، البلاذري،نفسه ، أحمد عطيه الله ، القاموس الإسلامى ، ج1 ص 248.

(4) إبن الأثير،الكامل في التاريخ ج 3 ص 126 ، ابن كثير البداية والنهاية ج ص 120.

(5) البلاذري فتوح البلدان ص 571.

(6) الطبري،تاريخ الأمم والملوك ج 5 ص 82 ، إبن الأثير،نفسه ، البلاذرى ، فتوح البلدان ص 572.

(7) الطبري، نفسه ج 5 ص 82 إبن الأثير،نفسه البلاذري،نفس المصدر ص 573.

(8) الطبري ، نفسه ج 5 ص 83 ، إبن الأثير نفسه ج 3 ص 126 .

(9) البلاذري ، فتوح البلدان ص 573

تطلع إلى فتح خوارزم [1] ولكن دخول الشتاء وقف حائلا دون ذلك [2] .

وهكذا لقد تمكّن ابن عامر وقادته من استعادة إقليم خراسان كله بل و الأقاليم المُجاورة له أيضا وهي فارس وكرمان وسجستان ، فقرر بعد ذلك الخروج ليعتمر شكرا لله ، فأحرم من نيسابور وقدم على الخليفةعثمان بن عفان ليخبره بما حققه المسلمون من نصر تحت إشرافه بعد أن استخلف على الإقليم" قيس بن الهيثم[3]، وذلك في سنة 32هـ (653م)[4] الذى ما إن بدأ مهامّه حتى سمع عن تمرد " طخارستان" من جديد ، فتوجه إليها وأعاد فتحها [5] لكنه سرعان ما سمع بتجمع جموع الأتراك [6] في أربعين ألف [7] لمحاربته . كما خرج "قارن"أحد نبلاء خراسان أيضا ومعه الكثير من " طبسين " و"بادغيس" وهُراة" و"قوهسْتان " لمحاربته أيضا ، فأخلى قيس الإقليم وتوجه إليهم القائد عبد الله بن

---

(1) إسم كان يطلق على الإقليم الذي يشمل الحوض الأدنى لنهر " اموداريا " (جيحون) وَدلتاه التي تصب بفروعها العديدة في بحر أرال (بحر الخزر) وكان للإقليم في العصور الوسطى قصبتان ، أولاهما في الجانب الغربي أي الفارسى من نهر جيحون ، تسمى " الجرجانية " أو " أركيخ " و الأخرى في الجانب الشرقي ، أي التركي من النهر ، ويقال لها " كاث " ، أحمد عطية الله،القاموس الإسلامي ، ج2 ، ص 292 ، كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية ص 489.

(2) الطبرى،تاريخ الأمم والملوك ج5 ص 83، ابن الأثير،الكامل في التاريخ ج 3 ص 127 .

(3) هو قيس بن الهيثم بن قيس بن الصلت بن حبيب السلمي ، من الخطباء الشجعان و من أعيان البصرة في صدر الإسلام ، كان من أنصار بني أمية ثم قام بدعوة عبد الله بن الزبير ، وصحب أخاه " مصعب " في ثورته إلى أن قتل، فتوجه قيس إلى عبد الملك بن مروان فعفا عنه وأكرمه.توفي قيس في البصرة نحو 85 هـ (804 م).الزركلي ، الأعلام ج 6 ص 62.

(4) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك ج 5 ص 83،ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج 3 ص 127 ، ابن كثير،البداية والنهاية ج7 ص 161.

(5) ابن الأثير،نفس المصدر ج 3 ص 127 ،البلاذرى،فتوح البلدان ص 574.

(6) البلاذرى،نفس المصدر والصفحة .

(7) الطبري،تاريخ الأمم الملوك ج 5 ، ص 84 ، ابن الأثير،الكامل في التاريخ ج3 ص 135.

خـازم[1] بعـد أن افـتعل — حسب ما يذكـره بعـض المـؤرخـين[2] عهدًا ادّعى فيه أن ابن عامر أعطاه أمر تولي خراسان في أيام الحرب وانتصر عليهم انتصارا جعل والي البصرة "ابن عامر " يقرّه رسميا واليا على إقليم خراسان.

يبدو أن الرأي القائل بأن ابن خازم افتعل عهدا ، هو رأي بعيد عن المعقول ، فكيف يحدث هذا ويخرج قيس من الإقليم دون أي رد فعل والأرجح أنّ اتفاقا كان بين القائدين على ذلك ، وأكبر دليل على مارأيناه هو أن قيسا ذهب ، لما خرج من خراسان ، إلى ابن عامر الذي تفاجأ كثيرا من خروجه من الإقليم في وقت حربه ولا مه كثيرا على ذلك [3] .

لقد استقرت أمور خراسان بعد ذلك ، وعادت الجيوش العربية إلى البصرة ، وتركت حامية من حوالى أربعة آلاف مُقاتل في " مرْو الشاهجان"[4] وما أن وقمت الفتنة التي قتل بسببها الخليفة عثمان بن عفان في سنة 35هـ (655م) وانشغل الخليفة الجديد عليّ بن أبي طالب بحرب الخارجين عليه ، حتى تمرّدت أجزاء من خراسان من جديد ونقضت الصلح ، وفي مقدمتها نيسابور ومرو ، ولكن مرزبان مرو" ماهوية إبراز " سرعان ما قدم إلى الخليفة عليّ مُقرا بالصلح الذي جرى بينه وبين ابن عامر [5] فكتب له الخليفة كتابا يوجهه إلى المرازبة والأ شـرا قــ والأساورة [6] وكل أهل مرو قائلاً :" بسم الله الرحمن

---

(1) عبد الله بن خازم بن أسماء بن الصّلت السُّلمي البصري ، أبو صالح له صحبة كان من أشجع الناس ، أسوداللون كثير الشعر له فتوحات وغزوات ولي خراسان لبنى أمية وأستمر بها عشر سنين وقتل بها سنة 72هـ (691م)، الزركلي ، الأعلام ج 4 ، ص 214 ، سيأتي الحديث عنه .

(2) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج 5 ، ص 84 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 3 ص 135 ، الذهبي (حافظ الذهبي)ب 748 هـ (1347م) ، العبر في خبر من غبر ، تحقيق صلاح الدين المُنجد ، دار التراث العربي، الكويت 1960م ج 1 ، 24 .

(3) الطبري، نفس المصدر ج 5 ص 84.

(4) الطبري، نفسه.ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج3 ص 136.

(5) الطبري، نفسه ج 5 ، 232،ابن الأثير ،نفسه ج3 ص 273.البلاذري،فتوح البدان ص 575 .

(6) وهم الفرسان من أبناء الملوك ممن يضعون الأساور في أيديهم وأقراط اللؤلؤ الكبير في آذانهم . محمد عبد القادر محمد، إيران من فجر التاريخ حتى الفتح الإسلامي ص 211 ، سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ العرب قبل الإسلام،دار النهضة العربية القاهرة 1976 ص 231.

الرحيم سلامٌ على من اتبع الهدى أما بعد : فإن " ماهويه إبراز " مرزبان مَرو جاءني وإني رضيت عنه "[1]، ومع ذلك لم يَحلّ هـذا الإعتراف المشاكل في خراسان ، بل أن نيسابور تمادت في تمردها ، وأغلقت أبوابها [2] وبقي الوضع على حاله إلى أن تمكن الخليفة من العودة من " صفّين " [3] في سنة 37 هـ (557م) حيث بعث "جعدةٌ بن هبيرة " [4] إلى خراسان الذي أعاد فتح نيسابور ومرو في حياة الخليفة [5] وإن كان البلاذري [6] يعارض هذا الرأي ويذكر : " أن جعدة لم يتمكن من إعادة فتح نيسابور ولا مرو و أن الأمر بقي كذلك إلى أن تُوفّي الخليفة عليّ" . وقد يكون رأي البلاذري هو الأصوب ونلمس ذلك حينما نتابع أحداث الإقليم بعد وفاة الخليفة عليّ ووصول معاوية بن أبي سفيان[7] للخلافة في سنة 41هـ (661م) ، حيث وجد مدنا كثيرة في الإقليم منتقضة للصلح ، ومنها بادغيس وهراة وبوشنج وبلخ ...وغيرها ، فأسرع في بعث قيس بن الهيثم إليها ثم ضم خراسان إلىأعمال البصرة بعدما عين عبد الله بن عامر واليا جديدا عليها[8]، وإن كانت هناك روايات أخرى[9] تذكر أن ابن عامر هو الذي عين قيس وليس الخليفة ،ولكن الأرجح أن تعيين

---

(1) الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، ج 5 ص 232.

(2) الطبرى،نفس المصدر والصفحة.ابن الاثير،الكامل ج 3 ،ص 273.

(3) موضع على الجانب الغربي لنهر الفرات بين العراق الأعلى و " بادية الشام ، يقع في شمال بلدة" الرقة "، وجنوب " بالس " ، اشتهر في التاريخ الإسلامى بالمعركة التي جرت بين عليّ ومعاوية في أوائل عام 37هـ (557م)، أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ج 4 ، ص 294.

(4) هو جعدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ المخزومي ، أمُه أم هانئ بنت أبي طالب ، البلاذري،فتوح البدان ص 575.

(5) الطبري، تاريخ الأمم والموك ج 6 ، ص 35 ، إبن الأثير،الكامل في التاريخ ج 3 ص 326 .

(6) فتوح البلدان ص 575.

(7) كان يكنى أبا عبد الرحمن ، أسلم عام الفتح وكتب الوحي للرسول (ﷺ) وولي الشام لعمر وعثمان عشرين سنة . وولي الخلافة عشرين سنة إلا أشهرا ، توفي بدمشق سنة ستين وهو ابن إثنتين وثمانين سنة ، إبن قتيبة ، المعارف، ص 152 سيأتي الحديث عنه .

(8) الطبري ،تاريخ الأمم و الملوك ج 6 ، ص 98 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 3 ص420.البلاذري،فتوح البلدان ص 575.

(9) الطبري ،نفس المصدر والصفحة.ابن الأثير نفس المصدر ج 3 ص 416.

قيس جاء من طرف الخليفة نفسه وذلك لأن تعْيين ابن عامر جاء مُتأخرا عن تعيين قيس ، ذلك لأن الخليفة كان قد أختار " عتبة بن أبي سفيان[1] لولاية البصرة أولا ، وعندما سمع ابن عامر بهذا الأمر جاء إلى الخليفة وكلمه قائلا :"إن لي بها أموالا وودائع ، فإن لم توجهني إليها ذهبت ، فولاّه عليها في آخر سنة إحدى وأربعين .[2]

لقد تمكن قيس من إرغام " بلخ " على طلب الصلح ، لكنه يبدو أنه لم يتمكن من المدن الأخرى ، وهذا ما جعل عبد الله بن عامر يقرر عزله بعد سنتين من تنصيبه ، ويعين عبد الله بن خازم [3] الذي سبق أن تصدى لهذه التمردات في عهد الخليفة عثمان بن عفان و الذي سرعان ما برهن على كفاءته هذه المرّة أيضا حيث أرغم أهل هراة وبادغيس وبوشنج على طلب الصلح [4] .

يبدو أن الشخصية اللينة التي يمتاز بها والى البصرة عبد الله بن عامر ما كانت تناسب الولاية وأعمالها في هذه الأوقات التي كثر فيها الخُبث[5] فاختار الخليفةالرجل الذي كان يَراه مُناسبا لها وهو " زياد بن أبي سفيان "[6] وولاّه على العراقين (البَصرة والكوفة) سنة 45 هـ (665م) وضم إليه ولايـة خراسان وسجستان والهند والبحرين وعمان .[7] فرأى زياد أن يقسم خراسان إلى أربعة أرباع ويعين على كل ربع منها أميراً

(1) شهد الجمل مع عائشة رضى الله عنها ولاّه معاوية مصرَ وكان له أولاد منهم مُعاوية بن عتبة الذي ولاّه معاوية المدينة ، إبن قتيبة ، المعارف،ص 151 .

(2) الطبري،تاريخ الأمم والملوك ج 6 ص 98 .

(3) الطبري،نفس المصدر ج 6 ص 120 ، إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 3 ، 437.

(4) ابن الأثير،نفس المصدر ج 3 ص 417 ، البلاذري،فتوح البلدان 575 .

(5) الطبري،تاريخ الأمم والملوك ج6 ، ص 124.

(6) يكنى أبا المغيرة ،ولد عام الفتح بالطائف ، أدرك النبي (ﷺ) ولم يره. أسلم في عهد أبي بكر ، كان كاتبا للمغيرة بن شعبة ثم لأبي موسى الأشعري أيام إمارته على البصرة ثم ولاّه عليّ على فارس ، ولما قتل عليّ ، إمتنع عن معاوية وتحصن في قلاع فارس . وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه فكتب إليه بذلك فقدم زياد عليه ، وأصبح عضده القوي ، توفي في سنة 53 هـ (672 م) إبن قتيبة،المعارف ص 151 ، الزركلي الأعلام . ج 3 ، ص 89 .

(7) الطبري،تاريخ الأمم والملوك ج 6 ص 124.ابن الأثير،الكامل في التاريخ ج 3 ص 444 .

فاستعمل على " مرْو" الأمير " أمير بن أحمر" الذي كان أول من أسكن العرب فيها [1] ، واستعمل على نيسابور " خليد بن عبد الله الحنفي " وعلى مرْو الرُوذ والفارياب والطالقان "قيس بن الهيثم " و على هراة وبادغيس وبوشنج " نافع بن خالد الطاحي " [2] ويبدو أن هذا التقسيم ماجاء به زياد إلا لتسهيل إدارة إقليم خراسان الواسع، ومع ذلك ، سرعان ما تخلّى عليه بعدما أدرك خيانة من الأمير نافع بن خالد[3] الذي عاقبه على ذلك ، لأنه كان من شيم زياد " أن يعاقب من يظهر خيانة وضعفا ، ويكافئ من يجده قويا أمينا بأن يزيده في عمله ويرفع له ذكره ويكثر ماله "[4] .

لقد كان زياد يحب تعيين الصّحابة[5] فاختار الحكم بن عمرو الغافري[6] ليوليه خراسان كاملة وذلك في سنة 47هـ (667 م) وعيّن معه رجالا على الكور [7] على جرأة وأمانة دون هوى أو محاباة [8] وأمرهم بطاعته [9] فكان عهد الحكم عهد

---

(1) البلاذري،فتوح البلدان ص 576.

(2) الطبرى،تاريخ الأمم والملوك ج6 ، ص 127. إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 3 ، ص 451 ، البلاذري،فتوح البلدان ص 576.

(3) سبب ذلك أن نافعًا أخذ قائمة من قوائم الخراج من الدهقان " خوان بَاذْزهر " وغيّرها بقائمة أخرى ، الطبري، نفس المصدر ج6 ص 127 .

(4) ابن قتيبة الدّينوري (محمد عبد الله بن مسلم) 213 – 276 هـ ، عيون الأخبار،القاهرة،مطبعة دار الكتب المصرية. 1343 هـ (1925 م) ج 1 ص55.

(5) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك ج6 ص 127.ابن الأثير،الكامل في التاريخ ج 3 ص 451.

(6) هو الحكم بن عمرو بن مجدع بن حذيم بن الحارث بن نعيلة بن مليك بن ضهرة بن بكرة بن عبد مناة صحب الرسول (ﷺ) حتى وفاته ثم توجه إلى البصرة ، فنزلها ، فولاّه زياد بن أبي سفيان خراسان ، الزركلي ، الأعلام 296/2.

(7) الطبرى،تاريخ الأمم والملوك ج 6 ص 128 ، ابن الأثير،الكامل في التاريخ ج 3 ص 452.

(8) البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر)،أنساب الأشراف ، القسم الأول من الجزء الرابع الجامعة العبرية مؤسسة الدراسات الإفريقية الإسلامية القدس 1971ص 137.

(9) الطبري،تاريخ الأمم والموك ج 6 ص 128.

فتوحات عظيمة حيث أعاد فتح " طخارستان" التي كانت قد تمردت[1] كما فتح لأول مرة مناطق كثيرة في شمال نهر جيحون كما فتح "الغور"[2] لأول مرة أيضا ، ثم قطع النهر (جيحون) ومع أنه لم يفتح من ورائه شيئا فيعتبر أول من شرب وتوضّأ وصلى ركعتين من ورائه[3] وعاد إلى مَرو وبقي فيها إلى أن مات في سنة 50 هـ (670م) فاختار زيادُ خليدَ بن عبد الله الحنفي الذي كان قد ولاّه على ربع نيسابور في سنة 45 هـ (655م) واليا على خراسان كلها ، لكنه لم يُحْسن إدارة الأمور فعزله قبل أن يتمّ السنة فيها[4] وأوكل الإقليم إلى الربيع بن زياد الحارثي[5] وسير معه خمسين ألفا بعِيَالاَتِهم من أهل الكوفة والبصرة ليسكنوا الإقليم وذلك في بداية سنة 51هـ (671م)[6] .

كانت " بلخ" قد نقضت الصّلح في هذه الأوقات أيضا وأغلقت أبوابها مما جعل الربيع يبدأ مهامه بإعادة فتحها ثم فتح أجزاء من إقليم قوهستان[7]، ويبدو أنه كان في نيته

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 6 ص 128. ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج 3 ص 452 ، البلخي، البدء والتاريخ ج 6 ص 53

(2) الطبري، نفس المصدر ج 6 ، ص 129 ، إبن الأثير نفس المصدر ج3 ص 455 ، البلخي، نفس المصدر والصفحة.

(3) الطبري، نفسه ج6 ص 161 ، إبن الأثير نفسه ج3 ص 456.البلاذري،فتوح البلدان 576، محمد أمان صافي، أفغانستان والأدب العربي عبد العصور ص 74 ، محمد أحمد محمد، بخارى في صدر الإسلام ص 37.

(4) الطبري، نفسه ، إبن الأثير نفسه ، ج 3 ص 489 ، رضى عبد الله عبد الحليم ، دراسات في تاريخ خراسان ص 21.

(5) هو الربيع بن زياد بن أنس الحارثي ، كان على البحرين في خلافةعمر ثم ولاه عبد الملك بن عامر على سجستان في عام 29 هـ (649 م) ثم ولاه زياد على خراسان تُوُفّي في سنة 53 هـ (673 م).أحمد عطية الله،القاموس الإسلامى ج2 ص 469.

(6) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج 6 ص 161 ، إبن الأثير، الكامل في التاريخ ج3 ص 489،البلاذرى، فتوح البلدان،ص 577.

(7) الطبري ، نفس المصدر والصفحة.ابن الأثير، نفس المصدر والصفحة ، البلخي ، البدء والتاريخ ج6 ، ص 54 ، محمد أحمد محمد ، بُخارى في صدر الإسلام ص 38.

مواصلة الفتوحات إلا أن المنية عاجلته بعد أن تولى خراسان سنتين وأشهرا فقط [1]، فاستخلف زياد ابنه عبد الله بن الربيع الذي استمر في مهامه شهرين فقط أعاد فيها فتح "آمل"و"زم" ثم مات،[2] فاستُخلف وللمرة الثالثة خليدٌ به عبد الله الحنفي على الإقليم[3] وفي هذه الأثناء توفي زياد بن أبي سفيان وذلك في سنة 53 هـ (672م)[4] بعدما نجح في إدارة شؤون حكمه إلى حد بعيد ، لأنّه كان يؤمن أن خيرما يُصّلح الأمور في الولاية "لِينٌ في غيْر ضُعف ، وشدةٌ في غير جبرية ولا عنف "[5] وبذلك نال رضى الخليفة الذي ما كان يستطيع أن يتدخل في ولايته التي أصبحت صورة واضحة عن اللامركزية في الحكم ونال رضى الناس الذين أكثروا البكاء عليه عند وفاته .[6]

لقد تمكن العرب المسلمون في عهد زياد بن أبي سفيان من توطيد نفوذهم في خراسان وأصبحوا يتطلعون لعبور ماوراء النهر بعد ذلك ، كما أن الإقليم أصبح يؤدي دوره الثغريّ على أحسن وجْه في عهده أيضا ، وإن كان المؤرخ حسن أحمد محمود [7] قد سبق الأحداث وذكر :" أن خراسان أصبحت تؤدّي دورها الثغري على أحسن وجه منذ عهد عبد الله بن عامر ".

بعد وفاة زياد عاد شرف اختياروَالِي خراسان للخليفة معاوية الذي اختار عبيد الله بن زياد واليا عليها متبركا بأبيه .[8] والذي ما أن دخل الإقليم

---

(1) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج6 ، 163 ، ابن الأثير الكامل في التاريخ ج 3 ، 495.

(2) البلاذري ،فتوح البلدان ص 577 ، محمد أحمد محمد ، بُخارى في صدر الإسلام ص 38.

(3) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج6 ، ص 163 ، إبن الأثير، الكامل في التاريخ ج3 ، 495.

(4) الطبري ،نفس المصدر ج6 ، ص 161 ، إبن الأثير، نفس المصدر ج3، ص 493.

(5) البلاذري ،أنساب الأشراف ج4 قسم 1 ص 207.

(6) البلاذري ،نفس المصدر ج4 قسم 1 ص 241.

(7) الإسلام و الحضارة العربية بين الفتحين العربي والتّركي ص 117.

(8) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج6 ، ص 166 ، إبن الأثير الكامل في التاريخ ج3 ص 499.البلاذري ، فتوح البلدان ص 577 ، أبن كثير ، البداية والنّهاية ج8 ، 21.

حتى أصبح بَعْدَ عدتهُ لِقَطْعِ النّهر إلى جبال بُخَارَى [1] وعندما رأته الملكة " خاتون " [2] استدعت جموع الأتراك لمساعدتها لكن عبيد الله تمكن من التغلب عليهم ، فسارعت " خاتون " لطلب الصلح فصالحها على جزية قدرها ألفُ ألفِ درهم سنويا [3] ودخل مدينة " بيكنْد "[4] و"رامدينَ" منتصرا [5] .

لقد بالغ النرشخي [6] كثيرا في وصف فتح "بيكند " حيث ذكر أن :" عبيد الله ابن زياد أمر جنده بقطع الأشجار و تخريب الديار " كما أن المستشرق فامبري[7] اعتمد على هذا الرأي وأضاف قائلا : " وأنزل هؤلاء ، الغزاة — يقصد المسلمين — الخراب بكل المناطق التي مرّوا بها حتى اقتلعوا الأشجار التي صادفتهم في الطريق " على أننا لم نجد هذه المعلومات في المصادر الأساسية كالطبرى وابن الأثير التي أسهبت في الحديث عن هذه المواضيع ، لكننا وجدنا إشارة صغيرة عند البلاذري[8] يقول فيها :" وأقبل المسلمون يخربون." وعند ياقوت الحموي [9] الذي يذكر قائلا : " أقبل المسلمون يخربون ويحرقون

---

(1) بخارى مدينة بجمهورية " أوزبكستان " المعاصرة تقع على نهر " زارفشان " كانت تعدّ في العصور الوسطى من أجَلّ مدن الصُّغْد ، أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ، ج1 ص 281 ، كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص 503.

(2) لقب بمعنى السيدة العظيمة ، دخل اللغة العربية بعد اتصال المسلمين بالمغل ، والترك ، وكان يطلق أصلا على الأميرات المغوليات ثم عمّ فشمل سيدات الطبقة الخاصة ، أحمد عطية الله، القاموس الإسلامي ج2 ص 195.

(3) البلاذرى، فتوح البلدان ص 577.

(4) بين بيكند و رامدين فرسخين ، البلاذري، نفسه وتسمى رامدين " راميثن" عند الطبرى ج6 ص 167 " ورامني" عند ابن الأثير .

(5) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك ج6 ص 167 ، ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج3 ص 499 ، البلاذرى، فتوح البلدان : 577.

(6) النرشخي (286-346هـ) تاريخ بخارى ، عربه عن الفارسية وقدم له وحققه وعلّق عليه أمين عبد المجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي ، دار المعارف القاهرة 1965 ص 62.

(7) فامبرى إرمنيوس ، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر ترجمه وعلق عليه أحمد محمود الساداتى ويحيى الخشاب ، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة (دت) ص 58.

(8) فتوح البلدان ص 577.

(9) معجم البلدان ج 1 ص 520.

فبعثت إليهم خاتون تطلب الصلح". ولاشك أن البلاذري وَ يـاقوت يعبرّان عن النظرة اللاموضوعية التي انتشرت في العصر العباسي عن التاريخ الأموي فكيف يقوم عبيد الله بهذه الأفعال وهو من أم تركيه [1] ومعروف بحبه للأتراك.[2] بل أن الفتح لم يشهد معارك كبيرة، فقد عاد الأتراك من حيث أتوا عندما رأواكثافة جيش عبيد الله [3] الذي كان يبلغ أربعة وعشرين ألفًا [4].

وبعد أن حقق عبيد الله بن زياد هذا النجاح عاد إلى البصرة مع خلق كبير من الأسرى بلغ عددهم ألفين كلهم جَيِّد الرَّمي بالنشاب [5]، ويبدو أنه نال ثقة الخليفة كاملة فولاّه على البصرة وذلك في سنة 55هـ (674م)[6] برغم سِنِّه الصغير الذي لم يتجاوز السادسة والعشرين [7] .

وفي سنة 56هـ (675 م) ولىّ الخليفة معاوية ، سعيد بن عثمان بن عفان [8] على خراسان، فقطع النهر ووصل بخارى بعدما نقضت خاتون الصلح الذي أبرمته مع عبيد الله في سنة 55 هـ (674م) فسارعت إلى اعادة الصلح لكنها كانت تطلب المساعدة في الخفاء من أهل الصغد وأهل كش ونسف[9]، فوصلوها في مائة وعشرين ألفا ، لكن سعيد

---

(1) ابن قتيبة،المعارف ص151.

(2) محمد أحمد محمد ، بخارى في صدر الاسلام ص 40.

(3) البلاذري،فتوح البلدان ص 577 ، محمد أحمد محمد،بخارى في صدر الإسلام ص 40.

(4) البلاذرى ، نفس المصدر ، الصفحة

(5) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج 6 ص 167 ، ياقوت الحموي،معجم البلدان ج1 ص 520.

(6) الطبري، ، نفس المصدر ج 6 ص 168 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج3 ص 501.

(7) البلاذي ، فتوح البلدان ص 577.

(8) سعيد بن عثمان بن عفان الأموي القرشي ، والٍ من الفاتحين ، نشأ في المدينة . بعد مقتل أبيه،وَفدَ على معاوية فولاّه خراسان سنة 56 هـ.ابن قتيبة،المعارف ص87 ، الزركلي الأعلام ج 3 ص151.

(9) " الكش" و " نسف " مدينتان قريبتان من بخارى ، تعرف " كُش " اليوم " بشهر سبز " (أي المدينة الخضراء) وتعرف " نسف" اليوم بـ " بُخشب" ، كي لسترنج،بلدان الخلافة الشرقية ص 512 وما بعدها .

تمكن منهم وأعاد الصلح المبرم ودخل مدينة بخارى[1] ثم توجه لفتح سمر قند التي لم يتمكن منها إلا بعد قتال كبير عقد الصلح بعده على سبعمائة ألف درهم وعلى أن يعطيه أهلها رهنا من أبناء عظمائهم[2] ، وبعد أن تم له ذلك خرج برهينة متوجها إلى المدينة، فوثبوا عليه وقتلوه وقتل بعضهم بعضا حتى لم يبق منهم واحدٌ[3] فاختار الخليفة معاوية عبد الرحمن بن زياد واليا على الإقليم وذلك في سنة 59هـ (678 م)، الذي لم يكن على شجاعة أخيه عبيد الله،فبرغم انتقاض خاتون الصلح المبرم لم يتوجه إليها ولم يفتح أو يُعِد فتح أرضٍ طيلة سنتين كاملتين مكثهما في الإقليم ، مما جعل الخليفة الجديد يزيد بن معاوية [4] يستدعيه ويعفيه عن الولاية [5] ويعيّن قيس بن الهيثم الذي سبق أن وُلّيَ الولاية عدة مرات ، وذلك في سنة 60هـ/ 679 م ،لكن قيسًا سرعان ما اختار الاعتزال [6] وقد يكون سبب ذلك سنّه المتقدم . فعين الخليفة " سَلَمَ بنَ زياد بن أبي سفيان " واليا على

---

(1) البلاذري ،فتوح البلدان ص 578 ، البلخي،البدء والتاريخ ج6 ، 53 ، الذهبي ، العبر في خبر من غبر ج1 ص 61 و 62.

(2) الطبري، ، تاريخ الأمم و الملوك ج 6 ، ص 171 ، إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ج3 ، ص 513 ، البلخي نفس المصدر و الصفحة.الكوفي (أبو محمد أحمد بن أعثم) ت 314هـ كتاب الفتوح ، دار بيروت لبنان (دت) ج 4، ص 185.البلاذرى،فتوح البلدان ص 579 ، النرشخي،تاريخ بخارى ص 63 ، هنا نشير أن هناك اختلافا في عدد الرهائن فالطبرى وابن الأثير يذكران " خمسين رهينة " و البلاذرى يذكر أنّ العدد كان " خمسة عشر " ويضيف أنه يقال " : أربعين " ويقال ": ثمانين " ويذكر النرشخي : " أن خاتون أعطت ثمانين شخصا من أمراء ودهاقين بخارى ممن ترغب في الخلاص منهم ".

(3) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج 6 ص 171.ابن الأثير الكامل في التاريخ ج3 ص 513.البلاذرى، فتوح البلدان ص580 اليعقوبي(أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح) تاريخ اليعقوبي ، دار بيروت للطباعة والنشر لبنان 1379 هـ (1960م) ج 2 ص 237.

(4) يُكنى أبا خالد ، أمه ميسون بنت مجدل الكلبية ، ولّى الخلافة بعد أبيه معاوية ومكث خليفة من سنة 60 هـ إلى 64 هـ ، توفى بجوارين بقرب دمشق وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ، ابن قتيبة ، المعارف،ص 153.

(5) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 6 ، ص 271 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج4 ص 95.البلاذري ، فتوح البلدان ص 581 ، إبن كثير ، البداية و النهاية ج 8 ، ص 211.

(6) إبن كثير، نفس المصدر والصفحة .

خراسان وسجستان ، وذلك في سنة 61هـ(680 م)[1] ، فسلك نهج أخيه عبيد الله وتهيأ للفتح ففتح خوارزم وصالحها على أربعمائة ألف ألف درهم ثم أعاد فتح سمر قند [2] صلحا ثم توجه إلى بخارى حيث كانت خاتون قد تهيأن له بطلب المساعدة من ملك الصغد كعادتها ، لكن سَلَم تغلب عليهم ، فسارعت لعقد الصلح[3] .

لقد خَطا سَلَم بن زياد خطوة جديدة في فتوحاته جديرة بالاهتمام ، ذلك أن ولاّة خراسان قبله كانو ا يغزون وعند حلول الشتاء يعودون إلى " مَرْوٌ الشاهجان " مِمَا يعطى فرصا للأتراك لتجميع أنفسهم و التمرد من جديد لكن سَلَم قرّر أن يقهر الطبيعة المخيفة بأن واصل غزوه في فصل الشتاء القارس [4] و أقام فيه في" سمر قند " قبل أن يتوجه إلى بخارى، وجعله مقامُهُ الطويل يتقرب من ملك المدينة ، بل أن زوجته [5] أم محمد التى كانت قدرافقته في غزواته واعتُبرت أوّل أمرأة عربية قطعت النهر أصبحت صديقة لزوجه الملك ، التي أهدتها هدايا من ذهب ، بل أن علاقة سَلَم وزوجته بالصغْد كانت أوثق من ذلك حيث إن أم محمد أنجبت ولدا في مقامها هذا وأسمته صغدي تعبيراً عن محبتها لهم.[6]

---

(1) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج 6 ص 271 ، ابن الأثير،الكامل في التاريخ ج 4 ص 95،البلاذري،فتوح البلدان ص 581 .

(2) سمرقند،من أجَلّ مدن الصّغد تقع على نحو 150 ميلا من شرق بخارى على نهر جيجون ،وهي الآن تتبع دولة " أزبكستان" ، كي لسترنج،بلدان الخلافة الشرقية ص 506 ، أحمد عطية الله،القاموس الإسلامي ج 3 ص 492 .

(3) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج 6 ص 272.ابن الأثير،الكامل في التاريخ ج 4 ص 96، البلاذري،فتوح البلدان ص 581.

(4) الطبري، تاريخ الأمم والملوك 6 ص 272 ، إبن الأثير،الكامل في التاريخ ج 4 ، 96 محمد أحمد محمد،بخارى في صدر الإسلام ص:44 . BARTHOLD.W Turkestan down. To the Mongol invasion second edition translated from the ouginal Russion by the author with the Assistance of H-A-R Gibb p 180.

(5) أم محمد بنت عبد الله بن عثمان بن أبي العاص الثقفية،الطبري،تاريخ الأمم والملوك ج 6 ص 273 ، ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج 4 ، ص 97 ، البلاذري، فتوح البلدان 581 .

(6) الطبري، نفس المصدر والصفحة، ابن الأثير ،نفس المصدر والصفحة،البلاذري، نفس المصدر و الصفحة .

بعد النجاح الذي حققه سَلَم في غزواته ، عاد إلى مرو ، وأحسن إدارة خراسان إلى حدّ بعيد ، ومكث فيها إلى أن تُوفي الخليفة يزيد بن معاوية وابنه معاوية [1] الخليفة الجديد الذي ما إن وصل الخلافة حتى مات وذلك في 64 هـ (683 م) فظهرت الفتنة في البلاد وقام عبد الله بن الزبير [2] يدعو لنفسه واستقل بالحجاز واليمن ومصر و العراق [3]، فكتم سَلَم كل هذه الأخبار عن الناس الذين انتهوا إلى معرفتها ، فاضطر إلى إظهارها رسميا ، ودعا الناس إلى البيعة على الرضا حتى يستقيم الناس على خليفة ، فبايعوا ثم نكثوا[4] فلم يتمكن سَلَم من التحكم في أوضاع خراسان بعد ذلك على الرغم من أنه كان محسنا لأهلها ومحبوبا من طرفهم [5] فاختار الهروب منها بعد أن استخلف عليها المهلب بن أبي صفرة[6] لكنه في الطريق خضع لرغبات عبد الله بن خازم الذي طلب منه أن يعهده على الإقليم، فأعطاه العهد وأعطاه إعانةً قدرها مائة ألف درهم .[7]

---

(1) اسْتُخْلِفَ بعهد من أبيه في الربيع الأول سنة 64 هـ ولما استخلف كان مريضا فمات بعد أربعين يوما وقيل عشرين، (السيوطي الإمام الحافظ جلال الدّين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي) المتوفى 911 هـ ، تاريخ الخلفاء،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد دار الجيل بيروت 1408هـ 1988 م ص 251.

(2) يُكنّى أبا بكر وأبا حبيب ولد بعد الهجرة بعشرين شهرا وهو أول مولود ولد للمهاجرين بالمدينة في الإسلام بنى الكعبة وجعل لها بابين وطلب الخلافة فظفر بالحجاز والعراق واليمن ومصر ومكث بعد ذلك تسع سنين فسار إليه الحجاج فحاصره بمكة ثم أصابته رمية فمات بها ، ابن قتيبة ، المعارف،ص 99.

(3) ابن قتيبة، نفس المصدر والصفحة.البلاذرى ،فتوح البلدان ص 583 ، ابن كثير، البداية والنهاية ج8 ص 268 . السيوطي،تاريخ الخلفاء ص 256.

(4) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج7 ص 43.ابن الأثير،الكامل في التاريخ ج4 ،ص 154.

(5) الطبري، نفس المصدر ج7 ، ص 43 ، ابن الأثير،نفس المصدر ج4 ص 144.

(6) المهلب بن أبي صفرة ولد في دُبَا في 7هـ (628 م) ونشأ بالبصرة قدم المدينة مع أبيه في أيام الخليفة عمر ، وولى إمارة البصرة لمصعب بن الزبير ، وانتدب لقتال الأزارقة الذين قاتلهم تسع عشرة سنة و بعد نجاحه ولاّه عبد الملك بن مروان على خراسان في سنة 79هـ وبقى فيها إلى أن مات في 82هـ/ 702م.ابن قتيبة ، المعارف،ص 175، الزركلي،الاعلام ج 8ص 260.

(7) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج 7 ص44.ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج4ص155. البلاذري،فتوح البلدان 582.

لقد هيأ سَلَم بتردده هذا الحرب بين المهلب و ابن خازم التي استمرت معقدة إلى ان نجح ابن خازم[1] لتبدأ الحرب بين القبائل العربية حيث اتحدت بنوتميم ضده وحاربته وطردت عُمّاله من مهامّهم [2] فاضطربت خراسان كلها وساعد هذا الحال الأتراك الذين دخلوا الإقليم وهاجموه[3] وامتدّوا الى الغرب حتى وصلوا حدود مدينة نيسابور[4] لكن ابن خازم تمكن في الأخير من السيطرة على الأوضاع وصفت له خراسان للمرة الثالثة سنة 65هـ (685 م) ، ثم أعلن طاعته لعبد الله بن الزبير [5] .

لقد حاول عبد الملك بن مروان [6] استمالة ابن خارم فكاتبه يطلب منه الدخول في طاعته على أن يطعمه خراج خراسان سبع سنين لكنه رفض [7] فكاتب خليفته على مرو " بكير بن وشاح " يعهده على الإقليم ويَعِده ويُمنيه فخلع بكيرُ إبنَ خازم ودعا أهل مرو لطاعة الخليفة الأمويّ في وقت كان ابن خازم يقاتل بُحَيْر بن ورقاء الصريمي زعيم بني تميم بنيسابور فوافقوه على ذلك ، ولما سمع ابن خازم حاول الرجوع إلى العاصمة لكن بُحَير لحق به وقتله على بعد ثمانية فراسخ منها [8].

بقتل ابن خازم عادت خراسان إلى طاعة بنى أمية مرة أخرى ، بعد أن خرجت عنها من سنة 65 إلى 72 هـ (684 إلى695م) وأصبح بكير بن وشاح واليا على الإقليم من

---

(1) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك ج7 ص 44 ابن الأثيره الكامل في التاريخ ج 4 ص 156.

(2) الطبرى، نفس المصدر والصفحة،ابن الأثير،نفس المصدر والصفحة .

(3) الطبرى، نفسه ج6 ص46 ، ابن الأثير نفسه ج 4 ص 157 ، البلاذري،فتوح البلدان ص 583.

(4) البلاذري، نفس المصدر و الصفحة.

(5) السيوطى، تاريخ الخلفاء ، ص 256 ، ابن قتيبة،المعارف ص 99 ، ابن كثير،البداية والنهاية ج 8 ص 263.

(6) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيٍّ بن كلاب ، أبو الوليد ولد سنة ست وعشرين وبويع بعهد من أبيه ، وصحت خلافته سنة ثلاث وسبعين بعدما قتل عبد الله بن الزبير. السيوطى ، تاريخ الخلفاء ص 256.

(7) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك ج7 ، ص 197 ، ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج 4 ص 345 البلاذري،فتوح البلدان 584 ، تاريخ اليعقوبي ج2ص 271.

(8) الطبرى،نفس المصدر ج 7 ص 209 ، ابن الأثير،نفس المصدر ، ج4 ، ص 345 البلاذري،فتوح البلدان ص 584 ، تاريخ اليعقوبي ج2ص271.

قِبل الخليفة عبد الملك بن مروان إلا أنه لم يُحّسِن إدارته ولم يستطع إعطاء حدّ لسيطرة بنى تميم عليه ، فاشتدت العصبية فيه فخاف أهل خراسان أن تعود الحرب من جديد وتفسد البلاد ويقهرهم العدو ، فكتبوا إلى الخليفة قائلين : " إن خراسان لا تَصلح بعد الفتنة إلا على رجل من قريش ، لا يحسدونه ولا يتعصبون عليه "[1] فاختار الخليفةُ عبدُ الملك بن مروان أميّةَ بنَ عبدِ الله [2] ليوليه على خراسانَ وسجستانَ معًا وذلك في سنة 74 هـ / 693 م فـأحسن إدارة الاقليم ونال رضى كل أهل البلاد الذين أصبحوا يقولون عنه : " مارأينا أحدًا عوّض من هزيمة ما عوّض أمية ".[3]

لقد حاول أمية أن يكسب بكير بن وشاح ، فطلب منه أن يختار المنطقة التي يريد كي يكون عاملا عليها. فاختار طخارستان [4] وأعلن أنه سيخرج منها غازيا ماوراء النهر[5] وبدأ ينفق الكثير ليس للغزو وإنما للتمرّد على أمية الذي أدرك منه ذلك فأعلن خروجه معه للغزو وترك ابنه في " مَرْو " لينوبه في غيابه ، وما أن انطلق حتى سمع أخبارا لم ترضيه عن ابنه الذي لم يتمكن من التحكم في الأمور لصغر سنّه ، فطلب أمية من بكير الرجوع إلى عاصمة الإقليم لمساعدة ابنه ، ويبدو أن أمية أراد إطفاء شعلة التمرد التي في بكير وكَسْب ثِقته بقراره هذا ، لكن بكيراً ما إن رجع حتى خلع أميةَ وحبس ابنه[6] مما جعل الوالي يصالح أهل بخارى على فدية قليلة ويعود مسرعا نحو العاصمة التى حاصرها إلى أن طلب بكير الصلح [7] فصالحه أميةُ وطلب منه للمرة الثانية أن يختار المنطقة

---

(1) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج 7 ص 209 ، إبن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج4 ص 367، البلاذري، فتوح البلدان ص 586 ، تاريخ اليعقوبي ج2، ص271 .

(2) أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العَيْص بن أمية ، البلاذي، نفس المصدر والصفحة.

(3) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك ج 7 ص 209 ، ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج 4 ، ص 367.

(4) الطبرى، نفس المصدر ج 7 ص 210 ، ابن الاثير، نفس المصدر ج4 ، ص 368 ، البلاذي، فتوح البلدان ص 586.

(5) الطبري، نفسه ج 7 ص 209 ، ابن الأثير، نفسه ج4، ص 367.

(6) الطبري، نفسه ج7 ص 277 ، ابن الأثير، نفسه ج 4 ، ص444، البلاذري ، فتوح البلدان ص 586.

(7) الطبري، نفسه ج7 ، ص 278 ، إبن الأثير ، نفسه ج4 ص 446، البلاذري ، نفس المصدر الصفحة.

التي يكون عاملا عليها ، فاختار منطقة و ما إن وصلها حتى خلع الوالى من جديد مما جعل الوالى يحبسه ويقتله بعد ذلك[1] ،وبقتله تخلص الوالى من زعماء الفتنة في الإقليم [2]وبعد هذه الأحداث غزا أمية الخُتّل [3] إلا أنه لم ينجح في فتحها وكاد الجيش الإسلامى أن يهلك [4] فعزله الخليفة وضم إقليم خراسان وسجستان إلى أعمال الحجاج ابن يوسف[5] الذى اختار المهلب بن أبي صفرة واليا على خراسان اعترافا لـــــه بالإنتصارات التي حققها على الأزارقة .[6]

وما إن دخل المهلب الإقليم ، حتى تهيأ لغزو الصغد فسار حتى نزل مدينة " كُشّ " وأقام بها سنتين وهو ينتظر الفرصة السانحة لمحاربتهم وذلك إيثاراً منه لسلامة من معه من المسلمين ، وجاءت الفرصة حينما حدث شقّ بين الملك وأسرته ، جعل ابن عمه يتوجه إلى ابن المهلب ويتعاون معه ، فبعث الوالى ابنه يزيداً لحصار مقر الملك المسمى " بقلعة السُبُل" فأسرع الملك لطلب الصلح على فدية[7] ثم أرسل الوالي ابنه الآخر " حبيب "

---

(1) الطبرى،تاريخ الأمم والملوك ج 7 ص 279 ، ابن الأثير،الكامل في التاريخ،البلاذرى،فتوح البلدان ص 586 .

(2) رضى عبد الله عبد الحليم ، دراسات في تاريخ خراسان ،ص 28.

(3) الخُتل ولاية تقع في حوض نهر جيحون بالقرب من حدود وادي السند ، كانت عاصمتها تعرف باسم " هلبك" . أحمدعطية الله ، القاموس الإسلامى ج2 ص217.

(4) الطبرى،تاريخ الأمم والملوك ج 7 ص 279 ، ابن الأثير،الكامل ج4 ص 447.

(5) هو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب الثقفي ، أمه أم الوليد بن يزيد بن عبد الملك وكان يُكنّى أبامحمد ، تولّى في بادئ الأمر " تبالة" فلما رآها احتقرها وانصرف ثمّ أختير لقتل عبد الله بن الزبير وبعد نجاحه ولّي على الحجاز ثلاث سنين ثم ولاّه عبد الملك العراق فوَليَها عشرين سنة. ابن قتيبة ، المعارف ص 173 و174 .

(6) الأزارقة هم أصحاب نافع بن أزرق ، قالوا كفر عليّ بالتحكم وابن ملجم محق وكفرت الصحابة وقضوا بتخليدهم في النار ، الجرجانى (أبو الحسن على بن محمد بن على الجرجانى المعروف بالسيد الشريف)740هـ- 1340 م (816 هـ 1413م) التعريفات،الدار التونسية للنشر تونس 1971 ص 11 ، عامر النجار،الخوارج عقيدة ، وفكرا، وفلسفة ، دار المعارف القاهرة 1988 ط 2 ص 152 وما بعدها .

(7) الطبرى،تاريخ الأمم والملوك ج 8 ، ص3 ، إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ن ج4 ص 444.

إلى "رُبَنجَن"[1] ففتحها وأعاد فتح بخارى أيضا[2] ، ويبدو أن المهلب كان في نيته مواصلة الفتوحات إلا أنه اضطر إلى العودة إلى " مرو" عندما سمع خبر وفاة ابنه الثالث "المغيرة " الذي كان قد خلّفه وراءه لإدارة شؤون الإقليم لكنه ما إن وصل " مرْو الرّوذ " حتى وافته المنية وذلك في سنة 82 هـ (701) [3] . فكتب يزيد بن المهلب الخبر للحجاج الذي بعث يُقِرّه على الإقليم في مكان أبيه[4] وفي هذه الأثناء انتقض الملك " نيزك " صاحب قلعة بادغيس في خراسان ، فتوجه إليه الوالي الجديد وظل يراقب حتى خرج الملك منها فخلفه عليها ، وعندما رجع طلب الصلح فصالحه على الخزائن التي تحتويها القلعة وعلى أن يرتحل بعياله بعيداً[5] لعلمه أنه كان يعبدها ويعظمها ويسجد لها يومياً[6].

بعد أن انتهى يزيد من إعادة الأمن في داخل إقليم خراسان ، توجه إلى " خوارزم " الذي تمكن منها . لكن الحجـاج فَضّل فصله رغم هذه النجاحات وذلك لعصيان لاحظه فيه [7] ، فكتب إليه يأمره أن يستخلف أخاهُ " المُفضّل " ويقبل إليه [8] ، وفي هذه الأثناء تمرّد " نيزك " من جديد بعدما تمكّن من العودة إلى قلعته فتوجه إليه المُفَضل الذي سرعان ما تغلب عليه وأعاد فتح القلعة وبهذا دانت له خراسان كلُها فتطلع إلى ماوراء النهر وتمكن من فتح منطقة آخَرون وشومان " لأول مرّة [9] لكن الحجاج بعث له بالعزل بعد أن قضى

---

(1) ربنجن مدينة في ضفة الصُغد ، تقع بين بُخارى وسَمَرْ قند تسمى أيضا " أربنجن " . كي لسترنج بلدان الخلافة الشرقية ص 511.

(2) الطبري ،تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 3.ابن الأثير،الكامل في التاريخ ج 4 ص 453.

(3) الطبري، نفس المصد ج8 ص19.ابن الأثير ، نفس المصدر ج4 ص 475.البلاذري،فتوح البلدان 587.

(4) الطبري، نفسه ج8 ، ص 20 ، ابن الأثير،نفسه ج 4 ، ص 476 ، البلاذري،نفس المصدر والصفحة .

(5) الطبري، نفسه ج8 ، ص 39 ، ابن الأثير،نفسه ج4 ، ص 498.

(6) الطبري ،نفسه ، إبن الأثير،نفسه.

(7) الطبري،نفسه ج8 ، ص 43 ، إبن الأثير ، نفسه ج4 ، ص 504 .

(8) الطبري ، نفسه ج 8 ص 44 ، إبن الأثير ، نفسه ، تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 395.

(9) الطبري، نفسه ، إبن الأثير،نفسه ، البلاذري ، فتوح البلدان ص 587.

تسعة أشهر فقط واليا على الإقليم ، وعين بدله قتيبة بن مسلم [1] وذلك في سنة 86هـ / 705م الذي ما إن دخل مرو حتى قام خاطبا يحثّ الناس على الجهاد ، وتهيّأ لإعادة فتح " آخَرون وشُومان" [2] اللتين نقضتا الصلح بمجرد خروج المفضل منها . فنظّم الجيش وترك نائبين ينوبانه على حكم الإقليم وانطلق إلى غزواته . لكنه كان عليه أن يبدأها في داخل إقليم خراسان حيث تمردت فيه بعض المناطق ، منها بادغيس التي تمكّن فيها " نيزك " من جمع قواته وأسر مجموعة من المسلمين الذين ظلوا فيها ، فكتب إليه قتيبة يطلب منه إطلاق سراحهم ففعل [3] ثم بعث إليه يدعوه إلى الصلح والأمان ، ولما أبدى دهشته خَوّفَه مبعوث قتيبة بقوله :" يا أبا الهياج (يقصد نيزك) إن هذا الرجل شديد في سلطانه سهل إذا سُهل ، صَعْب إذا عُوسِرَ ، فلا يمنعك منه غِلظة كتابه إليك ، فما أحسن حالك عنده ..."[4] فتم الصلح [5] .كما كانت " طخارستان" قد انتقضت الصلح أيضا لكن قتيبة صالحها من جديد[6] ولما ارتاد الطريق المتد بين طخارستان وبلخ و بلغ " الطالقان " تلقاه دها قنتها [7] وبعض عظمائها بالهدايا معلنين ولاءهم له وانظموا إلى جيشه وقطعوا معه النهر.و مما سلف يظهر مدى ذكاء قتيبة بن مسلم الذي اختار أسلوب

---

(1) قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين بن أسيد بن زيد بن قضاعة من بني هلال بن عمرو من باهلة ، كان عاملا على الرّي قبل توليه خراسان ، قتل بفرغانة سنة سبع وتسعين ، وهو ابن خمس وأربعين سنة ، بعد أن ولّي خراسان ثلاث عشرة سنة ، ابن قتيبة ، المعارف ص 179.

(2) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 59 . ابن الأثير،الكامل في التاريخ ج 4 ، ص 523 ، البلاذري،فتوح البلدان ص 590.

(3) الطبري، نفس المصدر ج8 ص 61 ، ابن الإثير،نفس المصدر ج 4 ، ص 527 . رضى عبد الله عبد الحليم ، دراسات في تاريخ خراسان ص 36.

(4) الطبري، نفسه ج 8 ص 62 ، ابن الأثير ، نفسه ج 4 ص 527 .

(5) الطبري ،نفسه ، ابن الأثير،نفسه.

(6) النرشخي ، تاريخ بخارى ص 69.

(7) دهقان : رئيس القرية أو صاحب القرية ، عبد النعيم محمد حسنين ، قاموس الفارسية ، فارسي / عربي ص 271.

السلم والمصالحة بديلا عن الحرب في داخل إقليم خراسان ، مستخدما لهجة تنطوي على الغلظة والقسوة ، وذلك حتى يُبْقيَ قوة جهود جيشه لفتح ما وراء النهر وحدها.

لقد أصبح جيش قتيبة مهيبا ، فما إن قطع النهر ورآه ملك " الصغانين [1] " بيش الأعور " حتى تقدم خائفاً مقدماً الهدَايَا ومَفاتيح من ذهب داعيا الوالي لدخول بلاده .[2] فدخلها قتيبة دون أي حرب ، ثم توجه إلى " آخَرون وشومان " لكن ملكها "غَشْتَسْبَان " أسرع للقائه في الطريق وطلب منه الصلح على فدية قبلها الوالي الذي قرر الرجوع إلى مرْو بعد هذا النجاح تاركا أخاه " صالحا " على ماوراء النهر ، الذي فتح بدوره هو الآخر عدة نَواحِ من فرغانه .[3]

لقد دانت خراسان كلها إلى قتيبة وانظم إليه الملك " نيزك " بجيشه ليساعده في فتوحاته [4] ، فتطلع الوالي إلى إعادة فتح مدينة " بيكنذ" و وانطلق لتحقيق هدفه ، لكن الصغد تمكنوا من حصره قرب المدينة ، فانقطعت أخباره كلية عن الحجاج ، الذي أشفق عليه وعلى جيشه كثيرا وأمر الناس بالدعاء لهم في المساجد ، وكتب بذلك إلى الأمصار كلها[5] وظل الحال نفسه شهورا حتى تمكن أحد الجنود من إحداث ثغر في جدار سور المدينة فتمكن المسلمون من دخولها وفرض عقد الصلح عليها .[6] لكن أهل " بيكند" سرعان ما نقضوه بمجرد خروج قتيبة منها ، وقتلوا عاملها العربي ومجموعة من أصحابه ومثلوا

---

(1) الصغانين : تقع إلى غرب نهر " الوخش" ناحية يحدها من جنوبها نهر جيجون سمّاها العرب " الصغانيان " ويكتب اسمها بالفارسية "چغانيان"،كي لسترنج،بلدان الخلافة الشرقية ص 472.

(2) الطبرى،تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 59 ، إبن الأثير، الكامل في التاريخ ج 4 ، ص 523 ، البلاذري،فتوح البلدان ص 590 ، محمد أحمد محمد، بخارى في صدر الإسلام ص 52.

(3) الطبري، نفس المصدر ج8 ، ص 60 ، إبن الأثير،نفس المصدر ج 4 ص 524 ، البلاذري ، فتوح،نفس المصدر والصفحة.

(4) البلاذري، نفسه ص 596 ، تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 286.

(5) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ، ص 62 ، إبن الأثير،الكامل في التاريخ ج4 ص 528.

(6) الطبري، نفس المصدر ج 8 ص 63 ، ابن الأثير، نفس المصدر والصفحة،النرشخي، تاريخ بخارى ص 69و 70.

بهم أبشع تمثيل . فعاد قتيبة إليها من جديد وحاربهم حتى فتح المدينة عنوة [1] وهنا يذكر المستشرق فامبري [2] " أن قتيبة أمر بحرق المدينة كلها وقتل كل من بها من البالغين وسبى النساء والأطفال " مع أن المصادر المعتمد عليها لم تذكر ذلك أبدا لكن يبدو أن هذا المؤرخ قد طور خياله من الرواية التي أوردها الطبري[3] مفادها أن قتيبة ، أمر بتعليق مَنْ كان سببا في نقض الصلح في أعمدة من الخشب،وعددهم أربعُون رجلاً وحرقهم كي يكونوا عبرة لمن يعتبر بل إن النرشخي[4] ورغم مبالغته في كتابه"الأحداث فإنه لم يذكر شيئا مثل هذا،وما ذكره أكبر دليل على أن قتيبة لم ينتهج القتل والحرق إذ قال :" لقد أسر قتيبة كل البالغين من سكان المدينة لكنه سلمهم إلى تجارها الأثرياء الذين كانوا في مهامهم التجارية في الصين وعادوا بعد ذلك مقابل مبلغ من مال".

لقد توجه قتيبة بعد " بيكند " إلى إعادة فتح بخارى لكنه لم يتمكن من ذلك،وذلك لتجمع الأتراك على محاربته الذي يظهر أن عددهم كان عظيما حيث يذكر ابن الأثير [5] أن عددهم بلغ مائة ألف في حين يذكر النرشخي [6]"أن ملوك الترك في بخارَى والصّغد وفرغانة استأجروا ابن أُخت ملك الصين بجيشه ليحارب في المقدمة" ، فعاد قتيبة إلى مرْو ليتهيأ من جديد لفتح بخارى الذي تمكن منها فعلا بعدما اعتمد على خطة جغرافية وضعها له والي العراقيين الحجاج بن يوسف[7].

لقد اختار قتيبة البقاء بعض الوقت في بخارى، وفي هذه الأثناء سمح للملك نيزك بالعودة إلى بادغيس بعد أن اطمأن له . لكن نيزك ما إن وصل " طخارستان " حتى نقض

---

(1) الطبري،تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 62 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 4 ص 528 .

(2) تاريخ بخارى من أقدم العصور ص 62.

(3) تاريخ الأمم والملوك ج8 ص 62.

(4) تاريخ بخارَى ، ص 70.

(5) الكامل في التاريخ ج 4 ، ص 533.

(6) تاريخ بخارى ص 71.

(7) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ، ص 69 ، ابن الأثير،الكامل في التاريخ ج4 ، ص 542 .

الصلح [1] وكتب إلى المرازبة في كل من بلخ ومرو الرّوذ والطالقان والفارياب والجوزجان يدعوهم إلى خلع قتيبة مما جعل كل هذه المناطق تضطرب في خراسان ، وتعود الفوضى من جديد إلى الإقليم ، في وقت كانت الجيوش قد افترقت ولم يكن مع قتيبة إلا أهل مرو . فأرسل أخاه عبد الرحمن في إثنى عشر ألف إلى بلخ وطلب منه التوجه بعدها إلى طخارستان[2] ثم كتب يجمع أهل نيسابور و إيبورد وسرخس وهراة و بدأ يعيد أمن المدن الواحدة تِلو الأخرى ، حيث فرّ منه مرزبان مرْو الرُوذ إلى فارس واستسلم مرزبان الطالقان و الفارياب [3] وهرب مرزبان الجوزجان إلى الجبل وفي هذه الأثناء كان أخوه قد أعاد بلخ ، وذهب ليتبع نيزك الذي هرب وقطع وادي فرغانة ، فتبعه قتيبة أيضا . وحاصر الأخوان "نيزك " مدة شهرين حتى قلّ ما عنده من زاد وأصاب جنوده مرض الجدري فاستسلم في الأخير .

يبدو أن " نيزك " ورغم خيانته ظل قريبا إلى قلب قتيبة الذي لم يشأ قتله وأرسل للحجاج ليقرر في الأمر فرد يأمره بذلك لكن قتيبة ظل مترددا أربعة أيام حتى طالبه الناس بذلك[4] .

وما إن عاد قتيبة للعاصمة " مرْو" حتى راسله مرزبان " الجوزجان " الهارب يطلب منه الأمان ، فأمنه على أن يأتي ، فطلب منه رهنا فأعطاه ثم قدم على قتيبة الذي صالحه ومكث عنده إلى أن خرج راجعا إلى بلاده لكنه مات في الطريق مما جعل بعض أهل الجوزجان يعتقدون أنه قُتل قتلاً مدبّراً، فقتلوا الرهائن ونقضوا الصلح ،وبهذا اضطربت أحوال الجوزجان من جديد[5] مما جعل قتيبة يسرع لاعادة النظام فيها ثم توجه نحو

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج8 ص 70 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 4 ، ص 544.رضى عبد الله عبد الحليم ، دراسات في تاريخ خراسان ص 38.

(2) الطبري، نفس المصدر والصفحة،ابن الأثير ، نفس المصدر والصفحة .

(3) الطبري، نفسه ج 8 ص 75 ، ابن الأثير، نفسه.

(4) الطبري، نفسه ج 8 ، ص 77 ، ابن الأثير،نفسه ج 4 ص 551 .

(5) الطبري ، نفسه ج 8 ص 78 ، ابن الأثير ، نفسه ج 4 ص 552..

الشرق وقطع النهر وأعاد فتح المناطق المتمردة فيه، وهي شومان وآخرونْ وكُشّ ونَسَف ثم عاد إلى مرو من جديد وذلك في 91 هـ (709م)[1].

وفي سنة 93هـ (711م) . دعا ملك خوارزم قتيبة لمساعدته ضد أخيه الأصغر ، وهيأ له إعادة فتح بلاده ، فدخلها [2] قتيبة ثم توجه وحاصر مدينة سمرقند مدّة شهرين كاملين إلى أن تمكن من التغلب على أهلها الذين قاوموا أشدّ مقاومة ودخل المدينة وصالحهم على فدية قدرها ألفا ألف ومائتا ألف درهم ، وعلى أن يبنوا له مسجدا ، دخله وأقام الصلاة فيه ثم " خرج المدينة تاركا حميّة عربية قدرها أربعة آلاف رجل [3] فانزعج أهل المدينة من ذلك لأن مسألة الحمية لم تأت شرطا في الصلح مما جعلهم يرون أن قتيبة غدر بهم وملك مدينتهم غدراً [4] .

توجه قتيبة بعد " سمرقند " إلى فرغانة وأعاد فتحها وذلك في سنة 94 هـ (712م)

وفي غمرة انتصاراته أتاه خبر موت الحجاج الذي كان قد دعمه كثيرا في فتوحاته وذلك في شوال سنة 95هـ (713م)[5]. لكن سرعان ما جاءه كتاب من الخليفة الوليد بن عبد الملك[6] يُقِرّه على ولايته ويشجعه على مواصلة فتوحاته .[7] فأستمر قتيبة في خراسان وفكّر في توطيد حكمه في سمرقند التي ظلت متهيئة للتمرد كلما تجد الفرصة ، فأسكن العرب هناك بأن أخذ من عرب خراسان وأُسِرهم ووَطّنَهم فيها ، واستعمل رجلا من مواليه يقال له

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ، ص 79 و 80 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 4 ص 553.الذهبي، العبرفي خبر من غبر، ج1 ص 107.

(2) الطبري، نفس المصدر ج 8 ص 83 ، ابن الأثير نفس المصدر 4 ، ص 571 ، البلاذري ، فتوح البلدان 592

(3) الطبري ،نفسه ج 8 ، ص 86 ، ابن الاثير ، نفسه ج 4 ، ص 573.

(4) الطبري ، نفسه ، ابن الأثير، نفسه ، البلاذري ، فتوح البلدان ص 592.

(5) الطبري ، نفسه ج 8 ص96 ، ابن الأثير ، نفسه ج4 ، ص 583.الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج1 ص 112.

(6) يُكنى أبو العباس وُلِّيَ الخلافة بعهد من أبيه في سنة 86 هـ ، يعتبر عهده عهد فتوحات ، توفي بدمشق سنة 96هـ وقد بلغ من العمر 48سنة وكانت خلافته تسع سنين وثمانية أشهر ، إبن قتيبة، المعارف ص 157.

(7) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج8 ص 96. إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 4 ص 583 .

"الخوارزمي " على مقطع النهر و أصدر له تعليمات صارمة بأن لا يترك هؤلاء يعودون إلى خراسان إلاّ بجواز يبيح لهم ذلك [1]. وبعد هذا سار قتيبة بأتجاه الصين ، وأرسل إلى ملكها يدعوه إلى الاسلام فخشيه وأسرع في إرسال الهدايا والتحف و المال الكثير [2] وفي هذه الأثناء وصلَ قتيبةَ خبرُ موتِ الخليفةِ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ . فانزعج كثيرا وذلك لأنه كان مستوحشا من أخيه سلمان [3] الخليفة الجديد لأنه كان قد أجاب الخليفة الوليد عندما أراد فصل سليمان من البيعة[4] فظن أن سليمان منتقم منه فعزم على التمرد عليه وترك مبايعته لكنه لم يلق دعما من الخراسنيين حيث ثارت عليه قبيلة بني تميم وعلى رأسها سيدها وكيع بن سود التميمي[5] الذي كان يكره قتيبة وذلك لأنه كان قد سلبه شرف فتح بخارى الذي قام به وقبيلته لكن قتيبة ظن أن أخاه هو الفاتح ، وكتب إلى الحجاج بذلك. كما ثار عليه أيضا " حيّان النبطي ".[6] وانتهت الثورة بمقتله ومقتل عدد كبير من رجال أسرته [7] وذلك في سنة 96 هـ (714م)[8]. فبعث الخليفة سليمان إلى وكيع يوليه على

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 99 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 5.

(2) الطبري، نفس المصدر ج 8 ص 100، ابن الأثير ، نفس المصدر والصفحة.

(3) سليمان بن عبد الملك " أبو أيوب " ولد في سنة 60 هـ ووليّ الخلافة بعهد من أبيه بعد أخيه الوليد في جمادى الآخرة سنة 96هـ ، عرف بالفصاحة وذلك لأنه نشأ بالبادية عند أخواله بني عبس ، توفي في العاشر من صفر سنة تسع وتسعين ، إبن قتيبة،المعارف ص 157 ، السيوطي،تاريخ الخلفاء ص269.

(4) ابن الأثير،الكامل في التاريخ ج 5 ص 10 ، البلاذري ، فتوح البلدان ص 594، رضى عبد الله عبد الحليم ، دراسات في تاريخ خراسان ص 43.

(5) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 106 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 15، ابن كثير ، البداية والنهاية ج 9 ص 167 ، البلاذري،فتوح البلدان ص 595 .

(6) حيان النبطي زعيم جيش الموالى في خراسان الذي كان عدده سبعة ألاف مجاهد . وهو من الدّيلم ، وقيل من خراسان ، إنما قيل له نبطي لكُنيته. الطبري،نفس المصدر ج 8 ص 108 ، إبن الأثير،نفس المصدر والصفحة .

(7) قتل معه إخوته :عبد الرحمن وعبد الله وصالح وحُصَيْن وعبد الكريم بنومسلم.وقتل إبنه كثير بن قتيبة وناس من أهل بيته ونجا أخوه ضرار الطبري ، نفسه ، ابن الأثير ، نفس المصدر ج 5 ص 17.

(8) الطبري ، نفسه ، ابن الأثير ، نفسه .

الإقليم لكنه سرعان ما عزله[1] بعد أن سمع أخبارا غير مرضية عنه مفادها أن وكيعا "ترفعه الفتنة وتضعه الجماعة وكان فيه جفاءُ وأعرابيّة"[2] و " أنه خامل في الجماعة ثابت في الفتنة "[3] كما أنه يتصف باللاحياء والوقاحة أيضا [4] ، وإن كنّا لا نستبعد حقيقة تعصّب " وكيع " فإننا نرى أنّ الأوصاف الأخرى التي وُصِف بها ، فيها مبالغة كبيرة ، وذلك لأن يزيد بن المهلّب الذي كان يريد العودة لولاية خراسان ، مستغنيا عن ولاية العراق التي ولاّها له الخليفة سليمان ، أنشأ دعاية كبيرة على وكيع حتى يقتنع الخليفة ويعزله ، فلقد دفع لعبد الله بن الأهتم ، أحد مقربيه ، مائة ألف، مُقدّمة ليذم وكيعا للخليفة ، ويبدو أن عبد الله راح — بدهائه وحيلته يرفع من شأن وكيع لدى الخليفة مبرزا خصاله الحميدة لينتهي إلى إقناعه بعزله وهذا ما يتوضح في قوله :" يا أميرَ المؤمنينَ وكيعُ رجلٌ شجاعٌ صارم رئيس مِقْدام"[5] ومع ذلك لقد تمكن من إقناعه بأن عزل وكيعاً عن خراسان بعد تسعة أشهر من ولايته فقط وولاها ليزيد بن المهلّب وذلك في سنة 97هـ (715م) الذى ما أن وصلها حتى تهيأ لغزو جرجان [6] التي كانت تحول بين الناس وبين الطريق الأعظم لخراسان،وكانت البلاد الجبلية الواقعة إلى الجنوب من بحر قزوين منطقة تعوق حركةالاتصالات بالأراضي الإسلامية [7] وفي طريقه إليها حاصر إقليم

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 116.ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 25 ، البلاذري ، فتوح البلدان ص 597 ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج9 ص 171 ، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 433.

(2) البلاذري ، نفس المصدر و الصفحة .

(3) الطبري تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 116 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 24.

(4) البلاذري ، فتوح البلدان ص 597.

(5) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 116 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج 5 ص 24 .

(6) إقليم في نواحي جنوبي بحر قزوين يضم في الأغلب السهول العريضة و الأودية التي يسقيها نهر " جرجان " و" أترك " وهي بين السهل والجبل والبرّ والبحر ، القزويني ، آثار البلاد و أخبار العباد ، ص 348 ، كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية ص 417.

(7) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج8 ص 120 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 29،فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 424 ، رضى عبد الله عبد الحليم،دراسات في تاريخ خراسان ص 46.

"دهستان " [1] حتى اضطر ملكها إلى طلب الصلح على أن يُؤمِّنه يزيد على نفسه وأهل بيته وأمواله .[2] ثم توجه إلى " جرجان " التي سارع حكامهـا إليه وطلـبو إقرار الصلح السّابق الذي كان قد صالحهم عليه سعيد بن العاص[3] في سنة 30هـ (650م) والذي لم يسيروا عليه طويلا وتمردوا وخاصة أن المنطقة لم يُعِد فَتْحَهَا بعد سعيد أحدٌ قبل يزيد[4] الذي ما إن أعاد صلحها حتى توجه إلى إقليم " طبارستان [5] الذي أعاد فتحه [6] لكن" جرجان " سرعان ما أعادت التمرّد وقتل أهلها بعض أصحاب يزيد الذين أبقاهم فيها ، فعاد إليها يزيد ثانية ، ولما علم ملكها بذلك تحصّن و أتباعه في مكان ليس له إلا طريق واحد ، فظل المسلمون يحاصرونها لمدة سبعة أشهر دون أن يظفروا بأحدهم إلى أن تمكن أحد المسلمين من الإهتداء إلى الحصن ، فنشبت المعركة التي انتهت بنجاح المسلمين فدخلها الوالي[7] وبنى مدينة جرجان التي لم تكن قد بُنيت قبل ذلك[8] واستعمل عمالا وعاد إلى " مرو" وكتب بالنصر إلى الخليفة سليمان وأخبره أنه سيحمل له ستة آلاف ألف مع أن كاتبه المغيرة بن أبي قرّة نصحه الا يرتبط مع الخليفة ببيان مقدار المال ، تجنبا للنتائج التي يمكن أن تترتب على ذلك ، لكن يزيدا أمضى الكتاب .[9] وفي هذه الأثناء توفي الخليفة سليمان بن

---

(1) تقع " دهستان " على أربع مراحل من مدينة جرجان ، بالقرب من بحرقزوين . كي لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ص 420.

(2) الطبريّ ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 198. ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 30.

(3) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي القرشي ولد في 3 هـ 624 م ، صحابي من الأمراء الولاة الفاتحين ولاّه عثمان على الكوفة وولاّه معاوية المدينة ، فتح طبارستان وتوفى في 59 هـ / 679 م.الزركلي،الأعلام ج 3 ص 149.

(4) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 198 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 30.

(5) طبرستان معناها بالعربية بلاد الجبل ، تتالف معظمها بما يُعرف اليوم بجبال ألبَرْز (ألبْرز) المتدة بحذو الساحل الجنوبي لبحر قزوين.كي لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ص 409.

(6) الطبري ، تاريخ الأمم والموك ج 8 ص 123 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 31 .

(7) الطبري، نفس المصدر ج 8 ص 125 ، ابن الأثير ، نفس المصدر ج5 ص 35.

(8) الطبري، نفسه ،ابن الأثير،نفسه.القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ص 348.

(9) الطبري ، نفسه ج 8 ص 125 ، ابن الأثير ، نفسه.فلهوزن تاريخ الدولة العربية ص 425.

عبد الملك ووَلِّي الخلافة عمر بن عبد العزيز[1] في صفر سنة 99هـ (717م)[2] ، الذي ما أن بدأ مهامه حتى كتب إلى يزيد بن المهلّب يطلب منه أن يستخلف على خراسان ويقبل إليه. فاستخلف يزيدُ ابنه مخلدا وخرج من الإقليم متماطلاً، فنزل واسطا ثم ركب السفن يُريد البصرة فأدرك ذلك الخليفة . فكتب إلى واليه على البصرة عدي بن أرطا[3] يأمره بإرسال يزيد بن المهلب إليه موثوقا . فسرعان ما تم ذلك ودعا الخليفة يزيدا يسأله عن الأموال التي كتب بها إلى الخليفة سليمان ، لكنّ يزيدًا أنكرها قائلا إنه كتب ذلك ليسمع الناس بعظمة فتوحاته ، وأنه كان يعلم أن الخليفة سليمان ما كان ليأخذه بما قال ، لكن الخليفة عمر لم يصدق ذلك لأنه كان يراه جباراً[4] فلم يجد في أمره إلا حبسه[5] .

(1) ولد بحلوان ، بمصر عندما كان أبوه أميرا عليها وذلك في سنة إحدى وقيل ثلاث وستين ، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب . السيوطي تاريخ الخلفاء ، ص 273 ، البلخي ، البدء والتاريخ ج6 ، ص 45 .

(2) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج8 ص 128 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج5 ص 38 ، البلخي ، البدء والتاريخ ج 6 ص 44 وما بعدها ، الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحيّ بن العماد) المتوفى 1087م شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع لبنان ، دت ج 1 ص 116 ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج9 ، ص 184، أبو الفدا ، مختصر أخبار البشر ج1 ق 1 ص 200.

(3) عدي بن أرطأ الفزاري ، أبو واثلة أمير من أهل دمشق ، كان من العقلاء الشجعان ، ولاّه عمر بن عبد العزيز على البصرة سنة 99هـ فاستمرّ إلى أن قتله معاوية بن يزيد بن المهلب بواسط في فتنة أبيه يزيد بالعراق وذلك في سنة 102هـ ، الزركلي، الأعلام ج 5 ص 8.

(4) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج8 ص 132 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج5 ص 49 .

(5) الطبري، نفس المصدر والصفحة ، ابن الأثير ، نفس المصدر والصفحة ، اليعقوبي، البلدان ص 301 ، البلخي البدء والتاريخ ج6 ص 46 ، إبن كثير ، البداية والنهاية ج9 ص 185، الجهشياري (أبو عبد الله محمد ابن عبدوس الجهشياري)، الوزراء والكتاب ، حققه ووضع فهارسه ، مصطفى السّقا وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة 1357 هـ / 1938م ط1 ص 50 ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج2 ، ص 301 ، الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج1 ص 124 ، محمد ضياء الدين الرّيس ، الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية، دار الأنصار القاهرة 1977 ط4 ، ص 226 ، نبيه عاقل ، دراسات في تاريخ العصر الأموي المطبعة الجديدة دمشق 1395- 1396هـ 1975 -1976م ص 207 و 208 ، عبد الله مبشر الطرازي ، موسوعة التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب (باكستان الحاليه) في عهد العرب، عالم المعرفة جده 1403هـ 1983 م ج1 ص229.

من خلال ما عرضناه من أحداث نستطيع أن نقول إن خراسان لم تعرف استقراراً ثابتا منذ بداية الفتوحات الإسلامية لها في سنة 22هـ (642م) إلى نهاية القرن الهجري الأول وذلك لعدة أسباب نحصرها في النقاط التالية :

1. كثرة نقض المرازبة للصلح – الذي كان يعقد فيما بينهم وبين الولاة الفاتحين– وخاصة في منطقة طخارستان وبلخ والجوزجان وبادغيس .

2. ظهور العصبية القبلية بين عرب خراسان التي وإن كانت قد بدأت بسيطة ، فقد تفاقمت أخطارها كلما اقتربنا من تاريخ نجاح الدعوة العباسية في الإقليم .

3. اعتبار خراسان منطقة ثغرية جعلت ولّاتها يصبون أهتمامهم الكامل في طرد الأعداء الأتراك عنها بفتح إقليم ماوراء النهر الذي كان تحت إشرافهم والذي لم تَثبُت مُدنه أبداً على صلح مما جعل هؤلاء الولاة يعيدون فتحها في كل سنة مرة على الأقل فأعطت هذه الفتوحات للتاريخ الخراساني — في هذه العهود — الصبغة العسكرية الواضحة .

الفصل الثاني

الفصل الثاني:

ولاة بني أمية في خراسان وسياستهم

(100-132هـ / 718-749م)

إذا كان ولاّة بني أمية في خراسان في القرن الهجري الأول (41 — 99 هـ/661 — 717م) قد تمكنوا من حلّ جل مشاكل الإقليم ، فإن الولاة الأمويين في الثلث الأول من القرن الثاني الهجري وبخاصة المتأخرون منهم ، لم يتمكنوا من ذلك برغم حنكتهم ومحاولاتهم الجادة وذلك لأن مشاكل الإقليم لم تعد بسيطة البساطة التي كانت عليها في القرن الهجريّ الأول ، بل تعسّرت وظلت تتعسّر كلما اقتربنا من نجاح الدعوة العباسية وسقوط دولة بني أمية الذي أصبح حتميًا فيه. فالإقليم أصبح مجمعا للمعارضين وأرضا خصبة لأصحاب الدّعاوى وملتقى للثورات النّاتجة عن العصبية القبلية .

لقد اهتمّت مصادر التاريخ الإسلاميّ — في الغالب — بالحديث عن هذه الأحداث إلاّ أنّنا لا نكاد نجد أخبارًا خاصّة بولاّة بني أميّة بخراسان ، مما سبب ندرة كبيرة في المادة التي من خلالها نستطيع التعرف عنهم وعن أسلوبهم في الحكم . لذا ، اعتمدنا على بعض الاستنتاجات من الأحداث الواردة، ونشير هنا إلى أننا قسمنا هذا الفصل إلى عدة مباحث ، يعنون كل مبحث فيه باسم والٍ من ولاة هذه الفترة حسب تسلسلهم التاريخي.

1/ الوالي الجراح بن عبد الله الحكمي (99-100هـ/717-718م) :

عندما حلّ القرن الهجري الثاني على خراسان ، كان يتولاها الجراح بن عبد الله الحكمي[1] الذي كان قد ولاّهُ عليها وعلى إقليم سجستان الخليفة عمر بن عبد العزيز بعد أن حبس يزيد بن المهلب وعزل ابنه مخلدا وذلك في سنة 99هـ (717م) — وربطه مباشرة بالنظام المركزي الذي بموجبه يكون الوالي مسؤولا مباشرة أمام الخليفة ،[2] هذا

(1) هو الجراح بن عبد الله الحكمي أبوعقبة ، ولد بدمشق ونشأبها ، ولّي البصرة للحجاج ثم خراسان وسجسْتان لعمر ابن عبد العزيز ثم عزله عنها وبقي إلى أن ولاه الخليفة يزيد بن عبد الملك إمارة أرمينية وأُذربيجان ، التي بقي عليها حتى عزله الخليفة هشام بن عبد الملك في 108 هـ /726 م ليعيده على مهامه مرة أخرى في 111 هـ (729م) التي بقي فيها إلى أن مات في 112 هـ (730م).الزركلي ، الأعلام ج 2 ص 106 .

(2) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 9 ص 139 و 131 ، اليعقوبي ، البلدان ص 301 ، إبن كثير ، البداية والنهاية ج9 ، ص 185 ، إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ، ص 44، نبيه عاقل ، دراسات في تاريخ العصر الأموي ص 207و 208 ، رضى عبد الله عبد الحليم،دراسات في تاريخ خراسان ص 50 ، مسعود أحمد مصطفى يتبع

النظام الذي وإن لم تكن خراسان قد اعتادت عليه مع سائر خلفاء بني أمية ، فإنّهاكانت قد اعتادت عليه في العصر الساساني [1].

وما إن وصل الجراح إلى " مرو" حتى قام بإرسال حملة بقيادة ابن عمه " جهم بن زحر الجعفي " [2] لغزو الختل الذي انتصر عليهم انتصارا لم يتحقق مثله من قبل [3] ففرح الجرّاح كثيرا وبعث وفدا إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز يخبره بذلك حتى يصفح على جّهم الذي كان قد تمرد على والي البصرة عُديّ بن أرطأ بعدما بعث يعزله من " جرجان " التي كان عليها وقام بحبس عاملها الجديد .

كان الوفد المبعوث مكونا من ثلاثة رجال أحدهم من الموالي يسمى أبا الصيداء [4] الذي أدرك الخليفة أنه لم يتكلم فدعاه إلى الحديث فقال : " يا أمير المؤمنين عشرون ألفا من الموالى يغزون بلا عطاء ولا رزق ، ومثلهم قد أسلموا من أهل الذمة يؤخذون بالخراج ، وأميرنا الجراح عصبي جاف ، يقوم على منبرنا فيقول :" أتيتكم حافيا ، وأنا اليوم عصبي، والله لرجلٌ من قومي أحبّ إليّ من مائة من غيرهم ، وبلغ من جفائه أن كُمّ ذرعه، يبلغ نصف ذرعه ، وهو يعدّ سيفا من سيوف الحجاج ، قد عمل بالظلم والعدوان ."[5]

لقد أكّد ابن كثير[6] ما قاله أبو الصيداء واتهم الجراح مباشرة بأخذ الجزية ممن أسلم

= أقاليم الدولة الاسلامية بين اللامركزية السياسية واللامركزية الادارية،الهيئة المصريّة العامة للكتاب ،القاهرة ، 1990، ص 146.

(1) كرستنس ، إيران في عهد السّاسانيين ، ص 84 و ص 129 ، فتحي أبو سيف ، خراسان تاريخها السياسى من سقوط الطاهريين إلى بداية الغزنويين،مكتبة سعد رأفت القاهرة 1409هـ / 1988 م ط 1 ص 11 ، انظر أيضا FRYE (R) THEHERITAGE OF PERSIA .LONDON 1965 p 212.

(2) كان جهم سلف الجراح من قبل إبنتي الحُصَيْن بن الحارث ، وأما كونه ابن عمه فلأن الحكم و الجعفي إبنا سعد القشيري ، الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج8 ص 133،إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج5 ص 50.

(3) فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 427 ، رضى عبد الله عبد العليم ، دراسات في تاريخ خراسان ص 50.

(4) وهو صالح بن طريف الظبي ، من موالي بنى ضبة بخراسان ، الطبري،نفس المصدر ج8 ص 134 ، فلهوزن،نفس المصدر والصفحة ، أحمد عطية الله،القاموس الإسلامي ج 4 ص 277 .

(5) الطبري نفسه ، أبن الأثير،نفس المصدر ج 5 ص 51 ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقولي ج 2 .

(6) البداية والنهاية ج 9 ص 188.

لكنه أعطى مبررا مقنعا إذ يذكر شك الوالي في إسلام هؤلاء وقوله لهم " أنتم إنما تسلمون فرار منها " . كما إن البلاذري [1] يؤكد عصبية الجراح " المطلقة " قائلا :" إن الجراح كان يضع نقراً[2] من الذهب والفضة ويصيرُها تحت بساط في مجلسه على أوزان مختلفة فإذا دخل عليه الداخل من إخوته والمعتزين به رمى إلى كل امرئ منهم مقدارا ما يُؤهل له ".

ومع ذلك يبدو أن ما قيل في الجراح كان يحمل المبالغة الكبيرة ،ولعل ذلك يعود إلى كُره الخراسانيين له ليس إلا، لأنه كان واحدًا من جماعة الحجاج بن يوسف الثقفي[3]. ولاشك أن الخُطبة التي ألقاها الجراح قُبيل خروجه من خراسان تعد أكبر دفاع عليه حيث قال أمام الملإ . " يا أهل خراسان جئتكم في ثيابي هذه التي عليّ وعلى فرسي،لم أصب من مالكم إلا حُليـّة سيفي"[4] و يؤكد ذلك الطبري [5] وابن الأثير [6] اللذان يذكران :" أن الجراح لم يكن يملك إلا فرس قد شاب وجهه وبغلة قد شاب وجهها ".

أما قضية ترك الجزية على داخلي الإسلام الجدد ، فكان من حقه أن يتأكد من إسلام هؤلاء ، ويبدو أنه كان مقتنعا أن إسلامهم " ليس إلا هروبا منها " [7]فعلى الرغم من أن الخليفة عمر بن عبد العزيز كتب له أن :" انظر مَن صلى قِبَلك [إلى القبلة] فضع عنه الجزية "[8] إلا أنه ظل معارضا وهو القريب منهم يرى ما لم يره الخليفة وخاصة أن الكثير من مقربيه كانوا يؤكدون له ذلك ، فطلبوا منه في الأخير أن " يمتحنهم بالختان"[9]. فبعث بذلك إلى الخليفة الذي لم يكن يسيءُ الظن في هـؤلاء فرد عليه :" إن الله بعث

---

(1) فتوح البلدان ص 660.

(2) نقرٌ نقارٌ وهي القطعة المذابة من الذهب أو الفضة.مجمع اللغة العربية،المعجم الوسيط ج 2 ص 945.

(3) الطبري ، تاريخ الأمم والموك ج 8 ص 134 ، إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ج5 ص 51 .

(4) الطبري، نفس المصدر و الصفحة ، إبن الأثير ، نفس المصدر و الصفحة .

(5) نفسه .

(6) نفسه .

(7) ابن كثير ، البداية و النهاية ج 9 ، ص 188 .

(8) الطبري ، نفسه ، إبن الأثير ، نفسه ، إبن كثير ، نفس المصدر والصفحة .

(9) الطبري ، نفسه ج 8 ص 134، إبن الأثير ، نفسه ج 5 ص 51 ، عماد الدين خليل ، ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز،مؤسسة الرسالة بيروت دت ط6 ، ص 85.

محمداً (ﷺ) داعيا ولم يبعثه خاتنا".[1] واستدعاه وعزله وذلك في شهر رمضان سنة 100 هـ (718م) بعد ولاية دامت حوالي العام والنصف [2].

لقد كانت خراسان في عهد الجراح مضطربة تشهد بعض التمردات ، وإن كانت المصادر قد أغفلت الحديث عن ذلك ، فإننا نستنتجه من خطاب بَعَثه الوالي إلى الخليفة عمر يطلب منه الإذن بالتشدد مع أهلها قائلا :" إني قَدِمْت خراسان فوجدت قوما قد أبطرتهم الفتنة ، فَأَرْحَب الأمور إليهم أن يعودوا ليمنعوا حق الله عليهم فليس يكفيهم إلا السيف والسوط ،فكرهت الإقدام على ذلك إلا بإذنك "[3]. لكن الخليفة منعه من ذلك قائلا: "يا ابن أم الجراح ، أنت أحرص على الفتنة منهم ، لا تَضربنّ مؤمنا ولا معاهدا سوطا إلا في الحق واحذر القصاص ..."[4] فلم يعارض أمر الخليفة مما جعل سيرته حسنة [5] برغم الاتهامات التي اتهم بها . فقد عمل على نشر الإسلام تحت إشراف الخليفة ، فبعث بالقائد " السليط بن عبد الله الحنفي " ، إلى التّبت[6] و ذلك بعدما وصله وفدٌ منهم يسألونه أن يبعث إليهم مَن يعرض عليهم الإسلام .[7]

---

[1] الطبري تاريخ الأمم والملوك ج8 ص 134، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 51،ابن كثير ، البداية والنهاية ج9 ص 188 ، فلهوزن/تاريخ الدولة العربية ص 428.

[2] الطبري ، نفس المصدر والصفحة ، ابن الأثير ، نفس المصدر والصفحة،ابن كثير ، نفسه ، فلهوزن ، نفس المرجع والصفحة .

[3] الطبرى نفسه ج8 ص 134 ، إبن الأثير ، نفسه ج 5 ، ص 52،عماد الدين خليل، ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز ص 161، صجي محمصاني ، تراث الخلفاء الراشدين ، في الفقه والقضاء/دار العلم للملايين ، بيروت 1984 ط1 ص 39.

[4] الطبري ، نفسه ، ابن الأثير، نفسه ، السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص 288.

[5] اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ج2 ص 302.

[6] التبت إقليم جبلي يقع في قلب قارة آسيا ، تتصل حدوده الحالية من الجنوب بولاية " كشمير " وجمهورية الهند و مملكة نيبال ومن الغرب بجمهورية تاجيكستان ومن الشرق والشمال الصين التي بسطت نفوذها عليه في سنة 1959 ، أحمد عطية الله،القاموس الإسلامي ج1 ص 434.

[7] اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ج2 ص 302 ، واليعقوبي ، البلدان ص 301، عماد الدين خليل ملامح الإنقلاب ص 86 ، شكرى فيصل ، المجتمعات الإسلامية في القرن الهجري الأول (نشأتها ، مقوماتها وتطورها اللغوي والأدبي)دار العلم بيروت (دت) ص 210.

وكانت النتيجة أن دخل فيه منهم أكثر من أربعة آلاف [1] كما بعث بالقائد عبد الله ابن معمر اليَشْكُرِي إلى ما وراء النَّهر ليعيد فتح بعض من انتقضوا الصلح فيه .[2]

2/ الوالى عبد الرحمن بن نعيم الغامدي 100 هـ 102/718-720 م :

لما أراد الخليفة عمر بن عبد العزيز اختيار والٍ على خراسان وسجستان بديلا عن الجراح ، طلب إحضار رجل صدوق عالم بأحوال الإقليم ورجاله ، فقالوا له " عليك بأبي محلز "[3] فأحضره وسأله عن عبد الرحمن بن نعيم الغامدي فقال :" ضعيف ليّن يحبّ العافية وتأتي له " فقال الخليفة :" الذي يحبّ العافية وتأتي له أحب إليّ "[4] فولاّه ولاية الصلاة والحرب [5] التي بموجبها لا يصبح مسؤولا على إمامة الصلاة والجهاد فقط ، بل على كل الأمور الدينية والسياسية والإدارية ، فهي في لغة السياسة الشرعية " إمارة خاصة" وليست " إمارة عامة"[6] ذلك لأن الخليفة جعل أميراً خاصاً لجباية الأموال والخراج ليكون مسؤولاً مباشرة أمامه وهو "عبد الرحمن بن عبد الله القشيري " الذي كان ذا همة وإقدام [7] وكتب إلى أهل خراسان قائلا :" إني استعملت عبد الرحمن بن نعيم على حربكم وعبد الرحمن بن عبد الله القشيري على خراجكم من غير معرفة مني بهما ، ولا اختيار إلا ما أُخبرت عنهما ، فإن كانا على ما تحبون فاحمدوا الله ، وإن كانا على غير ذلك فاستعينوا بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله "[8] .

---

(1) عماد الدين خليل ملامح الانقلاب ، ص 86 ، سير توما آرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، (بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية) ترجمه إلى العربية ، حسن إبراهيم حسن وآخرون النهضة المصرية،القاهرة 1957 ط 2 ، ص 106 .

(2) اليعقوبي تاريخه ج 2 ص 302 ، اليعقوبي ، البلدان ، ص 301 ، البلاذري ، فتوح البلدان ص 599.

(3) الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ، ص 135 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج5 ص 52 .

(4) الطبرى ، نفس المصدر والصفحة،ابن الأثير ، نفس المصدر والصفحة ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج9 ص 188

(5) الطبرى ، نفسه ، ابن الأثير ، نفسه .

(6) الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي) توفى 450 هـ،الأحكام السلطانية والولايات الدينية ،شركة محمد محمود الحلبي وشركاه القاهرة 1393 هـ (1973م) ط3 ، ص 32.

(7) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك د 8 ص 135 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج5 ص 52.

(8) الطبرى ، نفس المصدر و الصفحة ، ابن الأثير ، نفس المصدر والصفحة .

لقد كان الخليفة عمر يعتبر خراسان أهم وأعظم ثغر في البلاد[1]، لِذَاوَجَّهَ لها الكثير من الاهتمام حتى تشهد استقراراً ملحوظا في عهده فعمل على اختيار عبد الرحمن بن نعيم ، الرجل اللين الضعيف الذي لا يرغب في الحرب وأبعد الإقليم عن العصبية القبلية بأن قسّم إمارته إلى إمارتيين جعل حربها وصلاتها لأزْدِيّ من أَزْدِ الكوفة [2] بعيداً عن أَزْدِخراسان الذين كانوا قد قدموا من عُمَان إلى البصرة في أواخر عهد الخليفة معاوية ثم دخلوا خراسان مع الفاتحين وكَوَّنُوا حِزْبًابها .[3] وجعل خراجها لقيسي [4] وذلك حتى يسوي بين عرب اليمن وعرب مضر[5] ، ثم عمل على إبعاد الإقليم من فوضى الغزوات اللامتناهية التي كانت تقوم على إقليم ما وراء النهر ، فمنع عبد الرحمن بن نعيم من الغزو نهائيا فيه قائلا : "فلا تغزو بالمسلمين ، فحسبهم الذي قد فتح الله عليهم " كما طلب منه أن يعيد المسلمين وذراريهم الذين قطنوا فيه إلى خراسان خوفا عليهم من غدر الترك . إلا أنهم أَبَوْا وقالوا " لا تَسَعُنَا مرْو " .[6] كما ظل الخليفة دائما فطنا يقظا مراقبا لولّاته وعُمّالِه في الإقليم [7] دائم الكتابة لهم يأمرهم فيها بالخير وينهاهم عن الشر وُيبيّن لهم الحق ويوضحه لهم ويَعِظهم فيما بينه وبينهم ويُخوفهم بأس الله وانتقامه .[8]

لقد سار عبد الرحمن بن نعيم على أوامر الخليفة عمر فظلّ في مهامه حتى مات الخليفة [9] أما عبد الرحمن بن عبد الله القشيرى فيبدو أنه لم يحسن التصرف وذلك لأن

---

(1) الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ج8 ص 139.

(2) فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 282 .

(3) فلهزون ، نفس المرجع 381 و 428.

(4) نفسه ص 428.

(5) نجدة خمّاش ، الإدارة في العصر الأموي،دار الفكر دمشق 1400 هـ 1980 ط1 297.

(6) الطبري،تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 139 ، تاريخ اليعقوبي ج2 ص 302.

(7) نجدة خماش،الإدارة في العصر الأموي ص 104.

(8) ابن كثير،البداية والنهاية ج9 ص 188.

(9) الطبري،تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 139 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 52.اليعقوبي ، تاريخه ج 2 ص 302 ، اليعقوبي ، البلدان ص 301 فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 428.الخربوطلي علي حسني ، تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي السياسي والإجتماعي والإقتصادي،دار المعارف القاهرة 1959 ، ص 182.

الخليفة أسرع في عزله وعيّن عقبة بن زرعة الطائي بديلا عنه [1].

3/ الوالي سعيد بن عبد العزيز 102-103هـ/720-721م:

لما فرغ مسلمة بن عبد الملك[2] من حرب يزيد بن المهلب الذي كان قد هرب من السجن عند مرض الخليفة عمر بن عبد العزيز مرضه الأخير في سنة 101هـ (719م)[3] والتجأ إلى البصرة حيث تمرد على الخليفة الجديد يزيد بن عبد الملك[4] وأعلن عزله .[5] جمع الخليفة يزيد لأخيه مسلمة ولاية الكوفة والبصرة وخراسان تكريما له وذلك في سنة 102هـ (720م)[6] فاستعمل على خراسان صهره على ابنته [7] سعيد بن

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 139.

(2) مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم أميرٌ قائد من أبطال عصره ، من بني أمية في دمشق ، يلقب " بالجرادة الصّفراء " له فتوحات مشهورة سار في مئة وعشرين ألف لغزو القسطنطينية في دولة أخيه " سليمان " وبنى مسجد مسلمة بها سنة 96هـ وولاّه أخوه يزيد إمرة العراقين ثم أرمينية وغزا الترك والسند سنة 109هـ ومات بالشام في سنة 120هـ (738م)، الزركلي ، الأعلام ج 8 ص 122.

(3) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 137 ، إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 58، المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ج 3 ص 192 ، إبن كثير، البداية والنهاية ج 9 ص 219، الدينوري (أبو حنيفة أحمد ابن داود) المتوفى 282هـ ، الأخبار الطوال، مراجعة عبد المنعم عامر وجمال الدين الشيّال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي القاهرة 1960 ط 1 ص 331.

(4) يزيد بن عبد الملك وليّ الخلافة في اليوم الذي توفي فيه الخليفة عمر ، يكنى أبا خالد، أمه عاتكة بنت يزيد ابن معاوية توفي في " أربد "من أرض البلقاء من أعمال دمشق يوم الجمعة لخمس بقين من شعبان سنة 105 هـ وهو ابن 37 سنة فكانت خلافته أربع سنين وشهرا ويومين ، المسعودى ، مروج الذهب ج3 ص 206 ، أبو الفدا ، مختصر أخبار البشر ج1 ق1 ص 201 ، ابن كثير ، البداية و النهاية ج9 ص 232، ابن قتيبة ، المعارف، ص 159 ، السيوطي ، تاريخ الخلفاء ص 294.

(5) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 148 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج5 ص 71 ، النويري (شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهاب النويري) 677-732 هـ نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق علي محمد البجاوى الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1976 م ج 21 ص 186 .

(6) الطبري ،نفس المصدر ج 8 م 160 ، ابن الأثير، نفس المصدر ج 5 ص 90، اليعقوبي ، تاريخه ج 2 ص 311، النويري، نهاية الأرب ج 21 ص 332.

(7) الطبرى، نفسه ج 8 ص 161 ، ابن الأثير، نفسه ، البلاذري ، فتوح البلدان ص 600 ابن كثير، البداية والنهاية ج 9 ص 222.

عبدالعزيز[1] الذي يقال له سعيد " خذينة " لأنه كان رجلا ليّنا متنعما [2]، وإن كان هُوَيرَى أنه لُقّب كذلك لأنه " أرادوه على قتل أهل اليمن فأبَى "[3].

لقد كان لقَب " خُذينة"[4] بمعنى " دهقانة " منطبقا على شخصية سعيد بن عبد العزيز الذي كان لينا إلى حد أنه سمع بثورة " الصّغد " في " سمرقند" و بتحالف هؤلاء مع من حولهم من الأتراك [5] ولم يحرك ساكنا ، فلامه النّاس كثيرا على تركه للغزو ، فبعث القائدَ المقدام " شعبةَ بن ظهير النهشلي " عاملاً على المدينة ، الذي ما إن وصلها حتى أعلن الحرب وعاير عرب " سمرقند " كثيرا قائلا : " ما أرى فيكم جريحا ولا أسمع فيكم أنّةً "[6] لكنه لم يتمكن من كل تلك الجموع من الصغد والترك ، فعزله سعيد الذي اضطر إلى جمع قواته والتوجه إلى ما وراء النهر ، الذي ما إن قطعه حتى التقى بطائفة من الصغد وطائفة من الترك فتغلب عليها واكتفى بذلك مانعا جنوده من تتبع البقية [7]، التي عاودت الكرّةْ مرة أخرى بمجرد أن بدأت الجيوش الإسلامية تقطع النهر للعودة إلى خراسان و انتصرت عليها ، فبعث الوالي القائد " سُورة بن الحرّ الدّارميّ" الذي تمكن من إعادة فتح المدينة بعد أن حصرها .[8]

---

(1) هو سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 160 ابن الأثير، ج 5 ص 90.

(2) دخل علي سعيد لما حضر خراسان ملك أبغَرْ ، وسعيد في ثياب مصبغة وحوله مرافق مصبغة ، فلما خرج من عنده قالوا : " كيف رأيت الأمير ؟ " قال خُذَينة ، فلُقّب خذينة " و هي الدهقانة،ربة البيت،الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 160،ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج5 ص 90 ، البلاذري ، فتوح البلدان ص 600 .

(3) الطبري، نفس المصدر ، ج8 ص 429.

(4) يذكر البلاذري في فتوح البلدان ص 600 كلمة " حذيفة " بدلا من " خذينه" .

(5) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج8 ص 161 ، إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ج5 ص 90،البلاذري ، نفس المصدر والصفحة ، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 429.

(6) الطبرى ، نفس المصدر والصفحة ، إبن الأثير ، نفس المصر والصفحة .

(7) الطبري ، نفسه ج8 ص 164 ، ابن الأثير ، نفسه ج5 ص 95 ، النويرى ، نهاية الأرب في فنون الأدب ج21 ص 377، أحمد بن زينى دحلان ، الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، مطبعة المدني ، القاهرة ، 1387هـ 1968م ج1 ص 206،فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 429 .

(8) الطبري نفسه ج 8 ص 168 ، إبن الأثير نفسه ، ج5 ص 96 ، تاريخ اليعقوبي ج2 ص 311 .

لقد بالغ المؤرخون [1] كثيراً في وصف ليونة سعيد بن عبد العزيز وأختاروا أسلوب التهكّم في عرض تلك الأوصاف التي منها أنه " كان إذا بعث سرية فأصابوا وغنموا وسَبَوْا ، ردّ ذراري السّبي وعاقب السرية". ويبدو أن هذه الليونة في شخصه جعلته يتعصب لقبيلة قيس ويسيء كثيرا في معاملة الأزد، [2] كما جعلته يُهَوّن أصعب الأمور و يتغاضى عن الغوص فيها ، فعلى الرغم من أن جماعة من رجالات القوم أخبروه منذرين أن " هاهنا قوما قد ظهر منهم كلام قبيح " [3]؛ قاصدين بذلك الدعاة العباسيين الذين بدأوا يتوافدون على خراسان منذ سنة 100هـ/718م [4] ، فإنه لم يصدقهم واقتنع سريعا بما أبلغه هؤلاء الدعاة أنهم تجّار مشغولون بتجارتهم [5].

4/ الوالي سعيد بن عمرو الحرشيّ 103-104هـ/721-722م:

لم يرفع مسلمة بن عبد الملك ، الذي يراه الدينوري [6] " ذا عقل كامل وأدب فاضل" خراج العِرَاقيْن وخراسان للخليفة يزيد بن عبد الملك فرغب الخليفة في عزله لكنه استحيا فاكتفى باستدعائه وفي نفس الوقت وجّه " عمر بن هبيرة الفزازي [7] واليا على أعمال

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج8 ص 165 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 96.

(2) فلهوزن،تاريخ الدولة العربية ص 429.

(3) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص : 167 ، إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ج5 ص 100،الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص 333.

(4) الطبري ، نفس المصدر و الصفحة ، إبن الأثير،نفس المصدر والصفحة،الدينوري،نفس المصدر والصفحة .

(5) الطبري ، نفسه ج 8 ص 167 ، ابن الأثير،نفسه ج 5 ص 53 ، إبن كثير ، البداية والنهاية ج9 ص 189 اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 308 ، يوسف العش ، محاضرات في تاريخ الخلافة العباسية ، مطبعة فتى العرب القاهرة ، 1396-1397هـ / 1976-1977م ، ص 91.

(6) الأخبار الطوال ص 332.

(7) هو عمر بن هبيرة بن سعد بن عدي الفزازي ، أبو المثنى،أمير من الدهاة الشجعان بدوي أمي شارك في غزو الروم كما شرك في مقتل " مطرف بن المغيرة" المناوئ للحجاج فسُرّبه الخليفة عبدالملك واقطعه إقطاعا " ببرْزه " من قرى دمشق وولاه عمر بن عبد العزيز الجزيرة ، فغزا الروم من ناحية أرمينية فهزمهم وأسرمنهم خلقا كثيرا ثم ولي العراق وخراسان في عهد الخليفة يزيد بن عبدالملك ، التي عزله منها الخليفة هشام بن عبد الملك في سنة 105 هـ وولى خالد بن عبد الله القسرى عليها فسجن عمر الذي سرعان ما تمكن من الهروب ثم توسط له مسلمة بن عبد الملك عند الخليفة هشام الذي رضي عنه في الأخير ، توفى عمر في سنة 110 هـ ، الزركلي الأعلام ج5 ص 230.

العراقين [1] الذي ما إن وصل العراق حتى غزل كل عمال سلفه لكنه أبقى سعيد بن عبد العزيز في مهامه إلى أن وصلته شكاوى من بعض عماله في خراسان [2] فعزله وولّى سَعْدَ بن عمرو الحرشي[3] ، وذلك في سنة 103 هـ (721م)[4]، وإن كان البلاذري[5] واليعقوبي [6] يذكران : " أن مسلمة بن عبد الملك هو الذي عزل سعيد بن عبد العزيز ."

وما إن وصل سعيد الحرشي خراسان ، حتى قام يحثّ الناس على الجهاد قائلا: "إنكم لا تقاتلون عدو الإسلام بكثرة ولا بعُدّة ، ولكن بنصرة الله وعزّ الإسلام فقولوا :لا حول ولا قوة إلا بالله "[7] فانتشر صيته وأنزعج له " الصّغد " وخافوه خوفا شديداً[8] وبخاصة أنهم كانوا قد تعاونوا مع الأتراك ضدّ المسلمين في أيام سلفه سعيد بن عبد العزيز ، فعقدوا العزم على الخروج من بلادهم و الهجرة إلى " فرغانة " التي لم يكن للمسلمين فيها من سلطان مثل ما كان لهم في أماكن أخرى [9] مع أن مَلِكَهم أشار عليهم بمهادنة المسلمين

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والموك ج 8 ص 166،ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 97 ، رضى عبد الله عبد الحليم ، دراسات في تاريخ خراسان ص 55،ناجي حسن ، ثورة زيد بن علي،مكتبة النهضة بغداد دت ، ص 71.

(2) الطبري ، نفس المصدر ج8 ص 168 ، ابن الأثير ، نفس المصدر ج 5 ص 103 ، إبن كثير ، البداية والنهاية ج9 ، ص 223.

(3) هو سعيد بن عمر و الحرشي بن الأسود بن مالك بن كعب بن فدان بن الحرشي بن كعب بن ربيعة ، قائد من الولاة الشجعان من أهل الشام ، وهو الذي قتل " شوذب الخارجي" في سنة 101 هـ ، ولاّه إبن هبيرة خراسان سنة 103 هـ وولاه " هشام بن عبد الملك " غزو الترك سنة 112 هـ فأصاب منهم جموعا وأنقذ أسرى المسلمين من أيديهم ، الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص : 168 ، إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ج5 ص 103 ، الزركلي ، الأعلام ج 3 ص 152.

(4) الطبري، نفس المصدر و الصفحة ، ابن الأثير ، نفس المصدر والصفحة ، إبن كثير ، البدايةوالنهاية ج 9 ص 223 ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 300.

(5) فتوح البلدان ، ص 601.

(6) البلدان ص 301.

(7) الطبري، تاريخ الأمم والموك ج 8 ص 169 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج5 ص 104 ، النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ج21 ص395.

(8) ابن كثير ، البداية و النهاية ج9 ص 223 ، النويري ، نهاية الأرب ، ج21 ص 378.

(9) فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 429 ، رضى عبد الله عبد الحليم ، دراسات في تاريخ خراسان ص57.

ومفاوضة الحرشي قائلا : " لا تفعلوا ، أقيموا واحملوا إليه خراج ما مضى واضمنوا له خراج ما تستقبلون ، واضمنوا له عمارة أرضكم والغزو معه إن أراد ذلك واعتذروا مما كان منكم ، وأعطوه رهائن يكونون في يديه"[1] لكنهم خافوا وطلبوا من ملك فرغانة استجارتهم في مدينة خجندة[2] فوافقهم على ذلك ناوياً الخيانة فقد اتصل بالحرشي الذي سرعان ما قدم وحصرهم وعرفوا أنهم مهزومون لا محَا لَهُ"[3] فطلبوا منه الصلح فصالحهم " الحرشي " على أن يردوا ما في أيديهم من نساء العرب وذراريهم ، وأن يؤدوا ما كسروا من الخراج ولا يغتالوا احداً ولا يتخلف منهم بخجندة أحد ، فإن أحدثوا حدثا حلّتّ دماؤهم[4] لكن الصلح لم يَتمّ، ذلك لأن أحد أمرائهم قتل امرأة عربية وأخفاها بأن دفنها تحت الحائط ، فقضى القاضي بقتله مما جعل الصغد يثورون ويقتلون ما يقرب من مائة وخمسين من أسرى المسلمين الذين كانوا في أيديهم فأمر " الحرشي " بقتل جميع الجنود ثم قتل من ساعدهم من المزارعين ، ثم قام بإحصاء شامل لتجارهم الذين كان عددهم حوالي أربعمائة وأخذ ما عندهم من الأموال التي كانوا قد جلبوها من الصين [5] ثم توجه عائدا إلى خراسان وفي طريقه أخضع مدنا وقلاعا كانت قد نقضت الصلح .[6]

لقد كانت سيرة سعيد الحرشي حسنة واشتهر كثيرا بشجاعته ، فهو من الأبطال

---

(1) الطبري،تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 169 ، إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ج5 ص 104 .

(2) أو " خُجَنْد" مدينة تاريخية بتركستان تقع على نهر سيحون " شرداريا " عند استدارته شرقا صوب فرغانة ، اشتهرت ببساتينها وأنواع الفاكهة التي تجود فيهاء كي لسترنج ، بلدان الخلافةالشرقية ص 522 ، أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ، ج2 ص218.

(3) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 170 ، إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 108 ، النويري،نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج 21 ص 378 ، إبن كثير ، البداية والنهاية ج 9 ص 229 .

(4) الطبري، نفس المصدر والصفحة ، ابن الأثير ، نفس المصدر والصفحة ، النويري،نفس المصدر و الصفحة ، فلهوزن، تاريخ الدولة العربية ص 430

(5) الطبري ، نفسه ج 8 ص 172 ، ابن الأثير ، نفسه 5 ، ص 109 ، النويري،نفسه ج 21 ص 380 ، رضى عبد الله عبد الحليم ، دراسات في تاريخ خراسان ص 58.

(6) الطبري ، نفسه ، إبن الأثير ، نفسه،النويري نفسه ، فلهوزن ، تارخ الدولة ص 431 .

المشهورين الذين حققوا نجاحات مبهرة [1] و مع ذلك عزله عمر بن هبيرة وكاد أن يقتله [2] لأسباب ذكرتها المصادر منها أن سعيد الحرشي كان يستخف بالأمير عمر بن هبيرة ويناديه " بأبي المثنّى [3] بدلا من الأمير وأنه كان يكتب إلى الخليفة يزيد بن عبد الملك مباشرة متجاهله [4] ، وأنه لم يمشِ على أوامره ، فمثلا لقد قتل سعيد الحرشي الدهقان " ديوشي "[5] صاحب قلعة " بَرِيْنْجَنْ " فيما وراء النهر برغم أن عمر بن هبيره بعث يطلب منه إطلاق سراحه [6] وإنه لم ينفد أمره عندما طلب منه استخراج الأموال من قوم من عرب خراسان كانت أهواؤهم مع ابن المهلب.[7] ومهما كانت الأسباب ، فيبدو أن الذي كان بين ابن هبيرة والحرشي ما هو إلا منافسة للوصول إلى قلب الخليفة يزيد بن عبد الملك وبخاصة أن ذلك عرف بين رجالات قبيلة قيس التي كان قد اعتمد عليها الخليفة اعتمادا كليا .

5/ الوالي مسلم بن سعيد بن أسلم 104-106هـ/722-723م :

استخلف عمرُ بنُ هبيرةَ مَسلمَ بنَ سعيدٍ [8] على خراسانَ الذي ما إن وصلها حتى بدأ

---

(1) ابن كثير،البداية والنهاية ج9 ، ص 223

(2) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 175 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 116 ، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 431.

(3) الطبري ، نفس المصدر ج 8 ص 174 ، إبن الأثير ، نفس المصدر ج 5 ص 115 ، النويري،نهاية الأرب في فنون الأدب ج 21 ص 397.

(4) الطبري نفسه ج 8 ص 172 ، إبن الأثير نفسه ج5 ص 109 ، النويرى ، نفس المصدر ج21 ص 395 .

(5) يذكر الطبرى ، نفسه ، أن اسمه الحقيقي " ديواشنج " وعربوه " ديواشني " في حين يسميه إبن الأثير "الديوشى ".

(6) الطبري ، نفسه ، إبن الأثير ، نفسه ج 5 ص 110 ، النويرى ، نهاية الأرب ج 21 ص 395.

(7) الطبري ، نفسه ج 8 ، ص 177.

(8) هو مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة بن عمرو بن خويلد ، قيسي من رجال الحجاج بن يوسف الثقفي الذي تولى تربيته بعد وفاة أبيه سعيد ، فنشأ وتأدب مع أولاده فولاه عدي بن أرطأ ولاية خفيفة لكي يبدأ حياته ويرتفع،فقام بها وأحسن،ولما وقعت فتنة يزيد بن المهلب حمل مسلم الأموال التي كانت تحت يده إلى الشام فازداد شرفا فولاه ابن هبيرة بعد ذلك خراسان.الطبري ، تاريخ الأمم ، ج 8 ص 176، إبن كثير ، البداية والنهاية ج 9 ص 231 ، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 432 .

استعداده لغزو الصغد والترك بما وراء النهر لكنه لم يتمكن من التغلب عليهم[1] فعاد إلى مرو لينطلق في سنة 105هـ/ 723م لغزو " أفشينة" [2] التي تمكن منها وصالح ملكها على ستة آلاف رأس ثم جهز حملة لعبور النهر ولكن " الأزد" " وبكر" و" ربيعة" وَ ثَبوا في " طخارستان " وامتنعوا عن اللحاق به وكان على رأسهم " عمرو بن مسلم الباهلي- أخو قتيبة بن مسلم الوالي السابق-الذي كانت معه غالبية ربيعة و "البختري بن درهم " الذي تزعم بكر و الأزد، فبعث مسلم خليفته " نصر بن سيار الكناني[3] الذي تمكن من هزمهم عند البروقان مقرّ الحامية العربية في بلخ .[4] وفي هذه الأثناء كان الوالي مسلم قد قطع النهر مع مَن لحق به من أصحابه [5] فلما بلغ" بخارَى" بلغه خبر وفاة الخليفة يزيد بن عبد الملك و تولّي هشام أخيه الخلافة في شعبان 105هـ (723م). الذي سرعان ما عزل عمر بن هبيرة و عين [6] خالد بن عبد الله

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم ج 8 ص 178 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5ص : 125،النويري ، نهاية الأرب ، ج 21 ص 401 ، اليعقوبي ، البلدان ، ص 301.

(2) يسميها إبن الأثير و النوير ي " أفشين " ويذكر الطبري أنّ " أفشينة " مدينة من مدائن الصغد في حين يعد البلاذري الأفشين إسما لشخص ، حيث ذكر :" أن مسلم بن سعيد غزا " أفشين " فصالحه على ستة آلاف ، الطبري،تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص : 178 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 125 ، النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ج21 ص 403 ، البلاذري ، فتوح البلدان ص : 601.

(3) هو نصر بن سيار بن رافع من بني جندع بن ليث بن كنانة ،وهم رهط عبيد بن عمير بن قتادة الليثي يكنى أبا الليث،ولاه هشام بن عبد الملك خراسان فلم يزل واليا عليها عشر سنين حتى وقعت الفتنة فخرج يريد العراق فمات في الطريق بناحية " ساوة " ، ابن قتيبة ، المعارف،ص 180 ، الطبري، تاريخ الأمم و الملوك ج 8 ص 256.

(4) الطبري، نفس المصدر ج8 ص 182 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج5 ص 127 ، البلاذري ، فتوح البلدان ص 601 ، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص432 و 433.

(5) الطبري ، نفسه ج 8 ص 184.إبن الأثير،نفس المصدر ج 5ص 129 ، النويري،نهاية الأرب ج 21 ص 404 ، رضى عبد الحليم ، دراسات في تاريخ خراسان ص 61.

(6) هو هشام بن عبد الملك بويع بعد يزيد بن عبد الملك ، يكنى أبا الوليد وكان أحول وكان أحزم بني أمية ، توفي هشام " بالرصافة من أرض قنسرين في شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة وقد بلغ من السّن ستا وخمسين سنة وكانت ولايته عشرين سنة إلا أشهراً،ابن قتيبة ، المعارف،ص 160.الطبري ، تاريخ الأمم والوك ج 8 ص 283.ابن الأثير،الكامل في التاريخ ج 5 ص 261.

القسري [1] على العراقين الذى كتب إلى مسلم يأمره بإتمام غُزواته [2] فسار إلى " فرغانه " إلا أن العديد من جنده وعددهم أربعة آلاف فروا من المواجهة،وبرغم ذلك مضى الوالي حتى تجاوز " خُجَندة " ودخل أرض الترك ، ولكنهم هجموا عليه وهـزموه ، فلم يستطع أن ينصرف راجعا إلى المدينة عبر نهر " الشاش [3] إلا بمشقة كبيرة [4] وهناك بلغه خبر عزله وذلك في سنة 106هـ (724م).

لقد شهدت خراسان في عهد " مسلم بن سعيد " اضطرابا عَربِيًّا كبيرا تسبب في بدايته الأمير " عمر بن هبيرة " أولا وذلك لأنه فرض على سعيد أن يأخذ أموالا من بعض أغنياء عرب خراسان المعنيين على الرغم أن الوالي حاول أن يبعده عن ذلك حتى لا تتكاثر أمامه العقبات ذلك لأنّ هؤلاء المعنيين كانوا قوما شديدي النكاية بالعدو، ومعاقبتهم تضر أهل خراسان وقوتهم، إلا أن عمر أرغمه على ذلك [5] مما أدى إلى تمرد الأزد وبكر

---

(1) هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري ، من بجيلة ، أبو الهيثم ، أمير العراقين وأحد خطباء العرب وأجوادهم، يماني الأصل من أهل دمشق ، ولي مكة سنة 89هـ للوليد بن عبد الملك ، ثم ولاّه هشام العراقين سنة 105 هـ فأقام بالكوفة ، وطالت مدته إلى أن عزله هشام سنة 120 هـ وولّى مكانه يوسف بن عمر الثقفي وأمره أن يحاسبه فسجنه يوسف وعذبه بالحيرة ، ثم قتله في أيام الوليد بن يزيد ، وذلك في سنة 126 هـ (743م)،الزركلي، الأعلام ج 2ص 238.

(2) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 184 ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ د 5 ، ص 128 ، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب ج 21 ص 404،الحنبلي،شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج 1 ص 133.

(3) الشاش " هو إسم آخر لنهر " سيحون " أو " جكسارْتسْ " وسمي بالشاش لوقوع مدينة مهمة بهذا الاسم في القرب من ضفافه وهو يخرج من بلد الترك ويدخل إقليم فرغانه ويصل على خجنده ثم يجتاز مفاوز الغز و الترك حتى يصب في القسم الشمالي الشرقي من بحر " أرال ".كي لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ص 520.

(4) الطبري، تاريخ الأمم والموك ج 8 ص 187 ، ابن الأثير،الكامل ج 5 ص 129،النويري ، نهاية الأرب ج 21 ص 184.ابن كثير ، البدايةوالنهاية ج 9 ص 234، البلاذري ، فتوح البلدان ص 601،رضى عبد الله عبد الحليم ، دراسات في تاريخ خراسان ص 61 ، فلهوزن ، تاريخ الدولة الع ص 433.

(5) الطبري، نفس المصدر والصفحة ، ابن الأثير، نفس المصدر ج 5 ص 125 ، النويري ، نفس المصدر ج 21 ص 401.اليعقوبي ،البلدان ، ص 301.

وربيعة في "البروقان " وهروب العديد من الجنود من مَسلم ، الذي انتهى إلى الفشل أمام الترك .

6/الوالي أسد بن عبد الله القسري 106-109 هـ /723م727:

استخلف خالد بن عبد الله القسري أمير العراقين أخاه أسدًا[1] الذي كان لا يزال شابا[2] على خراسان التي ما إن دخلها حتى تهيأ لقطع النهر لاستكمال الحرب مع الصغْد فسار حتى أتى مدينتهم " سمرقند " وأعاد فتحها واختار " الحسن بن أبي العمرطة الكندي" عاملا عليها [3] الذي كان ضعيفا لدرجة أن المدينة ظلت تشهد غارات تركية تهدف إلى إخراج العرب منها ولم يحرك ساكنا وكان يكتفي غالبا بالدعاء عليهم ممّا أثار سخرية الناس وكرههم له .[4]

بعد أن عاد أسد من غُزو سمرقند وجه اهتمامه إلى داخل خراسان حيث ظلت هناك بعض المناطق تحتاج إلى إعادة غزو فَغَزا في سنة107هـ (725م) جبال " نمرون"[5] وصالح ملكها الذي اعتنق الإسلام،كما غزا أيضا جبال"الغور " وهي جبال بربع هراة وأعاد فتحها [6] ثم قام بنقل من كان بالبروقان -الحامية العربية في ربع بلخ — من الجنود إلى بلخ [7] و اقتطع لكل جندي منهم مسكنا بقدر مسكنه بالبروقان ، ومن لم يكن له مسكن

---

(1) الطبري،تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 187 ، إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص131،البلاذري،فتوح البلدان ص 601،فلهوزن ، تاريخ الدولةالعربية ص 433 .

(2) فلهوزن ، نفس المرجع والصفحة .

(3) الطبري ، نفس المصدر والصفحة ، ابن الأثير ، نفس المصدر والصفحة ، البلاذري،نفس المصدر ص 602.

(4) الطبري ، نفسه ج 8 ص 188،ابن الأثير،نفس ج 5 ص 132 ، البلاذري ، نفسه ، رضى عبد الله عبد الحليم،دراسات في تاريخ خراسان ص 62.

(5) وهي جبال في خراسان مما يلي جبال الطالقان ، الطبري ، نفسه ج 8 ص 189،ابن الأثير،نفسه ج 5 ص 137 ، يسميها البلاذري ، " نمرود " .

(6) الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج 1 ص 135 ، الذهبي ، العبر في خبر من غبر،ج 1 ص 133 رضى عبد الحليم ، دراسات في تاريخ خراسان ص 63.

(7) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 189 ، ابن الأثير،الكامل في التاريخ ج 5 ص 138،ابن كثير،البداية والنهاية ج 9ص 356 ، البلاذري ، فتوح البلدان ص 602.

اقطعه واحدا،وقام بخلط الجنود فيها ولم يجعلهم أقساما (أخماسا) حتى لا يتعصبوا فيما بينهم/وإن كان ابن أبي الربيع [1] يرى " أنه لا يمكن أبدا الجمع بين القبائل المتضادة والمتباينة في مدينة واحدة ." ومهما يكن فإن هذا النقل يبيّن ما القيمة التي كانت لناحية " طخارستان" في نظر أسد ، وبخاصة أنها ، برغم أن قتيبة بن مسلم كان قد اخضعها فلم يكن بها سوى " مرو الروذ " قاعدة ثابتة للسيادة العربية [2] ونظرا لأن ثغور خراسان وأعداءَهَا اللدُودين كانوا في شرقها ؛ نقل أسد العاصمة إلى " بلخ" وأمر بإعادة بنائها وأوكل ذلك إلى برمك أبي خالد بن برمك الذي كلّف بدوره الرعايا الأعاجم بذلك على أن يسقط قيمة العمل الذي يقومون به من الجزية التي كانوا يدفعونها .[3]

في سنة 108 هـ (725م) توجه أسد إلى" الختل " في حوض نهر جيحون ، لكنه لم يحقق انتصارا يذكر مما دعاه للعودة إلى " بلخ " بعد أن تعرض جنده إلى جوع شديد[4] .

لقد أحب أهل خراسان أسدًا كثيرا وتفاءلوا به [5] ووصفوه بالوالي الجَواد الشجاع[6] فهو وَفِيٌّ للخلافة،حاسما في حل مشاكلها ؛ فقد تعرض الدعاة العباسيون في عهده إلى محنة كبيرة حيث قطع أيدي وأرجل كل من عثر عليه ثم صلبهم عِبْرة [7]ومع ذلك تتهمه المصادر

---

(1) ابن أبي الربيع (أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي الربيع) كتاب سلوك المالك في تدبير الممالك ، تحقيق ناجي التكريتي ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ، 1987 ص 192 .

(2) فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 445 .

(3) الطبري،تاريخ الأمم والموك ج 8 ص 189 ، ابن الأثير،الكامل في التاريخ ج5 ص 138 فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 445.

(4) الطبري ، نفس المصدر والصفحة ، إبن الأثير/نفس المصدر ج5 ص 139، البلاذري،فتوح البلدان ص 602.

(5) الطبري ، نفسه ج 8 ص 187 ، ابن الأثير، نفسه ج 5ص 131.

(6) محمد أسعد طليس ، تاريخ العرب ، دار الأندلس ، بيروت (دت) ج 1 ص 157 . الزركلي ، الأعلام ج1 ص 291.

(7) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 8 ص 188 ،ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج 5 ص 136 ، الدينوري الأخبار الطوال ص 334 ، البلخي ،البدء والتاريخ ج6 ص 596، بدر عبد الرحمن محمد،الدولة العباسية (دارسة في سياستها الداخلية في القرنين الثاني والثالث الهجري) ، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة دت ص 13.

بالعصبيّة لأهله من اليمن ، فالطبري[1] وابن الأثير[2] ذكرا أنه قام بضرب عدد كبير من أشراف مُضَر ، ليس إلا لأنه تعصب ، دون ذكر سبب معقول لذلك الذي وجدناه عند البلاذري [3] عندما يقول " وبلغه عن نصر بن سيار كلام فضربه وبعث به إلى خالد مع ثلاثة نفر اتّهِمُوا بالشغب " . ومن هذا نستطيع أن نقول إن ضربه لهم كان مشروعا،ثم لو كان فعلا متعصبا لما كان قد بحث عن السّبب الذي يبعد جنوده عن ذلك حينما نقلهم إلى " بلخ " وأصر على خلطهم ، ثم إن قبيلة بُجيلة التي هو منها كانت تقف خارج مجموعة القبائل المتنازعة [4] ومهما يكن فقد اضطربت خراسان بعد هذا الحدث وبلغ أمرها الخليفة هشام الذي أسرع إلى مكاتبة الأمير خالد في العراق قائلا :" أعزل أخاك"[5] فعزله وشخص إلى العراق ومعه مجموعة من«دهاقين»خراسان الذي أحسن معاملتهم فارتبطوا به[6] .

7/ الوالي أشرس بن عبد الله 109هـ-111 هـ/727-729م :

ولّى الخليفةُ هشامُ خراسانَ بعد أسد للأشرس بن عبد الله السلمي [7] وأمره أن يبلغ خالدًا بذلك [8] فدخل الأشرس الإقليم وهو لا يزال مضطربا [9] فتولى صغيرَ الأمورِ وكبيرَها

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 193.

(2) الكامل في التاريخ ج5 ص 142.

(3) فتوح البلدان ص 602.

(4) فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 433.

(5) الطبري،نفس المصدر ج 8 ص 193 ، ابن الأثير ، نفس المصدر ج 5 ص 143 ، ابن كثير،البداية والنهاية ج 9 ص 259.

(6) الطبري ، نفسه ، فلهوزن ، نفس المرجع ص 434 ، الزركلي ، الأعلام ج 1 ص 291.

(7) هو أشرس بن عبد الله السلمي ، أمير من الفضلاء ، كانوا يسمونه " الكامل " لفضله ولاّه هشام بن عبد الملك إمارة خراسان فسُرّبِهِ الناس واستمر حكمه إلى سنة 112 هـ،الزركلي ،الأعلام ج 1 ص 332.

(8) الطبري،تاريخ الأمم ج 8 ص 195 ، ابن الأثير ،الكامل ، ج 5 ص 143 ، أحمد شلبي ، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية،الدولة الأموية والحركات الفكرية النهضة المصرية القاهرة 1969 ط 3 ج 2 ص 98.

(9) اليعقوبي ، البلدان ص 302.

لإصلاح الوضع[1] ثم فكر في تهدئة الصغد وجعل حدًّا لخروجهم عن الدولة الأموية بنقضهم المتواصل للصلح ، فآثر أن يسلك معهم الطريق الذي كان قد سلكه معهم الخليفة عمر بن عبد العزيز ، وشجعه على ذلك كاتبه المولى " عميرة اليشكري[2] فاختار المولى أبا الصيداء — الذي كان قد اختاره الوالي الجرّاح بن عبد الله الحكمي ضمن الوفد الذي أوفده إلى الخليفة عمر في سنة 100 هـ (718م) — وجعله رئيس الوفد وطلب منه أن ينشر الإسلام بين الصغد على أن تُلغى الجزية على كل من يدخل الإسلام منهم [3] فتوجه إليهم وبدأ في نشر الدعوة الإسلامية وساعده في ذلك عامل سمرقند "الحسن بن أبي العمرطة" الكندي[4] " الذي كان قد ولاه عليها الوالي السابق أسد بن عبد الله القسري ،فسرعان ما نجحا في مهامهما وأنشئت المساجد الكثيرة وأخذ الوثنيون يدخلون في الدين زرافات[5] لكن الدهاقين الذين كانوا مسؤولين على جمع الضرائب لم يعجبهم هذا الأمر فكتب كبيرهم " غوزك " إلى الوالي قائلا : " إن الخراج قد انكسر "[6] وشككوه في إسلام هؤلاء فكتب الوالي إلى عامله على " سمر قند " يطلب منه التّحقّق في الأمر قائلا: " إن الخراج قوة للمسلمين وقد بلغنى أن أهل الصغد وأشباههم لم يسلموا رغبة إنما اسلموا تعوذا من الجزية ، انظر من اختتن وأقام الفرائض وقرأ سورة من القرآن فارفع خراجه"[7] وبعث " بهانى بن هاني " ليكون مسؤولا على خراج المدينة وطلب منه أخذ الجزية من هؤلاء بعد إجراء تحقيق إلا أن أبا الصيداء منعه من ذلك ، كما امتنع أهل المدينة من تقديم الجزية وتهيأوا للثورة وتوجه

---

(1) الطبري تاريخ الأمم والملوك ج 8ص 195.

(2) يذكر البلاذري في فتوح البلدان ، ص 602 :" أن عميرة اليَشّكُري يُكنَّى أبا أميّة كان كاتبا " نبطيا " للأشرس " في حين يذكر الطبري :" أنه كان على شرطته ثم عزله وولى السمط عليها ".

(3) الطبري ، نفس المصدر ج 8 ص 196،ابن الأثير ، الكامل ج5 ص 147،النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ج 21 ص 408 ، إبن كثير،البداية والنهاية ج9ص 259،البلاذري،فتوح ص 602 ، فلهوزن،تاريخ الدولة العربية ص 433.

(4) الطبري، نفسه ، ابن الأثير ، نفسه،فلهوزن ، نفس المصدروالصفحة .

(5) الطبري ، نفسه إبن الأثير ، نفسه،فلهوزن ، نفسه .

(6) الطبري نفسه ج 8 ص 197 ، ابن الأثير ، نفسه .

(7) الطبري نفسه ج 8 ص 196 ، ابن الأثير ، نفسه ج 5 ص 147 .

منهم حوالي سبعة آلاف واعتصموا على بعد سبعة فراسخ من المدينة ولحق بهم أبو الصيداء والوفد المبعوث .[1] ولما لم يقدر عليهم عامل المدينة عزله الوالي وولى مهامه للمُجشر بن مزاحم السلمي " الذي تمكن من رؤوسهم ، لكن الأشرس كاتبه في الأخير يقول " ضعوا عنهم الخراج "[2] .

كان لهذه الأحداث آثار بليغة ، جعلت الصغد يثورون و يسخطون ثم انتهوا لطلب المساعدة من الأتراك الذين سرعان ما انتقلوا وخاقانهم إلى واحة بخارى حيث تركزت الثورة ، فخرج إليهم الأشرس إلا أنهم قطعوا عنه طريق العبور إلى نهر جيجون مما أضطره إلى الإقامة في مدينة " آمل " أكثر من ثلاثة أشهر وذلك في سنة110هـ (728م)[3] لكنه تمكن من العبور في الأخير والوصول إلى مدينة " بيكند" التي كان قد وصلها القائد " قطن بن قتيبة بن مسلم " مع عشرة آلاف جندي قبل ذلك ، إلاّ أنهم حوصروا جميعا من قبل الأتراك الذين قطعوا عنهم الماء حتى مات حوالي سبعمائة من المسلمين . لكنهم تمكنوا في الأخير من الخروج من المأزق [4] وبدأ الأشرس يتهيأ لغزو " كمرجة" " التي كانت قرب " بيكند".

وما إن وصلها حتى أعاد الترك الحصار عليه واستمروا في ذلك ثمانية وخمسين يوما، لكن المسلمين لم يستسلموا حتى لم يجد الترك بُدًّا من ذلك الحصار وأعطوهم الأمان على أن لا يلتحقوا بالجيش التركي الأساسي الموجود ببخارى[5].

---

(1) الطبري،تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 197 ، إبن الأثير،الكامل في التاريخ ج5 ص 148.

(2) الطبري ، نفس المصدر والصفحة ، ابن الأثير،نفس المصدر والصفحة ، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 435.

(3) الطبري،نفسه ج 8 ص 198 ، ابن الأثير،نفسه ج 5 ص 149 ،النويري،نهاية الأرب في فنون الأدب ج 21 ص 409 فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 436.

(4) الطبري ،نفسه ، ابن الأثير،نفسه ج 5 ص 150،النويري ، نفس المصدر د 21 ص 419،فلهوزن ، نفس المصدر والصفحة .

(5) الطبري، نفسه ج 8 ص 202 ، ابن الأثير،نفسه ج5 ص 153 ، النويري،نفسه ج 21 ص 410 ، رضى عبد الله عبد الحليم ، دراسات في تاريخ خراسان ص 67.

لقد ساعدَ فشلُ " الأشرسِ " أمَامَ خَاقَانَ الأتْرَاكَ كثيرًا ، حيث أصبحت أيديهم طليقة متفرغة لمحاربة المسلمين في أي وقت في بخارى وأرض الصّغد كلها ، كما أنه لم يستطع أن يفتح أو يُعيد فتح أي أرض في ما وراء النهر؛ ومع ذلك لقد نال رضى الناس وحبهم ذلك لأنه كان رجلا فاضلا خَيِّرًا حتى أطلق عليه اسم الكامل [1] وهذا لأنه أحسن تهدئه أوضاع خراسان ، التي كانت ساخنة [2] قبل وصوله إليها بالعصبيّة القبلية .

8- الوالي الجنيد بن عبد الرحمن المري 111-116 /729-734 م :

لقد سارع الخليفة هشام في عزل الأشرس وتَوْلِيَةَ الجُنيد بن عبد الرحمن[3] على خراسان [4] وتذكر المصادر أن الجنيد كان قبل ذلك في الهند ، وعاد منها ومعه خمسمائة من جند الشام وأنه عمل على التقرب من الخليفة هشام وقدّم له بعض الهدايا النفيسة فولاّه على خراسان [5] ولا شك أن الخليفة هشامًا وهو الرجل الحازم[6] بل أحزم خلفاء بني أمية[7] عُرف بغزارة العقل والحِلْم والعِفّة[8]، لم يولّ

---

[1] الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 195.

[2] الطبري ، نفس المصدر والصفحة ، اليعقوبي ،البلدان ص 302.

[3] هو الجُنيد بن عبد الرحمن بن عمرو بن الحارثة بن خارجة بن سنان بن أبي حارثة المري من قيس ، من الشجعان الأجواد المدوحين ، وَلاّه الخليفة هشام على خراسان سنة 111هـ فثبت فيها إلى أن مات سنة 115 هـ ، الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 207 ،الزركلي ، الأعلام ج 2 ص 137 .

[4] الطبري ، نفس المصدر ج 8 ص 204 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج5 ص 156 ، النويري،نهاية الأرب في فنون الأدب في فنون الأدبج 21 ص 412 ، إبن كثير ، البداية والنهاية ج 9 ص 303، اليعقوبي ، البلدان ص 302 ، البلاذري ، فتوح البلدان ص 603 ، محمد أسعد طليس، تاريخ العرب ج 1 ص 150 ، أحمد ابن زيني دحلان ، الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية ص 218.

[5] الطبري ، نفسه ، ابن الأثير،نفسه ، ابن كثير،نفسه المصدر و الصفحة.

[6] السيوطى ، تاريخ الخلفاء ص 296.

[7] اليمقوبي ، تاريخه ج 2 ص 328 ، ابن قتيبة ،المعارف ص 159.

[8] ابن الطباطبا (محمد بن على بن طباطبا) ، الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية مطبعة محمد علي صبيح وأولاده،القاهرة 1381هـ 1962م ص 104.

الجنيدَ على خراسانَ لأنه تقرب منه وأهداه،إلاّ بعد دراسته دراسة جيّدة اقتنع على إثرها بشخصيته .

لقد بادر الجنيدُ فور وصوله إلى خراسان إلى نجدة " الأشرس " الذي عاود الترك حصاره في سمرقند، فاتجه إليها وتمكّن من التغلب على جموعهم عند مدينة" زرمان"[1] ثم فلّ الحصار على سمرقند واتجه إلى بخارى التي كان بها الجيش التركي الأساسي حيث انتصر هناك انتصاراً ساحقا و تمكن من أسر ملك الشاش وابن خاقان الترك وبعث بهما إلى الخليفة هشام [2] ونجح في قيادة جيشه سالما إلى خراسان بعد أن وزع عماله الذين جعلهم كلهم من مضر [3].

في سنة 112 هـ (730م) أرسل الجنيدُ عدّة حملات حربية إلى نواح عدّة تمردت وخصوصا ناحية طخارستان بخراسان التي وَجَّهَ إليها القائدَ " عمارةَ بنَ حريم " في ثمانية عشر ألفا ، ويبدو أن مناطق أخرى تمردت داخل الإقليم أيضا لم تذكرها المصادر التي اكتفت بالقول إن الوالي وجه القائد بسام الليثى في عشرة آلاف على وجه آخر[4] الذي قد يكون دائما في الناحية الشرقية من الإقليم في ربع بلخ حيث اعتاد المرازبة " التمرّدَ والإستغاثةَ بالأتراك ، في هذه الأثناء وصلت الجنيدَ استغاثةُ عامله على " سمر قند " سُورة ابن الحرّ التميمي" ، الذي اجتمعت عليه الترك . وعلى الرغم من أن الوالي كان قد وزع جيشه ولم يبق معه قوات كافية للحرب فإنّه قطع نهر جيحون حتى بلغ مدينة " كش" واختار طريق " العقبة الجبلي" للوصول إلى " سمر قند " لكن الترك هاجمته في شُعَب غير بعيدة منها ودارت بينهم معركة شرسة صبر فيها المسلمون يقاتلون حتى أُعيوا فكانت

---

(1) " زرمان " هي مدينة من مدن الصغد كانت على سبعة فراسخ من مدينة سمرقند. كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية ص 512.

(2) الطبري ، تاريخ الأمم ج8 ص 205.ابن الأثير ، الكامل ج5 ص 157. ابن كثير ، البداية والنهاية ج 9ص 303 النويري ، نهاية الأرب ج 21 ص 413 . البلاذري ، فتوح البلدان ص 603 ، رضى عبد الله عبد الحليم دراسات في تاريخ خراسان ص 67 ، أحمد بن زيني الدحلان ، الفتوحات الإسلامية ص 218.

(3) الطبري ، نفس المصدر ج8 ص 205.ابن الأثير ، نفس المصدر ج5ص 157 .

(4) الطبري ، نفسه ج8 ص 206، ابن الأثير ، نفسه ج5ص162.فلهوزن تاريخ الدولة العربية 437.

السيوف لا تحيك ولا تقطع شيئا [1] . فحصد الأتراك الكثير من أرواحهم وكاد الجنيد ومن معه أن يفشلوا لو لم يترجل بعض العرب وعلى رأسهم نصر بن سيار والعبيد-الذين كانوا في صحبة مواليهم من العرب-الذين قطعوا الخشب وقاتلوا به .[2] ومع ذلك ظل المسلمون دائما في خطر حيث إن الأتراك ظلوا دائما بجوارهم ينتظرون ، فأشير على الوالي أن يطلب المساعدة من عاملة "سورة بن الحرّ " الذي سرعان ما خرج من سمرقند متوجها إليه وعندما بقي على وصوله حوالي فرسخ خرج خاقان مع جموع الترك وقتل سورة ومن معه حتى لم ينج منهم غير ألفين ويقال ألف[3].

يتهم الطبري [4] وابن الأثير [5]الجنيدَ في أنه طلب قدوم "سورة " من سمرقند إليه في الشُعَب ، حتى يتوجّه إليه خاقان ويهلكه وينجو هو وأصحابه ، لكن يبدو أن هذا الإتهام ليس فيه شيء من الحقيقة ، ذلك لأن الجنيد كان قد رسم خطة مفادها أن يتوجه خاقان للقاء سورة فعلا ، لكنه يخرج هو وأصحابه ويتبعونه فيُحْصر خاقان ويتقهقر بينه وبين سورة ، وهذا ما حصل فعلاً . إلا أنه تأخر عن الوصول في الميعاد المعلوم ذلك لأن الكثير من قوته خافت ملاقاة الأتراك فتثاقلت [6] حتى انتهى خاقان من سورة وقدم إليهم لكن الجنيد أدرك تلك المعنويات الهابطة لدى جيشه ، فسارع وأعلن " أيّ عبد قاتل فهو حُرّ " مما جعلهم يقاتلون قتالا عجيبا حتى انهزم الأعداء .[7]

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 208 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج5 ص 164 ، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 438.

(2) الطبري ، نفس المصدر والصفحة ، ابن الأثير ، نفس المصدر والصفحة ، النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ج 21 ص 418.

(3) الطبري ، نفسه ج 8 ص 210.ابن الأثير ، نفسه ج 5 ص 166 ، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 438 .

(4) نفسه ج 8 ص 209.

(5) نفسه ج 5 ص 165.

(6) الطبري ، نفسه ج 8 ص 210 ، ابن الأثير ، نفسه ج5 ص 167.

(7) الطبري ، نفسه ، ابن الأثير ، نفسه.

اتجه خاقان بعد ذلك إلى بخارى،لكن الجنيدَ لحق به وتمكن من التغلب عليه عند " الطواويس "[1] ثم دخل بخارى[2]. وفي هذه الأثناء وصلته الإمدادات الحربية قدرها عشرة آلاف رجل من أهل البصرة كان قد طلبها من الخليفة هشام فوجهها إلى سمرقند[3] ولما استقرت الأمور في الصّغد قرر الجنيد العودة إلى خراسان قبل حلول الشتاء[4].

لقد استمر الاستقرار في بخارى وسمرقند بعد ذلك إلى ما بعد وفاة الجنيد،ونستنتج ذلك من المصادر التي لم تذكر شيئا عن التمردات والغزوات من سنة 113 هـ (721م) إلى 116 هـ (734م) السنة التي توفي فيها .[5]

لقد أحب أهل خراسان الجنيد كثيرا وتوجعوا لمرضه الذي مات على إثره [6] فهو وإن كان قد استعمل كل عماله من مضر[7] فلم يكن متعصبا لها . وما دفعه إلى ذلك هو خوفه من رؤوس الأزد وبكر و ربيعة الذين سبق أن تمردوا على الوالي مسلم بن سعيد في البروقان ، وإن كان سرعان ما تخلص من هذه الآثار بعد أن تزوج من الفاضلة بنت يزيد بن المهلب الأزدي الزواج الذي كان سبب عزله[8] .

---

(1) " الطواويس " تكتب معرّفة في الغالب ، قريبة من " بخارى " وهي أكبر خمس مدن مجتمعة في داخل سور كبير، كي لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ص 506.

(2) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 212، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 170، النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ج 21ص420.

(3) البلاذري فتوح البلدان ص 603 ، ابن الأثير ، نفس المصدر ج 5 ص 182، الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج 1 ص144 ، النويري ، نهاية الأرب ج 21 ص 420 ، الدينوري، الأخبار الطوال ص 335 ، الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج1 ص 151.

(4) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 212 ، إبن الأثير ، نفسه ج5 ص170، النويرى ، نهاية الأرب ج 21 ص 420 .

(5) الطبري، نفس المصدر ج 8 ص 218 ، ابن الأثير، نفسه ج 5 ص 182، ابن كثير، البداية والنهاية ج 9 ص 312 ، الحنبلي، شذرات الذهب ج 1ص 151 ، الذهبي، العبر ، ج1 ص 144 .

(6) الطبري ، نفسه ج8 ص 219.

(7) الطبري ، نفسه ج 8 ص 205 ابن الأثير، نفسه ، ج5 ص 157.

(8) الطبرى ، نفسه ج 8 ص 218، ابن الأثير ، نفسه ج5 ص 172، ابن كثير، البداية والنهاية ج9 ص 319 النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب ج 21 ص 438.

لقد احسن الجنيد معالجة مشاكل خراسان،فقد تمكن من إعادة استقرارها عندما تمكن من اخضاع المناطق الشرقية منها التي كانت قد تمردت.كما أحسن إخراج الإقليم من تلك المجاعة التي حلّت به في سنة 115 هـ (723م) والتي ظهر خطرها وأضحا خاصة في ربع مرو وعاصمته الذي كان قد تعرض لجفاف استمر سنوات قبل ذلك بأن فرض على الكور الأخرى المساعدة فكتب إليها قائلا :" إن مرو كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رَغَدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فاحمِلوا إليها الطعام "[1]، كما أبقى الأسعار رخيصة مثلما كانت عليه من قبل برغم أن هذه الظروف تستوجب غلاءً فاحشا ، فضلا عن أنه كان يبادر بإعطاء المال لمن يسأله من الفقراء .[2] لذا فقد اشترك الجميع بوصفه بالفاضل السخي"[3] وجعلوه في مرتبة الأجواد الممدوحين مع أنه غير محمود عندهم في حروبه.[4]

9/ الوالي عاصم بن عبد الله 116-117 هـ (734-735م):

كان الجنيد عند مرضه قد استخلف ابنَ عمّه عمارةَ بن حريم على خراسان ، لكن الخليفة هشامًا كان قد عزل الجنيد قبل موته لأنه اعتبر زواجه من الفاضلة" بنت يزيد بن المهلب الذي سبق أن ثار على الدّولة ، خيانة ونصّب مكانه " عاصمَ بن عبد الله الهلالي"[5]

---

(1) الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 218.

(2) الطبرى، نفس المصدر والصفحة، أبن الأثير ، الكامل في التاريخ المصدر ج 5 ص 181.

(3) الطبري ، نفسه ج 8 ص 219 ، الدينوري،الأخبار الطوال ص 335 ، الآمدي (أبو القاسم الحسن بن بشر ابن يحيى) المتوفى سنة 370 هـ ، المؤتلف و المختلف،تحقيق عبد السّتار أحمد فراج دار،إحياء الكتب،القاهرة 1381 هـ (1961م) ص 108،ويذكر هؤلاء أن الشاعر أبا الجويرِيّة عيسى بن عصمة " رثى الجنيد فقال:"

هَلَكَ الجُودُ و الجُنيدُ جَميعاً فَعَلى الجُودِ والجُنَيْدِ السَلاَم

أصْبَحا ثاوِيَيْن في أرض مَرْو مـا تغنّتْ على الغُصُونِ الحَمَام

كُنْتُمَا نُزْهـة الكِرام فَـلما مُتّ مَاتَ النّدى وَمَات الكِرام

(4) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 182 ، الذهبي ، العبر في خبر من غبر ج1 ص 144، الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج1 ص 151.

(5) هو عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي من قيس وَلّاه الخليفه هشام على خراسان في سنة 116 وكان ضعيفا ، فعزله قبل أن يتم السنة ، الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 218و 226.

الذي أوصاه قائلا :" إن أدركتَه وبه رمق فازهق نفسه " إلا أن الجنيدَ كان سعيدَ الحظ إذ إنه مرض ومات قبل شخوص الوالي الجديد الذي اكتفى بعزل وحبس عمارة وعماله .[1]

وما إن بدأ عاصم مهامّه حتى أدرك أنه من الصعب عليه التحكم في أمور الأقليم وازداد هذا الإحساس فيه بعد أن خرج عليه الحارث بن سريج[2] الذي لبس السواد ودعا إلى كِتاب الله وسنة نبيه والبَيعة للرضا[3] وأقبل سريعا يتوسع في مدن كثيرة من الإقليم مثل بلخ والجوزجان والفارياب والطالقان ومرو الروذ[4] وعندما لم يتمكن منه عاصم كتب إلى الخليفة هشام على سبيل الإخلاص والنصيحة قائلا :" أما بعد يا أمير المؤمنين فإن الرائد لا يكذب أهله وقد كان من أمر أمير المؤمنين إلى ما يحق به عليّ نصيحتَه ، وأن خراسان لا تصلح إلا أن تُضم إلى صاحب العراق فتكون مواردها ومنافعها ومعونتها في الأحداث والنوائب من قريب ، لتباعد أمير المؤمنين عنها وتباطئ غياثه عنها"[5] وذلك لأن الخليفة كان قد فصل خراسان عن إشراف أمير العراق وأصبح هو المشرف عليها وعلى آختيار ولاتها، لأنه كان يراها " مَكْمن الداءِ وحِصْن الأعداء "[6] .

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 218 و ما بعدها ، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص172 ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج9 ص 312 ، النويرى،نهاية الأرب في فنون الأدب ج 21 ص 438،فلهوزن،تاريخ الدولة العربية ص 439 ، محمد خضري بك ، تاريخ الأمم الإسلامية،المكتبة التجارية الكبرى القاهرة ، 1382 هـ ط8 ، ج2 ص 193.

(2) الحارث بن سريج من سكان خراسان،قائد شجاع تمكن الأشرس بفضل شجاعته من الخروج من حصار بيكند في سنة 110 هـ ، (سيأتي الحديث عنه)الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 198 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 150،النويرى،نهاية الأرب في فنون الأدب ج21 ص 419.

(3) الطبري،نفس المصدر ج 8 ص 219 ، ابن الأثير،نفس المصدر ج 5 ص 183 .

(4) الطبري،نفسه ج 8 ص 220 ، ابن الأثير،نفسه ج 5 ص 184 ، الهادي حمودة الغزي،الشعر الأموي في خراسان والبلاد الإيرانية،الدار التونسية للنشر تونس 1396هـ (1976م) ص 34.

(5) الطبري ، نفسه ج 8 ص 222 ، ابن الأثير ، نفسه ج5 ص 185 ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج 9 ص 313 ، النويري ، نهاية الأرب ج21 ص 441، فلهوزن،تاريخ الدولة العربية ص 444.

(6) على الجارم ، مرح الوليد،دار المعارف القاهرة د ت ط3 ص 48 .

وفي الواقع،إن أمور خراسان لم تكن لتفلت من يد واليها بعدُ ، وما عبّر عاصمُ في سرعة مكاتبة الخليفة-إلا على شخصيته الضعيفة ؛ ذلك لأنه كان من شيمه الهروب من الغوص في المشاكل وحلّها ، وحدث هذا حينما علم أن أهل مرو يكاتبون الحارث فاختار الهروب منها و الإلتحاق بقومه القيسيين في نيسابور ولم يتنازل عن رأيه إلا عندما أعطاه أهلها بيعتهم بالطلاق و العتاق[1].ونتأكد من تسرعه هذا من الطبري [2]الذي يذكر أن عاصمًا ندم على بعثه للكِتاب إلى الخليفة وأخبر أصحابه ينتظر منهم مشورة إلا أن بعضهم تعجبوا لفعلته واستهزأوا منه قائلين :" أَبَعْدَمَا مضَى الكتابُ ؟ كأنك بأسد قد طلع عليك".

10- الوالي أسد بن عبد الله القسري 117- 120هـ/735-737م :

انتهى الخليفة هشام إلى عزل " عاصم" [3] وضم خراسان إلى العراق حيث كان خالد ابن عبد الله القسري لا يزال واليا عليها [4] مما جعله يعيد أخاه أسدًا من جديد على ولاية خراسان [5] وإن كانت هناك رواية أخرى تذكر أن الخليفة هشام هو الذي كاتب خالدا يأمره تَوْليةَ أخيه قائلا :" ابعث أخاك يُصلح ما أفسد ، فإن كانت رجيّة فلتكن به " [6].
ويبدو أن الرّواية الثانية هي الأقرب إلى الحقيقة وذلك لأن خالدا لم يكن يستطيع أن يعيد أخاه لولاية الإقليم بعد أن كان الخليفة قد عزله منه في المرة الأولى إلا بأمر من الخليفة ورضاه.

كان فخرا لأسد بن عبد الله أن يعود إلى خراسان للمرة الثانية ويُختار لها في ظروف عصيبة،فعمل منذ أن دخلها على كسب ثقة الخليفة وأهلها.ولما بلغ خبر إقباله للوالي

---

(1) الطبري،تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 222 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج5 ص 184.

(2) الطبري ، نفس المصدر والصفحة .

(3) الطبري، نفسه ج 8 ص 226.

(4) الطبري ،نفسه ج 8 ص 222 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج5 ص 186 ، النويري،نهاية الأرب في فنون الأدب ج21 ص 441 ، ابن كثير ، البداية والنهاية د 9 ص 313،اليعقوبي ، البلدان ص 302.

(5) الطبري، نفسه ، المبرّد (أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرّد) المتوفى 285 هـ،الكامل في اللغة والأدب دار المعارف بيروت دت ج 2 ص 391.

(6) الطبري ، نفسه ج 8 ص 226 ، ابن الأثير ، نفس المصدر والصفحة ، ابن كثير ، نفس المصدر والصفحة ، اليعقوبي ، نفس المصدر والصفحة ، النويري ، نفس المصدر والصفحة .

المخلوع عاصم ، خاف من معاقبة أسدله واختار مصالحة الحارث بن سريج معارض الدّولة الذي كان قد تمكّن في هذه الأثناء من التوسع كثيرا في الإقليم ، حتى لم يصبح لعاصم فيه سوى ربع مرو ونيسابور[1]؛ فكتبا بينهما كتابا تسمح قراراته للحارث بالنزول في أي كور خراسان شاء أي أن عاصما تنازل كليا على خراسان للحارث ، على أن يشتركا ويبعثا كتابا إلى الخليفة هشام يسأ لأنه العمل بكتاب الله وسنة نبيه وإلاّ يجتمعان على محاربته ، ولكي يكون هذا الاتفاق رسميا طلبا من رؤساء وأعيان العرب الإمضاء عليه ، فوافقوا على ذلك لكن أبا يحيى بن حصين سيد بكر رفض التوقيع لأنه اعتبره خلعاً لأمير المؤمنين[2] مما جعل الإتفاق يفشل ويعود الحارث وعاصم للحرب من جديد[3].

لقد بادر أسدُ مهامّه بحبس عاصم ومحاسبته عن الأموال التي أنفقها ثم أطلق سراح عمال الجنيد المسجونين [4] كما عمل على تشريف يحيى بن حصين سيد بكر الذي نال عنده وعند الخليفة هشام الدرجة الرفيعة ،[5] ثم تهيأ لقتل الحارث الذي دفعه خوفه من أسد إلى الهروب من خراسان إلى ما وراء النهر لكن أسدا اتبعه إلى هناك ، وبدأ في إخضاع الكثير من المدن التي وقعت في يده معتمدا على السيف أحيانا وعلى السياسة والصلح أحيانا أخرى ، وهنا يرى فلهوزن [6] أن " سمرقند " كانت من بين تلك المدن ، وإن كانت المصادر [7] لم تذكر ذلك صراحة واكتفت فقط بذكر " أن أسدا ذهب إلى هناك وقطع الماء عن

---

(1) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 226، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 188 ، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب ج 21 ص 442 .

(2) الطبري ، نفس المصدر ج 8 ص 224 ، إبن الأثير، نفس المصدر ج 5 ص 187 ، النويري، نفس المصدر والصفحة.

(3) الطبري ، نفسه ابن الأثير ، نفسه النويري ، نفسه .

(4) الطبري ، نفسه ج 8 ص 226 ، ابن الأثير ، نفسه ج 5 ص 188 ، النويري، نفسه ج 21 ص 442 ، رضى عبد الله عبد الحليم ، دراسات في تاريخ خراسان ص 72 ، فلهوزن، تاريخ الدولةالعربية ص 444.

(5) ابن حزم (أبو محمد علي بن سعيد) المتوفى 456 هـ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارن القاهرة سنة 1962 ص 317.

(6) تاريخ الدولة العربية ص 444.

(7) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 228، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج 5 ص 189 ، النويري، نهاية

المدينة " وكأنه قام بأعمال عدائية .

لقد تمكن أسد من التغلب على الحارث الذي التجأ هاربا إلى أصهاره " بني برزي" التغلبيين في قلعة " التبهوشكان " في طخارستان ، فرجع أسد إلى " بلخ " وبعث له جديع الكرماني [1] الذي حاصرها وتمكن من فتحها بعد أن أجهد الجوع والعطش أهلها [2] .

وبعد هذه الأحداث عاود أسد اهتمامه بمدينة " بلخ " فعمل للمرة الثانية على "اتخاذها داراً ونقل إليها الدواوين واتخذ المصانع" .[3] ويبدو أنّ هذا الاهتمام الجديد بالمدينة الذي ذكره الطبري[4] وابن الأثير [5] في أحداث سنة 118 هـ جعلت " فلهوزن "[6] يعتقد أن أسدا نقل العاصمة والجنود الذين كانوا " بالبروقان ،" إليها في هذه السنة — لأول مرة– وليس في سنة 107 هـ (689م) أثناء ولايته الأولى في خراسان ، وقد يكون معذورا وذلك لأن الولاة الذين جاءوا من بعد ولاية أسد الأولى عاودوا اتخاذ مرو عاصمة من جديد .

في سنة 118 هـ (736م) خرج أسد غازيا في ما وراء النهر قاصدا الختل الذين كانوا قد تحالفوا مع الحارث بن سريح الذي كان قد تمكن من الهروب من حصار قلعة "التبوشكان " وما إن علم أميرهم بقدوم أسد حتى استجاش " بخاقان " الترك لكنه أبلغَ أسدًا بذلك الذي سرعان ما اختار الانسحاب[7] .

=الأرب ج 21 ص 443.

(1) هو جديع بن على الأزدي الكرماني ، من أعيان خراسان ،ولد بكرمان فنسب إليها.اتصلت سيرته بإمارة نصر بن سيار على خراسان الذي أثار الأزد بحبسه جديعا لكن جديعا جمع عليه قومه وتملك جرجان ومرو غير أن نجاحه لم يدم طويلا إذ إن نصرا قتله عام 129 هـ (747م) أحمد عطية الله ،القاموس الإسلامي ج 1 ص 587.

(2) الطبري ، تاريخ الأمم ج 8 ص 229 • ابن الأثير ، الكامل ، ج5 ص 197 وما بعدها•فلهوزن،تاريخ الدولة العربية ص 446 • رضى عبدالله عبدالحليم ، دراسات في تاريخ خراسان ص 73 .

(3) الطبري، نفس المصدر ج 8 ، 230 • ابن الأثير، نفس المصدر ، ج 5 ص 198 •النويري نهاية الأرب ج21 ص 444 • ابن كثير ، البداية والنهاية ج 9 ص 320.

(4) الطبري ، نفسه ج 8 ص 230.

(5) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 198.

(6) تاريخ الدولة العربية ص 445.

(7) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج8 ص 231 • ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 200.

لقد برّر أمير الختل خيانته لخاقان في الرسالة التي كان قد بعثها إلى أسد قائلا :"..فإن لقيك على هذه الحال ظفر بك وعَادَتْني العرب أبدًا ما بقيت واستطال عليَّ "خاقان" واشتدت مؤونته وامتن عليّ بقوله أخرجتُ العربَ من بلادِكَ ورددتُ عليك مُلكَكَ"[1].

وما إن عبَر أسد نهرَ جيحون عائدا إلى خراسان ، حتى ظهر خاقان وجيوشه في الضفة الأخرى وهاجموا الفرقة الحاملة للأثقال والغنائم التي قدمها أميرُ الختل والتي كان أسد قد سرحها أمامه ، فُقتل الكثير وأُسر البعض واستولى خاقان على الأثقال والغنائم لكنه لم يهاجم الجيش الأساسي الذي تمكن أسد من إنقاذه بصعوبة والعودة به إلى " بلخ"[2] مما جعل الناس تستهزئ به والصّبية تُغيضه ببعض الأغاني المؤلفة بالفارسية[3]. ويبدو أنه حدث خلط بين أحداث ولايتى أسد لخراسان فالطبري[4] يذكر نفس الحدث ونفس الأغنية الصبيانية في أحداث سنة 108 هـ.

لقد ظل " خاقان " يبحث عن الفرصة التي بها يقضى على أسد وجيوشه ، وخاصة بعدما أدرك أنه الأقوى فذهب إلى " جغوية [5] الخُرْلخُي [6] " حاكم شرق " طخارستان " في خراسان الذي كان قد استجلب المُعارِضَ " الحارثَ بنَ سُريج" عنده واتفقوا جميعا على أسد فخرج خاقان ومَن معه من الأتراك والحُلفاء والأتباع متوجهين غربا ,وذلك في وسط

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج8، ص 231 • ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج5 ص 200 .

(2) الطبري ، نفس المصدر ج 8 ص 233 وما بعدهاابن الأثير ، نفس المصدر والصفحة • فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 446،رضى عبد الله عبد الحليم ، دراسات في تاريخ خراسان ص 74.

(3) الطبري ، نفسه ج 8 ص 234 .

قيل لأسد بالفارسية :

أزختلات آمديه ... بروتباه آمديه

آبار باز آمديه ... خشك نزار آمديه

معناه : لقد قدم من بلاد الختل عليه الخزي و العار.

(4) الطبري ، نفسه.

(5) " جغوية " يسميه ابن الأثير " جبوية " ، الكامل في التاريخ ، ج5 ص205.

(6) " خلخ" قبيلة تركية ، إبن خرداذبة ، المسالك والممالك ص 31 .

فصل الشتاء سنة 119 هـ (737 م) ، الفصل الذي يَصرف فيه والي خراسان الجند إلى أوطانها ، ولا يُبقي عنده إلا آلاف قليلة من أهل الشام .[1]

علم أسد بالخطر القادم في ليلة عيد الأضحى ، فأمر برفع النيران على المدينة لكي ينجو الناس بأنفسهم إلى بلخ،ثم أصبح في يوم العيد فصلى وخطب الناس وحثهم على القتال وضحىواستخلف " الكرماني بن علي " وسار للقاء " خاقان " في عدد ضئيل لم يتجاور 7 ألاف من الجنود الشاميين والخراسانيين.في هذه الأثناء كان " خاقان"يعسكر قريبا من بلخ في ناحية " الجوزجان " وكان قد بث الغارات في جميع النواحي ولم يبق معه إلا أربعة آلاف جندي فقط ، مما جعل مهمة أسد تسهل ، فوجه فرقةً قادها أمير " الجوزجان " من طريق كان يعرفه فهاجم " الخاقان" من الخلف فاضطره إلى الإسراع في الهروب وبذلك تحقق النصر لأسد ، الذي أعاد أسرى المسلمين الذين كانوا في أيدي الأعداء ، وتمكن من أخذ الكثير من أسرى الترك والغنائم ثم هم بالرجوع إلى بلخ ، وذلك لأن الشتاء حال دونه ودون مطاردة خاقان،وفي طريق عودته تلقّف خيْلاً للترك كانت منصرفة لتُغير على عاصمته بلخ فقتل العديد منها ، وارتدت بعد أن كانت قد بلغت مرو الروذ [2] .

مكث خاقان بعد هذا الفشل عند " جغوية " في طخارستان حينا ، ثم عاد إلى بلاده مع المُعارِض الحارث بن سريج من طريق " أشروسنة " [3] وبعد ذلك بقليل قتله أحد كبار

---

(1) الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 235 ، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 447.

(2) الطبرى ، نفس المصدر والصفحة ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 204 ، الذهبي ، العبر في خبر من عبر،ج 1 ص 145، الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج1 ص 153، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 445،رضى عبد الله عبد الحليم ، دراسات في تاريخ خراسان ص 75.

(3) إقليم آشرو سنة ويكتب أيضا : أُسْرُوشَنَة وَسَرُوشَنَة وسَتْرُوشَنَة يقع في شرق " سَمرقند " بين الرساتيق الممتدة في محاذاة يمين نهر الصغد والرساتيق التي في يسار نهر سيحون ،ولا يدخل هذان النهران ضمن إقليم آشرو سنة ، كي لسترنج،بلدان الخلافة الشرقية ص 517.

رجاله [1]، وعلى إثر ذلك ظل الترك في خلاف فيما بينهم وتفرقوا وانحاز بعضهم إلى"الشاش" ونعم المسلمون بفترة هدوء .[2]

كان الخليفة هشام قد عود نفسه على تلقي أخبار النكبات عن خراسان فلما وصلته أخبار أنتصار أسد على خاقان لم يكد يصدق ذلك ، وساعده في التشكيك مقربوه من القيسيين حسدا منهم لأسد ، فطلب الخليفة من خالد بن عبد الله القسري أمير العراق أن يأمر أخاه بتوجيه " مقاتل بن حيان النبطى " الرجل الصدوق من خراسان إليه ليقص له أخبار تلك المعارك ، التي اندهش لها الخليفة كثيرا.[3]

لقد وجد أسد بعد هذه الأحداث السعيدة الفرصة سانحة لغزو " الختل " فبعث قائده " مصعب بن عمرو الخزاعي " إليها . الذي نزل بقلعة فيها كان يحكمها " بدر طرخان " الذي طلب الأمان على أن يخرج لملاقاة أسد الذي ما إن مثل بين يديه حتى عرض عليه ألف ألف درهم على أن يكفيه القتال ويتركه على قلعته ، لكن أسدًارفض منه ذلك وطلب منه الخروج من القلعة لأنه رجل غريب عن الختل ، جاء من الباميان واستولى عليها فرد طرخان :" ...إني دخلت " الختل " شاباً فأرْدد عليّ شبابي وخذ ما كسبتُ منها "[4] فأعطاه أسد الأمان وسمح له بالعودة إلى حصنه لكن بعض القادة خوفوه من الخطر الذي سينجم عن ذلك ، فأعاد أسد النظر في الأمر وطلب القبض على " طرخان " الذي ما إن حسّ بذلك حتى رفع حصاة ورمى بها إلى السماء قائلا هذا عهد الله ، وأخذ أخرى ورمى بها إلى السماء أيضا وقال هذا عهد محمد (ﷺ) و أخذ يصنع كذلك بعهد أمير المؤمنين وعهد المسلمين فأمر أسد بقطع يده . ويبدو أن " طرخان " استمر متمردا مما جعل أسدا

---

(1) قيل إن الذي قتله هو " كورصول الترشقي " بعد خلاف على لعب النردّ ، الطبرى تاريخ الأمم و الملوك ج 8 ص 238 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 205 وما بعدها، ابن كثير ، البداية والنهاية ج 9 ص 321.

(2) الطبري، نفس المصدر والصفحة ابن الأثير ، نفس المصدر والصفحة ، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 448، رضى عبد الله عبد الحليم ، دراسات في تاريخ خراسان ص 76 ، محمد خضري بك ، تاريخ الأمم الإسلامية ج 2 ص 194.

(3) الطبري ، نفسه ج 8 ص 239، ابن الأثير ، نفسه ج 5 ص 206 ، فلهوزن ، نفس المرجع ص 449.

(4) الطبري ، نفسه ج 8 ص 145 ، ابن الأثير ، نفسه ج 5 ص 213 .

يقرر قتله ، فسلمه لأحد الأزديين الذي رغب في ذلك حتى يثأر لأحد أقاربه يدعى " أبا فديك " الذي كان طرخان قد قتله،وهكذا تغلب أسد على قلعة " طرخان ،" العظمى وقلعة أخرى كان بها أمواله وأهله الذين هربوا إلى الصين ثم وزع خيله في شعاب و أودية أرض"الختل " حتى لا يجتمع الهاربون فيها .(1)

في أول سنة 120هـ (737م) توفى أسد بن عبد الله القسري ببلخ بعد أن انقطعت " دُبَيْلَة " (2) في جوفه،وكانت وفاته صدمة كبيرة للعرب الذين اجتمعوا على حُبّه وتجليله(3) و ذلك لأنه ابتعد في ولايته الثانية على كل أسباب التعصب وبدأها عند دخوله إلى خراسان حيث أخرج عمال الجنيد القيسيين من السجن بعد أن كان " عاصم " قد عاقبهم وزج بهم فيه .(4) أما العجم فلم يحبوا واليا مثلما أحبّوا أسدًا الذي أحسن معاملتهم منذ ولايته الأولى في خراسان وكان خبر عزله مصيبة لهم جعلت عددا كبيرا من الدهاقين يختارون الخروج من الإقليم والذهاب إلى العراق معه .(5) ولاشك أن أصدق تعبير لحبهم واحترامهم له نجده في قول " خراسان " — دهقان هراة — الذي جاء فيه :"...إنك عزيز ضابطُ أهلِ بيتِكَ وحَشَمك ومواليِكَ فليس منهم من يستطيعُ أن يعتدي على صغير ولا كبير ثم بنيتَ الإيواناتِ في المفاوز من أحسن ما عُمل ، و من يُمن نَقِيبَتِكَ أنك لقيتَ خاقانَ وهو في مائة ألف ومعه " الحارث بن سريج " فهزمته وقتلته و قتلت أصحابه وأبَحْتَ عَسْكَرَه ، وأما رحب صدرك وبسط يدك فإنّا لا ندري أي المَالَيْنِ أحَبّ إليك ، أمَالٌ قَدِمَ عليك أم مالٌ خرج من عندك ، بل أنت بما خرج أقَرّ عَيْنًا ."(6)

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 146 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 214 ، فلهوزن، تاريخ الدولة العربية ص 449 ، رضى عبد الله عبد الحليم ، دراسات في تاريخ خراسان ص 77.

(2) تصغير لكلمة " دبلة " وهي دمّل تظهر في الجوف فتقتل صاحبها غالبا،مجمع اللغة العربية،المعجم الوسيط ج 2 ص 270.

(3) الطبري، نفس المصدر و الصفحة ، ابن الأثير نفس الصدر و الصفحة .

(4) الطبري نفسه ج 8 ص 226 ، ابن الأثير ، نفسه ج 5 ص 188 ، النويرى ، نهاية الأرب في فنون الأدب ج 21 ص 442 رضى عبد الله دراسات في تاريخ خراسان ص 72.

(5) الطبري ، نفسه ج 8 ص 193 ، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 434 ، الزركلي الأعلام ج1 ص 291

(6) الطبري ، نفسه ج 8 ص 148 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج5 ص 216 .

ومع ذلك ، فيبدو أن موت أسد المفاجئة السريعة ، كانت نجاة من وقوعه في عواقب عزل أخيه خالد بن عبد الله القسري على ولاية العراق ، بعد أن لبث في إمارتها ما يقرب من خمسة عشر عاما .

تذكر المصادر أسبابا كثيرة لهذا العزل نجملها في النقاط التالية :

1. كان الخليفة هشام يَغير من كثرة اقطاعات خالد بن عبد الله التي كانت تصل غلتها إلى ثلاثة عشر ألف ألف ، بل قيل إنها تبلغ عشرين ألف ألف[1].

2. كان خالدُ لا يحترم الخليفةَ هشامًا وأظهر ذلك كثيرا في كلامه ،كقوله لابنه "ما أنت بدون مسلمة بن هشام " كما كان يستهزئ به ويلقبه بابن " الحمقاء"[2].

3. إن أصل خالد يهودي من " تيماء "[3] وأن جده كان من موالي،عبد قيس ، وأنه " زنديق " كافر فاجر نَسَب للهِ آياتٍ وللرسول أحاديثَ وذمّ كثيرا القرآنَ والرسولَ وآله والكعبةَ وبئر زمزم وكل المقدسات الإسلامية[4].

4. لقد جعله حبُّه لأمه النصرانيه ، التي ظلت على نصرانيتها وتمسكت بأهدابها ولم تدخل الإسلام أبدا[5] يتعاطف معها ويبني لها كنيسة في

---

(1) الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 250 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج5 ص 220 ، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب ج 21 ص 452.

(2) الطبري ، نفس المصدر ج 8 ص 251 ، ابن الأثير ، نفس المصدر ج 5 ص 220 ، النويرى ، نفس المصدر ج 21 ص 452.

(3) " تيماء " بلدة تاريخية تقع بالقرب من تبوك في وادٍ كثير المياه و الزرع بين الأردن وشمال الجزيرة العربية، وكانت مدينة عامرةفي العصور القديمة ومركزا تجاريا على طرق القوافل إلى الشام ، وقد ورد ذكر إسمها في معلقة "إمرئ القيس "،سكنها اليهود في الجاهلية حتى جلوا عنها في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أحمد عطية الله القاموس الإسلامي ، ج 1 ص 522.

(4) المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ص 388 وما بعدها ، ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر) وفيات الأعيان وأنباء الزمان حققه إحسان عباس،دار الثقافة،بيروت(دت)ج 2 ص229.

(5) ابن الأثير الكامل ج 5 ص 223 ،النويرى ، نهاية الأرب ج 21 ص 1466.ابن خلكان ، وفيات الأعيان ج 2 ص 227 ، المبرد الكامل واللغة ج2 ص 75 ابن كثير ، البداية والنهاية ج 9 ، ص 325 ، الاصفهاني (أبو فرج الاصفهاني الأغاني ، بيروت ، دار الثقافة 1957ج22ص 26.

الكوفة قبالة مسجد، ويتعاطف مع النصارى كلهم ويسمح لهم ببناء الكنائس في كل مكان [1] بل إنه أكثر استعمالهم في الإدارة وفي المهام العليا، حتى قيل " إنّ الإسلام في عهده أصبح ذليلا والحكم في يد أهل الذمة " [2].

ومهما يكن فإن الأسباب التي عرضتها المصادر كانت ضعيفة أمام تلك الأسباب الخفية التي تتمثل في الآتي :

1. لقد عزم الخليفة هشام على إقصاء الوليد بن يزيد[3] من الخلافة[4] وتولية إبنه مسلمة الذي يُكَنَّى أبا شاكر لكن خالدَ بنَ عبدِ الله القسري أبى ذلك وقال: "أنا بريء من خليفة يُكَنَّى أبا شاكر" [5] فبلغ ذلك الخليفة وأوقع به.

2. لقد حقد القيسيون على خالد بن عبد الله القسري وأخيه أسد ، وحسدوهما على حسن إدارتهما ونجاحهما المستمر[6] وخاصة أن خالدا استمرّ على إمارة العراق حوالي خمسة عشر عاما [7]، مما جعل المقربين منهم للخليفة هشام يُغيرون صَدْرَه عليهما ، وقد رأينا

---

(1) ابن خلكان و فيات الأعيان ج 2 ص 228.

(2) ابن الأثير الكامل في التاريخ ج 5 ص 225 ، النويرى ، نهاية الارب ج 21، 457.

(3) هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم – (أبو العباس) ولد في سنة تسعين ،تولى الخلافة بعد هشام في الربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة، وقتل في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة ، السيوطي،تاريخ الخلفاء ص 300 .

(4) لقد عقد الخليفة يزيد بن عبد الملك الخلافة لهشام ثم لابنه الوليد وذلك لأنه مرض وخاف الموت وكان إبنه إبن إحدى عشر سنة ، لكن يزيد لم يمت حتى بلغ الوليد خمس عشر سنة ، فندم على استخلافه هشام أخاه وقال لابنه " الله بيني وبين من جعل هشاما بني وبينك" . الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 288 ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج5 ص 264 ، النويري،نهاية الأرب في فنون الأدب ج 21 ص 463.

(5) الطبري ، نفس المصدر ج 8 ص 289 ، الإصفهاني ،الأغاني ج 7 ص 6.

(6) الطبري ، نفسه ج 8 ص 239 ، ابن الأثير ، نفس المصدر ج 5 ص 206 ، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية 449.

(7) تولاها في شوال سنة خمس ومائة ، وعزل منها في جمادي الأولى سنة عشرين ومائة ، الطبري،تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 256، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5ص 224، النّويري،نهاية الأرب ج 21 ص 457، ابن كثير البداية والنهاية ج 9، ص 329.

كيف كان هؤلاء يشككون الخليفة في نجاح أسد ويُصغِرون من انتصاراته حتى طلب الخليفةُ ابن حيان النبطي" من خراسان ليصدقه الأخبار .[1]

عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ولاية العراقين إلى عامله باليمن يوسف بن عمر[2] الذي كان قيسيا لحما ودما[3] والذي ما إن وصلها حتّى حبَس خالدا وبعض أقربائه وعماله[4] .

ثم وجه اهتمامه إلى خراسان فعزل "جعفر بن حنظلة البهراني" الذي كان قد استخلفه أسد بن عبد الله القسري عليها قبل وفاته[5] وفكر في اختيار رجل من رجالات قيس لها . فاختار سلم بن قتيبة بن مسلم لكن الخليفة حال دون رغبته قائلا : " إن سلم بن قتيبة رجل ليس له بخراسان عشيرة ، ولو كان له بها عشيرة لم يقتل بها أبوه"[6] واكتفى بهذا الردّ دون اختيار رجل معين لها مما جعل الأمير يوسف ينصب جديع الكرماني واليا على خراسان [7] .

في هذه الأثناء ،كان الخليفة هشام يستشير أصحابه في الرجل الذي يصلح

---

(1) الطبري تاريخ الأمم والملوك ، ج 8 ص 256 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج5 ص 224، فلهوزن تاريخ الدولة العربية ص 449.

(2) هو يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم أبو يعقوب الثقفي ، كانت منازل أهله في البلقاء بشرقي الأردن ولي اليمن لهشام بن عبد الملك سنة 106هـ ، ثم نقله إلى ولاية العراق سنة 121 هـ وأضاف إليه إمرة خراسان ، استمرت ولايته إلى أيام يزيد بن الوليد ، الذي عزله في أواخر سنة 126 هـ وقبض عليه ، وحبسه في دمشق إلى أن أرسل إليه يزيد بن خالد القسري مَنْ قتله فيه – ثائرا لأبيه – وعمره نيف وستون سنة وذلك في سنة 127 هـ ، الزركلي، الأعلام ج 7 ص 320 .

(3) فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 450.

(4) حبس خالدبن عبد الله بالحيرة وأخوه إسماعيل وأبنه يزيد بن خالد وابن أخيه المنذر بن أسد ، النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ج21ص457.

(5) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 247 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج5 ص 216 ، النويري ، نفس المصدر ج 21 ص 451.

(6) الطبري نفس المصدر ج 21 ص 451.

(7) الطبري ، نفسه ، ابن كثير البداية والنهاية ج 9 ص 326.

لخراسان[1] ووقع اختياره في الأخير على نصر بن سيار الذي كان قد نشأ وشاب فيها وهو في خدمة آل أميّة ، على الرغم من أن أصحابه لم يحبّذوا ذلك لأن نصرًا لم تكن له عشيرة يستند إليها في خراسان ، فهو من قبيلة كنانة الصغيرة التي كان عددها قليلا فيها،لكن الخليفة أجابهم مصمّما " أنا عشيرته " [2] وإن كان الطبري [3] قد جاء برواية أخرى يذكر فيها أن يوسف بن عمر هو الذي استشار النّاس فيمن يوليه خراسان ، ثم كتب قائمة وبعثها إلى الخليفة هشام أطرى فيها القيْسيّة وجعل آخر إسم فيها إسم نصر بن سيار الكناني ، لكن هذه الرواية تبدو ضعيفة ذلك لأن الطبري لم يذكر رَاويها واكتفى بذكر " قال آخرون " كما أنها لم تأت في المصادر الأساسية الأخرى .

لقد كان الخليفة هشام متفائلا بتوليه نصر بن سيار[4] الذي اتفقت المصادر[5] والمراجع[6] على وصفه بالرجل الفطن العاقل العفيف المجرب العالم بالسياسة فأسرع ببعث عهده على خراسان الذي وصله رسميا في رجب سنة 120 هـ

---

(1) الطبري تاريخ الأمم والملوك. ج8 ص 258 ، ابن الأثير ، الكمال في التاريخ ج 5 ص 226.

(2) الطبري نفس المصدر ج 8 ص 257 ، ابن الأثير،نفس المصدر ج 5 ص 227 ،اليعقوبي ، البلدان ، ص 302، الدينوري،الأخبار الطوال ص 342 ، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 451 ، أحمد زين الدحلان ، الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية ص 228 . بطرس البستاني ، معارك العرب في الشرق والغرب،دار الجيل بيروت 1987 ص 83.

(3) الطبري نفسه ج 8 ص 258.

(4) ابن أبي الحديد (576-656 هـ) شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، القاهرة دار إحياء الكتب العربية 1963، ج19 ، ص 375.

(5) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج8 ص 158 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج5 ص 227.

(6) عبد المنعم ماجد،التاريخ السياسي للدولة العربية (عصر الخلفاء الأمويين مكتبة الأنجلو المصرية) القاهرة 1976 ط 5 ص 319 ، عبد الشافي محمد عبد اللطيف ، العالم الإسلامي في العصر الأموي 41-132هـ (661-750 م) دار الاتحاد القاهرة 1404 هـ 1984 ط1 ص 524،محمد أسعد طليس ، تاريخ العرب ج 1 ص 158 ، سيد أمير علي ، مختصر تاريخ العرب نقله إلى العربية عفيف البعلبكيّ دار العلم للملايين بيروت 1967 ط 2 ص 170 ، عبد اللطيف الطيباوى ، محاضرات في تاريخ العرب والإسلام دار الأندلس بيروت 1402 هـ 1982 ط 3 ص 150 ، أحمد بن زين الدحلان ، الفتوحات الإسلامية ص 228 ، فلهوزن تاريخ الدولة العربية ص 450.

(737م).[1]

لقد بادر نصر مهامه بعزل عمال سلفه أسد بن عبد الله القسري [2] وتولية عمّال كلهم من مُضر وخاصة من تميم . " فلم يستعمل أربع سنين إلا مضرياً".[3] ثم نقل مقر العاصمة من " بلخ " إلى " مرو" مرة أخرى ، أي أقصى الطرف الشرقي إلى وسط الإقليم [4] ثم توجه إلى الغزو في ما وراء النهر . فخرج من " بلخ" من ناحية باب الحديد ومر بمدينة " وَرْغَسَر"[5] قاصدا سَمَرْقند حيث وقع في يده إثنان من دهاقنة بخارَى تمكّن من إدخالهما الإسلام ، لكنهما سرعان ما ثارا وهنا يرى فلهوزن [6] " أن سبب ثورتهما هو إلزامهما بدفع الجزية مع أنهما كانا مسلمين ،" ، ناسيا أن الدهاقنة ما كانوا يدفعونها مقابل مسؤوليتهم على جمع الضرائب للدولة ، ثم إننا نجد السبب عند الطبري [7] حيث يذكر " أنهما ذكرا لنصر أنهما كانا على عداوة مع " بُخَارَا خُدَاه " رئيس المسلّحة " وفي الوقت الذي كان يستمع نصر لأمرهما من " بخار اخداه " قالا : " نموت كريميـن " ، فشدّ أحدهما على "واصل بن عمرو القيسي " عامل نصر على بخارى — وطعنه في بطنه بسكين، فضربه واصل بسيفه ضربة شديدة على رأسه فمات ومات واصل ، وأما الثاني فطعن "بخارا خداة" ولكن الجوزجان بن الجوزجان الذي كان يشترك في جيش نصر شدّ عليه وقتله .[8]

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج8 ص 259 ، إبن الأثير ، الكامل في التاريخ المصدر ج 5 ص 228.

(2) ابن كثير ، البداية والنهاية ج 9 ص 326 ، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 451 ، رضى عبد الله عبد الحليم ، دراسات في تاريخ خراسان ص 79.

(3) الطبري ، نفس المصدر ج 8 ص 259، ابن الثير ، نفس المصدر ج 5ص227، فلهوزن تاريخ الدولة العربية ص 452 ، رضى عبد الله عبد الحليم ، دراسات في تاريخ خراسان ص 79.

(4) فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 451.

(5) تقع " ورغسر" بين بنجيكث وسمر قند ،وهي قرية كبيرة رستقها خصب تسقيه أنهار تأخذ من نهر الصفدهكي لسترنج،بلدان الخلافة الشرقية ص : 509 .

(6) تاريخ الدولة العربية ص 452.

(7) تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 270.

(8) الطبري ، نفس المصدر والصفحة .

بعد أن تم لنصر فتح " سمرقند " توجّه إلى مدينة " أُشْرُوسَنَة " قاصدا " الشّاش" في النواحي الشمالية والغربية لنهر " سيحون " [1] بصحبة عشرين ألفا من أهل بخارى وسمرقند وكُش وأشّرُوسَنه .[2] لكنهم مُنعوا من عبوره من الحاكم " كُورْصُول " الذي كان قد قتل خاقان الترك من قبلُ بعد خلاف على لعبة النرد[*] [3] وأصبح يتزعم الأتراك بعد ذلك. لكن نصرا تمكن من التغلب والقبض عليه ، برغم كثافة جيوشه التي بلغت خمسة عشر ألفا[4]،استأجر كل رجل منهم بشِقّة حرير التي كان ثمنها وقتئذ خمسة وعشرين درهما في كل شهر [5] ولما أيقن كورصول أنه هالك لا محالة ، عرض على نصر إطلاق سراحه مقابل ألف بعير من إبل الترك وألف بِرْذَوْن [6] لكن نصرا رفض وأمر بقتله فقُتِل وصُلِب على شاطئ الشاش[7] فقامت الترك وأحرقوا أبنيته وقطعوا آذانهم وقصوا شعورهم وآذان خيلهم فطلب نصر بحرقه لئلا يحملوا عظامه فكان ذلك أشد عليهم من قتله.[8]

---

(1) كي لسترنج ، بلدان الخلافة ص 477.

(2) الطبري ، تاريخ الأمم و الملوك ج8 ص 168 ، ابن الأثير الكامل في التاريخ ج 5 ص 236 وما بعدها،رضى عبد الله عبد الحليم ، دراسات في تاريخ خراسان ص 80.

(*) النرد " لعبة ذات صندوق وحجارة وفصّين ، تعتمد على الحظ ،وتنقل فيها الحجارة على حسب ما يأتي به الفَصّ [الزّهر] وتعرف عند العامة بـ [الطاولة] يقال لعب بالنرد . مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ج2 ص 919.

(3) الطبري ، تاريخ الأمم ج 8 ص 238 ، ابن الأثير ، الكامل ج 5 ص 205 ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج 9 ص 391.

(4) الطبري، نفس المصدر ج 8ص268.

(5) الطبري ، نفسه.

(6) البِرْذَوْن يُطلق على غير العربي من الخيل والبغال ، من الفصيلة الخيلية ، عظيم الخلقة ، غليظ الاعضاء قويّ الأرجل ، عظيم الحوافر ، ج براذين ، مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ج 1 ص 48.

(7) الطبري، نفسه ج 8 ص 269 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 237 ، ابن كثير،البداية والنهاية ج 9 ، ص 327.

(8) الطبري ، نفس المصدر و الصفحة ، ابن الأثير ، نفس المصدر و الصفحة ، ابن كثير ، نفس المصدر و الصفحة .

كان المعارض الحارث بن سريج يقاتل مع " كورصول " في الشاش ،و نصب على إخوانه المسلمين عرادتين [1] لكنه تراجع خوفا من أن يصيب أهل قبيلته تميم [2] مما سهل على نصر الإنتصار ، فصالح أهل الشاش وأشترط عليهم إخراج الحارث فأخرجوه إلى الفاراب[*]. [3]

توجه نصر بعد الشاش إلى فرغانة ونزل مدينة " قباء " القريبة منها ، لكن أهلها كانوا قد تهيأوا لذلك " فحرقوا الحشيش وقطعوا الميرة"[4] مما جعله يتوجه إلى فرغانة مباشرة حيث حاصر ولي عهدها في حصنه الذي تمكن من الخروج منه وغنم دَوابَّ المسلمين فبعث له نصر مجموعة من رجال تميم الذين تمكنوا سريعا من النصر و انتهى الأمر بإبرام الصلح الذي سرعان ما نُقض.[5]

نفهم من الطبري[6] وابن الأثير [7] أن نصرا غزا ما وراء النهر في سنة 121هـ/738 ثلاث مرات ، ذلك لأن رواياتهما كانت مضطربة تحوي الكثير من الحكايات العجيبة أما البلاذري الذي يُعدُّ تاريخُ مؤلفه " فتوح البلدان " أقربَ تاريخ للدولة الأموية من مؤلف الطبري وابن الأثير ، فكان تسلسله في عرض ولاة خراسان مبتورا فلم يذكر شيئا بعد الوالي الجنيد بن عبد الرحمن سوى أن ،" نصراً غزا" أشرو سنة " ولم يوفق في فتحها "

---

(1) العرادة هي آلة من آلات الحرب القديمة وهي منجنيق صغير ، مجمع اللغة العربية،المعجم الوسيط ج 2 ص 592.

(2) الطبري، تاريخ الأمم والملوك • إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 238 • فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 452،رضى عبد الله علد الحليم ، دراسات في تاريخ خراسان ص 80.

(*) " الفاراب " أو " باراب " أو " أترار" حديثاً ، مدينة تقع على ضفة نهر سيحون الشرقية فيها لقي تيمور حتفه في سنة 807 هـ (1405) م،كي لسترنج،بلدان الخلافة الشرقية 528.

(3) الطبري ، نفس المصدر ج 8 ص 270 • ابن الأثير،نفسه • فلهوزن نفس المرجع ص 452.

(4) الميرة طعام يجمع للسفر ، ج : الميّار ، مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط ج 2 ص 893.

(5) الطبري، نفسه ج 8 ص 269 • ابن الأثير ، نفسه ج 5 ص 238 • ابن كثير ، نفس المصدر ج 9 ص 329 النرشخي ، تاريخ بخارى ص 89.

(6) نفسه ج 8 ص 168 إلى 271.

(7) الكامل في التاريخ ، ج 5 ص 236 ، إلى 241.

وجعل ذلك في فترة متأخرة جدا [1]. والواقع أن نصرا غزا ما وراء النهر في سنة 121 هـ 738 م غزوة واحدة تمكن فيها من إعادة فتح سمرقند والشاش وفرغانة وقد يكون الزمن الذي استغرقه فيها طويلا يتعدى السنة .

في سنة 123هـ / 740 م) صالح نصر بن سيار الصغد وسمح لهم بالعودة إلى بلادهم التي كانوا قد خرجوا منها وتشتتوا وأنحاز بعضهم إلى الشاش بعد أن قُتل " خاقان " في عهد أسد بن عبد الله القسري على خراسان رغم أنهم اشترطوا شروطا ما كان يستطيع أن يوافقهم عليها والٍ آخر،ومنها " أن لا يُعاقَب من كان مسلما وارتد عن الإسلام ،وألا يطالبهم بما عليهم لبيت المال ولا يُؤْخَذ أُسَرَاءُ المسلمين من أيديهم إلا بقضية قاض وشهادة عدول" [2] .

لقد عاب الناس هذا الصلح كثيرا [3] لكن نصرا أقنعهم به قائلا : " لو عاينتم شوكتهم في المسلمين مثل ما عاينت ما أنكرتم ذلك [4]. أما الخليفة هشام فقد أدرك حكمة نصر فوافقه مقتنعا . [5]

لقد استمر نصر في سياسته الحكيمة ، " فعمر خراسان كما لم تعمر من قبل وأحسن الولايةوالجباية " [6] فنال رضا الناس[7] كما استمر أيضا في مباشرة الغزو فغزا فرغانة مرة ثانية في سنة 123هـ / 740 م وانتصر[8].

---

(1) البلاذري ، فتوح البلدان ص 603.

(2) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ، ص 279 ، ابن الأثير الكامل في التاريخ ج 5 ص 250 .

(3) الطبري ، نفس المصدر والصفحة .

(4) نفسه .

(5) الطبري ، نفسه ، إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 250 ، النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ج 21 ص 459 ، ابن كثير ، البدايةوالنهاية ج 9 ص 237، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 53، رضى عبد الله عبد الحليم ، دراسات في تاريخ خراسان 82.

(6) الطبري نفسه ج 8 ص 259 ، ابن الأثير ، نفس المصدر ج 5 ص 221 ، أحمد بن زين الدحلان،الفتوحات الإسلامية ص 228 ، محمد ضياء الدين الريس ، الخراج ص 253.

(7) الطبري ، نفسه ، ابن الأثير ، نفسه .

(8) الطبري ، نفسه ج 8 ص 280 ، ابن الأثير ، نفسه ج 5 ص 252.

كانت خراسان لا تزال تحت إشراف الخليفة هشام مباشرة . لكن أمير العِراقَيْن ظل دائما يحاول استرجاعها فكتب إلى الخليفة طالبا منه ضَمّ"خراسان إلى ولاية العراق مرشحا لها واليا جديدا وهو " الحَكَم بن الصّلت " الذي كان عاملا على " الفارياب" في ولاية الجنيد بن عبد الرحمن 111-116 هـ / 729-724 و أكثر تزكيته حيث وصفه "بالأديب الأريب " لكن الخليفة جمع معلومات لم تَسُرَّهُ عنه [1] فكتب إلى يوسف." خلِّ الكناني في عمله ".[2]

ورغم ذلك ظل يوسف يبحث دائما على ثغرة تساعده على فصل نصر من خراسان ، وعندما لم يجد فكر في الحيل التي بدأها مع أبي مغراء بن أحمر النميرى [3] الذي بعثه نصر على رأس وفد يبشر الخليفة بنجاح غزوة فرغانة الثانية التي تمت في سنة 123 هـ (740م) ، فطلب منه أن يعيب نصرا عند الخليفة هشام وعندما لم يتحمس أبو مغراء للأمر قائلا : " كيف أعيبه مع بلائه وآثاره الجميلة عندي وعند قومي ؟...فيم أعيبه ؟ أعيب تجربته أم طاعته أم يُمن نقيبته أو سياسته ".وَعَدَه يوسف بولاية السند وقال له " عِبْهُ بالكِبَر" .[4] فعابه أبو المغراء لِكِبَر سِنه عند الخليفة . إلا أن هناك من طمأن الخليفة قائلا ": كذب والله إنه ليس بالشيخ الذي يُخشى خَرفه ،ولا الشابّ الذي يُخشى سَفَهه بل هوالمجرّب ، وقد ولي عامة ثغور خراسان وحروبها قبل ولايته"[5]. ففشلت الحيلة ويبدو أن نصرا أنصدم كثيرا في " مغراء" وهو الذي كان يؤثره ويُعْلي مِن منزلته ويشفعه في حوائجه ، فثار في إبنه " الحكم بن مغراء " وأمر بضربه بل أن الصدمة كانت أكبر

---

(1) قيل للخليفة :" أنه كان ضعيفاً ، أسره الحارث بن سريج ثم عرك أذنه وقفده وخلّى سبيله وقال :" أنت أهون من أن أقتلك " ثم أن الخليفة رأى فيه جمالا وبيانا عندما بعثه يوسف بخراج العراق ، الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج8 ص 280، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 252.

(2) الطبري ، نفس المصدر والصفحة .

(3) يسميه إبن الأثير . " معن بن أحمر النميرى " الكامل في التاريخ ج 5 ص 252 .

(4) الطبري نفسه ، أبن الأثير ، نفس المصدر ج 5 ص 253.

(5) الطبري نفسه ، ابن الأثير ، نفسه .

جـعلت نصرا يجفي كل القيـسية . لكـنه وهـو العاقل [1] سرعان ما تخلى عن هذه السياسة عندما جاءه رؤساء قيس واعتذروا له . [2]

لـقد ظـل الخليفة هشام متـفائلا بـنصر بن سيـار ولـم يـبادر بعـزلـه رغـم محاولات يـوسـف بـن عـمر الجـادة فـي ذلـك وظـل مقـتـنعا أنـه " هُوَ لَهَا " [3] إلـى أن مـات فـي شـهر ربيـع الآخـر سـنة 125هـ (742م) [4] إثـر ذبحـة" صدرية أصـابته [5]، فبويع للوليد بن يزيد خليفة [6] الذي سرعان ما أخذ عقد البيعة لابنيه الحكم وعثمان من بعده الواحد تلو الآخر ، وكتب بذلك إلى الأمصار ، فرد عليه نصر طامعا في رضاه:" نبايع لعبد الله الوليد أمير المؤمنين والحكم بن أمير المؤمنين إن كان من بعده وعثمان بن أمير المؤمنين إن كان بعد الحكم على السمع والطاعة ، وإن حدث بواحد منهما حدث فأمير المؤمنين أملك في ولـيّه ورعـيته يقدم من أحب ويؤخّـر من أحب عليك بذلك عهد الله وميثاقه". [7] فأقره الخليفة الجديد في منصبه وأفرد له خراسان [8] وجعلها مباشرة

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 158، ابن الأثير،الكامل في التاريخ ج 5 ص225 ، عبد المنعم ماجد التاريخ السياسي للدولة العربية ص319 ، عبد الشافي عبد اللطيف،العالم الإسلامي في العصر الأموي ص 524 ، محمد أسعد طليس تاريخ العرب ج 1 ص 158 ، سيد أمير علي ، مختصر تاريخ العرب ص 170،عبد اللطيف الطيباوي ، محاضرات في تاريخ العرب والاسلام ، ص 150 ، أحمد بن زين الدحلان ، الفتوحات الإسلامية ص 228.

(2) الطبري ، نفس المصدر ج 8 ص 281 و 282 ، ابن الاثير ، نفس المصدر ج 5 ص 253.

(3) الطبري ، نفسه ج 8 ص 258 ، ابن الأثير ، نفسه ج 5 ص 227 ابن كثير الهداية والنهاية ج 9 ص 339

(4) الطبري ، نفسه ج 8 ص 283 ، ابن الأثير ، نفسه ج 5 ص 261 ، ابن كثير ، نفسه ج9 ص 354 ، أبو الفدا ، مختصر أخبار البشر ج 1 قسم 1 ص 204 ، المسعودي، مروج الذهب ج 3 ص 224 النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ج 21 ص 460.

(5) الطبري ، نفسه ج 8 ص 284 ، ابن الأثير ، نفسه ، النويري ، نهاية الأرب ج 21 ص 460 .

(6) الطبري نفسه ج 8 ص 288 ، ابن الأثير ، نفسه ج5 ص 264 ، السيوطي،تاريخ الخلفاء ص 300 ابن قتيبة ، المعارف ص 160.

(7) الطبري ، نفسه ج 8 ص 294.

(8) الطبري ، نفسه ج 8 ص 297 ، ابن الأثير ، نفسه ج 5 ص ص 269 ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج 10 ص : 4.

تحت مسؤوليته مثلما كانت في عهد الخليفة هشام إلا أن يوسف أمير العراقين سرعان ما تمكن من إقناع الخليفة بضم خراسان إلى العراق . في هذه الأثناء خرج يحيي بن زيد [1] ثائرا في خراسان ورغم أن الخليفة أمنه وأصحابه ، إلا أنه استمر في معارضته مما جعل نصرا يوجه له جيشا غلبه وقتله مع جموع أصحابه .[2]

لقد بادر يوسف أمير العراقين إشرافه على خراسان بعزل نصر بن سيار فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه في وجوه أهل خراسان حاملا معه ما قدر عليه من الهدايا والأموال وأن يأتي بعياله أجمعين إلى دمشق.[3] ويبدو أن المصادر[4] قد وقعت في اضطراب في عرض هذا الخبر إذ إنها تذكر مرة أن يوسف بن عمر هو الذي كاتب نصرا بالقدوم ، ثم تذكر في الوقت نفسه أن الخليفة الوليد بن يزيد هو الذي كاتب نصرا يستعجله ويأمره بأن يسرح الهدايا ويبعث إليه برابط [5] وطنابير ، وذلك لأن الوليد كان يهوى الغناء[6] .

ومن هنا نتصور أن قرار عزل نصر جاء من يوسف بن عمر أمير العراقين الذي أصبح يشرف على خراسان ، لكن حبّ نصر لها جعله يرفض ، ففكر في إرسال وفد ليتظلم له عند الخليفة ورأى أنه من اللائق أن يبعث معه بعض الهدايا فأمر

---

(1) هو يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أمّه" ريطة " بنت " أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية". الإصفهاني (أبو الفرج) 284-356 مقاتل الطالبيين " شرح وتحقيق السيد أحمد صقر ، دار إحياء الكتب العربية القاهرة 1368هـ / 1949 ، 152.

(2) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 301 ابن الأثير ، الكامل ج 5 ص 272 ابن كثير ، البداية والنهاية ج 10 ص 6 ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 332 ، الإصفهاني ، مقابل الطالبيين ص 156.

(3) الطبري نفس المصدر ج 8 ص 298 ، ابن الأثير نفس المصدر و الصفحة ، ابن كثير ، نفس المصدر والصفحة .

(4) الطبري ، نفسه ، ابن الأثير ، نفسه ، ابن كثير ، نفسه .

(5) البربط هو العود (من الآلات الموسيقية) ومعناه صدر البط ، مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط ج 1 ص 46.

(6) ابن طباطبا ، الفخري في الآداب السلطانية ص 105 ، المسعودي ، مروج الذهب ج3 ص 225 ، ابن قتيبة المعارف ، ص 160 ، البلخي ، البدء والتاريخ، ج 6 ص 51 ، الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج 1.ص 168 ، أبو الفدا مختصر أخبار البشر ج1 قسم 1 ص 205 ، الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج8 ص 288 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 264، النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ج 21 ص 463.

بصنع أباريق الذهب والفضة وتماثيل الظباء ورؤوس السباع والأيايل[1] وغير ذلك .[2]

في هذه الأثناء وصل نصر خبر مقتل الخليفة الوليد بن يزيد ، ومبايعة يزيد ابن الوليد[3] خليفة جديدا ، الذي لم يقتنع به لأنه ثار على الخليفة الوليد بن يزيد وقتله[4] كما أنه لم يعترف بأميره على العراقين " منصور بن جمهور "[5] الذي أراد توليه أخيه " منظور "

على خراسان لكن نصرا غضب وهدد قائلا: " إن جاءنا أمير ظننين قطعنا يديه ورجليه "[6] ودعا القبائل إلى مبايعته حتى تنتهي الفتنة وتتفق الكلمة على خليفة جديد[7] فانضمت إليه الأزد وربيعة بالرغم من عدم رضائهم عنه حتى ذلك الوقت[8] ليس لأن نصرا كان متعصبا

(1) الأيل الإيّل : الوعل ج أيايلُ وأيائل ، مجمع اللغةالعربية ، المعجم الوسيط ، ج 1 ص 34.

(2) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 298 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 270، ابن كثير ، البداية والنهاية ج 10 ص 4.

(3) يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، الذي يلقب " الناقص " لأنه نقص الجند من أرزاقهم توفي في ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة وقد بلغ من السن اثنتين وأربعين سنة ، كانت ولايته من مقتل الوليد خمسة أشهر ، ابن قتيبة المعارف ص 160.

(4) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 9 ص 13 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 280 ، ابن طباطبا ، الفخري في الآداب السلطانية ص 106.

(5) هو منصور بن جمهور بن حصن بن عمرو الكلبي من بني كلب بن وبرة أمير من الفرسان ، كان من سكان "المزة" من ضواحي دمشق ، وخرج مع " يزيد بن الوليد " على ابن عمه " الويد بن يزيد " سنة 126 هـ فولاّه العراق فحكم فيها أربعين يوما ثم عزل فسار نحو بلاد السند ، توفي عطشا عندما وجهه الخليفة أبو العباس لقتال " موسى بن كعب " في سنة 132 هـ الزركلى ، الأعلام ، ج8 ص 236.

(6) أبو الفدا ، مختصر أخبار البشر ج 1 قسم 1 ص 206 ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج 10 ص 14 .

(7) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 9 ص 32 ، إحسان النص ، العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، دار النهضة العربية القاهرة دت ص 330.

(8) الطبري ، نفس المصدر و الصفحة .

(9) فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 458.

كما يتهمه بذلك اليعقوبي [1] والدينوري [2] بل لأن الأزد وربيعه كانت تفضل أن يكون والي خراسان منهم ، مثلما تُفضل دائما مضر أن يكون الوالي منها .

يبدو أن اتهام نصر بالعصبية جاء لاختياره عمالا من مضر فقط طيلة أربع سنين الأولى[3] من ولايته مع أن هذا الفعل كان مألوفا في خراسان ، فكلما جاء والٍ جديد نصب أهل قبيلته عمالاً ، ثم أن نصرا عدل عن ذلك حسب هذه المصادر بعد أربع سنوات ولو كان متعصبا لمضر لما كان قد جفى كل القيسية بعد أن أغرى يوسف بن عمر أبا مغراء بن أحمر النميري ، ليُعيب نصرا أمام الخليفة هشام [4] ثم كيف نتّهم واليا،تنازل كثيراً حتى يصالح الصغد الأعداء [5]، بالتعصب ضدّ اليمنيين وهم عرب مثله ثم يجب أن لا ننسى أنه كناني وكنانة لا تنتسب إلى المجموعات القبائلية الكبرى في خراسان ، مثل تميم وقيس والأزد وربيعة. [6]

لقد استطاع نصر بحكمته أن يجمع كلمة العرب في هذه الظروف الصعبة ولكي يكون هذا التوحيد توحيدا ثابتا ، أشرك الأزدو ربيعة في عمالة الإقليم [7] حتى يكون حكم الإقليم للجميع وقام بتوزيع الهدايا التي كانت ستوجه إلى الخليفة الوليد على العامة والخاصة وأعتق الرقيق [8] ومع ذلك فيبدو أن هناك من حاول كسر هذا التلاحم العربي ، ففلهوزن[9]

(1) تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 333.

(2) الأخبار الطوال ص 351.

(3) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 259 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 227 .

(4) الطبري ، نفس المصدر ج8 ص 280 ، ابن الأثير ، نفس المصدر ج 5 ص 253.

(5) الطبري ، نفسه ج 8 ص 279، ابن الأثير ، نفسه ج 5 ص 250.

(6) الطبري ، نفسه ج 8 ص 257 ، ابن الأثير ، نفسه ج 5 ص 227 ، اليعقوبي البلدان ص 302، الدينوري، الأخبار الطوال ، ص 342 ، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 451و 458.

(7) الطبري ، نفسه ج 9 ص 32 ، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 458 ، رضي عبد الله عبد الحليم ، دراسات في تاريخ خراسان 86.

(8) الطبري ، نفسه ، ابن الأثير ، نفسه5 ، ص 298.

(9) تاريخ الدولة العربية ص 458.

يذكر غير مبين المصدر الذي اعتمد عليه أن شاعرا مواليا لنصر تغنى بأسمه قائلا ما معناه: " نحن بربيعة نكبح جماح قيس وبالأزد نكسر شوكة تميم فيكون الأمر لكنانة ".

ورغم كل ما فعله نصر فقد تشتت شمل العرب وانفصلت عنه الأزد وربيعة تحت رئاسة جديع الكرماني [1] الذي جاهر بالثورة في سنة 126 هـ (744م) طالبا — حسب قوله — ثأر آل المهلب [2] الذين قتلهم الأمويون في عهد " يزيد بن عبد الملك"، وخوفا من أن يتحد " الحارث بن سريج " وجديع الكرماني " بعث نصر إلى الحارث أمان الدخول على مرو[3] فقدمها في جمادى الآخرة سنة 127 هـ (747م).[4]

وفي شهر ذي الحجة سنة 126 هـ (746م) توفي الخليفة " يزيد بن الوليد " الذي لم يستمر في الخلافة سوى خمسة أشهر [5] و الذي كان قد عهدها لأخيه إبراهيم [6] من بعده الذي لم يتم له الأمر، ذلك لاضطراب أحوال بني أمية ، فكان يُسَلَّم عليه تارة بالخلافة وتارة بالامارة وتارة لا يُسلَّم عليه بواحدة منهما[7] " فمكث أربعة أشهر وقيل

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج9 ص 37 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 303 ، النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ج 21 ص 497، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 459 ، رضى عبد الله عبد الحليم دراسات في تاريخ خراسان ص 87.

(2) الطبري ، نفس المصدر ج9 ص 38، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية 459 .

(3) الطبري ، نفسه ج 9 ص 43 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج5 ص 308.

(4) الطبري ، نفسه ، ابن الأثير ، نفس المصدر والصفحة .

(5) الطبري ، نفسه ج 9 ، ص 45 ، ابن الأثير ، نفسه ج 5 ص 310، أبو الفدا ، مختصر أخبار البشر ، ج 1 قسم 1 ص 206 ، ابن قتيبة، المعارف ، ص 160 ، أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ج 2 104 ، محمد طليس، تاريخ العرب ج 1 ص 167.

(6) هو إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك المرواني الأموي ، أبو إسحاق ، أمير ، كان مقيما في دمشق ، ولما مات أخوه يزيد بن الوليد قام بعده بالأمر ، وكان ضعيفا مغلوبا على أمره ، فثار عليه مروان بن محمد وكان واليا على "أذربيجان"، ودعا لنفسه بالخلافة وقدم الشام فهرب إبراهيم ، لكن مروان آمنه ، وبقي إلى أن قتل مع مَن قتل مِن بني أمية حين زالت دولتهم وقيل بل غرق في " الزاب ". الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 9 ص 46، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 311، الزركلي ، الأعلام ج 1 ص 74.

(7) الطبري نفس المصدر، ابن الأثير ، نفس المصدر والصفحة .

سبعين يوما ، حتى جاءه مروان بن محمد [1] ثائرا مطالبا بدم " الوليد بن يزيد" فخلعه وبويع بالخلافة التي لم يهنأ بها يوما إلى أن سقطت الدولة الأموية وقتل في بوصير[2] يوم الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة 132هـ (749م)[3].

في هذه الأثناء كانت أحوال خراسان تنذر بالخطر فلم يستطع نصر بن سيار كسب رضا " الحارث بن سريج" الذي كان قد دخل بأمان من الخليفة إلى مرو برغم محاولاته الجادة في ذلك ، فلقد أكثر في إكرامه ومهادنته وتقديم التنازلات ، وأقترح عليه في الأخير توليته على إقليم ما وراء النهر.[4] لكننه رفض وطلب مناظرته فتراضيا أن يحكم بينهما حكم من العقلاء الذين حكموا بأن يُعزل نصر ويكون الأمر شورى ، فلم يرض نصر وعند ذلك بدأ النزاع الصريح[5] فنزل الحارث مُعَسْكِرًا أمام " مرو" وحاول أن يستولي عليها وذلك في جمادَى الآخرة سنة 128هـ (746م) ولما لم يستطع كتب إلى جُديع الكرماني حتى يَتَّحِدَا على نَصْر الذي لم يتمكن من التغلب عليهما متحدين و فضل أن يُخلِّي مرو للثائرين

---

(1) هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ، آخر خليفة أموي كان يلقب بالحمار والجعدي لأنه تعلم من الجعد ابن درهم مذهبه في القول بخلق القرآن والقدر، ولد في سنة 72 هـ بالجزيرة وأبوه متوليها ، غزا سنة 105 هـ فافتتح " قونيه " ثم ولاه الخليفة هشام على " أذربيجان وأرمينية والجزيرة في سنة 114هـ ، فافتتح فتوحات وخاض حروبا كثيرة ، ولما قتل " الوليد بن يزيد " وظهر ضعف الدولة في الشام دعا الناس وهو بأرمينية الى البيعة له ، ثم زحف بجيش كثير وخلع إبرهيم ، ٭ الطبري،تاريخ الأمم والملوك ج 9 ص 46 وما بعدها ٭ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 321 وما بعدها ٭ ابو الفداء،مختصر ج 1 قسم 1 ص 210 ٭ ابن كثير، البداية والنهاية ج 10 ص 46، البلخي،البدء والتاريخ ، ج 6ص44 وما بعدها ٭ الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج 1 ص 121 ٭ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ص 307.

(2) هي قرية بإقليم الفيوم في مصر و تعرف اليوم باسم " أبو صيردفنو" وهي ناحية تتبع مركز أطسا . أحمد عطية الله،القاموس الإسلامي ج 1 ص 392.

(3) الطبري ، تاريخ الأمم والموك ج 9 ص 134 ٭ ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ج 5 ص 424،ابن كثير ، البداية والنهاية ج 10 ، ص 46، المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ج3 ص 247 ابن طباطبا ، الفخري في الأداب السلطانية والدول الإسلامية ص 108،ابن قتيبة،المعارف،ص 162 .

(4) الطبري ، نفس المصدر ج 9 ص 53 ٭ ابن الأثير ، نفس المصدر ج 5 ص 328 ٭ فلهوزن،تاريخ الدولة العربية ص 461.

(5) الطبري ، نفسه ج 9 ص 67 ٭ ابن الأثير ، نفسه ج 5 ص 343.

و يلتجئ إلى " نيسابور"[1] إلا أن الثوار من أصحاب الحارث والكرماني سرعان ما أختلفوا وذلك لأن أصحاب الحارث من التميميين ندموا على أنهم أعانوا الأزد ، على بني قبيلتهم الذين كانوا يحاربون إلى جانب نصر بن سيار ، فبدأ القتال بينهم ، غلب فيه الجديع الكرماني الحارثَ بن سريج وقتله[2] وإن كان هناك[3] من المُحْدَثِين من يَذكر أنه انتحر.

لقد حاول نصر الاستنجاد بالخليفة مروان بن محمد لكن طالما كانت العراق في قبضة الخوارج وّعبد الله بن معاوية بن جعفر " [4] فإن الطريق كان مقطوعا بينه وبين مقر الخلافة[5] ، مما جعل نصرا يأخذ على عاتقه مهام استرجاع مرو لكنه لم ينجح في ذلك برغم تكرار المحاولات [6] ولما خضعت العراق للخليفة مروان على يد يزيد بن عمر بن هبيرة[7] الذي أصبح أميرها،[8] بايعه نصر،وأعاد الاستغاثة لكنه لم يظفر منها بطائل فدعا

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 9 ص 71 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 445 ، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ، رضى عبد الله عبد الحليم ، دراسات في تاريخ خراسان ص 90.

(2) الطبري ، نفس المصدر ج 9 ، ص 73 ، ابن الأثير ، نفس المصدر ج5 ص 341 و 346،ابن كثير ، البداية والنهاية ج 10ص 26 وما بعدها .

(3) فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 462، محمد جمال الدين سرور ، الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة، دار الفكر العربي،القاهرة(دت)ص 166 ، رضى عبد الله عبد الحليم، دراسات في تاريخ خراسان ص 90.

(4) هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، طلب الخلافة في أواخر دولة بني أمية بالكوفة وخلع طاعة بني مروان فأتته بيعة المدائن ،ولما قاتله " عبد الله بن عمر بن عبد العزيز " خرج إلى المدائن ، وغلب على حلوان والجبال وهمذان وأصفهان و الري ، واستفحل أمره ، فجبى له خراج فارس وكورها ، وأقام بأصطخر فسيّر له أمير العراق يزيد بن عمر بن هبيرة ـــــ لقتاله فانهزم إلى " شيراز" ومنها إلى هراة فقبض عليه عاملها وقتله خنقا بأمر من أبي مسلم الخراساني. الزركلي،الأعلام ج4 ص 282.

(5) فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 463 ، رضى عبد الله عبد الحليم،دراسات في تاريخ خراسان ص 92،

(6) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 9 ص 91 وما بعدها ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 364 ، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 464 ، رضى عبد الله عبد الحليم،دراسات في تاريخ خراسان ص 91 .

(7) هو يزيد بن عمر بن هبيرة ، أبو خالد ،ولد في سنة 87 هـ وولي " قنسرين " للوليد بن يزيد ثم جمعت له ولاية العراقين سنة 128 هـ في أيام مروان بن محمد وعندما استفحلت الدعوة العباسية وجه السفاح أخاه المنصور لحربه فتحصن بواسط ثم كتب له المنصور الأمان و الصلح الرسمي لكنه قُتل في سنة 132 هـ،الزركلي،الأعلام،ج9 ص 240

(8) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 9 ص 80 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 354.

نصر الكرماني إلى الموادعة والصلح ، على أن يلتقيا بمرو لكتابة عهد بينهما ، إلا أن تلك المفاوضات قطعت ، لأن ابن الحارث بن سريج الذي كان موجودا مع نصر ، أنتهز الفرصة وثأر لأبيه وقتل جديعا، [1] ، غير أن إعلان أبي مسلم الخراساني،القائم بالدعوة العباسية بخراسان ، دعوتَه جهراً في رمضان سنة 129 هـ (746م) و تمكنه من التوسع في قرى ومدن كثيرة على رأسها مدينة "هراة "[2]، أرعب العربَ وجعلهم لا يجدون سبلا إلا مؤازرة الخلافة فاتحد "يحيى بن نعيم بن هبيرة "، أكبرُ سادات قبيلة بكر في خراسان، مع نصر بن سيار وانضمّت إليهما ربيعة[3] كما انضمّ إليهم ، شيبان بن سلمة الحروري الخارجي[4] البكري وأصحابه من هم على مذهبه[5]، وبهذا استطاع نصر أن يجمع مضر واليمن مرة ثانية والدخول إلى مدينة " مرو" العاصمة من جديد في آخر سنة 129 هـ (747م)[6] غير أن أبا مسلم الخراساني سرعان ما استطاع إقناع علي بن جديع الكرماني بِأَنَّ قَتْلَ أَبِيهِ إنما كان بإيعاز من نصر بن سيار نفسه مما جعله وأهله من الأَزْدِيِّيْنَ يثُورُونَ مرة أخرى على نصر[7] ويتقاتلون في مرو وضواحيها طويلا ، حتى ضعفت قواهم ، فدخلها أبو

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج9 ص 92 ، ابن الأثير الكامل في التاريخ ج 5 ص 364.

(2) الطبري ، نفس المصدر ج 9 ص 83 و 89 ، ابن الأثير،نفس المصدر ج 5 ص 357و 368، برتولد شبولر ، تاريخ إيران درقرون تحتين اسلامي،ترجمه إلى الفارسيه جواد فلا طوري ، تهران شركت انتشارات حلمى فرينكى — جلداول — ص 63.

(3) الطبري ، نفسه ج 9 ص 89 ، ابن الأثير ، نفسه ج 5 ص 369.

(4) هو شيبان بن سلمة السّدوسى الحروري ، أحد زعماء الخوارج الحرورية من الثعالبة وإليه تنسب فرقة الشبانية، عاصر نهاية الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية ويعتبر أول من قال بالتشبيه أي تشبيه الله بخلقه لهذا كفره الخوارج من الزيادية وغيرهم ، قتل في عام 130 هـ (748م) على أبواب " سرخس" وهو يقاتل ضد الجيش الذي أرسله أبو مسلم بعد أن امتنع عن بيعة العباسيين وادعى البيعة لنفسه ، أحمد عطية الله ، القاموس الاسلامي ج 4 ص 190.

(5) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 9 ص 89 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 368،رضى عبد الله عبد الحليم دراسات في تاريخ خراسان ص 93.

(6) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 342 ، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 465،رضى عبد الله عبد الحليم ، نفس المرجع والصفحة .

(7) الطبري ، نفسه المصدر ج 9 ص 97 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 378 وما بعدها .

مسلم الخراساني منتصرا [1] ومات نصر بن سيار هاربا في قرية ساوه بالقرب من الرّيّ [2] كَمَدًا ، وذلك في الثاني عشر من ربيع الأول عام 131هـ (748م) [3]

نستنتج مما سلف ، أن أحوال خراسان في الثلث الأول من القرن الهجري الثاني ، كانت تنذر بنهاية الدولة الأموية فيها ، ولم يكن الخطر كامنا في عدوها التقليدي — الأتراك— الذين حاولوا كثيرا طرد العرب والمسلمين من الإقليم ، وكاد " خاقانهم" أن يحقق ذلك في سنة 118 هـ (736م) حيث دخل " طخارستان " متوجها إلى الغرب لولا شجاعة الوالي أسد بن عبد الله القسري الذي تمكن من التغلب عليه وجعله يقطع " جيحون " هارباً . بل إن الخطر أصبح في كثرة المعارضات التي انفجرت في داخلها ، و المتمثلة في معارضات القبائل العربية الناتجة عن العصبية ، والمعارضات المذهبية ، الخارجية والشيعية ، التي تعاظمت حتى لم يتمكن الولاة — وبخاصة المتأخرون منهم — برغم حنكتهم من التغلب عليها فتصاعدت وانتهت بنجاح الدعوة العباسية.

---

(1) الطبري،تاريخ الأمم والملوك ج 9 ص 97 ابن الأثير،الكامل في التاريخ، ج 5 ص 378،رضى عبد الله عبد الحليم دراسات في تاريخ خراسان93.

(2) مدينة تاريخية " بإيران " عرفت بأسماء مختلفة إبان العصور القديمة " منها " راغا" و " أرساكيا " و " أزاي " و" فيروز " كما عرفت أيام الخلافة العباسية باسم " المحمدية " ذلك لأن محمد المهدي الخليفة العباسي نزلها في خلافة أبيه المنصور و بنى أكثرها . أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ج 2ص 610، كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية ص 249 .

(3) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 9 ص 112، ابن الأثير،الكامل في التاريخ ج 5 ص 396 ، ابن قتيبة،المعارف ص 180 ، أبو الفدا،مختصر أخبار البشر ج 1 قسم 1 ص 209 ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج 10 ص 37 ، البلخي،البدء و التاريخ ج 6 ص 64 ، المسعودي ، مروج الذهب ج 3 ص 258 ، الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص360.

الفصل الثالث

الفصل الثالث :

دراسة الأسباب الشائعة لمعارضة الدولة الأموية في خراسان

يتوصل الدارس المتأمل في آراء المؤرخين القدامى والمحدثين وبعض المستشرقين أن جلهم اعتبر السياسة الأموية السبب المباشر لظهور كل المعارضات التي عمت خراسان في الثلث الأول من القرن الهجري الثاني — التي كنا قد أشرنا إليها في الفصل السّابق وسنخصص لها الفصلين المواليين لهذا الفصل- وحصروها في الأسباب التالية :

1. تعصب الأمويين ضدّ الموالي الفرس الذي تمثل في اضطهادهم واحتقارهم وإبعادهم عن المناصب المهمة واستغلالهم في الفتوحات دون منحهم العطايا مما أنتج شعوبية فارسية قوية.
2. خنق أهل الذمة بالجزية والخراج وابقائهما على من أسلم منهم .
3. بُعْدُ الخُلفاءِ وولّاتهم عن الدّين الإسلامي مما جعل الخراسانيين يمقتونهم ويلتفون وراء أي دعوة تدعو إلى الإطاحة بهم .

سنحاول في هذا الفصل عرض كل تلك الآراء وتحليلها ومناقشتها مبرزين مدى صحتها وخطئها بعيدا عن كل تأثر وتعصب أو تحامل .

لقد اتهم الكثير من المؤرخين المحدثين [1]بنى أمية بالتعصب ضد الموالى الفرس وإبعادهم عن المناصب المهمة معتمدين في ذلك على ما قرره بعض المستشرقين ، أمثال فان

---

(1) مصطفى الرافعي ، حضارة العرب ،دار الكتاب اللبناني،بيروت 1981 ط 3 ص 231 ، أحمد الشايب ، تاريخ الشعر السياسي (إلى منتصف القرن الثاني) مكتبة النهضة المصرية.القاهرة 1396 هـ 1976 م ط 5 ص 265 ، حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1948، ج 1 ص 13و 14و 147 و262 ، ميّ يوسف خُلَيْف ، قضية الالتزام في الشعر الأموي ، دار الثقافة ، القاهرة دت.ص 85 ، أحمد مختار العبادي ، في التاريخ العباسي والأندلسي ، دار النهضة القاهرة 1972 ص 14 ، رمزية الأطرقجي ، الحياة الاجتماعية في بغداد منذ نشأتها حتى نهاية العصر العباسي الأول (132-232هـ) مطبعة جامعة بغداد 1982.ط 1 ص 91 ، أحمد امين ، فجر الاسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1969 ط 10 ص 90 ، إبراهيم بيضون ، الدولة الأموية والمعارضة (مدخل إلى كتاب السيطرة العربية) المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت 1405 هـ (1985م) ط 2 ص 26،علي إبراهيم حسن ،التاريخ الإسلامى العام دار النهضة المصرية القاهرة 1972 ص 328،عبد الأمير عبد الحسين دكس ، الخلافة الأموية 65-76 هـ (684-705م) دار النهضة العربية بيروت 1973 ط 1 ص 80 ، أحمد علبي ، العهد السّرّى للدعوة العباسية

فلوتن[1] وبراون [2] وفلهوزن [3]- الذي كان أقل حدة من سالفيه- الذين اعتمدوا بدورهم على تلك الروايات التي جاء بها المبرد [4] وابن عبد ربه [5] والتي من

=أو من الأمويين إلى العباسيين،دار الفارابي بيروت 1988 ط 1 ص 84 ، علي حسن الخربوطلي ، العرب والحضارة، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة 1966 ص 98 ، فليب حتي وآخران ، تاريخ العرب (مطوّل) دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع،لبنان 1961 ط 3 ج 1 ص 272 ج 2 ص 334 ، محمد ماهر حمادة ، الوثائق السياسية والادارية العائدة للعصر الأموي ، دار النفائس بيروت 1405 هـ (1985م) ط 4 ص 22 ، إدوارد عطية ، العرب ، ترجمة محمد قنديل البلقي ، مراجعة محمد مأمون نجا الشركة العربية للطباعة ، القاهرة 1961 ط 1 ص 40 ،محمد زكي العشماوي ، موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي،دار النهضة بيروت 1981 ص 20 ، شوقي ضيف العصر العباسي الأول ، دار المعارف القاهرة دت ص 74 ، عبد المنعم ماجد ، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى،مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة 1963 ص 17،بدر عبد الرحمن ، الدولة العباسية ص 11 ، محمد جمال الدين سرور ، الحياة السياسية ص 154 ، بطرس البستاني ، معارك العرب،ص 76 ، نبيه عاقل ، دراسات في تارسخ العصر الأموي،ص 215 ، علي حسنى الخربوطلي ، العرب والحضارة،ص 98 ، سيد أمير علي،مختصر تاريخ العرب،ص 169 ، علي الجارم،مرح الوليد ص 48 ، عبد المنعم ماجد ، التاريخ السياسي للدولة الأموية، ص 329 . عز الدين إسماعيل ، في الأدب العبّاسي (الرؤية والفن)دار النّهضة العربية القاهرة 1975 م 71..وما بعدها،محمد الطيب النجار ، الموالي في العصر الأموي ، دار النيل للطباعة ، القاهرة 1368هـ (1949م) ط :1 ص 34 وما بعدها ، عبد الله مهدي الخطيب ، الحكم الأموي في خرسان ، دراسة الوضع السياسي والإقتصادي والإجتماعي 96-127هـ رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي تحت إشراف أد.حسن حبش جامعة عين شمس كلية الآداب 1971ص 96و 127 ، محمد معين مرد يسنا تاثير ان درأدبيان بارسي.تهران 1326 هـ ص 18 ، عباس إقبال ، تاريخ مفصل ايران ازظهور اسلام ، تاحملة مغول بضميمه تاريخ مختصر عالم در قرون جديد تهران چاپخانه شركت مطبوعات ،1327 هـ ص 55،عبد الله زازى ، تاريخ كامل ايران ازتأسيس،سلسلة مادتا انقراض قاجاريه،مؤسسة إقبال،تهران(دت)ص 140،ژ نرال سرپرسي سايكس ، دزارت فرينك ، ترجمه آقاي سيد محمد تقي فخر داهي كيلاني چاپخانة رنكين تهران 1321 هـ جلداول ص 770 ، محمد معين وسيد جعفر شهيدى ، لغتنامه ، جلد دوم اردى بهشت انفصام ص 2897 .

[1] السيادة العربية والشيعة و الإسرائيليات في عصر بنى أمية،ترجمة عن الفرنسية ونقده وعلق عليه ، حسن إبراهيم حسن ومحمد زكى إبراهيم ، مطبعة السعادة ، القاهرة 1934 ط 1 ص 35و 37و 38.

[2] E-G BROWNE . A LITERARY HISTORY OF PERSIA . LONDON 1909 THESUBJECT RACES. VOL 1 p 232 -240.

[3] تاريخ الدولة العربية ص 471. وهناك أيضا المستشرق كيرك جورج ، موجز تاريخ الشرق الأوسط من ظهور الإسلام إلى الوقت الحاضر ترجمة عمر الإسكندرى مراجعة سليم حسن دار الطباعة الحديثة القاهرة دت ص 41=

بينها:" يُروى أن ناسكا من بني الهجيم بن عمرو بن تميم كان يقول في قصصه:" اللهم أغفر للعرب خاصة وللموالي عامة فأما العجم فهم عبيدك و الأمر إليك[4] وأيضا ، أن أعرابيا قال لآخر:" أترى هذه العجم تنكح نساءنا في الجنة ؟ قال : أرى ذلك والله بالأعمال الصالحة ، قال تُوطأ واللهِ رقابُنا قبل ذلك "[1] وأيضا ، أن نافع بن جبير[2] ، أحد بني نوفل بن عبد مناف كان إذا مرّ عليه بالجنازة سأل عنها فإن قيل قرشي قال :" وأقوماه " وإن قيل عربي ، قال :" ومادتاه" ! وإن قيل مولى أو عجمي، قال : " اللهم هم عبادك تأخذ منهم من شئت وتدع من شئت "[3] وأيضا ، أنه (نافع بن جبير) قدّم رجلا من أهل الموالى يصَلي به، فقالوا له في ذلك : فقال :" إنما أردت أن أتواضع لله بالصلاة خلفه "[4] وأيضا ، أن أحد العرب اسمه عبد الله بن الأهتم مر بقوم من الموالي وهم يتذاكرون النحو فقال : " لئن أصلحتموه إنكم لأول من أفسدتموه "[5] وأيضا ، أن

=والمستشرق WATT.WM. ISLAM AND INTEGRATION OSOCIETY .LONDON 1966 P 92

والمستشرق NICHOLSON (JOHN) A LITERATY HISTORY OF THE ARABS - LONDON 1907 P47 . SYKES ______ .-P-A HISTORY OF PERSIA,LONDON-1921,V2,P 14.

(4) الكامل في اللغة والأدب ج 2 ص 312 و 313.

(5) ابن عبد ربه (أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي) العقد الفريد،شرحه وضبطه وصحّحه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه أحمد أمين وآخرون،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة 1372 هـ (1952 م)، ط 2 ج 3 ص 412 وما بعدها .

(1) المبرد الكامل في اللغة والأدب ج 2 ص 312.

(2) هو نافع بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل ، من قريش . من كبار رُواة الحديث،من أهل المدينة ، كان فصيحا عظيم النخوة ، جهيم المنطق ، يفخّم كلامه وكان ممن يؤخذ عنه ويُفتَى بِفَتْواه توفي في سنة 99 هـ ، الزركلي ، الأعلام ج 8ص 316 .

(3) المبرد الكامل في اللغة والأدب ج 2 ص 312، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ج 3 ص 413.

(4) ابن عبد ربه ، نفس المصدر والصفحة .

(5) نفسه ج 3 ص 415.

" عامر بن عبد القيس"[1] في نسكه وزهده وتقشفه وعبادته كَلمه " حمران مولى عثمان بن عفان ، وقال له : " لا كثر الله فينا مثلك " فقال له عامر : " بل كثر الله فينا مثلك " ؟ فقيل له :" أيدعو عليك وتدعو له :" فقال " نعم يكسحون طرقنا ويخرزون خفافنا، ويحوكون ثيابنا ".[2]

لقد اعتبر المبرد [3] هذه الروايات قصصا " شاذة" وخاصة "،فهو يبدأ حديثه قبل عرضها قائلا "وكانَ بقريش من فيه جفوةٌ ونبوة " وهي تحمل دائما أسماء أبطالها الذين هم لم يتصلوا بأي حال من الأحوال لا بالخلافة الأموية ولا ببني أمية ولم يشغلوا مناصب في دولتهم ، فهي من بعض قريش [4] ومن بعض العرب أصحاب العصبية ،[5] تتصل أكثر بالبيئات القبلية التي ترى القوة في الفروسية والقتال وتضعف كل رجل ابتعد عنهما وامتهن الحرف اليدوية والفلاحة ، فكيف إذن يستخرج منها هؤلاء المؤرخون قاعدة عامة تصف سياسة الدولة الأموية؟

لقد اعتبر " فان فلوتن "[6] الموالي " طبقة منحطة لا تكاد تختلف عن طائفة الرقيق في شيء " ويذكر أنه شاع عند العرب إطلاق عبد و رقيق على الموالي"، مما جعله وآخرين[7] لا يفرقون بين ،"مولى حرّ "و" رقيق معتوق" ، الذي كان يجوز لعاتقه أن يشترط

---

(1) هو عامر بن عبد الله ، المعروف بابن عبد قيس العنبرى ، تابعي ، من بني العنبر ، هو أول من عرف بالنسك في البصرة ، هاجر إليها وتلقن القرآن من أبي موسى الأشعري حين قدم البصرة وعلم أهلها القرآن ، فتخرج عليه في النسك اعبد ، توفي في خلافة معاوية سنة 55 هـ – الزركلي الأعلام : ج 4 ص 21.

(2) ابن عبدربه ، العقد الفريد ج 3 ص 414.

(3) الكامل في اللغة والأدب ج 2 ص 312.

(4) المبرد، الكامل في اللغة والأدب ج 2 ص 312

(5) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، 3 ص 414.

(6) السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بنى أمية ص 37.

(7) علي حسنى الخربوطلى، العرب والحضارة،ص 94 ، عبد المنعم ماجد،التاريخ السياسي للدولة الأموية ص 327 ، إبراهيم بيضون الدولة الأموية والمعارضة،ص 26.

عليه خدمته. مَثَلاً. مثلما فعل عبد الله بن عمر [1] مع عبده الذي اعتقه على أن يظل يخدمه لمدة سنتين[2] وذلك لأن للرجل نصيبا في عبده[3].

تُرْجِعُ المَعَاجِمُ العربية الأساسية [4] لفظ مولى إلى أصل واحد وهو القرب من الوالي فالمولى هو المالك والعبد والمعتِق والمعتَق والصاحب والقريب والجار والحليف والابن والعم والنزيل والشريك والرّب والناصر والتابع. أما المؤرخون [5] فعادة ما يعنون " بالمولى " كل مسلم غير عربي. فكل فرد من غير العرب من أبناء الدولة الإسلامية يصبح مولى إذا اعتنق الإسلام .

عرف لفظ " مولى " منذ العصور الجاهلية . وكان يطلق على حلفاء الرجل وورثته من بني عمه وإخوته وسائر عصبيته ، وعلى اللاجئ الذي يلجأ إلى القبيلة بعد خلع

---

(1) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب ، يُكَنى أبا عبد الرحمن أمه هي زينب بنت مظعون ولد في عام أحد عشر أو إثني عشر قبل الهجرة، أسلم مع أبيه وعمره سبع سنوات ، ومات في أواخر ثلاثة وسبعين بمكة. ابن قتيبة ، المعارف ، ص 80. محمد رواس قلعرجي، موسوعة فقه عبد الله بن عمر (عصره وحياته)، دار النفائس- بيروت 1406هـ 1986 م ط 1 ص 6 و 7.

(2) محمد رواس قلعرجي، نفس المرجع ص 381.

(3) محمد رواس قلعرجي ، موسوعة فقه عمر بن الخطاب (عصره وحياته) دار النفائس بيروت 1406هـ 1986 ط3 ، ص 443.

(4) ينظر ابن منظور، لسان العرب، قدم له عبد الله العلايلي إعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت دت ج 3 مادة " الولي " ص 985 . و الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي القاموس المحيط دار الجيل بيروت (دت) ج4 مادة " الولي " ص 404. والرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي) مختار الصحاح، عني بترتيبه محمود خاطر ، مراجعة وتحقيق لجنة من علماء العرب دار المعارف القاهرة ص 736.

(5) نجدة خماش ، الإدارة في العصر الأموي ص 338 ، عمر فروخ العرب وحضارتهم وثقافتهم دار العلم للملايين بيروت 1386هـ 1966 م ص 174 . علي حسني الخربوطلي، العرب والحضارة ص 94 ، فليب حتي ، تاريخ العرب ج 1 ص 299 . أحمد أمين، فجر الإسلام ص 86 . جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج 2 ص 329. أحمد الشايب ، تاريخ الشعر السياسي ص 260 . كيرك جورج، موجز تاريخ الشرق الأوسط ص 41.

قبيلته له[1] كما كان يطلق أيضا على الرّقيق المعتق[2]. ولما بدأت الفتوحات الإسلامية، ودخل العرب المسلمون على العجم وبحثوا لهم على اسم يميزهم عنهم ،وجدوه في قوله تعالى: " ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا"[3] فأطلقوا عليهم لفظ " مَوْلَى"[4] الذي أصبح رابطة اجتماعية يرتبط بها غير العربي عند دخوله للإسلام بالرجل الذي أدخله فيه وبالتالي بعشيرته فيصبح من واجبه التناصر والتعاون ضد أعدائها حتى ولو كانوا عربا أشرافا ومن حقوقه الحماية والمناصرة . وكان الرسول (ﷺ) يشجع هذا النظام كثيراً حيث لم يكن يترك المرء مفرجا حتى يضمه إلى قبيلة يكون إليها[5] فالولاء كما قال الرسول (ﷺ) لُحْمَةٌ كَلُحْمَةِ النَّسَبِ[6].

لقد كان للموالي الفرس الحقّ في اختيار واليهم ، فالبلاذري[7] يذكر أن مجموعة من " الأساورة " قرّرت الدخول إلى الإسلام بعدما تحققت من فشلها في حربها للعرب المسلمين، فعقدت مع أبي موسى الأشعري[8] إتفاقية يحاربون بموجبها أعداء العرب من العجم على أن يسمح لهم بالنّزول في أي بلد يشاءون وأن يلحقوا بشرف العطاء ، فلما وصلوا البصرة سألوا أي أحياء أقرب نسبا إلى رسول الله (ﷺ) فقيل بنو تميم فاختاروا

---

(1) السويد (أبو الفوز محمد أمين الغداد) سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، دار إحياء العلوم، بيروت(د ت)ص9 . توفيق بدر ، تاريخ العرب القديم ، دار الفكر دمشق 1404 هـ (1984م) ط 1 ص 259.

(2) عبد العزيز الدوري ، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1961ص 83 .

(3) سورة الأحزاب آية رقم 5.

(4) أحمد الشايب، تاريخ الشعر السياسي ص 266.

(5) محمد عمارة ، الخلافة ونشأة الأحزاب دار الهلال القاهرة 1983ص 133

(6) أحمد بن محمد الدردير ، أقرب المسالك لمذهب الإمام ما لك ، نشر مكتبة رحاب – الجزائر – 1988 ص 195.

(7) فتوح البلدان ، ص 394.

(8) هو عبد الله بن قيس من الأشعريين من اليمن ، قدم على الرسول محمد (ﷺ) وأسلم، وأول ما شاهده خَيْبَر ، يقال لأمه طيبة بنت وَهْب بن عك توفي في عام أثنين وخمسين ويقال إثنين وأربعين ، ابن قتيبة المعارف ، ص 115 .

موالاتهم ، وأن مجموعة أخرى من الأساورة وعددها أربعة آلاف رجل دخلت الإسلام وفاوضت القائد " سعيد بن العاص " على أن ينزلوا الكوفة ويحالفوا من أحبوا ويُفرض لهم ألف ألف فوافقهم على ذلك[1] ، ثم أن المولى الحُرّ كان يمكنه أن يترك ولاء من والاّه متى شاء إن هضم حقه مثلا . أو لم يدفع له دية عن جريمة ارتكبها [2] بل أن دخول العجم إلى الإسلام لم يكن يشترط فيه الولاء ، وهذا ما نفهمه من الرسالة التي بعثها عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد قائلا :" ومن أعتقتم من الحمراء[3] فأسلموا فألحقوهم بمواليهم ، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم وإن أحبوا أن يكونوا قبيلة وحدهم فاجعلوهم أسوتكم في العطاء المعروف " [4] فكان بإمكان المسلم الجديد من العجم أن يعلن إسلامه أمام القاضي الشرعي [5] أو الدهقان المكلف بجمع الضرائب على ناحيته ، أو أمام العامل على الخراج مثلما كان يحدث في ولاية نصر بن سيار على خراسان [6] دون ولاء .

لقد اعتمد بنو أمية على الموالي وبالأخصّ الفرس منهم وعينوهم في أرقى المناصب حتى أصبح نصيبهم فيها أكبر من نصيب العرب أنفسهم [7] وليس هناك دليل على احترام آل أمية للفرس مثل إبقاء مرازبنتهم - سواء أسلموا أو لم يسلموا — في مهامهم مثلما كانوا عليه في العصر الساساني مكتفيين بتنصيب عمال عرب يمثلون دولتهم [8] وعلى الرغم من أن بعض المرازبة كانوا ينقضون الصلح ويتمردون إلا أن الولاة الأمويين كانوا يعيدون

---

(1) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص 395.

(2) أبو حنيفة (النعمان بن ثابت بن روطي بن ماء التميمي) 80 – 150 هـ مساند حيدر آباد 1332 هـ ج 2 ص 174.

(3) قوم من الروم فيهم " بنوينة " و " بنو الأزرق " و " بنو روبيل " ، إبن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم) ت 214هـ فتوح مصر وأخبارها،ليدن 1930م ص : 129.

(4) محمد روّاس قلعرجي ، موسوعة فقه عمر بن الخطاب ، ص 696.

(5) محمد عبده ، رسالة التوحيد دار النصر للطباعة القاهرة ، 1969 ص 163.

(6) الطبري، تاريخ الأمم والموك ، ج8 ص 268.

(7) نجدة خماش، الإدارة في العصر الأموى،ص 346 ، علي حسني الخربوطلى ، العرب و الحضارة ص 102 .

(8) فلهوزن، تاريخ الدولة العربية ص 413.

إقرار الصلح دون التفكير في إبعادهم أو قتلهم.وقد رأينا كيف عزّ على قتيبة بن مسلم قتل نيزك مرزبان بادغيس رغم الخيانه العظمى الذي اقترفها ورغم أن الأمير الحجاج بن يوسف طلب ذلك منه مستعجلا.[1] كما ظل " الدهاقون " في وظائفهم أيضاوظل إشرافهم على الإدارة المالية حكرا لهم إلى نهاية الدولة الأموية فلم يدخلها العرب قطّ[2]. ويذكر أن زياد بن أبي سفيان كتب إلى الخليفة معاوية يوصيه باستخدام الموالي الفرس في جباية الخراج لأنهم — كما يرى- أنصر وأغفر وأشكر[3] وليس ثمة منصب مُهمّ إلا وكان للموالي الفرس حصّة الأسد فيه ، ومنذ بداية الدولة ، فقد استعمل الخليفة معاوية بن أبي سفيان مولى اسمه مختار على حرسه[4] وآخر اسمه سعد [5] على حجابته وعين الحجاج بن يوسف المولي صالح بن عبد الرحمن على ديوان الخراج بعد أن عرّبه [6] وأصبحت له السلطة الكاملة عليه في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك لدرجة أنه لم يُمكّن يزيد بن المهلب من شيء عند توليته العراقين مما جعله يتركها ويختار ولاية خراسان[7] كما ولى الخليفة يزيد بن عبد الملك المولى يزيد بن أبي مسلم على ولاية إفريقيةوذلك في سنة 101 هـ (719م) [8].

كان مقاتل بن حيان النبطي من أكبر الشخصيات السياسية في خراسان فلقد طلب الخليفة هشام من الأمير خالد بن عبد الله القسري إحضاره حتى يصدقه أخبار انتصار الوالي أسد بن عبد الله على خاقان الترك بعد ما كَذّب مُقرّبيه من القَيْسِيّين [9] كما اختاره

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 77 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخج4 ص 551 .

(2) نجدةخماش ، الإدارة في العصر الأموي ص 278.

(3) البلاذري، أنساب الأشراف ج4 قسم 1 ص 23.

(4) الطبري ، تاريخ الأمم و الملوك ج 6 ص 182.

(5) الطبري،نفس المصدر ج 6 ص 184.

(6) البلاذري ، فتوح البلدان ص 421 ، الماوردي،الأحكام السلطانية والولايات الدينية ص 202 .

(7) الطبري ، تاريخ الأمم و الملوك ج 8 ص 116 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 24.

(8) ابن الأثير ، نفس المصدر ج 5 ص 87و 101 ، الزركلي،الأعلام ج 9 ص 234.

(9) الطبري ، تاريخ الأمم ج8 ص 239 ، ابن الأثير ، الكامل ج 5 ص 206 فلهوزن،تاريخ الدولة العربية 449.

نصر بن سيار ليكون على رأس من يحكم بينه وبين الحارث بن سريج [1]، أما أبوه " حيان النبطي " فقد كان قائدا على جيش كبير من الموالي في خراسان بلغ عدده سبعة آلاف ، تذكر المصادر أنه كان له دور كبير في إشعال الثورة على قتيبة بن مسلم وقتله.[2]

وكان الوالي قتيبة بن مسلم يختار رجالا من الموالي ليجعلهم في طليعة الجيش كما كانت له هيئة من المستشارين منهم ، مثل الفضل بن بسّام وعبد الله بن أبي عبد الله والبختري بن مجاهد.[3] وسار على هذا المنهج الوالي الجنيد أيضا [4]، ولسنا ندري كيف أن جرجي زيدان [5] يجزم على أن الموالي لم يكن يسمح لهم بتولّي القضاء وقد وَلّى الحجاج المولى الفارسي " سعيد بن جبير " القضاء فلما ضجّ به أهل الكوفة وقالوا " لا يَصلح القضاء إلا لعربي وَلّى " أبا بردة " وأمره أن لا يقطع أمرا دونه " [6] وجعل سعيدا كاتبا ووزيراً له [7]، كما كان المولى عامر الشعبي على قضاء الكوفة والمولى الحسن بن أبي الحسن البصري على قضاء البصرة في عهد عمر بن عبد العزيز .[8]

واحتل الموالي الفرس أيضا مهام الإمام الرسمي ليس فقط في الأقاليم التي كانت تحت حكم الساسانيين بل حتى في مصر حيث يذكر ابن التغري بردي[9] أن الليث ابن سعد مَوْلًى أصله من خراسان كان إمام أهل مصر في عصره حديثا وفقها و " كان كبير الديار المصرية ورئيسها وأمير من بها في عصره ، بحيث أن القاضي والنائب من تحت

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 9 ص 67 ، ابن الأثير،الكامل في التاريخ ج 5 ص 343.

(2) الطبري ، نفس المصدر ج 8 ص 108 ، ابن الأثير ، نفس المصدر ج 5 ص 15.

(3) الطبري ، نفسه ج 7 ص 197 ، نجدة خماش،الإدارة في العصر الأموي ص 347.

(4) الطبري ، نفسه ج 8 ص 211.

(5) تاريخ التمدن الإسلامي ج 2 ص 231.

(6) البلاذري،أنساب الأشراف ج 4 قسم 1 ص 39.

(7) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ج 1 ص 62.

(8) الطبري ، تاريخ الأمم ج 8 ص 131،النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ج 21 ص 359.

(9) ابن التغري بَرْدي (أبو المحاسن) ت 874 هـ ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،دار الكتب المصرية القاهرة ، 1929 – 1930 ج 2 ص 82.

إمرته ومشورته " أما كُتاب الدواوين في العصر الأموي فكان معظمهم من الفرس،ولعل أول اسم منهم ، يلتمع في سماء الكتابة العربية،هو " سالم " مولى الخليفة هشام الذي أنشأ الأسس الأولى لمدرسة الكتابة الفنية العربية التي تخرج منها أشهر كاتب أموي وهو عبد الحميد الكاتب(*) (1) الذي ارتبط اسمه بآخر خليفة أموي مروان بن محمد فكان نِعْم الكاتب له ونعم الناصح(2)،حتى أصبح الخليفة لا يرى الدنيا إلا به لعِلْمِه بنُبُوغة وتفَرّده في صناعة الكتابة (3)، لقد كان عبد الحميد بليغا (4) حتى اعتبر أوّل من فتق أكمام البلاغة وسهّل طريقها وفكّ رقابَ الشّعر(5). كما أن مواقفه مع الخليفة مروان رفعت شأنه كثيرا وبرهنت على مدى الاحترام الذي كان يُكنه له . فحينما تأكد مروان من زوال خلافته طلب منه أن يذهب إلى العباسيين ويُظهر خيانته له قائلا :" قد احتجت إلى أنْ تصير مع عدوي وتُظهر الغَدْر فإنّ إعجابهم ببلاغتك وحاجتهم إلى كتابك تدعوهم إلى اصطناعك وتقريبك ..." لكنه رفض قائلاً:" إن الذي أشرت به هو أنفع الأمرين وأقبحهما بي، وما عندي إلاّ الصّبر معك حتى يفتح الله لك أو أقتل"(6) وظل على موقفه حتى قتل بعد مقتل مروان صبراً(7).

(*) هو أبو غالب عبد الحميد بن يحيي بن سعد مولى بني عامر بن لؤي بن غالب ، كاتب مروان بن محمد وكان أوّلا معلم صبية ، يتنقل في البلدان،هو الذي سهل سبيل البلاغة في الترسل ، قُتل مع مروان بن محمد بالديار المصرية ولرسائله مجموع نحو ألف ورقة ، ابن النّديم (محمد بن اسحاق) توفي 377 هـ الفهرست،حققه وقدم له مصطفى الشويمي ، الدار التونسية للنشر تونس 1405هـ /1985م ص 518.

(1) مصطفى الشكعة،الأدب في موكب الحضارة الإسلامية ،مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة(دت)ص 330.

(2) مصطفى الشكعة ، نفس المرجع 339 ، شوقي ضيف،الفن ومذاهبه في النثر العربي،مكتبة الأندلس-بيروت 1956م ص 67.

(3) محمد كرد علي ، أمراء البيان،دار الأمانة بيروت 1969 ط 3 ، ص 39.

(4) شوقي ضيف،الفن ومذاهبه في النثر العربي ، ص 67 ، السيد أحمد الهاشمي ، جواهر الأدب في أدب وأدبيات وإنشاء لغة العرب،مؤسسة المعارف بيروت دت ج2 ص 129.

(5) إبن عبد ربه،العقد الفريد ج 4 ص 165.

(6) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ج7 ص 132.

(7) ابن النديم ، الفهرست ص 518.

أما العلماء من الموالي الفرس فقد نالوا كامل الاحترام من خلفاء بنى أمية وحكامهم وحتى من الأوساط القبلية ، وليس أكبر دليل على ذلك من الحسن البصري[1] الذي كان مقامه كالزعيم في البصرة [2]. يعطي أراءه صريحة في الخلفاء ويتدخل في أمورهم [3] كما كان على اتصال دائم بالخليفة عمر بن عبد العزيز،مُكْثِرا الوعظ والنصح له.[4] وعند وفاته في سنة 110 هـ (228م) لم تشهد البصرة جنازة مثل جنازته فقد تبعها كل أهلها حتى لم يبق من يقيم صلاة العصر منهم في جامعها وكان هذا الأمر غريبا فلم يحدث أن تُرِكَ قِيامُ الصلاة في مكان ما من أرض المسلمين منذ أن ظهر الإسلام[5] .

وما يُمكِن أن يستجليه الدارس ، من خلال كلّ ما سبق،هو أنه لا يوجد ما يدلّ على إبعاد الموالي الفرس عن المشاركة في الحكم و احتلال المناصب العليا في الدولة الأموية فلم يكن هناك احتكار عربيّ للسّلطة،اللّهمّ إلا إذا عُني بذلك أن الخليفة كان عربيا أمويا دائما، أما بُعْدُ العَربِ عن الوظائف العامة في العصر الأموي وتَركِها للموالي فلا نستطيع أن نجزم أن العرب ابتعدوا نهائيا عنها،ذلك لأنهم إلتجأوا إلى الزراعة والفلاحة في خراسان عندما

---

(1) هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري ،ولد في سنة 21 هـ ، أبوه كان مولى زيد بن ثابت الأنصاري،أصله من " ميسان " كورة بين البصرة وواسط،وأمّه كانت مولاة " لأم سلمة " زوج الرّسول ، التي كانت تعلله بلبنها في غياب أمّه . مما جعل البعض يعتقد أن حكمته وفصاحته جاءت من بركتها ، ابن قتيبة،المعارف،ص 195 ، النيسابوري (الإمام الحاكم أبو عبد الله الحافظ النيسابوري) معرفة علوم الدين تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت 1400 هـ 1980 ط 4 ص 200 ، أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي، ج 2 ص 81 .

(2) محمد ضياء الدين الريس ، الخراج والنظم المالية ص 262.

(3) أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ج 2 ص 82.

(4) ابن عبد الحكم (أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم) المتوفى سنة 214 هـ سيرة عمر بن عبد العزيز ، نسخها وصححها وعلق عليها أحمد عبيد،المطبعة الرحمانية القاهرة 1346هـ 1927، ص 109، 150.

(5) ابن خلكان وفيات الأعيان ج1 ص 129 ، نجدة خمّاش ، الإدارة في العصر الأموى ص 342،عبد الشافي محمد عبد اللطيف ، العالم الإسلامي في العصر الأموي 432 ، أحمدعطية الله ، القاموس الإسلامي ج 2 ص 82.

قَلت الفتوحات الإسلامية مع نهاية القرن الهجري الأول[1] وإن لم يظهر ذلك واضحا، فهذا لأن عدد العرب الإجمالي الذي كان بخراسان كان قليلا جدا قياسا بالفرس، ثم يجب أن نعلم أن احتكار الموالي للفلاحة والحرف أكسبهم السّيطرةَ على الحياةِ الاقتصاديةِ والاجتماعيةِ دون آل أمّية والعرب.وبقى لنا هنا أن نذكر أن اللُبس الموجود في كلمة مُوْلَى التي تعنى المولى الحرّ والمعتوق جعل أخبار الطائفة الثانية تُصَبُ على الجميع،فالمولى المعتوق قد يُعتق مقابل شروط كما رأينا ويَظَلّ لصاحبه دائما نصيب فيه فقد يمنعه من الزواج إلا بإذنه واختياره مثلا، وإن فعل ذلك عاصيا حق لصاحبه فسخ زواجه،فقد عرف عن الرسول (ﷺ) أنه قال: "أيما عَبْد تزوج بغير إذن مواليه فهو زانٍ"[2]. وهنا أقول متسائلة لماذا رُوّجَت الروايات التي جاء بها ابن عبد ربه[3] هذا الرواج و لا نسمع شيئا عن تلك الرّواية التي جاء بها المبرد[4] التي تعبر عن مدى عزّة وكرامة المْولى الحُرِ حيث أن أحدهم يقال له عبد الله بن سليمان نازع" عمرو بن هذاب المازنى"ــــــــــــ" وهو في ذلك الوقت سيد بنى تميم قاطبة، فقرّ هدم داره فأدخل الفَعَلَة الدّار-ولما فَلَعَ من سَطْحِه كَفَّ عَنْهُ ثم قال: "يا عمرو، قد أريتك القدرة وسأريك العفو". ونتساءل هنا أيضا هل يُعْقَلُ أن يُحتقر المولى الفارسي ويُبْعَد عن الوظائف المهمّة في الدولة- وهم مسلمون- في الوقت الذي أحْسن بنو أمية معاملة أهل الذمة وأشركوهم في المناصب المهمة والحساسة في دولتهم والأمثلة على ذلك كثيرة .

لقد رأى الخليفة معاوية بن أبي سفيان منذ أن كان واليا على الشام أن النصارى من الروم والعرب أكثرية في ولايته و أنهم يحتلون كل مرافق الحياة.فكان منهم أصحاب

(1) حسن عطوان،الشعر في خراسان من الفتح إلى نهاية العصر الأموي،ص 50 ، و 53.

(2) الطرسوسي (أبو أمية محمد بن أبراهيم) مسند عبد الله بن عمر تحقيق أحمد راتب عرموش ، دار النفائس ، بيروت 1407 هـ 1987 م ط 5 ص 48 .

(3) وكان الخاطب لا يخطب المرأة منهم إلى أبيها ولا أخيها وإنما يخطبها إلى مواليها وإن لم يفعل فسخ النكاح وإن كان قد دخل بها وكانوا لا يكنّونهم بالكنى ، ولا يدعونهم إلا بالأسماء والألقاب ولا يمشون في الصف معهم ولا يقدمونهم في الموكب ....ولا يدعونهم يصلون على الجنائز إذا حضر أحد من العرب.العقد الفريد ج 3 ص 413.

(4) الكامل في اللغة والأدب ج2 ص 312.

الحرف و الموظفون والأطباء والكتاب،فأدرك أنه لا يمكن الاستغناء عنهم إذا أراد أن يحسن إدارة الولاية، فأبقى الموظفين منهم في مهامهم ، وقَرَّبَ النابهين منهم إليه.

ولَمّا آلتْ إليه الخلافةُ في سنة41 هـ (661م) وسّع دائرة استعمال الأَكْفَاءِ من أهل الذمة فعهد الإدارة المالية إلى أسرة "سرجون بن منصور الرومي"[1].كما عهد كتابة خراج حمص إلى طبيبه" ابن أوثال" النصراني .[2]

لقد أخذ الأمراء و الولاة الأمويون العبرة من خليفتهم معاوية في تنصيب أهل الذّمة ، فنصب "زياد بن أبي سفيان " أمير العراقين "زاذان فروخ" الزرادشتي[3] كاتبا له على الخراج [4] . كما اختار أبنه عبد الرحمن بن زياد عندماوُلِّيَ خراسان الزاردشتي"اسطفانوس" كاتبا له أيضا[5]. أما ديوان الخراج الخراساني فقد كان أكثرُ كُتّابِهِ منهم ، وبخاصة

---

(1) الطبري،تاريخ الأمم والملوك ج6 ص 186،الجهشياري ، الوزراء والكتاب ص 24.

(2) الجهشياري ، نفس المصدر ص 27.

(3) الزرد شتية : ديانة وضعية جاء بها " زردشت" 660- 583 ق م . تدور فلسفتها حول وجود إلهين أو مجموعتين من الآلهة ، المجموعة الأولى , آلهة خيّرة على رأسها " أهور مازدا " و المجموعة الثانية مجموعة شريرة يتزعمها " أهرمان " والنضال بين هاتين المجموعتين يمثل النضال بين الخير والشّر في الحياة ، ذلك النضال الذي لا ينقضي إلا بعد آلاف السّنين حيث ينتصر الخير ويُهزم " أهور مازدا " "اهرمان" ويرمز زردشت إلى "أهورمازدا " ببعض المواد الصافية كالنار و قال بالبعث والحياة الأخرى و الحساب حيث ينتهى المرء لنعيم دائم أو عذاب مقيم ، ينظر الشهر ستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد) 449 –548 هـ المِلَل والنحل تحقيق أمير على مهنا وعلي حسن فاعور ، دار المعرفه ، بيروت : 1446 هـ 1992 م ط 5 ج 1 ص 281 ، القفطي (جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف) تاريخ الحكماء،بغداد مكتبة المثنى،بغداد،(دت)ص 18 ، الدينوري ، الأخبار الطوال، ص 25 ،الثعالبي (أبو منصور الثعالبي) 350–429 هـ تاريخ غرر الأخبار ، المعروف بغرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم مكتبة الأسدى طهران 1963 ص 257 و 260 ، الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ) الحيوان ، شرح وتحقيق يحيى الشامي،دار الهلال القاهرة 1990 ط 3 مجلد 2 ص 192، أمين عبد المجيد بدوي، القصة في الأدب الفارسي،دار المعارف القاهرة ، 1964 ، 21 إلى 31.

(4) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ص 29.

(5) الجهشياري ، نفس المصدر والصفحة .

أنه لم يعرب إلا في سنة 124 هـ (741م)[1]. ولما قرر الخليفة عبد الملك بن مروان تعريب الدواوين [2] – ونقصد هنا بالدواوين ديوان الخراج وحده الذي ظل يكتب في العراق وبلاد فارس بالفارسية وفي بلاد الشام بالرومية [3] وفي المغرب باللاتينية . أما في مصر فلم يكن يكتب باللغة القبطية كما ذكر البعض [4] فقد دلت الوثائق أنه كان يكتب باليونانية (الرومية الرسمية ومعها بعض التعليقات بالقبطية إن احتاجت إلى ذلك [5] أما الدواوين الأخرى فقد كانت عربية منذ أن أنشئت وعلى رأسها ديوان الجند " الذي بدأ معربا في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه [6] – ظن النصارى في الشام، التي كانت أوّل محطة يعرّب فيها ديوان الخراج في سنة 82 هـ 701[7]، أن الوظائف خرجت من أيديهم وخاصة أن رئيسهم على الديوان سرحون بن منصور أفهمهم ذلك قائلاً : " اطلبوا المعيشة من غير هذه الصنعة فقد قطعها الله عنكم " [8] لكن هذا لم يحدث ، ونفهم ذلك

---

(1) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ص 67.

(2) يذكر البلاذرى في فتوح البلدان ص 272 و الماوردي ، الأحكام السلطانية والولايات الدّينيّة ص 202 :" أن رجلا من كتّاب الروم احتاج أن يكتب شيئا فلم يجد ماء فبال في الدواة فبلغ ذلك الخليفة عبد الملك فأدبه وعندها قرر تعريب الدواوين ."

(3) الماوردي، نفس المصدر ص 202 ، المقريزى (تقى الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد)،الواعظ والاعتبار بذكر الخطط و الآثار،مكتبة إحياء العلوم لبنان د ت ، ج1 ص 175 ، نعمة رحيم العزاوي ، أثر الشعوبية في الأدب العربي وتاريخه مطبعة إشبيلية الحديثة بغداد ،(دت)، ص 101.

(4) المقريزي، نفس المصدر والصفحة ، محمود إسماعيل ، قضايا في التاريخ الإسلامي منهج وتطبيق ، دار الثقافة دار البيضاء 1981 ط 1 ص 23 ، عمر فروخ ، العرب وحضارتهم وثقافتهم ص 151.

(5) حسن إبراهيم وعلي إبراهيم ، النظم الإسلامية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1358هـ 1939 ط 1 ص 221 ، حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي ج 1 ص 352 وما بعدها .

(6) الجهشياري، الوزراء والكتاب ص 83 ، الماوردي ، الأحكام السلطانية ص 200 ، ابن تيمية (أبو العباس أحمد بن تيمية) السياسة الشرعية في إصلاح الرّاعي والرّعية،تقديم عبد السّميع جباري،الجزائر 1994 ، ص 78، عمر فروخ ، العرب وحضارتهم ص 152 ، عبد العزيز الدّوري ، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ص 7.

(7) البلاذري ، فتوح البلدان ص 272.

(8) البلاذري ، نفس المصدر و الصفحة الماوردي ، الأحكام السلطانية ص 200 .

من ابن العبري[1] الذمي الذي يذكر أن الخليفة لم يُبْعِدِ هؤلاءِ نهائيا ، بل فرض عليهم ألاّ يكتبوا الدفاتر بالرومية ، وكتابتها بالعربية ، ولا شك أن هذا القرار دفعهم إلى إجاده اللغة العربية وخاصة أنها لم تكن غريبة عنهم ويظهر أنهم سرعان ما تمكنوا منها فقد تواصل استعمالهم واختار الخليفةُ " سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ " "ابنَ البِطْرِيقِ " النصرانيَّ كاتبا له وقرّبه إليه.[2] أما الخليفة عمر بن عبد العزيز فقد كَرِهَ استخدامَ أهلِ الذمّة في المناصب المهمة وكتب إلى ولاته وعماله قائلا : " ...إن المسلمين كانوا فيما مضى إذا قدموا بلدةً فيها أهل الشرك يستعينون بهم لعلمهم بالجباية والكتابة والتدبير ، فكانت لهم في ذلك مُدّةٌ فقد قضاها الله بأمير المؤمنين ،فلا أعلم كاتبا ولا عاملا في شيءٍ من عملك على غير دين الإسلام إلا عزلته واستبدلت مكانه رجلاً مسلماً ، فإن مَحْقَ [3]أعمالهم مَحْقُ أديانهم ، فإنّ أولى بهم إنزالهم منزلتهم التي أنزلهم الله بها من الذّلّ والصّغار فافعل ذلك وأكتب إليّ كيف فعلت ..."[4] ولم يكن الخليفة عمر بن عبد العزيز متعصبا في قراره كما ذكر البعض[5] إنما عبّر عما يجب أن يكون شرعا في الدولة الإسلامية . ومع ذلك فلم يخلُ ديوان من دواوين الدولة في عهده من النصارى والزرد شتيين .[6]

لقد حاول الخليفة هشام بن عبد الملك أن يطبق قرار الخليفة عمر . وأرسل يطلب إبعاد الكاتب " حسان النبطي النصراني" ، الذي كان مساعدا لمحمد بنِ المنتشر على ديوان

---

(1) ابن العبري (أغريغوس أبو الفرج بن هروت) تاريخ مختصر الدول طبعة الأب أنطون صالحاني اليسوعي ،(دت) ص 196.

(2) الجهشياري الوزراء والكتاب ص 48 .

(3) محق الشيء نقصه وأبطله ومحاه ، مجمع اللغة العربية،المعجم الوسيط ج 2 ص 856.

(4) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ص 165.

(5) فان فلوتن ، السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات ، ص 59حسن إبراهيم حسن،النظم الإسلامية،ص 296 و298.

(6) عمر فروخ ، العرب وحضارتهم وثقافتهم 168 ، شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ، ص 61 وأيضا TRITTON (AS) THE CALIPHS AND THEIR NON MUSLIM SUBJECTS . OXFORD . UNIVERSITY PRESS 1930 P 18.

العراق لكنه أسلم حفاظا على منصبه.[1] ومع ذلك لم يصبح هذا القرار سياسة دولة في عهده، وظلّ استخدام النصارى والزردشتيين مستمراً،فيذكر أن " خالد بن عبد الله القسري

أمير العراقين قرّب النّصارى واستخدمهم حتى قيل:" إن الإسلام في عهده أصبح ذليلا والحكم في يد أهل الذمة ."[2] أما في خراسان فقد ظل دائما حتى بعد تعريب ديوان خراجها في عهد الوالى نصر بن سيّار في سنة 124 هـ (738م)[3]، ونجيب هنا المستشرق كيرك[4] القائل :" إن العرب أي الذين من أصل عربي صميم لم يستسيغوا قط الأشغال بهذه الأعمال المملّة في نظرهم ، ولم يبدُ فيها من الحذق ما يَكفي لقيامهم بها." إنه لو صحت مَقُولَتُه لَمَا كان عمر بن عبد العزيز قد قرّر ما قرّر ، بل لَمَا كان الخليفةُ عبدُ الملكِ بن مروان قد شرع في تعريب ديوان الخراج وهو يعلم أنه ليس كل الموظفين من النصارى والزرد شتيين عالمين باللغة العربية .

أما العلماء والأدباء الذميون ، فقد خصهم خلفاء بني أميّة بالاحترام والتقريب ، مثلهم مثل أمثالهم من المسلمين والعرب ، وليس هناك دليل على هذا مثل المكانة التي بلغها الشاعر " الأخطل النصراني"[5] الذي كان شاعر الخلافة الرّسمي في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ، الذي أُطلق عليه لقب شاعر بني أمية بل وشاعر العرب أيضا.[6] مع أنه كان محبّا لنصرا نيته معبّرا عنها في مظهره ، حيث إنه كان يضع على صدره صليبا كبيراً من الذهب علقته عليه أمّه منذ أن كان صبيًّا ولم ينزعه أبداً[7]. ولم يُبعد الخليفة " عمر بن

---

(1) الجهشياوي ، الوزراء والكتاب ص 61.

(2) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج 5 ص 225 ، النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب،ج 21 ص 457.

(3) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ص 67.

(4) موجز تاريخ الشرق الأوسط،ص 26 .

(5) ويُكنى أبا مالك واسمه غياث بن غوث بن الصلت من قبيلة تغلب غلب عليه لقب " الأخطل"، ظهرت الشاعرية فيه منذ حداثته ، توفي في سنة 95هـ ، جرجي زيدان ، تاريخ أدب اللغة العربية،منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت 1983 ج 1 ص 248.

(6) جرجي زيدان،نفس المرجع والصفحة ، على حسني الخربوطلي ، العرب والحضارة ص 109 .

(7) مهدي محمد ناصر الدين ، ديوان الأخطل دار الكتب العلمية ، لبنان 1414 هـ 1994 م ط 2 ص 5.

عبد العزيز العلماء والأدباء الذميين رغم قراره إبعاد موظفي الدولة منهم ، فيذكر القفطي "[1] أنه قرب الطبيب " ما سرجيس " اليهودي وكلفه بترجمة بعض الكتب،هذا وقد شاع اتخاذ الخلفاء والأمراء وأهل الجاه معلميين من النصارى والزرادشتيين ليباشروا تعليم صبيتهم مختلف علوم عصرهم .[2]

والملاحظ من كل ما سلف أنّ خلفاء بنى أمية قد وظفوا النصارى والزردشتيين من أهل الذمّة ، ولم يوظفوا اليهود ويعلل الجاحظ [3] ذلك بأن " اليهود كانوا جيران المسلمين بيثرب وغيرها وعداوة الجيران شبيهة بعداوة الأقارب في الشدّة وثبات الحقد "[4] ويرى:" أن اليهود حسدت المسلمين على نعمة الدين والاجتماع بعد الافتراق فجمعوا كيدهم وبذلوا أنفسهم وأموالهم في قتالهم" أما النصارى ، الذين انتشرت ديانتهم كثيرا بين العرب — إلا مضر — " فلا يتكلفون طعنا ولا يثيرون كيدا ولا يجمعون على حرب "[5] ومع أن هذا الرأي يبدو سليما إلا أن آل أمية أبعدوا اليهود عن الوظائف الحكومية مِصْداقا لقوله تعالى: "لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ والذِينَ أَشْرَكُوا وَ لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ".[6]

أما الوظائف الأخرى فقد أشترك فيها كل أهل الذمة دون تميز فقد شاع تطبيب القسس كما شاع تطبيب الأديرة التي اشتهرت باستعمال المياه الكبريتية في ذلك [7] كما تنافس الجميع في التجارة والصناعة ، وإن كان اليهود قد تخصصوا في الصياغة ونسيج

---

(1) تاريخ الحكماء ص 324.

(2) فليب حتي ، تاريخ العرب ج 1 ص 322 ، عبد اللطيف الطيباوي ، محاضرات في تاريخ العرب والإسلام ص 27.

(3) ثلاث رسائل ، المطبعةالسلفية القاهرة 1344 هـ ص 14.

(4) الجاحظ ، ثلاث رسائل ، ص 14 .

(5) الجاحظ نفس المصدر ص 15.

(6) سورة المائدة ، آية 82.

(7) على حسني الخربوطلي ، العرب والحضارة ، ص 106.

الحرير وصناعة الزّجاج والسّفن.[1]

وهناك اتهام آخر أشاعه بعض المؤرخين[2] تأكيدا لعصبية آل أميّة واحتقارهم للموالى عامة وبالأخص الفرس وهو أنهم كانوا يكرهون الزواج منهم . وإن حصل وأنتج أولادا لا يعاملونهم مثل الذين أمّهاتهم عربيات بل لا ينالون نفس الحصة من إرث أبيهم .[3] متجاهلين في ذلك أن بعض الخلفاء الأمويين كانوا من أمهات أولاد مثل الخليفة مروان ابن محمد الذي كان من أم ولد كردية [4] و الخليفة يزيد بن الوليد بن عبد الملك الذي كان من أم ولد فارسية اسمها " شاهفرند بنت فيروز بن يزدجرد بن شهريار بن كسرى" الذي كان شديد الفخر بنسبه لها حيث كان يقول :

أنَـا ابْنُ كِـسْرَى وأبي مَرْوَان *** وَقَيْصَرُ جَدّي وجَدّي خَاقَان[5]

أما إذا كان المقصود تزويج البنات الأمويات إلى الموالي فنحن نعلم أن العرب كانوا من أشد الناس حاجة إلى حفظ الأنساب ولذلك كانوا لا يقبلون على بناتهم إلا الزواج الصريح من أصحاب النسب الواضح والشريف [6] . ثم إن هذا الأمر لَمْ يَخُصَّ الأمويين وحدهم ،

---

(1) على حسنى الخربوطلى، العرب والحضارة ، ص 106.

(2) جرجي زيدان، تاريخ التمدّن الإسلامي ، ج 2 ص 343 • بطرس البستاني ، معارك الغرب ص 77 عبد الأمير عبد حسين دكس ،الخلافةالأموية ، ص 80 و81 ، وأيضا " KHUDA-BUKH SH, ESSAYS INDIAN AND ISLAMIC,LONDON 1912. P = 64.

(3) عبد الأمير عبد حسين دكس، الخلافة الأموية ص : 81.

(4) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 9 ص 137 • ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج5 ص 428.اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 338 • ابن كثير ،البداية والنهاية ، ج10 ص 46.

(5) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 9 ص 46 • ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 310.ابن كثير ،البداية والنهاية ج10 ص 16.المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر،ج 3 ص 239، ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ص 89 • اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ج2 ص 335 • الحنبلي،شذارت الذهب في أخبار من ذهب ج 1 ص :171

(6) الألوسي (محمود شكري الألوسي) المتوفى 1246 هـ،المختار من كتاب بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، اختار النصوص ، محمد خالد الصحفي ، مراجعة ، عبد الحميد يونس ، دار المعرفة القاهرة دت ص 31.

بل عُرِفَ عند الساسانيين أيضا قبل ذلك [1] أما بعيدا عن بنات الخلفاء وذوي الجاه والسلطان فكان زواج العربيات بالموالي واردا ، وبخاصة أننا نتكلم عن جيل كان فيه الكثير من أرباب الأسر من المولدين .

وهناك اتهام آخر أيضا أشاعه بعض المؤرخين[2] تأكيدا لعصبية آل أمية واحتقارهم للموالى الفرس ، وهو أنهم استغلوهم في فتوحاتهم في ما وراء النهر ، وغيرها دون منحهم العطايا المفروضة ولاشك أنهم اعتمدوا في اتهامهم هذا على الشكوى التي أبلغها المولى أبو الصيداء للخليفة عمر بن عبد العزيز في سنة 100 هـ/ 718 م والتي مفادها أن " عشرين ألفا من الموالي يغـزون بلا عـطاء ولا رزق "[3] مع أنه توجد رواية عند ابن عبد ربه[4] تبين أن خلفاء بنى أمية ظلوا يزيدون عطاء الموالى باستمرار حيث جاء فيها " كان معاوية فرض للموالي خمسة عشر فبلغهم عبد الملك عشرين ثم بلغهم سليمان خمسة وعشرين ثم قام هشام فأتمّ للأبناء منهم ثلاثين " وبالرغم من أن هذه الرواية غير واضحة تماما ذلك لأننا لا نعلم إذا كانت الزيادة بالدينار أو بالدرهم ولا إذا كان العطاء سنويا أو شهريا . إلا أنها توحـي علـى أن المبـلغ كان يتـجه نـحو الـزيـادة [5] ولـو لا هـذا لما كانت تحدث تلك

---

(1) كرستنسن ، إيران في عهد الساسانيين ص 303 ، محمد عبد القادر محمد ، إيران ص 183 .

(2) فان فلوتن ، السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات ، ص 39 ، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 471 ، علي حسني الخربوطلي ، تاريخ العراق ص 258، والعرب والحضارة ص 99.أحمد مختار العبادي في التاريخ العباسي والأندلسي ص 14 و 16 ، عبد الأمير عبد حسين دكس ، الخلافة الأموية ، ص 81 ، نبيه عاقل ، دراسات في تاريخ العصر الأموي ، 220 محمد جمال الدين سرور ،الحياة السياسية في الدولةالعربية الإسلامية ص 154 ، رمزية الأطرقجي ، الحياة الإجتماعية في بغداد ، ص 21 ، بطرس البستاني ، معارك العرب ص 77. بارتولد اشبول ، تاريخ إيران درقرون تحتين أسلامى ، جلداول ص 55. عبد الله مهدي الخطيب ، الحكم الأمويّ في خراسان ص 62.

(3) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 134، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج5 ص 51،اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ج2 ص 302.

(4) العقد الفريد ، ج 4 ص 400.

(5) حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف ، العالم الإسلامي في العصرالعباسي ، دار الفكر العربي القاهرة دت

الفتوحات العظيمة التي خصّت الدولة الأموية .

لقد كانت خراسان كما أسلفنا ثغراً إسلاميا مواجها للعدوّ التركي كما كان من مهام ولاتها فتح كل الأقاليم الشمالية والشرقية لها . مثل سجستان وجرجان وطبرستان وقهستان ودهستان وخوارزم وما رواء النهر وحتى الصّين . لذا ، كانت تحتاج دائما إلى قوات هائلة من الجنود العرب والموالي بل وحتى فرق من الفرس الزرادشتيين أحيانا . ولدينا أرقام عن هذه الجموع تعود إلى عهد قتيبة بن مسلم 86-96 هـ (714/705م) حيث بلغ عدد العرب فيها 30 ألف وعدد الموالي 7 آلاف تحت رئاسة حيان النبطي[1] فضلا عن المرزبان " نيزك " وجيوشه[2] .

ومع أن المصادر الإسلامية لم تتحدث عن أقسام الجيش وعطاياه في خراسان إلا أننا نستطيع أن نقترب من معرفة ذلك من الأحداث التي سردتها ، ونقسمه إلى :

1. حامية رسمية شامية عددها أربعة آلاف دائمة البقاء في الإقليم[3] وأعداد كبيرة من مقاتلي العرب مرابطون في الثغور الإسلامية تطبيقا لسياسة التجمير وهي سياسة اتبعتها الدّولة الأموية تهدف إلى إبقاء المُقَاتِلَة في الثغور وعلى خطوط النار شتاءً في الوقت الذي يرغب المقَاتِلَة في الرجوع إلى عوائِلهم شتاءً[4] كان هؤلاء كلّهم مسجلين في ديوان العطاءِ . ومع أن المصادر الإسلامية لم تحدّد المبلغ الذي كان يجري عليهم ، إلا أنه يمكننا أن نستأنس بما كان يجرى على الجنود وعوائلهم وأطفالهم بالبصرة — وخاصة أن خراسان

= ص 32 ، على حسنى الخربوطلي، تاريخ العراق ص 161 ، حسن أحمد محمود، الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى ص 34.

(1) الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 108 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج5 ص 15، النويرى ، نهاية الأرب في فنون الأدب ج 21 ص 340.

(2) البلاذري ، فتوح البلدان ص 596 ، تاريخ اليعقوبي ، ج 2 ص 286.

(3) الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 235 ، فلهوزن تاريخ الدولة العربية ص 447 .

(4) فاروق عمر فوزى ، تقويم جديد للدعوة العباسية ، مقال بمجلة العربي عدد 186 ربيع الثاني 1394/ مايو (أيار) 1974 . ص 118.

اعتبرت شبه مستعمرة لها – [1] ونقول أنهم كانوا يتحصلون على أعلى أجر ، المحدد بثلاثة آلاف درهم [2] فضلا عن الغنائم .

2. قوة مُكَوَّنَة من عرب خراسان ومواليها مسجّلة رسميا في ديوان العطاء تغزو وتعود في الغالب إلى عوائلها في الشتاء.

أ- القوة العربية :

لقد سار تنظيم العرب الاجتماعي والعسكرى بخراسان على التنظيم الذي أقامه " زياد بن أبي سفيان " في مدينة البصرة وهو تقسيمها بين خمس قبائل ، يشتمل كل واحد منها على مجموعة من العشائر عليها رئيس له سلطات واسعة [3] ذلك لأن خراسان من فتوح أهل البصرة ولأن أكثر من هاجر إليها وسكن فيها كان منهم ، ولأن معظم ولاتها كانوا يُختارون من بينهم أيضا أما بقيةُ العربِ من الكوفة والشام ، الذين بُعثوا على شكل إمدادات حربية متقطعة – وغيرها – والذين آعتُبِرُوا قلّة قياساًعلى أهل البصرة فلم يُدْمَجُوا أبدا إلى هذه الأخماس وظلوا قائمين بذاتهم وتذكرهم المصادر دائما بأهل الكوفة [4] وأهل الشام . [5]

كانت أخماس البصرة بخراسان تتألف من خمس قبائل وهي : أهل العالية (أهل المدينة وخصوصا قيس) وبكر و تميم وعبد القيس و الأزد[6] وكانت تميم أكبر

---

(1) فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 386 ، حسين عطوان،الشعر في خراسان ص 52 ، الهادي حمودة الغزي، الشعر الأمويّ في خراسان ص 24 ،و 30.

(2) صالح العليّ ، التنظيمات الإجتماعية والاقتصادية في البصرة دار الطليعة بيروت 1959ص 150.

(3) صالح العليّ،التنظيمات الإجتماعية والإقتصادية في البصرة ص 53،حسين عطوان ، الشعر في خراسان ص 54

(4) الطبري،تاريخ الأمم والموك ، ج 8 ص 187 و 194 و 229 .

(5) الطبري ، نفسه المصدر ج 8 ص 205 و 220 و 225 و 226 و 227 و 229.

(6) الطبري ، نفسه ج 8 ص 105.

الأخماس عددا وأشدها قوّة [1] وكانت الأزد هي القبيلـة الثانية المقابلة لتميم والمزاحمة لها .[2]

يذكر المؤرخ صالح العلي[3] أن المصادر لا تذكر الأخماس بعد عهد أسد بن عبد الله القسري [ولايته الثانية التي انتهت بوفاته في 120هـ (737م)] ذاهبا إلى أن ذلك قد يرجع إلى نقص ما وصل إلينا من الأخبار ، أو لتعديل هذا النظام نتيجة لاندماج أهل الكوفة وأهل الشام والموالي فحلّت حسب رأيه — ربيعة محلّ عبد القيس وبكر ، واليمن محلّ الأزد وغيرها واليمن محلّ تميم وأهل العالية . لكننا حينما نتّبع سرد أحداث تاريخ خراسان بعد عهد أسد بن عبد الله القسري نجد إشارتين للأخماس في عهد نصر بن سيار وذلك في سنة 121هـ (738م) حينما غزاما وراء النهر وقتل " كورصول "[4] ،كما نجد ذكرها في أحداث سنة 123 هـ (740م) عندما غزا نصر فرغانة .[5] ليختفي نهائيا بعد ذلك ، لأن نصرا توقف عن الغزو واهتم بالمشاكل الداخلية . ومع ذلك يُعدُّ ما لاحظه المؤرخ صالح العلي من تغير في الأخماس صحيحا ، حيث نرى أن المصادر الأساسية أخذت تذكر منذ نهاية العقد الثالث من القرن الثاني ، أهل اليمن و ربيعة و مُضر ، بدلا من الأزد وبكر وتميم[6]

ب- الموالي :

كان اشتراك موالي خراسان في الفتوحات مبكّرا جِدًّا ، حيث تذكر المصادر أن ألفاً منهم شاركوا القائد الأحنف بن قيس فتوحاته في سنة 29 هـ (649م)[7] واستمروا بعد

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 106 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5ص 14.

(2) حسين عطوان ،الشعر في خراسان ص 56.فليب حتي ، تاريخ العرب ج 1 ص 351.

(3) صلاح علي)إستيطان العرب بخراسان مقالة بمجلة كلية الأداب بجامعة بغداد، العدد الأول 1959 ص 47.

(4) الطبري،تاريخ الأمم والموك ج 8 ص 268 ، ابن الأثير،الكامل في التاريخ ج 5 ص 236 .

(5) الطبرى ، نفس المصدر ج 8 ص 280، ابن الأثير ، نفس المصدر ج ص 252.

(6) الطبري ، نفسه ج 9 ص 89 ابن الأثير ، نفسه ج 5 ص 369 ،اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 342، الدينوري ، الأخبار الطوال ص 351.

(7) البلاذرى ، فتوح البدان 571.

وبخاصة أنهم كانوا في منطقة ثغريّة تعدّ من أهمّ الثّغور الإسلامية في العصر الأموي[1]. قد يكون عطاء هؤلاء عاليا لكنه في كلّ الأحوال أقلّ من عطاء الحامية الشامية والعرب الدائمين في خطوط النّار . كما كانت تُعطى لهم بعض التشجيعات أحيانا . فقد أعْطى أسد بن عبد الله النّاسَ عشرين عشرين تشجيعا لهم ، لملاقاة خاقان وذلك في سنة 119هـ(737م)[2] هذا فضلا عن الغنائم.

3- فِرَق الأمراء وهم المرازبة الذين كانوا في الغالب على دينهم الزردشتي والذين كانوا يحاربون إلى جانب العرب المسلمين والمَوَالي،ليسوا مجبرين على ذلك . فالمصادر[3] تحدثنا أن " نيزك " مرزبان " بادغيس " أنضمّ إلى الوالي قتيبة بن مسلم راغبا ،وأن المرزبان " الجوزجان بن الجوزجان " سار مع أسد بن عبد الله القسري" في سنة 119 هـ (737م) للقاء " خاقان " راضيا،ولما كان أعلم ببلاده — الجوزجان — وطُرُقها قَادهُوَ المعركة وحقّق النصر المبين[4] . لم يكن ينال هؤلاء عطاءً ، لكنهم كانوا يأخذون نصيبهم من الغنائم، كما أنه من المؤكد أن جِزْيتهم كانت تسقط مقابل مساعداتهم فقد أسقط أسد في سنة 107 هـ (724م) قيمة العمل الذي قدّمه الفُرْسُ الزرادَشتيّون في بناء مدينة " بلخ " من الجزية التي كانوا يدفعونها .[5]

4- المجاهدون والمهاجرون من الأعراب والعبيد والموالي العُتّاق .

يشترك المجاهدون والمهاجرون الأعراب والعبيد والموالي العُتّاق في أنهم لم تكن تُجْرَى عليهم العطايا ، لكنهم كانوا يشاركون في الغنائم ، أما المجاهدون فكانوا عرباً وأعاجم من

---

(1) فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص : 410 ، حسن أحمد محمود ، الإسلام والحضارة العربية بين الفتحين العربي والتركي ص 19 و 116.

(2) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 235.

(3) البلاذري ، فتوح البلدان ص 596 ، تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 286.

(4) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 237، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 205،رضى عبد الله عبد الحليم ، دراسات في تاريخ خراسان ص 75.

(5) الطبري ، نفس المصدر ج 8 ص 189،ابن الأثير نفس المصدر ج 5 ص 138.

ذلك مجتمعين يرأسهم قائد عربي مثل " حريث بن قطبة " وأخيه" ثابت" [(1)] أصبحوا في عهد قتيبة بن مسلم 86 —96 هـ (705 — 714م) جيشا يبلغ سبعة آلاف مقاتل يرأسه مولى منهم وهو حيان النبطي [(2)] الذي لم يكن دون رؤساء العرب قيمة ومكانة بل إننا نسمع عنه أكثر مما نسمع عن هؤلاء ، فلم يتم قتل قتيبة إلا بعد موافقته وانضمامه[(3)] كما استعمله يزيد بن المهلب سفيرا بينه وبين أهل جرجان .[(4)] ويبدو أن ثقته في زعامته كانت عظيمة جعلته يكتب إلى مخلد بن يزيد بن المهلب بادئا الرسالة باسمه ولما نبهه إليه مقاتل بن حيان إلى ذلك قائلا :" تكتب إلى مخلد وتبدأ بنفسك " . قال :" نعم ، وإن لم يرضَ لقي قتيبة ."[(5)]

لقد نال هؤلاء العرب والموالي عطاء من الدولة على السواء [(6)] حسب مهامهم وقيمتهم في الجيش ، فليس هناك في المصادر إشارة إلى أن الموالي أُستُغِلّوا في الفتوحات ومُنعوا من العطايا كما أنها لم تُشِر أبدًا إلى تظلّم حيّان النّبطي أو أحد من رجال جيشه . وإن كانت قد ابتعدت عن الحديث عن جيش الموالي كفرقة قائمة بذاتها بعد حيّان فذلك لأنّه حصل اندماج بين أخماس البصرة وأهل الكوفة وأهل الشّام والموالي عسكريًّا[(7)]، ثم هل يعقل أن يحقق وُلاةُ خراسان كل تلك الفتوحات والانتصارات على عدوّهم التّرك بقلوب حاقدة مغلولة ، والتي كانت لا محالة تختار مناصرة خاقان على مناصرة العرب المسلمين

---

(1) فلهوزن؛ تاريخ الدولة العربية .

(2) الطبرى ، تاريخ الأمم ، ج8 ص 108 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 15 النويرى ، نهاية الأرب في فنون الأدب ص 340

(3) الطبري،نفس المصدر والصفحة ، ابن الأثير، نفس المصدر والصفحة .

(4) الطبرى ، نفسه ج 8 ص 123،ابن الأثير ، نفسه ج 5 ص 31 .

(5) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج ص 124،ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 32 .

(6) نجدة خماش ، الإدارة في العصر الأموي ص 344.

(7) صالح العلي ، استيطان العرب بخراسان ص 41 .

داخل خراسان وخارجها ، يشاركون في الفتوحات ابتغاءً لمرضاه الله وطلبا للشهادة .[1]
وأما المهاجرون الأعراب فيبدو أنهم كانوا يرغبون في الأرزاق ، لكننا نفهم من ابن عبد الحكم [2] أن الخليفة عمر بن عبد العزيز سنّ بهم سنة المهاجرين المجاهدين حيث قال: "وأما الهجرة فإنا نفتحها لمن هاجر من أعرابيٍّ فباع ماشيته و انتقل من دار أعرابيته إلى دار الهجرة وإلى قتال عدوِّنا فمن فعل ذلك فله أسوة المهاجرين ...وقد كان المهاجرون يجاهدون على غير عطاء ولا رزق يجرى عليهم ، فيوسع الله عليهم ويعظم الفتح لهم ولمن تأسّى بهم وَ عمل بصالح سنتهم ممن يحبون من إخوانهم ليوجبنّ الله له الأجر في الآخرة ، و ليعظمن له الفتح في الدنيا " ويظهر أن غرض الخليفة من ذلك كان الحفّاظ على المعنى الحقيقي للهجرة من أجل الجهاد عند الأعراب الذين كان من الصعب إدراج أسمائهم في ديوان الجند لنيل العطايا لحبهم لحياة البدو و الارتحال . وأما العبيد الذين عُرفوا باسم " الشاكريّة" [3] فكانوا تحت أسيادهم من العرب وفي خدمتهم ، فلا يعقل أن يُعطَى العطاء لسيدهم ولهم ، ولم يكن هذا سنّة من الأمويين بل لقد قرّره الخليفة عمر بن الخطاب حيث قال :" ما من مسلم إلا وله في هذا الفَيْء حقّ إلا ما ملكته أيمانكم "[4] وقال أيضا " لا يلحق عبد في ديوان "[5] وإن كان قد أَعْطَى ثلاثة مملوكين لبني غفار فذلك لشرف اشتراكهم في بدْر وإخلاصهم في الدفاع عن دين الله عزّ وجلّ.ويظهر أن الخليفة عمر بن الخطاب كان يهدف إلى إبعاد العبيد عن الجهاد ، وذلك خوفا من أن يحنوّا إلى قومهم وعشيرتهم إذاَ لا َقوْهم في ساحة القتال.[6]

---

(1) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز 95.
(2) ابن عبد الحكم ، نفس المصدر والصفحة
(3) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 237 ، فلهوزن ، تاريخ الدّولة العربية ص 47.
(4) محمد روّاس قلعجي ، موسوعة فقه عمر بن الخطاب ، ص 697.
(5) محمد روّاس قلعجي نفس المرجع والصفحة .
(6) نفسه .

لم يكن العبيد يشتركون في كل الفتوحات وإن كانوا دوما يرافقون أسيادهم فيها فقد خصّت المصادر ذكرهم في معركتين دخلوهما بعد أن كادَ العرب أن يفشلوا فيها ، أما الأولى فهي معركة " الشُعَب " التي دارت بين الوالي الجنيد بن عبد الرحمن " وخاقان " الترك في سنة 112 هـ (730م) والتي جازاهم فيها الجنيد بأن أعلن مقررا : " أيّ عَبْدٍ قَاتَلَ فَهُوَ حُرٌّ " ممّا جعلهم يقاتلون قتالا عجيبا حتى انهزم الأعداء .[1] وأما الثانية فدارت في عهد الوالي أسد بن عبد الله القسري عندما كان يقطع نهر جيحون عائداً إلى " بلخ "بعد غزوة الخُتّل في سنة 118 هـ (736م) وفاجأه خاقان وجيوشه في الضفة الأخرى وقتل الكثير فبادر " العبيد بالبرادع [2] والعمد وضربوا وجوه التّرك فأدبروا "[3] أما الموالي العتاق، فقد أسلفنا أنه كان يجوز للعاتق أن يعتق عبده تحت شرط معيّن يظل العبد عبدا له فيه رغم تحرّره [4] كمساعدته في المعارك مثلا ويبدو أن هذا الأمر كان معهودا وشائعا ، ونفهم ذلك من البلاذري[5] الذي يذكر أمثله عن ذلك منها أنه " كان مع عَبّاد بن زياد بن أبي سفيان ألفان من مواليه يقاتلون معه " ويظهر أنه وقع تعميمُ حالِ الموالي العتّاق في الفتوحات على الموالي الأحرار من الفرس. وقد يكون المولى أبو الصيداء "وقع فيه أيضا.ذلك لأن المصادر[6] لم تذكر أن الخليفة عمر بن عبد العزيز بعث إلى الجراح بن عبد الله بعد تصريحات أبي الصيداء له ، يطلب منه النّظر في عطاءات الموالي ، بل لقد أكتفت بذكر أن الخليفة طلب

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 210 ، ابن الأثير الكامل في التاريخ ج 5 ص 167 .
(2) البردعة : ما يوضع على الحمار أو البغل ليركب عليه ، كالسّرج للفارس ج برادع،مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ج 1 ص 48.
(3) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 232 و 233 ، ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ج 5 ص 201 .
(4) ابن ماجة (الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني) 207 – 275 هـ ، سنن ابن ماجة ، حقق نصوصه ورقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي،مطبعة دار إحياء الكتب ، القاهرة (د ت) ج2 ص 844،محمد رواس قلعرجي موسوعة فقه عبد الله بن عمر ص 381 و موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص 443.
(5) أنساب الأشراف ج 5 ص 165.
(6) الطبري ، تاريخ الأمم ج 8 ص 134 ، ابن الأثير الكامل ، ج 5 ص 51 ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج 9 ص 188.

منه النظر في أمر الجزية فقط،ولا نتصور أن الخليفة عمر استصغر هذا الأمر العظيم الخاص بخراسان التي كان يعتبرها أهم وأعظم ثغراً [1] . ثم ليس من المستبعدأن يكون تصريح أبي الصيداء موضوعًا،ذلك لأننا نلاحظ أن المصادر [2] تجتهد في وصفه بالرجل " الفاضل في دينه" حتى لا يُكذب . هذا وهناك اتهامات أخرى ذُكرت أيضا منها أن الدولة الأموية كانت تمنع الجنود الموالي الفرس من ركوب الجياد [3] وأنها كانت تحتاط من كل واحد منهم يبرع في فنون القتال.[4] والواقع،إذا صدقنا هذه الاتهامات يجب أن نقتنع أن آل أمية كانوا يعيشون تناقضات كبيرة ، فكيف يعتمدون على الموالي في فتوحاتهم وحروبهم ويحاصرونهم هذا الحصار ؟ لم تذكر المصادر أن جيش الموالي الذي كان يرأسه المولى حيّان النبطي كان كلّه من المشاة الراجلين ولو كان ذلك لما غفلت عن ذكر ذلك. ثم لو كانت هذه الاتهامات حقيقية فإنه يجب علينا أن نُكذّب الحقائق التي ذكرتها المصادر والتي تبرهن على عكس ذلك،ومنها أن قتيبة استعمل هيئة من المستشارين من الموالي الفرس وكان يَضَعُهُمْ في طليعة جيشه ،[5] وأنه كان يغلب على أمر الجنيد الفارس المولى عبد الله بن عبد الله [6] وأن الوالي أسد بن عبد الله كان يترك القرارات في غزواته على "الختل" للفارس المولى " سعيد الصّغير " الذي كان أعلم بأرضها[7]وأهلها ثم أننا نفهم من الطبري[8] أنه كان في العرب

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 139.

(2) الطبري ، نفس المصدر ج 8 ص 134 ، ابن كثير ،البداية والنهاية ج 9 ص 188 ، فلهوزن،تاريخ الدولة العربية ص 128.

(3) بطرس البستاني، معارك العرب ص 77،عبد الأمير عبد حسين دكس ، الخلافة الأموية ص 80،فان فلوتن، السيادة العربية والإسرائيليات ص 38.

(4) فلهوزن،تاريخ الدولة العربية ص 471 ، عبد الله مهدي الخطيب ، الحكم الأموى في خراسان 62.

(5) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 7 ص 197 ، نجدة خماش ، الإدارة في العصر الأموي ص 347.

(6) الطبري ، نفس المصدر ج 8 ص 213.

(7) الطبري ، نفسه ج 8 ص233 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 201.

(8) نفسه ، ج 8 ص 213.

فرسان ومشاة حيث يذكر أن الجنيد بن عبد الرحمن " خلّف في سَمَرْقَنْد ثماني مائة؛ أربعمائة فارس وأربعمائة راجل".

إذن لم تكن للأمويين سياسة تهدف إلى احتقار الموالي الفرس وإبعادهم واستغلالهم فقد شاركوها الحكم بأن وُلّوا على أهم المناصب المدنية والعسكرية-كما رأينا — فالدولة الأموية لم تكن أبداً " دولة عربية " مثلما يصرّ البعض [1] على تسميتها .

والواقع أن العرب هم الذين عانوا من احتقار الفرس لهم ليس ابتداء من العصر العباسي[2] أو نهاية العصر الأموي[3] كما زُعم ، بل يعود ذلك إلى أعماق التاريخ القديم وإذا شئنا الدقة قلنا إنه نشأ قبل الإسلام بزمن طويل .

لقد كان الساسانيون يشعرون بالتفوق على العرب وخاصة على تلك القبائل التي هاجرت من داخل الجزيرة العربية إلى العراق التي لم يهتموا بها احتقارا لها ، لكنّها لما زادت و تغلبت على سواد العراق [4] ، وأصبحت تُغير على بعض المَراكز العسكرية الساسانية كما يذكر" فتحي أبو سيف"[5]-وإن كنا نحن نتحفظ عن ذلك لأن غارات مثل هذا النّوع تحتاج إلى قوة كبيرة تضاهي قوة السّاسانيين ونقول إنها اكتفت ببعض المناوشات

(1) جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ج 1 ص 272 ، محمد كرد علي ، الإسلام والحضارة العربية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1968 ط 3 ج2 ص 412 وينظر أيضا عبد المنعم ماجد ، التاريخ السياسي للدولة العربية ، وفلهوزن ، تاريخ الدولة العربية .

(2) نعمة رحيم العزاوي ، أثر الشعوبية في الأدب العربي وتاريخه ، ص9مصطفى الرافعي،حضارة العرب ، 273.

(3) عبد المنعم ما جد ، التاريخ السياسي ص 328 ، حسني على الخربوطلي ، تاريخ العراق 162 ، عبد العزيز الدوري ، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ص 21.

(4) سُمّيَ سَوَادَ ، لسواده بالزرع والأشجار ، وحَدّه طولاً من " حَدِيثَة " الموصل على " عبادَان" وعرضه من " عذيب" القادسية إلى " حلوان " . يكون طوله مائة وستين فرسخا وعرضه ثمانين فرسخا ، فأمّا العراق فهو في العرض مستوعب لأرض السّواد عُرفاً ويقصر عن طوله في العُرف بينما يقتصر طول العراق عن ذلك بخمسة وعشرين فرسخا. الماوردي الأحكام السلطانية ، ص 173.

(5) الجذور الفكرية لحركة الشعوبية الإيرانية ، مقال في مجلة " ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط تحرير قاسم عبده قاسم ورأفت عبد الحميد ، القاهرة دار المعارف 1982 ، المجلد الأول ص 111.

على الحدود – تهيأ لها الملك سابور بن هرمز 130 – 226 م و" أوقع بهم ، فعمّهم القتل فما أفلت منهم إلا نفر لحقوا بأرض الرّوم ."[1] ونستطيع ببساطة أن نستشف درجة الحقد الذي كان يكنّه سابور للعرب [2] حيث أمر بأن ينقب أكتاف الأسرى ويمرّر بها حبلا .[3] فسمي بعد ذلك " سابور ذو الأكتاف "[4] ويظهر أنه لم يشفِ غليله برغم كل ما فعل . فقد بعث قواته أيضا إلى بلاد البحرين وفيها آنذاك بَنُو تَميم وأمعن في قتلهم .[5] ولما سأله شيخها [6] عن سبب ذلك قال :" أَقتُلهُم لأنّا ملوكُ الفرس نجد في مخزون علمنا وما سلف من أخبار أوائلنا أن العرب ستدال علينا ، وتكون لهم الغلبة على مُلكنا ."[7]

لقد صالح الملك سَابور العرب بعد ذلك ولما آل الملك إلى " أردشير بن هرمز " (226–240 م) . سمح لهم بتكوين مملكة " الحيرة "،[8] و أعطاها استقلالا ذاتيا حتى تصبح منطقة عازلة بين حدودهم وحدود الدولة الرومانية في الشام مما جعل العرب يجتمعون ويتغلبون من جديد على السّواد .[9] لكن الحرب عادت لمجرد أن اعتلى الملك " شابور بن شابور " 240 – 271 م العرش ، واستمرت حتى ملك يزدجرد الأول (399-420) الذي

---

(1) المسعودي ، مروج الذهب ، ج 1 ص 255.

(2) كان أغلب العرب من وَلَد إياد بن نزار " يقال لهم " طبق " لإطباقها على البلاد،وملكها يومئذ الحارث بن الأغر الإيادي . المسعودي ، مروج الذهب ، ج1 ص 254.

(3) المسعودي ، نفس المصدر د 1 ص 255 ، حسن بيرنيا ، تاريخ إيران القديم ص 235.

(4) المسعودي ، نفسه ، حسن بيرنيا ، نفس المرجع والصفحة .

(5) المسعودي، نفسه ج 1 ص 256 ج 1 ص 256.

(6) وهو عَمرو بن تميم بن مُرّوله يَومَئِذ ثلثمائة سنة ، وكان يعلق في عَمود البيت في قفة قد اتخذت لم نفسه

(7) نفسه .

(8) مملكة تاريخية قامت في الإقليم الذي يمتد بين مجرى نهر الفرات وبادية العراق حول بحيرةالنجف ، منحها أردَشيرٌ استقلالا ذاتيا في (226 م) ، حَكمَها 25 ملكا ثم استولى عليها "خالد بن الوليد " في عام 12 هـ (632م) أحمد عطية الله القاموس الإسلامي ج 2 ص 188.

(9) المسعودي ، مروج الذهب ج1 ص260 و 261.

كان لا يعيش له الأبناء ، فَوُلِد له " بهرام جور " فسأل عن منزل بريء مريء صحيح من الأدواء والأسقام فدلوه عن الحيرة فدفعه إلى المنذر بن النعمان [1] فنشأ مثلما تنشأ العرب وَتَخلّق بأخلاقهم وتكلم لُغتَهم بل لقد كان شاعرا مثل شعرائهم .[2] ولاشك أن علاقته بهم وهو ملك 421-438 م اتسمت بكامل السّلم والاستقرار . ومع ذلك استمرت نظرة استصغار العرب واحتقارهم ، التي لم تمت أبدا في قلوبهم ، تلك النظرة التي جعلت الملك " قباذ بن فيروز [3] " (501-531م) يُرغِم أمير الحيرة النعمان بن المنذر بن امرئ القيس على اعتناق " المزدكية[4] دون مراعاة لإرادته وإرادة شعبه . مما جعله يشعر بإهانة كبيرة دفعته إلى رفض الانصياع لأوامر الملك الساساني ،[5] الذي دعا الحارث بن عمرو الكندي

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج2 ص 74 و75 ، المسعودي، مروج الذهب ج1 ص260 و 261، أبو الفدا ، مختصر أخبار البشر ج1 قسم 1 ص 50 ، محمد عبد القادر ، إيران منذ فجر التاريخ حتى الفتح الإسلامي ص 201.

(2) المسعودي ، نفس المصدر والصفحة، أبو الفدا ، نفس المصدر والصفحة .

(3) حكَمَ قَباذ بن فيروز المرة الأولى من سنة 485-498م، ولما اعتنق المزدكيه ثار عليه الناس فخلعه رجال الدين ونصبوا أخاه " جاماسب " لكنه عاد ولما لم يقاومه "جاماسب " خلعه وجلس على العرش مرة ثانية فحكم من 501 إلى 531 م ، حسن پيرنيا ، تاريخ إيران في القديم ص 253 ، محمد عبد القادر محمد ، إيران منذ فجر التاريخ حتى الفتح الإسلامي ص 280.

(4) ظهرت المزدكية حوالي 498 م (السنةالعاشرة لملك قباذ) وتُبنى على مبدأ عدم التفرقه بين الأعمال الطيبة والأعمال الخبيثة ، فهو كالمذهب المانوي ، ثنوي . وإن كان أكثر تطرفا إذ يقرر تكافؤ الخير والشر ، فلقد دعا إلى شيوعية النساء والمال ومنع أكل اللحم وقتل الحيوان ، الشهر ستاني، الملل والنحل ، ج1 ص 195 ، الثعالبي ، تاريخ غرر السير ص 559 وما بعدها ، الدينوري ، الأخبار الطوال ص 67، نظام الملك الطوسي ، سياستنامه ، ترجمة وتعليق السيد محمد الغزاوي دار الرائد العربي القاهرة (د.ت) ص 236 ، البيروني (أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي) المتوفى 440 هـ ، الآثار الباقية عن القرون الخالية مكتبةالمثنى بغداد ، دت ص 209 ، أمين عبد المجيد ، القصة في الأدب ص 24 ، محمد عبدالقادر محمد ، إيران ، ص 185 و 187 ، حسن پيرنيا ، تاريخ إيران القديم ص 320 وما بعدها ، سعد زغلول ، تاريخ العرب قبل الإسلام ص 222 ، كريستنسن، إيران في عهد الساسانيين ص 184.

(5) الطبري، تاريخ الأمم واللوك ج 2 ص 86 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 1 ص 434 .

سيد كندة [1] ونصبه ملكا على حمير فطارد النعمان وقتله ، مع عدّة من أهل بيته[2] لكن الحارث سرعان ما أحس بغطرسة[3] " قباذ " فأرسل لعرب اليمن وطلب منهم التكتل لحرب الفرس ــــــــــــــــــــ

داعيا لتوحيد الجهات العربية [4] واستمر الحال كذلك إلى أن ملك " كسرى أنوشروان بن قباذ" 531–579 الذي انهاه بتنصيب المنذر بن النعمان الأكبر الملقب بابن ماء السماء[5] ملكا رسميا على الحيرة [6] لكنه لم ينه نظرة احتقار الفرس للعرب التي أنتجت في الأخير مواجهة عسكرية عظيمة فيها بينهم ، عُرفت بمعركة " ذي قار[7] وذلك في سنة 610م. التي احتلت مكانا عظيما في التراث العربي وذلك لأنها أول معركة تغلب فيها العرب على الفرس .

تعود أسباب المعركة " ذي قار " إلى رغبة كسرى برويز 789– 628 في أن يُصاهر إلى النعمان بن المنذر الذي رفض " قائلا لرُسله :" أمَا في عين السّواد وفارس ما يُغنيه عن بناتنا " فسأل كسرى عن معنى عين فقيل له : " هي البقر" فاستدعاه غاضبا . فأخذ

---

(1) كان الحارث بن عَمرو الكندي إبن أخت حَسّان بن تبّع ملك حمير في اليمن،ابن الأثير ، الكامل ج1 ص410.

(2) الطبرى ، تاريخ الأمم ج 2 ص 89 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج 1 ص 415 .

(3) بعث " قباذ " للقاء الحارث بن عمرو الكندي ، فالتقيا بقنطرة الفيوم فأمر – قباذ – بِطَبَق من تَمْر منزوع النواة وأمر بطبق آخر جُعِلَ فيه تَمْرٌ فيه نواة ثم وُضِعَا بين أيديهما ، فجعل الذي فيه النوى يلي الحارث بن عمرو والذي لا نوى فيه يلي قباذ فجعل الحارث يأكل التمر ويلقي النوى وجعل قباذ يأكل ما يليه وقال للحارث:" مالك لا تأكل مثل ما آكل " فقال :" إنما يأكل النوى إبلناوغنمنا " وعلم أن قباذ يستهزيء به ، ينظر الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 89.

(4) الطبري ،نفس المصدر ج 2 ص 90 ، فتحى أبو سيف ، الجذور الفكرية لحركةالشعوبية ص 111.

(5) الطبري ، نفسه ج 2 ص 86 ، ابن الأثير الكامل ، ج 1 ص 434 وماء السماء هي ماوية بنت جشم بن النمر ابن قاسط .

(6) الطبري ، نفسه ج 2 ص 94 ، ابن الأثير ، نفس المصدر ج 1 ص 435.

(7) موضع بين واسط والكوفة على مشارف الصحراء ، يسمى اليوم الجُبُّ ،الطبري نفسه ج 2 ص 154 ، أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ج 2 ص 455.

النعمان أهله وسلاحه الذي كان فيه أربعمائة ذرع وقيل ثمانمائة وأودعهم عند هانئ بن مسعود بن عامر بن عمرو الشيباني سيد شيبان ، في " ذي قار "[1] ثم توجه للقاء كسرى الذي حبسه مقيدا حتى أصابه الطاعون ومات.[2] فاستعمل كسرى إياس بن قبيصة على الحيرة ، وطلب منه ما خلفه النعمان عند هانئ الذي رفض الانصياع للأمر رغم تهديدات كسرى التي انتهت بتوجيهه جيشا يأمره إياس قوامه أربعون ألفًا من الفرس وعرب الحيرة وتغلب فانضمت بكر وحلفاؤها من بني يشكر وبني تميم واللّات وبني عُجل لهانئ الشيباني الذي وزّع عليهم سلاح النعمان المودوع تشجيعا ، ونظمهم بأن جعل بني عُجل في الميمنة وبني شيبان في الميسرة والبكريون وبني يشكر و تميم واللات قي القلب[3] ويذكر الطبري[4] أن قيسا شاركت أيضا وأن نساء بَكرشَارَكْن مشجعات رجالهن قائلات :

إنْ تَهْزِمُوا نُـعَانِق وَنَـفْرِش النـمَارِق

أَوْ تَهـر بُوا نُفَارِق فِراقُ غـير وامِـق

بدأ القتال ببعض المبارزات الفردية بين فرسان الأساورة وشجعان بني يشكر الذين كانوا يمتازون بحسن ضرب الرماح ، وعندما تحول إلى معركة شديدة فرّ منْ كان مع الفُرْس من العرب ، فلم ينتصف النهار حتى هُزمت الفرس أشد هزيمة وهربوا راجعين إلى بلادهم ووراءهم البكريون الذين ظلوا مستمرين في قتالهم ولم يرجعوا إلا وهم مدججون بالغنائم و الأسلاب[5] حتى قيل أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال بالمناسبة " هذا أوّل

---

(1) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 1 ص 487 ، الألوسي ، المختار من كتاب بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ص 92.

(2) ابن الأثير ، نفس المصدر ج 1 ص 488.

(3) ابن الأثير ، نفسه ج 1 ص 489 ، سعد زغلول ، تاريخ العرب قبل الاسلام ص 230 .

(4) تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 153 و 155.

(5) الطبري ، نفس المصدر ج 2ص 154 و 155،ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج1 ص 488 ، سعد زغلول تاريخ العرب ص 231 ، نعمة رحيم العزاوي ، أثر الشعوبية في الأدب العربي وتاريخه ص 9 ، حسن بيرنيا ، تاريخ إيران القديم ص 288.

يوم انتصفت فيه العرب من العجم ونُصرت عليهم بي " [1] .

لقد اعتبر بعض المؤرخين [2] أن معركة " ذي قار " عبرت عن أوّل شعور بالقومية العربية وإن كان البعض[3] لم يعتبرها سوى معركة بين بني شيبان والفرس ،ولكننا نحن نعتقد بوجود هذا الشعور قبل هذه المعركة بزمن طويل ، فقد سبق أن بينا أن الحارث ابن عمرو الكندي بعد أن أحسّ بغطرسة " قباذ" قام يدعو إلى توحيد وتكتيل الجهات العربية [4] ، كما أن الأدب العربي يبين أن خطباء العرب كانوا يشعرون بقوميتهم العربية وعبّروا عنها أمام الملك كسرى نفسه عندما أبلغوه " أن العرب قوم لا تكسر لهم شوكة ولا تلين لهم قناة ولا يستطيع أن يبلغ عدوهم منهم شيئا"[5] كما أننا لاحظنا أن الشعور بالقومية العربية كان ناضجا جداً عند الأعشى [6] بعدما تغنى بنشوة انتصار " ذي قار " حيث أعلن أسفه على أن العرب لم يشاركوا جميعا فيها وأعلن أنهم لو حاربوا مع إخوانهم المقاتلين لحظوا بشرف الدفاع عن التراب العربي إذ يقول :

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 153 ، المسعودي ، مروج الذهب ، ج 1 ص 278،نعمة رحيم العزاوي ، أثر الشعوبية ص 14 ، محمد نبيه حجاب ، الصّراع الأدبي بين العرب والعجم،المؤسسة : المصرية العامّة للتأليف والترجمة والطّباعة والنشر ديسمبر 1963 ص 15.

(2) عبد القادر القط ، في الشعر الإسلامي والأموى،دار النهضة بيروت 1979 ص 274 ، 275،سعد زغلول ، تاريخ العرب قبل الاسلام ص 231 ، على عبد الواحدوافي ، فقه اللغة ، دار النهضة للطباعة والنشر القاهرة(د ت)ط 6 ص 114 . نعمة رحيم العزاوي ، أثر الشعوبية ص 15 .

(3) أحمد أمين فجر الإسلام ص 66.

(4) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 90 ، فتحي أبو سيف ، الجذور الفكرية لحركة الشعوبية ص 111 .

(5) نعمة رحيم العزاوي ، أثر الشعوبية ص 14 ، محمد نبيه حجاب ، الصراع الأدبي بين العرب والعجم ص 6 وما بعدها .

(6) وهو ميمون بن قيس من بني قيس بن ثعلبة ، ولد في " منفوحة " باليمامة ، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية وأحد أصحاب المعلقات توفي في السنة السابعة للهجرة/626م،الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 155 ، أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ج 1 ص 133،كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، نقله إلى العربية ، عبد الحليم النجار،دار المعارف،القاهرة ط 2 ج 1 ص 147 وما بعدها .

لَوْ أَنَّ كُلَّ معدٍ كَانَ شَارِكنَا **** فِي ذِي قَارٍ مَا أَخْطَاهُم الشَّرَف .[1]

لقد ذكر جرجي زيدان[2] أن العرب كانت قبل الإسلام تنظر إلى الفرس نظرة احترام وخوف وتضرب الأمثلة بضخامة ملكها ويؤكد ذلك قائلا :" وكيف تتجرأ شرذمة منهم على مناوأتها ببضعة آلاف ليس على أبدانهم إلا غليظ الكساء ؟ وأكثر طعامهم الشعير وعُدّتهم الرّماح مشدودة بعصب والسيوف معلقة بخرق " .

أما نظرة الخوف و الإحترام فنتساءل أين كانت عندما بدأ العرب يغيرون على بعض المراكز العسكرية الفارسية وهم لا زالوا عبارة عن مجموعات غير منظمة تجتمع في سواد العراق وذلك قبل ظهور الساسانيين،[3] وأين كانت أيضا عندما طلب كسرى پرويز 589-628 مصاهرة النعمان الذي لم يرض مما أنتج بعد ذلك معركة " ذي قار " التي انتصر فيها العرب أحسن انتصار . أمّا عن وصفه المنحط للعرب فيبدو أنه جاهل لتاريخ اليمن القديم ، ألم تنشأ أعظم الحضارات فيها. ألم يسمع بحضارة عاد وسبأ وثمود التي حمل عربها أثارها معهم حينما هاجروا إلى الشمال. ويجب أن نؤكد أن الحضارة الفارسية لم تقم إلا بعد أن تأثر الفرس بجيرانهم العرب الساميين حتى أن أهم مدنهم ومراكزهم الهامة لم تكن إلا بجوارهم في بلاد الرّافدين.[4] وخارج اليمن ، ألم تكن مدن شبه الجزيرة العربية مراكز تحضّر واستقرار ؟ ألم تكن مكة بلدة متحضرة وموطنا لنضج اجتماعي وملتقى للتيارات الثقافية قبل الإسلام؟ألم يكن القرآن يحتاج إلى نضج فكري عظيم حتى يُفهم[5]؟ فلماذا اختار الله العرب إذن وهم كما وصفهم جرجي زيدان وغيره .[6] فلم يكن كل العرب أعرابا

(1) نعمة رحيم العزاوي ، أثر الشعوبية ص 15 ، محمد حجاب ،الصراع الأدبي ، 16 ، عبد القادر القط ، في الشعر الإسلامي والأموي ص 275.

(2) تاريخ التمدن الإسلامي ج 1 ص 64.

(3) المسعودي ، مروج الذهب ج 1 ص 255 ، فتحي أبوسيف ، الجذور الشعوبية ص 111 .

(4) محمد عبد القادر محمد ،إيران،ص 201.

(5) نعمة رحيم العزاوي ، أثر الشعوبية ص 32 ، عبد العزيز الدوري ، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ص 9.

(6) بارتولد (ف) تاريخ الحضارة الإسلامية ، ترجمة حمزة طاهر دار المعارف القاهرة ط 4 ص 68.

بل " كانوا على قوة الفهم وحِدّة الذهن إلى غاية الغايات وكانت معجزتهم القرآن"[1] ثم يجب أن نذكر أن الحضارة الفارسية التي عُظّمت لم تمسّ سوى القلة المختارة من الشعب أصحاب الملك والنفوذ والمال ، أما عامة الشعب فكانوا أسوأ حال من الأعراب البدو. ولذلك احتقرها اليونان ثم الرومان من بعدهم الذين اعتبرهم مجرد " رعاة أبناء أرض وعرة ، هي أمٌ قاسيةٌ وجدتْ لِتُنْجِبَ شعبًا شديداً ، يَقْوَى على العيش في الهواء الطلق و يقوى على الحياة بدون نوم "[2].

لقد حافظ الفرس على هذه الرواسب العدائية القديمة للعرب بعد زوال ملك كسرى ودخولهم الإسلام وأصبح هذا العداء يعرف في نهاية الدّولة الأموية باسم " الشعوبية " التي فسّرها المؤرخون ، مثلما فسرتها القواميس[3] ، على أنها تصغير للعرب واحتقارٌ لهم وتجريدهم من كل فضل ، وإن كان هناك[4] من فسرها على أنها طلب التسوية بين العرب

---

(1) الألوسي ، المختار من كتاب بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ص 14.

(2) فتحي أبو سيف ، الجذور الشعوبية 113.

(3) عبد الشافي محمد عبد اللطيف ، العالم الإسلامي في العصر الأموي ص 429 ، عبد العزيز الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ص 21 ، نعمة رحيم العزاوي ، أثر الشعوبية ص 8 ، حسني على الخربوطلي، تاريخ العراق ص 162، بارتولد ، تاريخ الحضارة الإسلامية ،ص 55، أحمد الشايب ، تاريخ الشعر السياسي ص 273 و 276 ، مصطفى الرافعي ، حضارة العرب ص 271 ، عمر فروخ، العرب ، ص 174 ، محمد أسعد طليس ، تاريخ العرب ج 1 ص 182 ، محمد زكي العشماوي ، موقف الشعر من الفن و الحياة في العصر العباسي، ص 20، محمد رشيد رضا ، الخلافة، تقديم الطاهر بن عيسى ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية الجزائر 1992 ص 39 ، هاملتون جب ، دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة إحسان عباس وآخرين، دار العلم للملايين بيروت 1979 ط 3 ص 88، دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الثالث عشر، ص 315، وينظر إبن منظور، لسان العرب، ج2 ص 321 ، والفيروز آبادي ، القاموس المحيط ج1 ص 91 ، ومجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط ج 1 ص 484.

(4) ابن عبد ربه العقد الفريد ، ج 3 ص 408 ، عبد المنعم ماجد ، التاريخ السياسي ص 328، مصطفى الرّافعي، حضارة العرب ص 270، إميل توما ، الحركات الإجتماعية في الإسلام، درا الفارابي بيروت 1981 ط 2ص 125. يذكر ابن عبد ربه مجموعة آيات وأحاديث نبوية أرتكز عليها الشعوبيون لطلب التسوية، منها قوله تعالى: " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ". وقوله : " إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ". وقول رسول الله (ﷺ) في خطبة حجة الوداع : " أيها النّاس ، إنّ الله قدْ أذْهبَ عنْكُمْ نَخْوَةَ الجاهليّة وَتَفاخُرَها بالآباء ، لَيْسَ لِعربيٍّ على عَجَميٍّ فَخْرٌ إلاّ

والفرس ويرى المؤرخ فتحي أبوسيف[1] أن هذا التفسير " مثالي لا يتفق مع واقع ظاهرة الشعوبية كما تفهّمتها شعوب العالم الإسلامي أو بالأحرى تعمّدت أن تفهمها بروح التّعصب في أغلب الفترات التي عاشتها الظاهرة بين الشعوب الإسلامية " ويبدو أن الذين حاولوا تفسير الشعوبية بالتسوية هم هؤلاء الذين يقرون ويؤكدون على وجود سياسة أموية تعصبية ضّد الموالي .

لم يكن كل الفرس شعوبيين وقد تنبّه إلى ذلك المؤرخ عبد الشافي محمد عبد اللطيف [2]الذي قسمهم إلى أربعة طوائف،الطائفة الأولى منهم دخلت الإسلام دخولا حقيقيا حيث ملك كل جوانب حياتها وارتفع بها فوق العصبيه القوميه وخلّصها من الماضي الفارسي بكل ما فيه،وهؤلاء — كما يرى— لم يفرقوابين عربي وعجمي، ولم يروا بأسًا في أن يحكمهم العرب،بل كانوا ينظرون إليهم نظرة احترام وتقدير .

أما الطائفة الثانية فتمثل- حسب المؤرخ عبد الشافي— الفرس الذين أسلموا إسلاما رقيقا ولم يتخلّصوا نهائيا من الماضي الفارسي ، وهؤلاء لم يرفضوا الإسلام دينا ولكنهم رفضوا الحكم العربي، وهم أصحاب النظرة الشعوبية.[3] وأما الطائفة الثالثة، فتمثل الفرس الذين أسلموا نفاقا ولم يدخل الإسلام قلوبهم أبداً وهؤلاء كانوا أكثر شعوبية من الطبقة السالفة بل أنهم دعوا إلى إحياء المذاهب الدينية الفارسية القديمة فهم - كما يرى- الذين أسسوا الحركة التي عرفت بالزندقة[4] .

= بالتَّقْوَى ، كلّكُمْ لآدَم وآدمُ مِنْ تراب ، وَليْسَ لِعَرَبِيٍّ على عَجَمِيٍّ فَضْلٌ إِلّا بالتَّقْوَى ". ج3 ص 404 وج 4 ص408.

(1) الجذور الفكرية لحركة الشعوبية الإيراينة ص 108.

(2) العالم الإسلامي في العصر الأموي ص 424.

(3) عبد الشافي محمد عبد اللطيف ، العالم الإسلامي ص 340.

(4) القول بأزلية العالم ، وأطلق على الزردشتية ، والمانوية وغيرهم من الثنوية وتوسع فيه فأطلق على كل شاك ، أوضالّ ، أو مُلْحِد ، مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيطج 1 ص 402 .

أما الطائفة الرّابعة فتمثل الفرس الذين لم يدخلوا الإسلام قط و الذين شاركوا الطائفتين السالفتين في حقدهم على العرب وزادوا في حقدهم على الإسلام [1] .

لقد رفعت الشعوبية الفرس" وجعلتهم أصحاب الفضل على جميع الممالك في حسن التملك وتدبير الحروب ودقيق الألوان وتأليف الطعام والطبّ واللباس وترتيب الأعمال ووضع الأشياء مواضعها والترتيل والخطابة و وفور العقل وتمام النظافة والشكل وهيبة الملوك". [2]

ولم تكن خطورتها في الحطّ من قيمة العربي فقط ، ولكنّ خطورتها تشعبّت وعمتْ كل المجالات فقد وجهت جهودها لتشويه آثار العرب وتاريخهم وحتّى دينهم . فكان بعضهم يحاول أن يرى في القرآن بعض ما عرفه في دينه القديم[3] فأنشأوا فرقا و مذاهب ابتعدوا فيها عن معنى الدّين الإسلامي[4] وانتهوا إلى الزنْدقـة .[5]

لم يكن الشعوبيون الفارسيون يحتاجون إلى معاملة سيئة من الأمويين حتى يعبروا عن شعوبيتهم ذلك لأنها كانت متأصلة فيهم منذ أقدم التاريخ ليس فقط مع العرب بل حتى مع اليونان والرومان[6] والترك فيما وراء النهر[7] فمن الظُلم إذن أن نعتبر آل أمية مسْؤولين عن ظهورها . ثم لو كانوا كذلك لماذا لم نسمع عن شعوبية أخرى مماثلة للشعوبية الفارسية عند باقي العناصر التي دخلت الإسلام والتي وإن رغبت في الاستقلال فإنها لَمْ تَحُطَّ أبدًا من قيمة العربي إلى الحدّ الذي حطته فيه الشعوبية الفارسية .

---

(1) عبد الشافي محمد عبد اللطيف ، العالم الإسلامي ص 340.

(2) المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي) متوفى 346هـ.أخبار زمان المكتبة الإسلامية لبنان دت ، ص 101.

(3) عبد العزيز الدّوري ، مقدمة ، ص 11 ، شاكر الفحّام ، الفرزدق ، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر 1968 ص 15.

(4) محمد مصطفى هدّارة ،إتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري دار المعارف القاهرة د ت ط 2 ص 230.

(5) محمد علي الخطيب،الصراع الأدبي مع الشعوبية (الحاجظ الشاعر القروي)دار الحداثة،بيروت ، 1983 ط 1 ص10.

(6) فتحي أبو سيف ، الجذور الفكرية لحركة الشعوبية الإيرانية112.

(7) فتحي أبو سيف ، خراسان تاريخها السياسي من سقوط الطاهريين إلى بداية الغزنويين ص ،23.

لم يكن الشعوبيون الفارسيون يخافون آل أميّة ، فيُذكر أن الشاعر إسماعيل بن يسار[1] وقف أمام الخليفة هشام بن عبد الملك يتغنى ويفتخر بقوميته[2] في الوقت الذي كان ينتظر منه الخليفة مدحًا مما أغضبه وطلب من خدمه أن يُغطوه في الماء، فغطوه في بركة حتى كاد نَفَسُه يَخْرج ثم أمر بإخراجه ونفاه إلى الحجاز[3]. إذن،لقد تشدد آل أمية مع الشعوبيين الفُرس وحدهم لكن المغرضين من المؤرخين عمّموا هذا التشدد على الفرس جمعيهم.

لقد أُشيع عن بني أمية أيضا أنهم لم يفرّقوا بين أرض صُلْح وأرض عنوة [4] ولا بين الجزية والخراج [5] وأنهم فرضوا الجزية على من أسلم من

---

[1] إسماعيل بن يسار النسائي ، شاعر أصله من سبي فارس ، اشتهر بالشعوبية وشدة تعصّبه للعجم ، يفتخر بهم في شعره على العرب . كان من موالي بني تميم بن مرة (تميم قريش) وانقطع إلى آل الزبير ، ولما أفضت الخلافة إلى عبد الملك بن مروان وفد إليه مع " عروة بن الزبير " ومدحه ، ومدح الخلفاء من ولده بعده ، عاش عمراً طويلا إلى أن أدرك آخر أيام بنى أمية ، لكنه لم يدرك الدّولة العباسية ، الإصفهاني،الأغاني ج 4 ص 409 ، ابن واصل الحموي (المتوفى سنة 697 هـ) تجريد الأغاني ، تحقيق طه حسين وإبراهيم الأبياري،دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة 1374هـ 1955 م ج2 القسم 1 ص 601، الزركلي ، الأعلام ج 1 ص 328.

[2] قال إسماعيل بن يسار مفتخرا بقوميته :

أصْلِي كَرِيمٌ وَمَجْـدِي لاَ يُقَاسُ بِهِ ... وَلي لِسَانٌ كَحَدِّ السَّيْفِ مَسْمُـوم
أَحْمِي بِهِ مَجْدَ أَقْوَامٍ ذَوِي حَسَب ... مَنْ كُلِّ قَوْمٍ بِتَاجِ المِلك مَعلـوم

ينظر ، الإصفهاني ، الأغاني ، ج4 ص 123، ابن واصل الحموي ، تجريد الأغاني ، ج2 قسم 1 ص 601 أحمد الشايب ، تاريخ الشعر السياسي ص 271.

[3] الأصفهاني ، نفسه ج4 ص 123، ابن واصل الحموي ، نفسه ،ج2 قسم 1 ص 601، أحمد الشايب ، نفس المرجع والصفحة.

[4] فليب حتي ، تاريخ العرب المطول ، ج 1 ص 128.

[5] فان فلوتن ، السيادة العربية والأسرائيليات في عهد بنى أمية ص 49 ، فلهوزن،تاريخ الدولةالعربية ص 272، عبد الله مهدي الخطيب ،الحكم الأموي في خراسان ص 96، عبد العزيز الدوري ، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام،ص 17 ، الجوزي بندلي صليبا،دراسات في اللغة والتاريخ الاقتصادي والإجتماعي عند العرب ، جمع وتقديم جلال السيدوناجي علوش،دار الطليعة بيوت 1977 ط 1 ص 34.

الفرس[1] وتغالوا في إرهاقهم بالضرائب [2]مما أنتج معارضات قوية انتهت بإسقاط الدولة الأموية.

وقبل الشروع في مناقشة هذه الاتهامات رأينا من الواجب أن نتعرّف على الضرائب التي كانت تُفرَض على الفرس في العصر السّاساني حتى تتسنّى لنا المقارنة فيما بينها وبين تلك التي فرضها الراشدون والأمويون بعد ذلك .

كانت المصادر الرئيسة لإيراد الدّولة السّاسانية ضريبتين؛ عقارية و شخصية كانت الضريبة الشخصية تحدد مرة واحدة بمبلغ سنوي محدّد مرة واحدة وبمبلغ سنوي محدّد على السّلطات المختصة أن تُوزّعه بقدر استطاعتها بين دافعي الضريبة ،التي كان يدفعها

---

(1) أبن عبد الحكم،فتوح مصر وأخبارها،ص 156،المقريزي ،الخطط ، ج1 ص139 ، جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ج1 ص 220 ، فان فلوتن ، السيادة العربية ص 41 ، السيد عبد العزيز سالم ، العصر العباسي الأوّل ، مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية 1993 ص 30،حسن أحمد محمود الإسلام والحضارة العربية في أسيا الوسطى ص 34، حسن أحمد محمود وإبراهيم الشريف،العالم الإسلامي في العصر العباسي،دارالفكر العربي-القاهرة، (دت)ص 26 و 31،عز الدين إسماعل، في الأدب العباسي ، الرؤية والفن،ص 72.

(2) فان فلوتن ،السيادة العربية ص 37 ، حسن أحمد محمود ، الإسلاموالحضارة ص33 و 34 ، عبد المنعم ماجد،التاريخ السياسي للدولةالعربية ص 264، مصطفى الرافعي ، حضارة العرب ، ص 248،جرجي زيدان ، تاريخ التمدّن الإسلامي ج 1 ص 274 ،الجوزي بندلي صليبا ، دراسات في اللغة والتاريخ ص 47، و 48 ، محمد مصطفى هدارة ، إتجاهات الشعر العربي ص 111 ، إبراهيم بيضون،الدولة الأمويّة والمعارضة ص 24 و 25،محمد أسعد طليس ، تاريخ العرب ، ج1 ص 193،صبحي الصّالح ، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها،دار العلم للملايين بيروت(دت)ص 361 و 362 ، عمر فروخ،العرب في حضارتهم وثقافتهم ، ص 169 ، خليل داود الزرو ، الحياة العلمية في الشام (في القرنين الأول والثاني للهجرة)دار الآفاق الجديدة،بيروت 1971 ط 1 ص 93، يوسف العش، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان،مطبعة جامعة دمشق-سوريا 1385 هـ 1965 م ص 258 ، عماد الدين خليل ، ملامح الإنقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز ص 85، شكري فيصل ،المجتمعات الإسلامية في القرن الأول ص 201 و 210 ، محمد كرد علي ،الإسلام والحضارة العربية ج2 ص 190 عبد العزيز الدوري،مقدمة ص 72 ، نبيه عاقل ، دراسات في تاريخ العصر الأموي ، ص 231 نظيهز حسّان سعداوى ، الدولة العربية الاسلامية (1-132هـ 622-750م القاهرة 1967 ص 193 وينظر أيضا NICHOLSON, ALITERARY HISTORY OF THE ARAB,p 209

مَنْ ليس له نسب مَلَكي وكذلك اليهود والنصارى [1] وكانت الضريبة العقارية تُجْبَى بنفس الطريقة ، تَدفع فيها القرية نسبة عينيّة من غلاّتها تتراوح حسب البعض[2] ما بين السدس إلى الثلث ، وحسب البعض الآخر[3] ما بين العُشر والنِّصف .

كان توزيع وتحصيل الضرائب كثيرا ما يكون سبباً في الجُور وسوء الحصيلة من ناحية الموظفين ، لأنه تبعا لهذه الطريقة كانت مبالغ الدَّخْل تتفاوت كثيرا من سنة إلى أخرى كما كانت الدولة تفرض ضرائب استثنائية أخرى إذا ما دخلت حربا وأعازها المال[4] هذا فضلا عن ضرائب اعتيادية تقدم جبراً للملك.[5] في عيدي النوروز والمهرجان [6] ، على

---

(1) حسن پيرنيا ، تاريخ إيران القديم ص 298.

(2) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 122 ، الجهشياوي،الوزراء والكتاب ص 4 ، كرستنسن ، إيران في عهدالساسانيين ص 112 ، حسن پيرنيا ، تاريخ إيران القديم ص 297،عبدالعزيز الدوري ، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام 70.

(3) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص 72 وينظر SYKES,A HISTORY OF PERSIA,VOL 1p 462

(4) كرستنسن ، إيران في عهد الساسانيين ص 113 ، محمد ضياء الدين الرّيس ، الخراج والنظم المالية للدولة الأسلامية ص 70 ، صبحي الصالح ، النظم الإسلامية ص 34.

(5) كرستنسن،إيران في عهد الساسانيين ص 113،ضياء الدين الرّيس ، الخراج ، ص 70، محمد عبد القادر محمد، إيران منذ فجر التاريخ حتى الفتح الإسلامي ص 220.

(6) النوروز والمهرجان ، هما أشهر أعياد الفرس ، أما النوروز فهو أكبر الأعياد الشعبية يَعني إسمه " اليوم الجديد " الذي تفتح به السنة الجديدة ، التي تبدأ في أوّل الربيع ، عند دخول الشمس برج الحمل.أول من اتخذه عيداً الملك " خمشاد ".يُفتح الخراج فيه وَيُولّىَ العُمّال وتُضرب الدراهم والدنانيُر وتُزَكىّ بيوت النار وتُقَدّمَ القرابين وتُشَيَّد البنايات. مدّة الإحتفال به ستة أيام أما المهرجان (اورام روز) أي المهرجان العظيم فيقع في الحادي والعشرين من شهر سبتمبر ، ويوافق أول عيده أول أيام الشتاء ويسمون أول أيامه " روز مهر " ومعناه محبة الروح . وإذا كان يوم "النوروز " عندهم أول يوم عودة الحياة ، فإن يوم المهرجان هو يوم الموت ، حيث يزعمون أن أرواح موتاهم تخرج من موضع ثوابها وعقابها وتنشق قوتها وتدخل البيوت وتلمّ بالأهل والولد والأقارب ، و تباشر أمورهم وإن كانوا لا يرونها، ينظر البيروني،الآثار الباقية عن القرون الخالية ص 216 و 222 ،و 224 ، الدمشقي، نخبة الدهر ، ص 279 ، الجاحظ ، (أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ) التاج في أخلاق الملوك ، حققه وقدم له فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب 1970 ص 149 ، أبو الفدا ، مختصر أخبار البشر ج1 قسم 1 ص 83 ، البلخي ، البدء والتاريخ ج 4 ، ص 27،الألوسي ، المختار من كتاب بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ص 75.

شكل تُحَف أخاذة ، كما كانت هناك ضرائبُ فرعيّة أو محلية ،ولكن المصادر لا تمدّنا بمعلومات عنها .

لقد حاول الملك قباذ بن فيروز (485-498 م) (501-531م) أن يحقق برنامجا إصلاحيا بأن يَعْدِل عن نظام المقاسمة ويجعل بدله نظام المساحة ، فأمر بمسح الأرض سهلها وجبلها ، لكنه مات قبل أن يتم له ذلك [1] .وإن كان الماوردي[2] يرى أنه مات بعد أن أتتم برنامجه . ومهما يكن فقد انتهى أمر هذا البرنامج نهاية طيبة ، حيث طبقة أبنه كسرى أنوشروان (531-578م) الذي نال مجدا كبيراً بذلك.[3]

لقد اختار الملك كسرى أنوشروان بنفسه رجالا عُرفوا بالاستقامة والنزاهة ليطبقوا برنامجه الإصلاحي فمسحوا الأرض المزروعة بدقة ، وحددوا الأموال التي يجب أن تُدفع عليها . فجعلوا " درهما واحدا في السنة على كل جريب[4] من القمح أو الشعير ، وثمانية دراهم في السنة عن كل جريب من الاعناب ،وسبعة دراهم في السنة عن كل جريب برسيم وخمسة أسداس درهم في السنة عن كل جريب أرز ودرهما واحداً عن كل أربع نخلات إيرانية أوست أرامية أو ستة أصول من الزيتون [5] وأُعفيت كل المحصولات الأخرى من

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج2 ص 122 ، الجهشياري ، الوزراء والكتاب ص 4،كرستنسن ، إيران في عهد السّاسانيين ص 346 ، محمد عبد القادر محمد ، إيران منذ فجر التاريخ حتى الفتح الاسلامي ص 187 ، حسن پيرنيا ، تاريخ إيران القديم ص 298 .

(2) الأحكام السلطانية والولايات الدينية ص 175.

(3) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 122 ، ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ج 1 ص 455 ،المسعودي،مروج الذهب ، ج 1 ص 267 وما بعدها ، كرستنسن ، إيران في عهد الساسانيين ص 350 ، حسن پيرنيا تاريخ إيران القديم ص 298 ، محمد عبد القادر محمد ، إيران منذ فجر التاريخ ص 191.

أنظر أيضا : SYKES ,AHISTORY OF PERSIA . VOL 1p 461.

(4) جريب يعادل 2400 مترا مربعا ، كرستنسن ، إيران في عهد الساسانيين ص351.

(5) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ، ج 2 ص 122 ، المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ج 1 ص 267 ، إختص المسعودى ، بذكر ضريبة الأرز دون الطبري .

الضرائب . كذلك أعفيّ النّخل المتفرق الذي لا يُكون حديقة واحدة.[1] كما تقرر جبي الخراج " على ثلاثة أَنْجُم في السنة ، كل نَجْم أربعة أشهر "[2] فهي إذن مقسطة إلى أربعة أقساط في السنة .

لم يكن الملك " قباذ " وابنة كسرى " يفكران في تسهيل الحياة على الزُّراع حينما قررّا هذا البرنامج . إنما كانا يهمهما فائدتهما وفائدة الدّولة ،وخاصة أن عهدهما كانا عهد حروب مستمرة ، أدركا من خلالها أن الضريبة العينية ليست ضريبة عملية فهي تحتاج إلى وقت طويل حتى تتصرف فيها الدولة ، وقد تفسد قبل ذلك . ودليلنا على ذلك ما أوضحه كسرى أنوشروان قائلا : " إناّ قد رأينا أن نضع على ما أحصي من جربان هذه المساحة من النخل والزيتون والجماجم وضائع ونأمر بإنجامها في السنة في ثلاثة أنجم،وتجمع في بيوت أموالنا من الأموال ما لو أتانا عن ثغر من ثغورنا أو طرف من أطرافنا فتقٌ أو شيءٌ نكرهه واحتجنا إلى تداركه أو حسمه ببذلنا فيه ما لا كانت الأموال عندنا مُعدّة موجودة ولم نرد استئناف اجتبائها على تلك الحال ... "[3]

لقد أعتبر نظام المساحة سبب سعادة الشعب ورفاهيته [4]ورضاه الكامل على كسرى الذي أصبح يلقب بكسرى الخير [5] ذلك لأن نظام المساحة خلافا لنظام المقاسمة جعل

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج 2 ص 122 ، المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ج 1 ص 267 ، كرستنسن،إيران في عهد الساسانيين ص 351 ، حسن پيرنيا ، تاريخ إيران القديم ص 298، محمد عبد القادر محمد ، إيران من فجر التاريخ ص 192 ، محمد ضياء الدين الريّس ،الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ص 75.

(2) الطبري ، نفس المصدر ج 2 ص 123 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 1 ص 455،حسن پيرنيا،تاريخ إيران القديم ص 298.

(3) الطبري ، نفسه ج2 ص 122 .

(4) الطبري ، نفسه ، صبحي الصالح ، النظم الاسلامية ص 32.

(5) المسعودي ، مروج الذهب ج 1 ص 267.

المُزَارِعَ حُراً في أرضه ، يتصرف في غلاته كما يشاء مقابل دفع ضريبة مالية معينة، [1] فهو لم يعد مثلما كان في السّابق لا يجرؤ على مسّ ناضج الثمار قبل مقاسمتها مع الدّولة . [2] هذا وقد أعلن كسرى تقديم مساعدات للمزارعين حيث شَرّع قرضهم لأدوات الحراثة والبذور والماشية واستصلاح الأراضي والرّي والمواصلات . [3] ورفع الخراج عن كل غلة مصابة بقدر مصابها. [4] كما شجع الزواج حتى تكثر اليد العاملة ، وأعلن دفع مهور الفقراء. [5] كما عدّل الضريبة الشخصية وفرضها على كل الرجال الذين يتراوح عمرهم ما بين العشرين والخمسين سنة ، لكنّه أبقى على استثناء " أهل البيوتات والعظماء و المقاتلة والهرابذة [6] والكتاب ومن كان في خدمة الملك " [7] وقسّم مَنْ فُرضت عليهم هذه الضريبة إلى طبقات كثيرة حسب ثرائهم وفقرهم " فحصل منهم من يدفع أثنى عشر درهم ومنهم مَن يدفع ثمانية ومنهم مَن يدفع ستة . وجعل أكثرية الشعب تدفع أربعة دراهم ." [8]

---

(1) محمد ضياء الدين الرّيس ، الخراج والنظم المالية ص 76 ، صبحي الصالح ،النظم الإسلامية ص 32 ينظر أيضا
SYKES .A HISTORY OF PERSIA VOL 1 p462.

(2) الماوردي ، الأحكام السّلطانية ص 175 ، كرستنسن ، إيران في عهد السّاسانيين ص 350،يذكر الماوردى قصة يقول أنها كانت سبب تفكير " قباذ " في نظام المساحة ، وهي أنه لما خرج يوما يتصيّد ، أفضى إلى شجر ملتفّ ، فدخل فيه " للصيد ، فصعد إلى رابية يشرف منها على الشجر ، ليرى ما فيه من الصيد ، فرأى إمرأة تحفر في بستان فيه نخل ورمان مثمر ،ومعها صبي يريد أن يتناول شيئا من الرمان وهي تمنعه فتعجب منها ، وأنفذ إليها رسولا يسألها عن سبب منع ولدها من الرومان . فقالت :" للملك حق لم يأت القاسم ليقبضه نخاف أن ننال منه شيئا إلا بعد أخذ حقه ." فرقّ قباذ لقولها وأدركته رأفة برعيّته .

(3) كرستنسن ، إيران في عهد السّاسانيين ص 349 و 350.

(4) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 123 ، ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ج 1 ص 455،الدينوري،الأخبار الطّوال ص 71 ، كرستنسن ، إيران في عهد السّاسانيين ص 352.

(5) كرستنسن ، نفس المرجع ص 350.

(6) هَرْبَذج هَرابِذَة : الكائن المَجُوسي القائم على بيت النّار ، مجمع اللغة العربية،المعجم الوسيط ج 2 ص 980.

(7) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج2 ص 123 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج1 ص455

(8) الطبري ، نفس المصدر و الصفحة ، ابن الأثير ، نفس المصدر و الصفحة .

لم تدم سعادة المزارعين والأهالي الفرس كثيرا فسرعان ما عَدّل هرمز ابن كسرى (579-589م) عن إصلاحات أبيه بمجرّد أن وصل إلى العرش " فانتشر الظلم من جديد وأطلق ولاة الإقليم أيديهم على رعاياهم وأصبح النهب والقمع لغتهم"[1]؛ ولما وصل كسرى برويز (589-628م) العرش زاد في إفقار الشعب حيث فرض عليه ضرائب ثقيلة وأجبر أفرادا منه على الدخول إلى الجندية [2]. ولم تكن هذه الضرائب تغطية لمصاريف حربة مع بيزنطة ، فحسب ، بل زادت على ذلك بكثير حتى جعلته يعيش في غنى خرافي وصفه الطبري[3] قائلا:" قد جمع من الأموال ما لم يجمع أحد من الملوك . وبلغت خيله القسطنطنية وافريقية . وكان يَشْتُو " بالمدائن " وَيَتَصَيَّف ما بينها وبين " همذان "[4] وكان يقال أنه كانت له اثنتا عشرة ألف امرأة وجارية ، وألف فيل إلا واحداً و خمسون ألف دابة ..وكان أَرْغَبَ الناسِ في الجواهر و الأواني وغير ذلك ." كما يذكر المسعودي[5] أيضا أنه " كان على مربط – كسرى برويز – خمسون ألف دابة وسروج ذهب مكلّلة بالدُّر والجواهر على عدد ما لركّابه من الخيل . و كان على مربطه ألف فيل : منها أشهب أشد بياضا من الثلج ومنها ما ارتفاعه اثنا عشر ذراعا وهذا نادر " .

ظلت الضرائب تتثاقل على الأهالي أكثر فأكثر كلما اقتربنا من نهاية الدولة الساسانية فانتشر الفقر و البؤس في كلّ مكان مما أنتجا فوضى عارمة مستعصية مست كل مرافق الحياة ، يكفي التعبير عنها أن اثني عشر ملكا اعتلوا العرش في مدة أربع سنوات

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 123 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 1 ص 455،كرستنسن ، إيران في عهد الساسانيين ص 351،حسن بيرنيا ، تاريخ إيران القديم ص 298 ، محمد عبد القادر محمد ، إيران منذ فجر التاريخ ص 192.

(2) الطبري ،نفس المصدر ج 2 ص 137 و ما بعدها ، كرستنسن،نفس المرجع ص 428 حسن بيرنيا،نفس المرجع ص 282 ، وينظر أيضا .SYDES . A HISTORY OF PERSIA VOL 1-p:480-483

(3) تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 158.

(4) وهي أشهر مدينة في بلاد الجبال (العراق العجمي) بناها " همذان بن فلوج بن سام بن نوح "،القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ص 483،كي لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ص 220.

(5) مروج الذهب ومعادن الجوهر ج 1 ص 279.

فقط بعد الملك كسرى من سنة (628 إلى 632 م).ويظهر أنّ معاناة الشعب كانت أعظم مما وصفته الكتب، جعلت سيرتوماس [1] يرى في الفتح الإسلامي للأراضي الساسانية تخليصا للأهالي مما أصبحوا فيه قائلا :" وما أن تم للمسلمين ما أرادوا على هذا الوجه حتى تنفس الفرس أنفسهم الصعداء ورحبوا بالعرب حبا في الخلاص من ظلم الحكام أوّلا . ورغبة في إعفائهم من الخدمة العسكرية ثانيا " .

تنقسم الأراضي المفتوحة في الفقه إلى ثلاثة أقسام :

1-أرض أسلم أهلها عليها : كأراضي المدينة المنورة ، وهذه الأراضي تبقى ملكا لأصحابها يتصرفون بها كما يشاءون استثماراً وبيعا وهبة وإجارة وغير ذلك . ولكن لا يحل لهم تعطيلها ، فإن عطلوها فغرسها إنسان بغير إذنهم كان أصحابها بالخيار بين دفع قيمة الغراس لصاحبه أو أخذ قيمة الأرض بغير غراس منه .

2- أرض صلح : وهذه الأرض يطبق عليها ما ورد في عقد الصلح بشأنها ، وإنّ الذي جرى عليه العمل فيها زَمَنَ عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو :

أ- إن هذه الأرض تبقى ملكا لأصحابها ، يتوارثونها ، ويجرى عليها من أحكام التملك ما يجرى على الملكية الفردية .

ب- إن أصحاب هذه الأرض يدفعون خراجا يتم الاتفاق عليه بينهم وبين الدولة الإسلامية ،وإن هذا الخراج لا يزيد بعد ذلك ولا ينقص سواء افتقر أهلها أم أيسروا ، وهذا الخراج له حكم الجزية ، فإذا أسلم صاحب الأرض سقطت الجزية عن رأسه ، والخراج عن أرضه .[2]

3- أرض عنوة : وهي الأراضي التي أُجْلِيَ أهلها عنها بحدّ السيف ، أعتبرها الرسول (ﷺ) غنيمة ، فكان يوزعها على المجاهدين بعدما يأخذ الخُمس منها للدولة

---

(1) الدعوة إلى الإسلام 236.

(2) محمد روّاس قلعرجي ، موسوعة فقه عمر بن الخطاب ، ص 78 و 380.

وطبق هذا في " خَيْبَر" في السنة السّابعة للهجرة [1] لكن الخليفة عمر بن الخطاب قرّر أن تكون هذه الأراضي فَيْئاً موقوفا أي مُلْكا عاما للأمة الإسلامية كَوَحْدَةٍ بجميع أجيالها ، بدلا من أن يكون ملكا متقاسَما بين الأفراد يتداو لونه ويرثه الأبناء عن الآباء[2] وخراج أرض العنوة يكون بمثابة أُجْرة لها لا تسقط أبداً حتّى ولو أسلم صاحبها[3].

لقد أشاد القاضي أبو يوسف [4] كثيرا بالقرار الذي وصله الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه قائلا :"والذي رأى عمر رضى الله عنه من الامتناع من قِسْمة الأرضين بين مَن أفتتحها عندما عرّفه الله ما كان في كتابه من بيان ذلك توفيقا من الله كان له فيما صَنع ، وفيه كانت الخيرة لجميع المسلمين ، وفيما رآه من جمع خراج ذلك وقسمته بين المسلمين عموم النفع لجماعتهم ، لأن هذا لو لم يكن موقوفا على الناس في الأُعْطِيات والأرزاق لم تشحَن الثغور ولم تَقْوَ الجيوش على السير في الجهاد..." لكن نبيه عاقل[5] رأى رأيا غريبا يدعو إلى الدهشة في قرار الخليفة حيث قال : " إن الأرض لم تُقسم بين العرب المقاتلة لأن العرب كانوا مشغوليين بالحرب ولا يجوز صرفهم إلى فلاحة الأرض ، هذا فضلا عن قلة خبرتهم بالشؤون الزراعية وماسيؤدّيه جهلهم بها من خراب للأرض وقلّة وارداتها" نجيبه : إن أرض العنوة قسمت بين المجاهدين قبل ذلك ولم نسمع أبدا بموتها لجهلهم بفنون الزراعة واهتمامهم " بالحرب " ثم لو كانت الأسباب التي ذكرها حقيقية فإننا ننبهه أنه ليس دائما من يملك الأرض هو الذي يقوم بها ، فبإمكان العرب أن يجعلوا عليها عمالا أدرى بأمور الزراعة منهم.

---

(1) ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد في هَدْي خَيْر العباد ، المطبعة المصرية ومكتبتها القاهرة(د ت)ج 1 ص 137.

(2) أبو يوسف (القاضي يعقوب بن إبراهيم أبو يوسف) المتوفى سنة 182هـ كتاب الخراج دار المعرفة للطباعة والنشر لبنان دت ص 24 ، يحيى بن آدم القرَشي المتوفى سنة 203 هـ كتاب الخراج صححه وشرحه ووضع فهارسه أحمد محمد شاكر،دار المعرفة للطباعة والنشر-لبنان(دت) ص 27.

(3) محمد روّاس قلعنجي ، موسوعة فقه عمر ص 381.

(4) كتاب الخراج ص 27.

(5) دراسات في تاريخ العصر الأموي ص 210.

وَمِنْ جِهَة أخرى لقد رأى بعض المؤرخين [1] أن تشريع أرض الصلح وأرض العنوة لم يطبق في عهد الخليفة عمر ولا أصل له في تاريخ بني أمية أيضا و أن الفقهاء المتأخرين هم الذين وصلوا إلى ذلك بعد خبرة طويلة مرّت بها المؤسسات، لخّصوها في " صورة مُهَذَّبَة ومرتَّبة ومرفوعة إلى المثالية ". وما نستطيع أن نقوله عن هؤلاء أنهم يقررون جهلا ، فقد ورد في القرآن تمييز بين أرض صلح وأرض عنوة في الآية الكريمة " مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" [2]، الآية التي أعتمد عليها الرسول (ﷺ) وقسم خيبر ولم يقسم أرض بني النظير [3] كما ورد للرسول [4] (ﷺ) حديث يفرق فيه بين أرض العنوة وأرض الصلح أيضا حيث قال: "لَعَلَّكُمْ تُقَابِلُونَ قَوْمًا فَتَظْهَرُونَ عَلَيْهِم فَيَتَّقُونَكُمْ بِأَمْوَالِهِمْ دُونَ أَنْفُسِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ، وَتُصَالِحُونَ عَلَى ذَلِكَ، فَلَا تُصِيبُوا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ شَيْئاً " .كما أن هناك روايات كثيرة تبرهن على أن الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يفرّق بين أرض الصّلح وأرض عنوة ومنها: "إن رجلا جاء إلى عمر بن الخطاب فقال: إني قد أسلمت، فارفع عن أرضى الخراج، فقال الخليفة " لا إن أرضك أُخِذَتْ عنوة " [5] وإن رجلا آخر جاء إلى عمر(رضى الله عنه) فقال: " إن أرضَ كذا وكذا يطيقون من الخراج أكثر ممّا عليهم ؛ فقال الخليفة" لا سبيل عليهم إنا قد صالحناهم صلحا". [2] و إن دهقانة من أهل" نهر

---

(1) فليب حتي ، تاريخ العرب المطول ، ج 1 ص 128 ، عبد العزيز الدوري ، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، ص 17 و 22 ، نبيه عاقل ، دراسات في تاريخ العصر الأموي، ص 209 و 210.

(2) سورة الحشر آية رقم – 6 –

(3) محمد ضياء الدين الرّيس ، الخراج والنظم المالية ، ص 133.

(4) يحيي بن آدم ، كتاب الخراج، ص75و76 ، أبو عبيد (القاسم بن سلام)، الأموال، المكتبة التجارية ، القاهرة ، 1353 هـ ط 1 ص 143.

(5) يحيى بن آدم ، نفس المصدر ص 54.

(6) يحيى بن آدم ، نفسه ص 27 ، البلاذري، فتوح البلدان ص 274.

الملك" [1] أسلمت، فكتب الخليفة عمر رضي الله عنه إلى عماله هناك :" أَن أَدْفَعْ إِلَيْهَا أَرْضَهَا تُؤَدي عَنْهَا:" ذلك لأن أرضها فُتِحَت عنوة [2]،وإنَّ رجلَيْن أسْلَما مِنْ أَهْل" أُلَّيس[3] فرفع عمر جزيتهما من جميع الخراج وذلك لأن أهل" أُلّيس" كانوا صلحاً.[4]

لقد استمر الخلفاء الراشدون في تفريقهم بين أرض الصلح و أرض العنوة بعد الخليفة عمر رضى الله عنه [5] كما استمرّ الأمويون فيما بعد على نفس المنهج.[6]

فتحت خراسان صلحاً ، فقد ذكر الحنبلي[7] عن بعض رواته قائلا :" مادون النهر صلحا وما وراءه عنوة " ولنا في المصادر ما يشير صراحة إلى ذلك ، فهاهو ابن الفقيه[8] يذكر أن " أهل خراسان دخلوا في الإسلام رغبة وطوعا" والمقدسي[9] وياقوت [10] الحموي يذكران " أن خراسان أهلُ الدعوة وأنصارُ الدولة ، لما أتَى اللهُ بالإسلام كانوا فيه أحسن الأمم رغبة ،وأشدهم إليه مسارعة ،مَنّاً من الله عليهم ، أسلموا طوعا ، ودخلوا فيه أفواجا

---

(1) لقد ذكره اليونان بإسم نهر " ملخا " "MAICHA" عليه مدينة يقال لها نهر الملك يأخذ مياهه من الفرات ويصبّ في نهر دجلة . قيل إنّ أول من حفره هو سليمان بن داود عليه السلام . كي لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية، ص 93 و 94.

(2) يحيى بن آدم ، كتاب الخراج ص 60.

(3) أُلّيس ، مُصَغّر بِوَزْنِ " فُلَيْس" وهي الموضع الذي كانت فيه الوقعة بين المسلمين والفرس في أول أرض العراق من ناحية البادية ، وهي قرية من قرى الأنبار ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج 1 ص 354.

(4) يحيى بن آدم ، كتاب الخراج ص 21.

(5) يحيى بن أدم ، نفس المصدر ص 23.

(6) عبد العزيز الدورى ، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ص 72 ، حسني علي الخربوطلي،العرب والحضارة ص 179، نجدة خماش ،الإدارة في العصر الأموي ص 168.

(7) الحنبلي (اللإمام الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي) المتوفّى سنة 795،الإستخراج لأحكام الخراج صحّحه وعلق عليه السيد عبد الله الصديق ، دار المعرفة للطباعة والنشر-بيروت(د ت)ص 41.

(8) البلدان،ص 317.

(9) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،ص 293.

(10) معجم البلدان،ج 2 ص 411.

وصالحوا عن بلادهم صلحا ، فخف خراجهم وقلّت نوائبهم ، ولم يجر عليهم سَبْيٌ ، ولم يُسفك فيما بينهم دمٌ ،مع قدرتهم على القتال ، وكثرة العدد وشدة البأس ".

ومع ذلك فحينمانتَتَبّعَ حركة الفتح لمدن خراسان عند " البلاذري" فإننا نجده يذكر أحيانا روايتين مختلفتين عن منطقة واحدة ، تذكر إحداهما أن المنطقة فتحت عنوة وتذكر الأخرى أنها فتحت صلحا ، كمدينة " سرخس" وهراة كما يذكر أحيانا أن المنطقة كلها فتحت صلحا إلا قرية واحدة كما حدث في منطقة مرو مع قرية اسمها " السَنْج"[1] ومنطقة طخارستان مع قرية " سِمّجان "[2] ، والظاهر أنّ المسلمين كانوا مسالمين كثيراً فعلى الرّغم من أن بعض المناطق كانت تمتنع عليهم فيحاربونها ويدخلونها لكنهم يوافقون على طلب الصّلح من سكانها وهذا ما حدث مع " سرخس " وهراة"[3] "ونَسا"[4]،كما كانوا يدرجون القرية الممتنعة والمفتوحة عنوة ضمن المدينة التي تتبعها والتي كانت قد فتحت صلحا وهذا ما نفهمه من قوله..."إن رستاق رَام ورستاق جُوين من أتباع نيسابور فُتِحَا عنوة لكن مرزبان نيسابور طلب الأمان على أن يصالحه من جميع نيسابور على وظيفة يؤديها فصالحه على ألف ألف درهم ويقال سبعمائة ألف ألف درهم"[5]،وعلى الرغم من أن مدناً ومناطق كثيرة كانت تَنْقُض الصّلح مرّة أو مرّات عديدة إلا أن الولاة الراشدين والأمويين كانوا يكتفون بإعادة إبرام الصلح الأول وهذا ما تبين في الفصلين السّابقين .

أما الاتهام الثاني القائل: " إن آل أمية لم يفرقوا بين الجزية والخراج وجعلوهما ضريبة واحدة في خراسان إلى أن فصل بينهما الخليفة عمر بن العزيز أو الوالي نصر بن

---

(1) البلاذري ، فتوح البلدان ص 571.

(2) البلاذري ، نفس المصدر ص 574.

(3) البلاذري ، نفسه ص 570.

(4) البلاذري ، نفسه ص 569.

(5) البلاذري ، نفسه ص 569.

سيار [1] فيعد اتهاما باطلا لا أصل له تاريخيا . وقبل الشروع في البحث فيه علينا أولا البحث في معنى وأصل كلمة " الجزية " و " الخراج".

لقد جاءت التعريفات لكلمة " جزية " معقدة في القواميس العربية[2] ذلك لاعتبارها لفظا متبادلا مع لفظ خراج . فهي تطلق أحيانا على خراج الأرض كما أن الخراج كان يطلق على جزية الرأس أيضا.

ولاشك أن أوضح تعريف للجزية نجده عند الماوردي[3] حيث يقول: "...وهي موضوعة على الرؤوس مع بقاء الكُفْر و تسقط بحدوث الإسلام ...اسمها مشتق من الجزاء ..وهي نص وليست اجتهادا والأصل فيها قوله تعالى : " قَاتِلُوا الذينَ لَا يُؤْمِنُونَ باللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الذينَ أُوتُوا الكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ". [4]

لقد اعتمد المُحَدثُون [5] في " تعريفهم " للجزية " على تعريف الماوردي السابق الذكر فجاءت تعريفاتهم واضحة ومفهومة .

---

(1) فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية 272 ، فان فلوتن ، السيادةالعربية والإسرائيليات في عهد بني أمية ص 49 ، عبد الله مهدي الخطيب ،الحكم الأموي في خراسان ص 96، عبد العزيز الدّوري ، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام،ص 17 ،الجوزي بندلي صليبا ، دراسات في اللغة والتاريخ ص 34.

(2) ابن منظور ، لسان العرب المجلد الأول ص 458 ،الرّازي ، مختار الصّحاح،ص 103و 172،الفيروز آبادي، القاموس المحيطج4 ص 314 ، مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط ج 1 ص 122.

(3) الأحكام السلطانية والولايات الدّينية ص 142.

(4) سورة التّوبة آية 29.

(5) أحمد أمين ، فجر الإسلام ص 86 ، صبحي الصّالح ،النظم الإسلامية ص 363، جرجي زيدان ، تاريخ التمدّن الإسلامي ج1 ص 218، فليب حتي ، تاريخ العرب المطول ج1 ص 218،السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الدولة العربية (تاريخ العرب منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية) مؤسسة الثقافة ، الإسكندرية، 1974 ص 252 ، نجدة خماش ، الإدارة في العصر الأموى ص 166 ، أحمد محمد الحوفي ، سماحة الإسلام الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ، 1997 ص 94 ، شوقي أبو خليل،الإسلام في قفص الإتهام ،دار الفكر دمشق 1402هـ 1983 م ط 5 ص 145 و 148.السيد سابق ، فِقْهُ السُّنّة ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1397 هـ 1977 م ط 1 ج 3 ص 67.

لم يكن التبادل في استعمال كلمة " خراج " و " جزية" يعني أن اللفظين مترادفين عمليا وأن الخلفاء الراشدين والأمويين لم يفرقوا في جِبَايَتهم بينهما عمليا كما حاول هؤلاء المؤرخون إثبات ذلك لأن الواقع التاريخيّ يُثبت أن التبادل في اللفظين لم يكن له أثر ولا أهمية فمع أن لفظ الجزية كان هو الشائع في عهد الرسول (ﷺ) إلا أنه لم يجمع الجزية والخراج عمليا معا ، وكان يُدرك المعني منهما في سياق الكلام. كأن يقال مثلا " جزية الأرض وجزية الرأس . " لكن ابتداء من عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بدأ يختص كل لفظ منهما بمعناه العملي ، ومع ذلك ظلّ يجوز تبادل اللفظين إلى اليوم ذلك لأن هذا جائز من الوجهة اللغوية ما دام سياق الكلام يحدد المعنى المقصود . وخاصة كلمة " خراج" ذلك لأنها استمرت ضريبة في الأراضي المفتوحة عنوة في الوقت الذي قلّت فيه الجزية لانتشار الإسلام فيها وفي أراضي "الصلح ". بل لقد اتسع مدلولها أكثر وأصبحت تطلق على الإيراد العام للدولة نظريا ، لكنها ظلت تعني ضريبة الأرض عملياً.[1] ونتساءل هنا أيعقل هذا الاتهام وقد جرى تحديد نظام الجزية والخراج وما يجب أن يدفع فيهما بالتدقيق على يد الخليفة عمر رضى الله عنه ؟

لقد ذكر الرواة رِوَايَات كثيرة بيّنت التفرقة العملية بين الجزية والخراج منذ عهود مبكرة منها :

روى أبو يوسف،[2] من نص خطبة عمر ، أنه قال فيها وهو يخاطب الصحابة : "وقد رأيت أن أحبس الأرضين بعُلوجها ، وأضع عليهم فيها الخَراج وفي رقابهم الجزية " وقال أبو يوسف أيضا [3] " فأَجْمَعَ (أي عمر رضي الله عنه) على تركه (أي السّواد)

---

(1) محمد ضياء الدين الرّيس،الخراج والنّظم المالية ص 127 ، أحمد محمد الحوفي ، سماحة الإسلام ص 95 ، نجدة خماش ، الإدارة في العصر الأموي ص 166 و 167، الجوزي بندلي صليبا ، دراسات في اللغة والتاريخ ص 28 و 29.

(2) كتاب الخراج ص 25.

(3) نفس المصدر ص 35.

وَوضع الخراج على أرضهم والجزية على رؤوسهم " ويقول في[1] مكان آخر أيضا : " افتتح عمر بن الخطاب العراق...وضرب عليهم الجزية ، وأخذ الخراج من الأرض."

ويذكر الحنبلي[2] روايات عديدة منها قوله :"..كما منّ النبي صلى الله عليه وسلم على أهل مكّة إلاّ أنه لا يمنّ عليهم بذلك مجانا بل يضرب على أرضهم الخراج وعلى رؤوسهم الجزية إذا كانوا من أهل الجزية "،ومنها أيضا" ..ترك عمر رضي الله عنه الخراج مع الدّهاقين لأنّه ردّ عليهم الأرض ملكا وضرب الخراج على أرضهم كما ضرب الجزية على رؤوسهم فصارت الأرض ملكا لهم وللمسلمين".

كما يذكر يحيي بن آدم[3] روايات كثيرة منها :"...ولما ظهر المسلمون على أهل فارس ، تركوا السواد ومن يقاتلهم من النبط[4] والدهاقين على حالهم ،ووضعوا الجزيةّ على رؤوس الرّجال ، ومسحوا عليهم ما كان في أيديهم من الأرض ،ووضعوا عليها الخراج..."

ويذكر البلاذري[5] روايات كثيرة تبين ذلك أيضا منها :" أن عمرو بن العاص [6] فتح " نابلس " على أن أعطاهم الأمان على أنفسهم ، وأموالهم ،ومنازلهم ،وعلى أنّ

---

(1) كتاب الخراج ص 28.

(2) الاستخراج في أحكام الخراج ص 30.

(3) كتاب الخراج ص 22.

(4) " النبط " ج " أنباط " وهم شعب سامّي ، كانت له دولة في شماليّ شبه الجزيرة العربية وعاصمتهم " سَلْع " وتعرف اليوم " بالبتراء " مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ج2 ص 898 .

(5) فتوح البلدان ص 188.

(6) هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي ، أبو عبد الله ،ولد في سنة 50 ق.هـ (574م) كان في الجاهلية من الأشداء على الإسلام وأسلم في هدنة الحديبية . وولاّه النّبي (ﷺ) إمرة جيش " ذات السلاسل " ثم استعمله على عمان ثم كان من أمراء الجيوش في الجهاد بالشام في زمن عمر ، فافتتح قنسرين وصالح أهل حلب ومنبج وأنطاكية فولاّهُ عمر فلسطين ثم فتح مصر وتولاّها لكنّ الخليفة عثمان عزله ،ولما كانت الفتنة بين عليّ ومعاوية كان عمرو مع معاوية الذي ولاه علي مصر بعد ذلك في سنة 38 هـ ،وبقي فيها حتى توفي بها في سنة 43 هـ (664م) ، ابن قتيبة المعارف ، ص : 124 ، الزركلي الأعلام ج 5 ص : 248.

الجزية على رقابهم ، والخراج على أرضهم ..." وأيضا أن أبا عبيدة بن الجرّاح[1] :" مضى نحو حماة فتلقاه أهلها مذعنين فصالحهم على الجزية في رؤوسهم والخراج في أرضهم .[2]

إذن ، لقد عُرف التمييز بين الجزية والخراج عمليا منذ عهد الرّسول (ﷺ) وما كان في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، ثم عَهْد الوالي نصر بن سيّار في خراسان،سوى إعادة إصلاح جباية الضرائب كما سيتضح ذلك في المباحث القادمة .

شُرعت الجزية على جميع أهل الذمة [3] إذا كانوا من رعايا الدولة الإسلامية وهم اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم من المَجوس[4] كما شرعت

---

(1) هو عامر بن عبد الله بن الجرّاح بن هلال الفهري القرشي ولد في سنة 40 ق هـ (584 م) صحابي جليل وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، قال عنه الرّسول (ﷺ) " لكلّ أمّة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة " . ولاّه الخليفة عمر بن الخطاب قيادةالجيش الزاحف إلى الشّام ، بعد خالد بن الوليد ، فتمّ له فتح الدّيار الشامية ، وبلغ الفرات شرقا وآسيا الصغرى شمالا ، توفي بالطاعون في سنة 18 هـ (639م) ابن قتيبة،المعارف ص 108 و 109،الزركلي الأعلام ج 4 ص 21.

(2) البلاذري ، فتوح البلدان ص 179.

(3) الذمي : المعاهد الذي أعطى عهدا يأمن به على ما له وعرضه ودينه . مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط ج1 ص 315.

(4) المجوس هم الذين يصدقون بنبوة " زَرَدشت " وهي ديانة قديمة تقوم على تقديس الكواكب والنار ، جدّدها "زردشت " وجعل الكواكبَ والنارَ رموزًا لإلاَهِ الخير . ذكر الشافعي أنهم :" يدينون غير دين أهل الأوثان ويخالفون أهل الكتاب من اليهود والنصارى في بعض دينهم " ويذكر أن الخليفة عمر رضى الله عنه قد حار في أمرهم في أول الأمر أيأخذ منهم الجزية أم يضعهم موضع عبدة الأوثان فيحاربهم . حتى قطع عبد الرحمن بن عوف حيرته حين حدثه أن " الرسول (صلعم) أخذها من مجوس " هجر""وفي رواية أخرى إن عبد الرحمن بن عوف قال لعمر رضى الله عنه :" سمعت رسول الله صلعم يقول : " سُنّوا بِهِمْ سُنّةَ أهلِ الكتابِ " كما يذكر الشافعي أن عليا رضى الله عنه قال " أنا أعلم الناس بالمجوس كان لهم علم يعلمونه وكتاب يدرسونه". ينظر ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد المعروف بأبن حزم الطاهري) المتوفى 456 هـ،الفصل في الملل والأهواء والنحل،تحقيق محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة دار الجيل بيروت (دت) ج 1 ص 197 ، الشافعي (محمد إدريس الشافعي) 150-204هـ الأمّ، أشرف على طبعه وباشر تصحيحه محمد زهري النجار دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت(د ت)مجلد 2 ج 4 ص 173 / محمد روّاس قلعرجي ،موسوعة فقه عمر بن الخطّاب ص 235.

أيضا علـى الصابيين [1] و السامرة [2] إذا وافقوا اليهود والنصارى في أصل معتقدهم وإن خالفوهم في فروعه .[3] و يذكر الماوردي[4] شروطا سنّها الخليفة عمر رضى الله عنه تشترط على أهل الذمة عند عقد الجزية، وقسّمها إلى قسمين: شروطٍ إلزامية وشروطٍ مستحبة أما الإلزامية فهي ستّةُ شروط يُلْغَى العَهْدُ إذا ما خُرِق شرطٌ منها وهي :

1. أن لا يذكر أهل الذمة كتاب الله تعالى بطعن فيه ولا تحريف له .
2. أن لا يذكر أهل الذمة الرسول صلى الله عليه وسلم بتكذيب له ولا ازدراء.
3. أن لا يذكر أهل الذمة دين الإسلام بذم له ولا قدْح فيه .
4. أن لا يُصيب أهل الذمة مسلمةً بزنا ولا باسم نكاح .
5. أن لا يَفتن أهل الذمة مسلما عن دينه ولا يَتعرضوا لِمالِه ولا دينه .
6. أن لا يُعين أهلُ الذّمّة أهلَ الحرب ولا يودّوا أغنياءَهم.

---

(1) وهم جنس من أهل الكتب السماوية ينظر القزويني (السيد مهدي القزويني الحسني) توفي 1300 م أنساب القبائل العراقية حققه وعلق عليه عبد المولى الطريحي المطبعة الحيدرية بغداد 1383 هـ 1963 ص 79 ، في حين يرى البلخي في البدء والتاريخ ج 1 ص 146 أن :" وضعهم على دينهم بين دين اليهود والنصارى" وفي جهة أخرى يقول :" إنهم يقولون بالنور والظلمة ". في حين يعتبرهم الشهر ستاني في الملل والنحل ج1 ص 275 من " أتباع إبراهيم الخليل عليه السلام" .يُذكر أنه أطلق على الصابئة إسم " الحرّانية " نسبة إلى حران " بشمال العراق. البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية،ص 204 ، أحمد عطية الله ،القاموس الإسلامي ج 2 ص 60.

(2) السامرة هو أسم يطلق تاريخيا على إقليم بفلسطين يقع حول مدينة نابلس الحالية عرف سكانه " بالسّامريين" وهم جيل نشأ من امتزاج الأشوريين الذين وفدوا من شمال العراق إبان حكم الملك سرجون الثالث حوالي عام 722 ق.م واستوطنوا هذا الإقليم ببعض القبائل اليهودية التي لم ترحل الى "بابل " ونشأت عن هذا الامتزاج عقيدة تختلف عن اليهودية ولها مراسيمها الخاصة وبنى السامريون هيكلا لهم على جبل " جزيم " (جراسيم) يحجون إليه ثلاث مرّات في العام وعلى سفح هذا الجبل أقيمت المدينة التي تعرف اليوم " بنابلس " التي ما زالت تضّم حتّى اليوم عدّة أسر سامرية . الخوارزمي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب الخوارزمي) مفاتيح العلوم منشورات مكتبه الكليات الأزهرية 1401 هـ 1981 م ط 2 ص 24.أحمد عطية الله ،القاموس الإسلامي ج 3 ص 208.

(3) الماوردي الأحكام السلطانية ص 143و 144. يحيى بن يحيى الليثى ،موطأ الإمام مالك إعداد أحمد راتب عرموش،دار النفائس،بيروت ، 1407 هـ 1987 م الطبعة العاشرة ج 1 ص 204.

(4) الأحكام السلطانية ص 145.

أما المستحبة فهي ستة شروط أيضا لا تكون إلزامية في العهد ولا يحدث التهاون فيها نقضا له وهي :

1. أن لا يُترك أحد من أهل الذمة يتشبه بالمسلمين في لباسه وأن يلبسوا الغيار ويشدّو الزنّار .[1]

2. أن لا يعلوا على المسلمين في الأبنية ويكونوا إن لم ينقصوا مساوين لهم .

3. أن لا يُسمعوهم أصوات نواقيسهم ولا تلاوة كتبهم ولا قولهم في عُزير[2] والمسيح.

4. ألا يجاهرُوهم بشُرب خمورهم ولا بإظهار صلبانهم وخنازيرهم.

5. أن يخفوا دفن موتاهم ولا يجاهروا بندب عليهم ولا نياحه .

6. ان يمنعوا من ركوب الخيل عناقا وهجانا ولا يمنعوا من ركوب البغال والحمير.[3]

ويضيف أبو يوسف [4] شروطا أخرى وهي :

أ – " أن يُمنعوا من أن يُحدثوا بناء بيعة أو كنيسة في المدينة إلا ما كانوا صولحوا عليه وصاروا ذمّة وهي بيعة لهم أو كنيسة ، فما كان كذلك تركت لهم ولم تهدم، كذلك بيوت النيران " .

ب– " أن لا يبيعوا خمراً ولا خنزيراً "

---

(1) يَذكر أبو يوسف شيئا من الألبسة المقترحة قائلا : " إن يجعلوا في أوساطهم الزنارات مثل الخيط الغليط يعقده في وسطه كل واحد منهم ، وأن تكون قلانسهم مضربة وأن يتخذوا على سروجهم في موضع القرابيس مثل الرُّمّانة من خشب ، وبأن يجعلوا شراك نعالهم مثنية ." ينظر كتاب الخراج ص 127.

(2) عُزير هو الذي أقام لبني إسرائيل التّوراة بعد أن أحرقت حين عاد إلى الشام فقالت طائفة من اليهود هو ابن الله وهو الذي أكثر المناجاة في القدر فمحا الله اسمه من الأنبياء فلا يذكر فيهم وهو رسول . ابن قتيبة ، المعارف ، ص 23.

(3) الماوردي ، الأحكام السلطانية ص 145.

(4) كتاب الخراج ، ص 127.

لقد سار الخلفاء الراشدون بعد الخليفة عمر بن الخطاب على تطبيق الشروط كاملة ، الملزمة منها والمستحبة ، لكن خلفاء بني أمية تغاضوا عن بعض الشروط المستحبة منها شرط الزي وبناء المعابد وبيع الخمور والخنازير فيما بين أهل الذمة تسهيلا لهم .[1] وإن كُنا نستثني منهم الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي أراد أن يعود الوضع مثلما شرعه الخليفة عمر بن الخطاب[2] وأيضا الخليفة يزيد بن عبد الملك الذي أمر بالاستيلاء على عدد من الكنائس أحدثها المسيح [3] .

ومع ذلك ، فقد نال أهل الذمة تسامُحا كبيراً وحرية دينية كاملة طيلة العصر الراشدي والأموي.[4] ولدينا وثيقة تعود إلى القرن الأول تعبر عن ذلك كتبها بطريق

---

(1) جورج قرم ، تعدد الأديان وأنظمة الحكم (دراسة سوسيولوجية وقانونية مقارنة)دار النهار،بيروت 1979 ص 256 وما بعدها .

(2) كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى عماله قائلا : " أما بعد ، فلا تَدعنّ صليبا ظاهرا إلا كُسِرَ ومُحِق ، ولا يركبنّ يهودي ولا نصرانيّ على سرج ، وليركب على اكاف ،ولا تركبن امرأة من نسائهم على رحالة وليكن ركوبها على اكاف ، وتقدم في ذلك تقدما بليغا ،وامنع من قِبلِك فلا يلبس نصرانيّ قباء ،ولا ثوبَ خَزٍ ولا عَصب قد ذُكر لي أن كثيرا ممن قبلك من النصارى قد راجعوا لبس العمائم وتركوا المناطق على أوساطهم واتّخذوا الجمام (شعر الناصية) والوفر (الشعر إلى الأذنين) وتركوا التقصيص ، لَعمْري لئِن كان يصنع ذلك فيما قبلك ، إنّ ذلك بك لضعف وعجز ومُصَانَعة ، وإنهم حين يراجعون ذلك ليعلموا ما أنت ، فانظر كل شيء نهيت عنه فاحسم عنه من فعله والسلام ". أبو يوسف،الخراج ص 128.وجاءت الرسالة موجزة عند ابن عبد الحكم،سيرة عمر بن عبد العزيز ص 165-166 وأيضا عند إبن عبد ربه ، العقد الفريد ج 4 ص 436 .

(3) أحمد أمين،يوم الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1952 ص 71 ، كارل بروكلمان،تاريخ الشعوب الإسلامية نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكّي،دار الملايين بيروت 1981 ط 9 ، ص 152 ، عطا سليمان ،العدالة عند العرب ،المكتبة العراقية،بغداد 1988 ص 30.

(4) محمد عبده ، رسالةالتوحيد دار النصر القاهرة ، 1969 ص 163 ، جورج قرم،تعدد الأديان ص 252 ، علي حسني الخربوطلي ،تاريخ العراق ص 264 والعرب والحضارة ص 107 ، فليب حتي ، تاريخ العرب المطول ج 1 ص 227 ، شفيق عبد الرّزاق السامرائي،المشرق العربي ،العراق 1401 هـ 1980 القسم الأول ص 22 ، سير توما ، الدعوة إلى الإسلام 235،محمد عبد الله عنان ، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام ، طبعة خاصة منمكتبة الأسرة بالإشتراك مع الهيئة المصرية العامّة للكتاب ،ـــــ1997 ص 27.

النسطورى[1] يشوع باف الثالث "ISHYABH " إلى نصارى العراق وفارس يقول فيها:" إن العرب الذين منحهم الله زمام العالم في هذه الآونة أصبحوا في صفنا كما تعلمون وهم لا يضطهدون المسيحية بل يمتدحون عقيدتنا ويحترمون قسّيسنا وقدّيسنا ويساعدون كنا ئِسنا وهياكلنا .."[2]

ويظهر أن نصارى الدّولة السّاسانية قد تنفسوا الصعداء بالفتح الإسلامي لبلادهم ذلك لأنهم عانوا الكثير من ملوكهم ومن رجال الدين الزردشتى دين الدّولة وبخاصة بعدما اعتنق الإمبراطور الرّوماني قسطنطين [3] الدّين المسيحي ، حيث اعتبروا أصدقاء له وأعداء لدولتهم التي أجبرتهم على دفع ضعفي الجزية التي كانت على رؤوسهم . وهَدَّمَت كنائسهم وطلبت منهم التخلي على نصرانيـتهـم ولما رفضـوا سلطت عليهم أشد أنواع التعذيب والقتل .[4] ولم يكن حال الصابئة يختلف عن حال النصارى كثيرا فقد عانوا هم أيضا من الاضطهاد الدّيني .[5] أما اليهود فقد كان حالهم أحسن بكثير من حال النصارى والصابئة وخاصة بعدما تزوج الملك يزد جرد الأول 399-420 م من يهودية[6] ومع ذلك لم يكن لهم أي دور سياسي[7] .

---

(1) النسطوريّة منسوبة إلى " نسطورس " وكان أحدث رأيا فنفوه عن مملكة الروم فليس بها أحد منهم . الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ص 23 ، البيروني،الآثار الباقية عن القرون الخالية ص 288.

(2) سيرتوما آرنولد ، الدّعوة إلى الإسلام ص 101 و 102 ، انظر أيضا SHEDD . (W.A) ISLAM AND THE ORIANTAL SHURCHES . PHILADELPHIA 1094 p 110 .

(3) هو قسطنطين الأكبر بن هلاني دخل الدين المسيحي وأعلنه دين الدّولة في سنة 313 م،بنى القسطنطينية في سنة 330 م وأعلنها عاصمة دينية له . المسعودى مروج الذهب ج 1 ص 318 ، محمد العروسي المطوي ،الحروب الصليبية في المشرق والمغرب دار الغرب الإسلامي 1982 ص 30.

(4) كرستينسن ، إيران في عهد الساسانيين 254 وما بعدها،سيرتوما،الدعوة إلى الإسلام ص 235.

(5) سير توما ، نفس المرجع ص 235.

(6) اسمها شوشين دخت " إبنة رأس الجالوت ، وَلَدت له ولدَه الأمير " نرسي " كرستينسن، إيران في عهدالساسانيين 258 و 260.

(7) كرستنسن ، نفس المرجع 258.

لقد كان يترتب على عقد الذمّة حرمة قتالهم والحفاظ على أموالهم وصيانة أعراضهم وكفالة حرّياتهم والكفّ عن أذاهم[1] ولم يكن الغرض من فرض المسلمين الجزية على أهل الذمّة لونا من ألوان العقاب لامتناعهم عن قبول الإسلام[2] بل هي مكافأة على الحماية التي يوفّرونها لهم على صعيد حرية العبادة و الأمان .[3] ويضيف جورج قرم [4] أن عبارة "وهم صاغرون " التي وردت في القرآن في سورة التّوبة والتي تفسر عادة بأنهم " أذلاء منقادون " لا تعني في رأيهم أكثر من مجرد إلزام الذّميين بقبول نظام الحاضرة الإسلامية وحمايتها لهم بسلامة نية وطيب خاطر."

لم يَرد نص في القرآن الكريم أو في سنّة الرسول (ﷺ) يلزم الإمام أو الخليفة بمقدار معيّن في الجزية ، بل ترك ذلك للاجتهاد بعد دراسة يجريها المختصون في الدولة لأحوال من تجب عليه [5] لذا جعلها الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه على ثلاث طبقات أدناها على الفقير المعتمل ، فقد تراوحت بين 48 درهما في السنة على الأغنياء و24 درهما على متوسطي الحال و12 درهما على القادرين على الكسب من الفقراء [6] تدفع إما نقدا أو متاعاً [7] ومحتملة الزيادة

---

(1) الماوردي ، الأحكام السلطانية ص 146 ،السيد سابق ، فقه السنة ج 3 ص 65 ، علي حسني الخربوطلي ، العرب والحضارة ص 180 ، عبد الشافي محمد عبد اللطيف،العالم الإسلامي في العصر الأموي ص 379.

(2) جورج قرم ، تعدد الأديان وأنظمة الحكم،ص 250 ، سير توما ، الدعوة إلى الإسلام ص 79 .

(3) جورج قرم نفس المصدر والصفحة ، سير توما ، نفس المصدر والصفحة ، شوقي أبو خليل ، الإسلام في قفص الإتهام ص 149.

(4) تعدد الأديان وأنظمةالحكم ص 250.

(5) الماوردي ، الأحكام السلطانية ص 144 ، القلعرجي ، موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص 234،صبحي الصّالح، النظم الإسلامية ص 364.

(6) أبو يوسف ، كتاب الخراج ص 122 وما بعدها ،الماوردي ، نفس المصدر ص 132،يحيى بن آدم ، كتاب الخراج ص 23 ، أحمد أمين،فجر الإسلام ص 86 ، عبد الشافي ،العالم الإسلامي في العصر الأموي ص 379.

(7) القلعرجي ، موسوعة فقه عمر ص 383 ، سير توما ،الدّعوة إلى الإسلام ص 78 و79،الخربوطلي ،العرب والحضارة ص 181 ، صبحي محمصاتي ، تراث الخلفاءالراشدين ص 545 .

و النقصان.[1] لكنها في كل الظروف جاءت أيسر بكثير مما كانت عليه في عهد الساسانيين.[2] وهذا ما جعل البطريق النسطوري يشوع باىً يتحيرّ من دخول المسيح من أهل مرو الإسلام في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان 26-86هـ/646-705 م قائلا :" لماذا حدث ذلك في الوقت الذي لم يرغمهم فيه العرب على ترك دينهم ، بل تعهدوا لهم أن يبقوا عليه أمنا مصونا إذا هم اقتصروا على أداء جزء من تجارتهم إليهم ، ولكنهم هجروا العقيدة التي تجلب الخلاص الأبدي ، إبقاء على نصيب من عَرض هذه الدنيا الزائلة ..."[3]

لم تكن تؤخذ الجزية إلا على العقلاء من الرّجال ، ويعفي منهم المساكين الذين يتصدق عليهم والغير القادرين على حمل السلاح من المعوقين والمكفوفين والمقعدين والطاعنين في السّنّ والصبيان والمتوفين[4] وتعفى منها النساء و المترهبون. وأهل الصوامع إن لم يكونوا ذوي اليسار ، وتسقط عند إعلان الذمي إسلامه كما تسقط ديونه السابقة فيها إن وجدت.[5] كما تسقط على العاملين في الجيوش الإسلامية من أهل الذمة .[6]

لقد كان تشريع الجزية تشريعا عادلا ورحيما ، لأنها كانت في مقابل الزكاة المفروضة

---

(1) الشافعي ، الأمّ المجلد 2 قسم 4 ص 179.

(2) محمد عبده ، رسالة التوحيد162،علي حسني الخربوطلي،العرب والحضارة ص 111.

(3) سير توما ، الدعوة إلى الإسلا م ص 102.

(4) الماوردي،الأحكام السلطانية ص 144 ، أبو يوسف ، كتاب الخراج ص 122 ، صبحي المحمصاني ، النظم الإسلامية ص 543،علي حسني الخربوطلي،العرب والحضارة ص 180 و 181،القلمرجي ، موسوعة فقه عمر،ص 237 السيد سابق ، فقه السنة ج 3 ص 69 ، إبراهيم حركات،السياسة والمجتمع في عصر الراشدين،دار الأهلية للنشر والتوزيع،بيروت 1985 ص 210.

(5) أبو يوسف ، كتاب الخراج ص 123 ، الماوردي،الأحكام السلطانية،ص 145.

(6) جورج قرم ، تعدد الأديان ص 251 ، عبد الشافي ، العالم الإسلامي ص 380 ، أحمد محمد الحوفي، سماحة الإسلام ص 180.

على المسلمين والتي نسبتها 2,5% عن النقود و العروض التجارية [1] وعن الغنم والابل نسب أخرى بينتها كتب الشريعة الإسلامية ، مفروضة على الرجال والنساء والصغار والكبار [2] تتزايد صعودا بحسب زيادة المال التي كان المسلمون مجبرين شرعا على دفعها لبيت المال فقد كان لها في عهد الرسول والخلفاء الراشدين والأمويين عمال لجبايتها[3] يسلمون صكوكا لدافعيها تثبت أنهم أدوها[4]؛ هذا فضلا عن الصّدقات التي كانت تدفع على وجه التطوّع والثواب . في الوقت الذي لم يكن لأهل الذمّة سوى الجزية في شيء من أموالهم وعلى رجالهم فقط [5] فالجزية إذن فرضت لإيجاد توازن في الدولة عن طريق التكافئ . فالمسلمون والذميون في نظر الإسلام رعية لدولة واحدة ويتمتعون بحقوق واحدة وينتفعون بمصالح الدولة بنسبة واحدة . فمن الظلم أن تُفرض الزكاة والصدقات على المسلمين ولا يُطالب أهل الذمة بشيء .

أما الخراج فيظهر أن القواميس والمصادر الإسلامية [6] اختلفت كلّها في إعطائه تعريفا معينا وإن اقتربت ، حيث تراوحت تعريفاتها بين الأجر و الغلة

(1) الحنبلي (الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي) المتوفى سنة 795 هـ القواعد في الفقه الإسلامي راجعه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل ، بيروت 1408 هـ (1988م) ط 2 ص : 401 وما بعدها . شوقي إسماعيل شحاتة ، التطبيق المعاصر للزكاة ، دار الشروق جدة 1397 هـ 1977 م ط 1 ص 100 ، أنور علي عاشور ، الزكاة ، مكتبة الإعتصام،القاهرة 1400 هـ 1980 م ط 1 ص 21.

(2) السيد سابق ، فقه السنة،ج 3 ص 67 ، أحمد محمد الحوفي ، سماحة الإسلام ص 105،صبحي الصّالح ، النظم الإسلامية ص 364.

(3) أبو يوسف كتاب الخراج ص 76 ، أحمد محمد الحوفي ، سماحة الإسلام ص 106، نجدة خماش ، الإدارة في العصر الأموي 207.

(4) أحمد محمد الحوفي ، سماحة الإسلام ص 106.

(5) يحيى بن يحيى الليثي، موطأ الأمام مالك ص 189.

(6) ينظر ابن منظور،لسان العرب ، ج 1 ص 808 و الرازي ، مختار الصّحاح ص 172 والفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ج 1 ص 192 ، مجمع اللغة العربية،المعجم الوسيط ج 1 ص 224 ، ابن سِيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوى المعروف بإبن سِيده المتوفى سنة 458،المُخَصّص ، تحقيق لجنة إحياء التراث =

والإتاوة و اسم لما يخرج و الحصة المعيّنة من المال يخرجها القوم في السّنة مما جعل البعض [1] يعتبرها كلمة بيزنطية الأصل ، أوفارسية [2] أو آرامية [3] لكنها في نظرنا كلمة عربية ذلك لأنها وردت في القرآن[4] وفي الأحاديث النبوية [5] ، ولم يكن يورد فيهما إلا الكلمات المفهومة والمتداولة بين العرب .

لقد أهتم الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه كثيراً بالخراج ذلك لأنه" عمود الملك" [6] وكانت "تتوقف عليه حياة الدولة وسعادتها". [7] فاجتهد في تشريعه وصار اجتهاده إجماعاً[8] فقد انتدب رجلا حصيفا مجربا ، وهو عثمان بن حنيف [9]و" أمره بمساحة أرض السواد ووضع ما تحتمله الأرض من خراجها ."[10] فمسحها وراعى ما تحتمله الأرض من غير حيف بمَالِك ولا إجحاف

= العربي دار الآفاق الجديدة بيروت (د ت) ج1 ص 139 ، الماوردي الأحكام السّلطانية ص 146 ، أبو عبيد ،الأموال،ص 73 ، الحنبلي ،الإستخراج ،لأحكام الخراج ص 5 .

(1) فليب حتى ، تاريخ العرب المطول ج 1 ص 228.

(2) على حسنى الخربوطلى،العرب والحضارة ص 177.

(3) كرستنسن ، إيران في عهدالساسانيين ص 112.

(4) ينظر سورة القلم آية رقم 46 ، وسورة هُود آية رقم 51.

(5) قوله (ﷺ) "الخراج بالضمان " الماوردى،الأحكام السلطانية ص 146 وقوله (ﷺ) " هذا سوقكم لا خراج عليكم فيه " البلاذرى فتوح البلدان ص 24.

(6) الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري) (توفى سنة 430 هـ) خاص الخاص ، قدم له حسن أمين ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت (دت) ص 90 .

(7) الماوردي (أبو الحسن على بن محمد الماوردي) تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك . تحقيق محيي هلال السرحان ، مراجعة و تقديم حسن السّاعاتي ، دار النهضة العربية بيروت 1981 ص 186.

(8) صبحى محمصاتي ، فلسفة التشريع في الإسلام،دار العلم للملايين،بيروت 1380 هـ 1961 ط 3 ص 210.

(9) عثمان بن حنيف بن وهب الأنصاري الألوسى ، أبو عمرو : والٍ من الصحابة شَهِدَ أُحُدًا وما بعدها وَوَلاّهُ عمر السّواد ثم البصرة ، ولما نشبت فتنة الجمل (بين عائشة وعلي) دعاه أنصار عائشة إلى الخروج معهم على علي فامتنع ، ولحق بعلي وحضر الوقعة ، ثم سكن الكوفة ، وتوفي في خِلاَفَة معاوية سنة 41 هـ /661 م،الزركلي ، الأعلام،ج 4 ص 365.

(10) الماوردي ، الأحكام ص 148 ، أبو يوسف ، كتاب الخراج ص 36 ، البلاذري ، فتوح البلدان ص 277 .

بزارع[1] ووضع على كلّ جريب من الكرم والشجر الملتف عشر دراهم " ومن النخل ثمانية دراهم ، ومن قصب السّكرّ ستة دراهم ، ومن الرطب[2] خمسة دراهم ومن البر[3] أربعة دراهم ، ومن الشعير درهمين وكتب بذلك إلى الخليفة عمر رضى الله عنه فأمضاه [4].

لقد حدد الماوردي [5] ثلاثة عوامل يحدد من خلالها مقدار الخراج وهي :

1. النظر إلى جودة التربة أو رداءتها .
2. النظر إلى ثمن المنتوج إن كان غاليا أو رخيصا .
3. النظر إلى السّقي " لأن ما التزم في سقيه بالتواضح والدّوالي لا يحتمل من الخراج ما يحتمله سقي السيوح و الأمطار.

لقد كان نظام الخراج الذي سنه الخليفة عمر رضى الله عنه عادلا ، يسمح بتقسيطه ودفعه عينا أو نقدا مرة واحدة في السنة وإن زرعت الأرض أكثر من مرة . كما أنه ظل يراعي أحوال الأرض وصاحبها ، فهو لايضرب الخراج إلا على الأرضي المغلة من ذوات الحبّ والثمار ، التي تصلح للاستغلال من العامر والغامر .[6] ولسنا ندري كيف وصل الخربوطلي[7] إلى رأيه القائل : " إن أهل السّواد كانوا يرون أن نظام المقاسمة الذي كان يتبعه الأكاسرة أخفّ عبئا من نظام الخراج الذي وضعه عمر " أيعقل أن نظام المقاسمة الذي

---

(1) الماوردي،الأحكام ص 148 .

(2) الرطبة وهي نبات كالبرسيم وكل ما يؤكل من النبات غضاطريا ، مجمع اللغةالعربية،المعجم الوسيط ج 1 ص 351.

(3) البُرّ : حبّ القمح ، المعجم الوسيط ج 1 ص 48.

(4) الماوردي ، الأحكام ص 148 أبو عُبَيْد،الأموال،ص 68 و 69 ، أبو يوسف ، كتاب الخراج ص 36 و 38 ، أحمد محمد الحوفي ، سماحة الإسلام ص 100 ، ضياء الدّين الرّيس ،ا لخراج ص 108.

(5) الأحكام السلطانية ص 148.

(6) ابن عساكر (ثقةالدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبةالله الشافعي)المتوفى سنة 571 هـ تهذيب تاريخ دمشق هذبه ورتبه الشيخ عبدالقادر بدارن المتوفى سنة 1346 دار المسيرة،بيروت 1399 هـ (1979 م) ط 2 ج 1 ، ص 187 ،القلمرجي) موسوعة فقه عمر ص 381 .

(7) العرب والحضارة ص 179 .

لا يسمح لصاحب الأرض أن يقطف ثمرة قبل أن تأتي الدّولة لتأخذ نصيبها — كما رأينا- يصبح أحد من نظام الخليفة عمر رضى الله عنه الذي كسلنيخاف دائما أن يُحمّل الأرض ما لا تطيق حيث يذكر أنه قال لعمّاله :"...إن الله سلمني لأدعنّ أرامل العراق وهن لا يحتجن إلى أحد بعدي ."[1]

لقد كان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفرض الرفق في جباية الخراج ومع ذلك يذكر فان فلوتن[2] " أن شكايات كثيرة شاعت في أيام الخليفة عمر ضد الولاّة وعمال الخراج الذين كانوا يجمعون الأموال لأنفسهم باسم الدّولة " وأظنه قد استنتج ذلك مما جاء عند القاضي أبي يوسف [3] الذي ذكر أن الخليفة قال ناصحا :" لا يضربنّ رجل في دراهم خراج ولا يقام على رجله ، فإنه بلغني أنهم يقيمون أهل الخراج في الشمس ويضربونهم الضرب الشديد ويعلقون عليهم الجرار ويقيدونهم بما يمنعهم من الصّلاة ، وهذا عظيم عند الله شنيع في الإسلام ."

يظهر أن فان فلوتن كان يجهل أن من كان مسؤولا عن جباية الخراج كانوا هم الدهاقين أنفسهم الذين كانوا يشغلون نفس الوظائف في نهاية الدّولة الساسانية ،[4] ولا شك أنهم ظلوا يسيرون على نفس ما كانوا يسيرون عليه . من الطرق المتمثلة في الصور التي أمر الخليفة بالتخلي عنها ،ولاشك أنه ضيّق عليهم كثيرا بعد ذلك حيث جعل عليهم عمّالا من أخْير الناس ، قام باختبارهم هو بنفسه .[5] وأخذهم بسياسة الشدة والتدقيق في محاسبتهم[6] بل إنه أوصى الخلفاء القادمين بالرفق والإحسان بأهل الذمّة حيث يذكر أنه

---

(1) القلعرجي ، موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص 382.

(2) السيادةالعربية والإسرائيليات في العهد الأموي ص 30.

(3) الخراج ص 109.

(4) الحنبلي ، الاستخراج لأحكام الخراج ص 30.

(5) أبو يوسف ، كتاب الخراج ص 113.

(6) ابن عبد ربه العقد الفريد ص 108.

قال عند وفاته : " أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيرا ، أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم وأن لا يُكَلّفوا فوق طاقتهم ".[1]

لقد استمر حرص الخلفاء الرّاشدين والأمويين على الرفق والإحسان بأهل الذمّة في جباية الخراج.[2] ولا شك أنّ هذه السياسة أدت إلى انتشار الإسلام رغبة وحبّا[3] وخاصة بين الطبقات الدنيا من المجتمع الساساني " المغلق "[4] التي كانت تعاني الكثير من الاضطهاد والظلم وبخاصة منها المزارعون الذين لم يكن في استطاعتهم أن يغيروا مواطنهم وعملهم و كانوا مجبرين على أعمال السّخرة[5] وعلى الخدمة العسكرية راجلين ، بغير أجر ولا مكافآت[6].

إذن،لقد انتشر الإسلام في الإمبراطورية السّاسانية بين هؤلاء المضطهدين من الفلاّحين – في البداية – وحطّم النظام الطبقي العنصري التقليدي في المجتمع الفارسي فلا يجب أن

(1) أبو يوسف ، كتاب الخراج ص 125.يحيى بن آدم ، كتاب الخراج ص 75.

(2) نجدة خماش ، الإدارة في العصر الأموي ص 168 ، الدوري،مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ص 72 ، محمد ماهر حمادة ، الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي ص 23.

(3) علي حسني الخربوطلي ، العرب والحضارة ص 79 ، عبد المنعم ماجد ، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ص 16و17 ، غوستاف لوبون ، حضارة العرب،نقله إلى العربية عادل زعيتر طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه سوريا (دت) ط 4 ص 136 ، محمد عبد القادر محمد ، إيران منذ فجر التاريخ ، ص 202 ، سيرتوما ، الدعوة إلى الإسلام ص 238 و 240 ، عبد الشافي محمد عبد اللطيف،العالم الإسلامي في العصر الأموي ص 324 و 424 ، محمد إبراهيم الفيومي ، الإستشراق رسالة استعمار، دار الفكر العربي مصر 1413 هـ (1993 م) ص 26،محمد محمد الحوفي ، سماحة الإسلام ص 65 .

(4) كرستنسن ، إيران في عهد الساسانيين ص 302 و 305 ، حسن أحمد محمود ، الإسلام والحضارة العربية ص 7 ، أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ،الإسلام و الدول الإسلامية غير العربية بآسيا مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1983 ط 1 ج8 ص 47.

(5) السُّخرة : من سَخَّرَهُ وهو كَلّفه ما لا يريد وقهره وكَلّفه عملا بلا أجر،مجمع اللغة العربية،المعجم الوسيط ج 1 ص 421.

(6) حسن،پيرنيا ، تاريخ إيران القديم ، ص 296 ، محمد عبد القادر محمد،إيران منذ فجر التاريخ ص 183 ، حسن أحمد محمد ، الإسلام و الحضارة العربية ص 7 و 8 ، كرستنسن ، إيران في عهد السّاسانيين 306 و206.

نتعجب عـــــندما يُذكر:" أن جماهير الشعب الفارسي اعتبروا الفتح الإسلامي تحريرا حقيقيا من نير العبودية الساسانية". [1] ويجب هنا أن نذكر أن انتشار الإسلام في خراسان عُرف خاصة بعدما استكمل معاوية بن أبي سفيان فتحها بعدما توقف أو تجمّد نهائيا في فترة الفتنة الكبرى [2].

لم تذكر المصادر الإسلامية أن الذّمّيين من أهل خراسان اشتكوا من الخراج وجِبَايَته في العصر الأموي . والشكوى الوحيدة التي ذكرها الطبري [3] جاءت من عرب بني تميم الذين اشتكوا الوالي أمية بن عبد الله بن خالد 74-78 هـ (693-697 م) الذي:" أخذ الناس بالخراج واشتد عليهم فاحتج عليه ناس من بني تميم فاجتمعوا في المسجد ، فذكروا شدّة أمية على الناس فذمّوه وقالوا " سَلّط علينا الدهاقين في الجِبَاية." ومع أن هناك من[4] أبعد هذا الاتهام عن أمية ذاكرا أن التميميين أساءوا إليه وأرادوا إثارة الناس عليه لأنهم — وبخاصة منهم بكير بن وشاح ، وبحير بن ورقاء — أرادوا أن يَسْتبدوا بحكم خراسان وأن يتصرّفوا في شؤونها وَفْق مشيئتهم ذلك لأن الخليفة عبد الملك بن مروان كان قد وعدهم بذلك قبل أن تَخضع له خراسان في سنة 72 هـ (684 م) لكن أهلها كاتبوه قائلين :" إن خراسان لا تصلح بعد الفتنة [التي كانت في عهد ابن خازم] إلا على رجل من قريش ، لا يحسدونه ولا يتعصبون عليه ".[5] مما جعله يختار لها أمية،وقد يكون هذا الدفاع صحيحا وبخاصة أن أهل خراسان كانوا يقولون عنه " ما رأينا أحداً عوّض من هزيمة ما عوّض

(1) محمد عبد القادر محمد ،إيران منذ فجر التاريخ 202 ، حسن أحمد محمود و أحمد إبراهيم الشريف،العالم الإسلامي في العصر العباسي ص 31.

(2) شكري فيصل ،المجتمعات الإسلامية في القرن الأول،ص 209.

(3) الطبري ، تاريخ الأمم والموك،ج 7 ص 278.

(4) حسن عطوان ،الشعر في خراسان من الفتح إلى نهاية العصر الأموي،ص 53.

(5) الطبري ،تاريخ الأمم والملوك ج7 ص 209 ، ابن الأثير،الكامل في التاريخ ج 4 ص 367.البلاذري،فتوح البلدان،ص 586 ، تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 271 .

أمية " [1] ومع ذلك قد يكون أميّة قد أشتدّ عليهم في أَخْذ العُشر بعد شرائهم لبعض الأراضي في الولاية [2] كما أننا لا نستبعد أن يكون المقصود من " الخراج" عند الطبري الجزية وخاصة أن لفظ خراج كان يجمع كل أنواع الضرائب نظريا ، كما رأينا،و يكون أميّة قد أرهق التميميّين في دفع جزية عبيدهم وجواريهم الذميين . ذلك لأنهم كانوا ملزمين بها ولهذا يذكر يحيى بن آدم [3]" أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نهي عن شراء رقيق أهل الذمة." أمّا ما عُرِفَ في عهد عبد الملك بن مروان من تعديل في ضريبتَي الجزية والخراج و الزيادة فيهما، فإنه خصّ به بعض المناطق كالجزيرة والشام و الموصل[4] ومصر[5] وكانت إجراءاته مشروعة [6] مع أن البعض اعتبرها عنيفة.[7] والمهم في هذا أنها لم تمسّ خراسان لا من بعيد ولا من قريب وإن كان هناك [8] من اجتهد في تعميمها عليها .

أما مسألة أخذ الجزية على من أسلم من الفرس التي أشاعها بعض المؤرّخين [9] وبَالغُوا فيها كثيرا فإننا نجد أوّل من اتّهم بذلك هو الأمير الحجاج بن يوسف، الذي اعتُبر

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج7 ص 209 ، ابن الأثير،الكامل في التاريخ،ج 4 ص 367.

(2) حسن عطوان،الشعر في خراسان ص 54.

(3) كتاب الخراج ص 55.

(4) أبو يوسف ، كتاب الخراج ص 41.

(5) محمد ضياء الدين الرّيس ، الخراج والنظم المالية ص 217.

(6) أبو عبيد ، الأموال،ص 144.

(7) جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ج 1 ص 220 ، فان فلوتن ، السيادة العربية ص 32 ، الجوزي بندلي صليبا ، داراسات في اللغة والتاريخ الإقتصادي ص 50 ، محمد مصطفى هدّارة ، اتجاهات الشعر العربي،ص 112 ، حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم شريف ، العالم الإسلامي في العصر العباسي ص 31 ، حسن أحمد محمود ، الإسلام والحضارة ص 33 و 34.

(8) جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ج1 ص220،مصطفى الرافعي،حضارة العرب ص 248،حسن إبراهيم حسن تاريخ الإسلام السياسي ج 1 ص 369 ، والنظم الإسلامية ص 286.

(9) جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ، ج1 ص 220 ، فان فلوتن،السيادة العربية والإسرائيليات ص 41 ، السيد عبد العزيز سالم ، العصر العباسي الأول ص 30 . حسن أحمد محمود ، الإسلام والحضارة العربية في أسيا

أوّل من أخذها على من أسلم من أهل الذّمة[1] مع أنّنا لا نجد في الطبري [2] سوى أن عمّال الحجّاج كتبوا إليه قائلين" إن الخراج قد انكسر و أن أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالأمصار" فَردّ إلى عماله بالبَصْرة وغيرها:" إن من كان له أصل في قرية فليخرج إليها ".فخرج الناس فعسكروا وبدءوا يبكون وينادون :" يا محمداه، يا محمداه !ولا يدرون أين يذهبون".[3]

إذن، لقد كان الحجاج يهدف إلى الحدّ من هجرة المزارعين الذين كانوا قد دخلوا الإسلام ولكن بحكم أن أراضيهم فُتحت عنوة فلا يمكن أن يسقط عنها الخراج شرعا . ففضلوا أن يتركوها ويلتجئوا إلى المدن العراقية الكبرى يمتهنون مِهَنا أخرى،وأعْتَقدُ هُنَا أنه كان من حق الحجاج تقرير ذلك حتى لا تتعرّض الدّولة إلى أزمة اقتصاديّة واجتماعيّة.

أما ثاني ذكر لمسألة أخذ الجزية عن من أسلم فإنّنا وجدناه في عهده الخليفة عمر ابن عبد العزيز حينما وفد إليه وفد الوالي الخراساني الجرّاج بن عبد الله الحكمي 99-100 هـ (717 - 718م) ليبشرّه بنجاح غزوة الخُتّل التي قادها ابن عم الجرّاح جهم بن زحر الجعفي . لكن المولى أبا الصيداء الذي كان ضمن الوفد أبلغ الخليفة أن عشرين ألفا قد أُسلموا من أهل الذّمة ويؤخذون بالخراج..."[4] فكتب إليه الخليفة قائلا:" انظر من صلّى قِبَلك [إلى القبلة] فضع عنه الجِزية ." [5] ومع ذلك تماطل الجّراح في تطبيق أوامر الخليفة ،ذلك لأنه تأكد مثلما تأكد الكثير من المقربين له أن إسلام هؤلاء ما كان " إلا هروبا منها [الجزية]"[6] فأراد أن " يمتحنهم

= الوسطى ص 34 ، حسن أحمد محمود وابراهيم الشريف،العالم الإسلامي في العصر العباسي ص 26 و 31 ، عزالدين إسماعيل ، في الأدب العباسي ص 72.

(1) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص 156 ، المقريزي ،الخطط ج 1 ص 139 .

(2) تاريخ الأمم والموك ج 8 ص 35.

(3) الطبري ، نفس المصدر والصفحة .

(4) الطبري ، نفسه،ج 8 ص 134 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 51 ، اليعقوبي ، تاريخه ج 2 ص 302.

(5) الطبري ، نفسه ،ابن الأثير،نفس المصدر والصفحة ، ابن كثير البداية والنهالية ج 9 ص 188

(6) ابن كثير نفس المصدر والصفحة .

بالختان " [1] وبعث بذلك إلى الخليفة الذي يظهر أنه لم يُسئ الظنّ في نوايا هؤلاء فبعث إليه قائلا : " إن الله بَعَث محمدًا(ﷺ) دَاعيًا ولم يبعثه خاتنا "[2] وحسم الأمر بعزله .

ومع أن الوضع كان خاصا بولاية خراسان إلاّ أن الخليفة عمر بن عبد العزيز راح يكتب إلى جميع عماله يأمرهم بوضع الجزية على أهلها حين إسلامهم مباشرة[3] ناصحا إياهم بنشر الإسلام بين هؤلاء كافة معتمدين على أسلوب الترغيب [4] في ذلك،لا الفتوحات الإسلامية ، ليس لأنه لم يكن يراها جهادا كما أشاع البعض[5] بل خوفا على المسلمين من الهلاك.[6] ودليلنا على ذلك أنه لم يأمر مسلمة بن عبد الملك بالقفول من القسطنطينية والعدول عن فتحها إلا بعد أن خُدعوا "وكاد المسلمون أن يهلكوا جميعا " [7]،مما جعله يسرع في إرسالهم خيلا و طعاما كثيرا بل وحَثّ الناس جميعا على مساعدتهم.[8] كما أنه لم يطلب من عبد الرحمن بن نعيم والي خراسان أن " لا يَغْزُوَ بالمسلمين فَحَسْبُهم الذي فتح الله عليهم " [9] إلاّ لعلمه بكثرة غدر التّرك فيما وراء النهر ثم لو كان يرى في الفتوحات ما ذُكر فلماذا وافق على صَائِفة سنة 100 هـ (718 م)[10] ولماذا أمرَ بغزو الأتراك في سنة

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج8 ص 134 ، عماد الدين خليل ، ملامح الانقلاب الاسلامي في خلافة عمر ص 85.

(2) الطبرى ، نفس المصدر والصفحة ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج5 ص 51 ، ابن كثير ، البدايةوالنهاية ج 9 ص 188.

(3) السيوطي (جلال الدّين عبد الرحمن السيوطي الشافعي) المتوفى سنة 911 ، موطأ الإمام مالك ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده القاهرة 1370 هـ (1951م) ج 1 ص 207 .

(4) ابن عبد الحكم،سيرة عمر بن عبد العزيز ص94 .

(5) فانْ فلوتن، السيادة العربية و الإسرائيليات ص 20 و 22 ،و 24 ، فلهوزن، تاريخ الدّولة العربية ص261 و 413 .

(6) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 54 .

(7) الطبري ، تاريخ الأمم والموك ج 8 ص 117 و 118 ، ابن الأثير الكامل في التاريخ ج 5 ص 27 .

(8) الطبري ، نفس المصدر ج 8 ص 130 ، ابن الأثير ، نفس المصدر ج 5 ص : 43.

(9) الطبري ، نفسه ج 8 ص 139.

(10) الطبري ، نفسه ج 8 ص 132 ، ابن الأثير ، نفسه ج5 ص 55.

99 هـ (717م) بعدما أغاروا على إقليم (4) أذرابيجان [2].

لقد انتشر الإسلام كثيرا بين أهل الذمة في عهد عمر بن عبد العزيز،ولا شك أننا نجد أعظم تعبير عن هذا الانتصار في الرّسالة التي بعثها حيّان بن شريح والي الخراج في مصر إلى الخليفة قائلا فيها : " أما بعد فإن الإسلام قد أضر بالجزية حتى سَلَفتُ من الحارث ابن ثابتة عشرين ألف دينار أتممْتُ بها عطاء أهل الديوان فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بقضائها فعلتُ " فرد إليه الخليفة قائلا :" أما بعد فقد بلغني كتابك ، وقد وليتك جند مصر وأنا عارف بضعفك . فضع الجزية عن من أسلم ، فإن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم هادياً ولم يبعثه جابياً" [3].

ويبدو أنه ما حدث في مصر من عجز في الموارد جعل فان فلوتن[4] يعتبر الخليفة عمر ابن عبد العزيز سببا في إنضاب موارد الدولة وجرّ الخراب على بيت المال ، بل أنه كان سببا لوهن العرش الأموي ." لكن المصادر تبرهن على أن بيت مال المسلمين شهد فائضا .[5] ذلك لأنه وَقّفَ معظم الفتوحات التي كانت تمتصّ الكثير ولم يبق سوى الغزوات الضرورية كما سبق أن رأينا مما جعل فلهوزن[6] يقرّر هو الآخر أنه " لم يكن ، من جانب بيت المال تضحية كبيرة " فالعجز الذي حدث في مصر كان خاصا جدا ذلك لأنها عكس الأقاليم

---

(1) أذرابيجان إقليم يقع في جنوب بحر قزوين بين أرمينية وفارس ، ويقع الآن في الشمال الغربي من إيران . وهو كثير الجبال والمرتفعات ، كي لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ص 193 و ما بعدها ، أحمد عطية الله ،القاموس الإسلامي ج 1 ص 58 .

(2) الطبري ، تاريخ الأمم والموك ج 8 ص 130 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 43.

(3) المقريزي ، الخطط ج 1 ص 139 و 140.

(4) السيادة العربية و الأسرائيليات ص 59 و 72 و 73 اتبع رأيه يوسف العش ، في الدّولة الأموية والأحداث، ص258 و 279 ، وأحمد مختار العبادي ، في التاريخ العباسي والأندلسي ص 15 ، وسيرتوما في الدعوة إلى الإسلام ص 103.

(5) ابن كثير البداية والنهاية ج 6 ص 339 ، السيوطي ، تاريخ الخلفاء ص 281 ، ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ص 69.

(6) الدولة العربية ص 272.

الضرائب عن الولاة وجعل لها عمالا خاصين مسؤولين أمامه مباشرة.[1] وهنا يجب أن نقول: إننا نشك في الرقم الضخم الذي ذكره أبو الصيداء فلا يمكن أن يكون عشرون ألفا من المسلمين الجدد لا يزالون يدفعون الجزية في عهد الجراح ، أو على الأقل نقول:إن الوالي لم يكن يعلم بهؤلاء العشرين ألفا كلهم ذلك لأن مسؤولية جباية الضرائب ظلّت دائما في يد الدهاقنة الفرس[2] الذين عرفوا بالسّطو و السّرقة، وكانوا لا يرغبون في إسلام المجوس خوفا على مصالحهم التي جعلتهم لا يعترفون في الغالب — بإسلام أهل الذمّة .[3]

لقد حُلّ مشكل أخذ الجزية من المسلمين الجدد في خراسان نهائيا في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ولهذا حينما تتحدّث المصادر الإسلامية عنه للمرة الثالثة فإنها تشير إلى خارج الإقليم وتحديدا إلى أرض الصّغد .

يعود هذا الحديث إلى عهد الوالي الخراساني الأشرس بن عبد الله (109 — 111 هـ/727– 729 م) الذي آثر أن يسلك طريق الخليفة عمر بن عبد العزيز في الكف عن الفتوحات الإسلامية والاعتماد على نشر الإسلام ترغيبا ،واختار أن يطبّق هذا الأسلوب على الصّغد في سمر قند تحديدا حتى يَتّقِيَ شرّهم ويحدّ من خروجهم المستمرّ عن الخلافة الأموية ، فاختار وَفْدا لذلك وجعل على رأسه المولى أبَا الصيداء على أن تُلْغي الجِزّية على كل مسلم جديد منهم .[4]

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم و الملوك ج 8 ص 135 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 52.

(2) كان يقوم بجمع الضرائب عن الأقلية اليهودية " الرّبّان " وعن الإقلية المسيحيّة الأسقف"،فلهوزن،تاريخ الدّولة العربية ص 454.

(3) علي حسني الخربوطلي ، تاريخ العراق ص 13 ، إبراهيم بيضون ،الدولةالأموية والمعارضة ص 30 ، نجدة خماش ،الإدارة في العصر الأموي ص 196.

(4) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 196 ، ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ج5 ص 157 ، النويري،نهاية الأرب في فنون الأدب ج 21 ص 408 ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج 9 ص 259،البلاذري ، فتوح البلدان ص 602 ، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 434 .

لقد نجح أبو الصيداء ومساعدوه كثيرا في دعوتهم ، فسرعان ما " أنشئت المساجد الكثيرة وأخذ الوثنيون يدخلون في الدين زرافات "[1]، لكن الدهاقنة لم يرُقهم ذلك، فبعثوا إلى الأشرس قائلين : " إن الخراج قد انكسر" [2] وشككوه كثيرا في إسلامهم مما جعل الوالي يطلب إجراء تحقيق بأنْ " ينظر من أختتن وأقام الفرائض وقرأ سورة من القرآن[3]..."لكن الأهالي رفضوا ذلك وخرجوا من المدينة واعتصموا ،وساندهم أبو الصيداء والوفد الذي كان بصحبته[4] لكنهم فشلوا أمام عامل سمرقند الجديد المجشر بن مزاحم ويظهر أن الأشرس تخلى عن رأيه حيث يذكر أنه بعث يقول " ضعوا عنهم الخراج "[5]. لكننا نفهم من المصادر نفسها أن الجزية استمرّت على رؤوس هؤلاء ممّا جعلهم يسخطون ويتحدّون مع خاقان التّرك.[6]

لا ندري لماذا يُلام الوالي الأشرس في أنه أمر بإجراء تحقيق يتأكد من خلاله من إسلام الصّغد الجدد في الوقت الذي يؤكد فيه بعض المؤرخين المستشرقين أن إسلامهم لم يكن سوى نفاق . فهاهو سير توما[7] يذكر قائلا : " إن أهالي هذه البلاد طالما تظاهروا بانتحالهم الإسلام إلى حين ، ثم أسرعوا فكشفوا القناع وشقّوا عصا الطاعة للخليفة بمجرد انسحاب جيوش الفتح..." ويُذكر في جهة أخرى ..." إن انتشار الإسلام في بلاد ما وراء

(1) الطبري ، ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 196 ، ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ج5 ص 157 .

(2) الطبري نفس المصدر ج 8 ص 197 ، ابن الأثير ، نفس المصدر والصفحة .

(3) الطبري ، نفسه ج 8 ص 196 ، ابن الأثير ،نفسه ج 5 ص 147.

(4) الطبري ، نفسه ج 8 ص 197 ، ابن الأثير ، نفسه ج 5 ص 148 .

(5) الطبري ، نفسه،ابن الأثير ، نفسه .

(6) الطبري ، نفسه ج 8 ص 198 ، ابن الأثير، نفسه ج 5 ص 149،النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ج 21 ص 409 ، فلهوزن ، تاريخ الدولةالعربية ص 436.

(7) الدعوة إلى الإسلام ص 243.

النهر كان بطيئا وأن جمهور أهالي هذه البلاد لم يعتنقوا الإسلام حتى عَهْد المعتصم[1] سنة (833– 842 م)[2] ..." كما يقول في جهة أخرى أيضا " وفي بخارى وسمر قند اتسمت مقاومة الأهليين للإسلام بكثير من ضروب العنف والعناد ..."[3]. و هاهو المستشرق فامبري[4] يعترف هو أيضا " أن السلطات العربية في العصر الأموي أمرت أن يُساكِنَ كلَّ أُسْرة في بخارَى أحدُ العربِ المسلمين وذلك بسبب أن أغلب الأهالي استمروا على عقيدتهم القديمة زردشتية أو بوذية[5] يمارسون طقوسها في سكون الليل " ويبرهن المستشرق نفسه على كلامه بما اكتشف من آثار في بعض المدن حيث وجدت بعض بيوت النار تحت سطح الأرض التي شيدها أهالي بلاد ما وراء النهر من اتباع الزَّرَدَشْتِيَّة تحت منازلهم لإقامة طقوسهم في خفية عن عيون السلطة الإسلامية ، منها بيت " نار مغان " " البخاري .

ولم تكن محاولات نشر الإسلام بين أهاليالصّغد بسيطة فها هو النرشخي[6]، برغم ما عُرف عنه من حقد على الإسلام والمسلمين ، يَعترف بالجهد الجهيد الذي بذله الوالي قتيبة بن مسلم (86-96هـ/705-714م) لنشر الإسلام بينهم حيث يذكر أنه " أمر مناديه بالخروج كل يوم جمعة ليعلن بينهم عن منح كل من يأتي لصلاة الجمعة درهمين " وأنه " أبَاح لهم استعمال الفارسية في الصلاة ، فجعل لهم رجلا من الوراء يناديهم عند الركوع

(1) هو محمد بن هارون كنيته ، أبوإسحاق ، أمّه ماردة (أم ولد)،خليفة عباسي وُلّيَ الخلافة بعهد من أخيه المأمون في سنة 218 هـ ، فتح " العمورية" كانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر . توفي في سنة 227 هـ ، ابن قتيبة ، المعارف ص 171 و 172.

(2) سيرتوما ، الدعوة إلى الإسلام 243.

(3) سير توما ، نفس المرجع والصفحة .

(4) تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر ، ص 67.

(5) البوذية : ديانة أسسها بوذا الهندي 564 ق م – 483 ق م ، وهي واسعة الانتشار في الهند والشرق الأقصى، ينظر محمد وجدي ، دائرة معارف القرن العشرين ج 2 ص 384 وما بعدها .

(6) تاريخ بخارى ص 74.

(بَكِنِيتَا نَكِيت) وعند السجود (نَكُونيَا نَكُوني) [1] ومع أنّ المسجد كان يمتلئ بهم إلا أن قتيبة كان يعلم أن إسلامهم نفاق وظل يخشاهم كثيرا حتى إنه أمر العرب بأن لا يُظهروا في المساجد أو غيرها من الأماكن العامّة من غير أن يكونوا متقلدّين السّلاح[2]، بل وجعل جواسيس لمراقبة حديثي العهد بالإسلام [3].

واصل الخليفة عمر بن عبد العزيز سياسة الترغيب نفسها . بل وقرر العطاء لمن يدخل الإسلام [4] ونشر الدّعاة بينهم الذين كانوا يتعرضون أحيانا إلى شغب المجوس[5]. ولا يجب أن ننسى ذلك التسامح الذي أتصف به الوالي نصر بن سيّار مع أهالي الصغد حيث صالحهم مباردًا في سنة 123 هـ (740م) وسمح لهم بالعودة إلى بلادهم بعدما خروجوا منها بعد ثورتهم،كما سبق أن رأينا ،وذلك برغم أن هؤلاء اشترطوا شروطا ما كان يستطيع أن يوافق عليها والٍ غيره ، والتي منها " أن لا يعاقب من كان مسلما وارتد عن الإسلام ، ولا يؤخذ منهم ما لم يدفعوه من خراج قبل هذا الصّلح ولا يؤخذ منهم أيضا أسرى المسلمين إلاّ بقضية قاض وشهادة عدول ".[6]

إذن،لقد كان من حق الأشرس أن يُكذّب إسلام الصّغد ويطلب إجراء تحقيق في ذلك ويبدولي أنه كان سيُخطئ لو لم يطلب ذلك وخاصة بعد ما عرضناه في الفصلين الأول والثاني من تمردات وثورات وإنتقاضات للصلح بمجرد انسحاب جيوش الفتح من أراضيهم.[7] ويظهر أن الخربوطلي[8] تنبّه إلى هذا حيث " أعذر العرب في غيرتهم على

---

(1) النرشخي ، تاريخ بخاري ص 74 ، انظر أيضا،سعيد نفيسي ، محيط زندكي وأحوال وأشعار رودكي،نشر مكتبة ابن سينا ،تهران سنة 1344 هـ 30.

(2) سيرتوما ، الدعوة إلى الإسلام ص 243 ، محمد أحمد محمد ، بخارى في صدر الإسلام 96.

(3) النرشخي ، تاريخ بخارى ص 73 ، سيرتوما ، الدّعوة إلى الإسلام ص 243 .

(4) البلاذرى،فتوح البلدان ص 600.

(5) محمد أحمد محمد ، بخارى في صدر الإسلام ، ص 97.

(6) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 صم 279.ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 250.

(7) سيرتوما ، الدعوة إلى الإسلام ص 243.

(8) العرب والحضارة ص 97.

دينهم الذي بذلوا النفس والنفيس في سبيل نشره " ومع ذلك يظهر أن الوالي نصر بن سيار قد اعترف بكل المسلمين الجدد من أهالي الصّغد دون إجراء اختبارات أو تحقيقات وهذا للحدّ من نكايتهم على المسلمين .[1]

لقد عُرف عن الوالي نصر بن سيار أنه " أحسنَ الولايةَ والجِبايةَ " [2] وأنه عمل على تحقيق حصر دقيق لعدد المسلمين الجدد حتى يُلغي عنهم الجزية ، وللبالغين من أهل الذمة الجدد أيضا حتى توضع عليهم فطلب من هؤلاء الاتصال بالدولة مباشرة ووكّل الأمر لعامله على الخراج منصور بن عمر وألْقَى خطبة في مَرْو في سنة 121 هـ /738م لينبئ الناس بذلك في خراسان والأقاليم التي كانت تحت إشرافها[3] حيث قال "... أيّما رجل منكم من المسلمين كان يؤخذ منه جزية من رأسه أو ثقل عليه في خراجه وخُفّف مثل ذلك عن المشركين ، فليرفع ذلك إلى منصور بن عمر يحوله عن المسلم إلى المشرك"[4] ويضيف الطبري[5] قائلا :" فما كانت الجمعة الثانية حتى أتاه ثلاثون ألف مسلم كانوا يؤدون الجزية عن رؤوسهم وثمانون ألف رجل من المشركين قد أُلقيت عنهم جزيتهم فحول ذلك عليهم وألقاه عن المسلمين ثم صنف الخراج حتى وضعه مواضعه ". ولاندرى هنا لماذا لم ينتبه هؤلاء المؤرخون الذين اتّهموا الأمويين بالتشدّد في الجباية إلى هؤلاء الثمانين ألفًا من أهل الذمّة الذين ظلوا لسنوات لا يدفعون جزيتهم حتى قام نصر بحصرهم .

إذن،من خلال ما عرضناه في هذا المبحث نقول إن مسألة أخذ الجزية على المسلمين الفرس الجدد بُولِغَ فيها كثيرا حيث إنها لم تحدث إلا مع الوالي الجراح بن عبد الله

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 279.

(2) الطبري ، نفس المصدر ج 8 ص 259 ، ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ج 5 ص 221 ، محمد ضياء الدين الرّيّس ،الخراج ص 253.

(3) كانت محددة في عهد نصر بن سيار في إقليم ماوراء النهر وإقليم خوارزم ،الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 259 .

(4) الطبري ، نفس المصدر ، ج 8 ص 268.

(5) الطبري ، نفسه ، ج 8 ص 268.

الحكمي (99-100 هـ/717 – 718 م) اقتناعا منه أن إسلام هؤلاء لم يكن إلا هروبا منها ومع ذلك فقد أُجبر على الاعتراف بهم بأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز أما بقاؤها على مسلمي الصّغد الجدد فكان مشروعا أيضا وخاصة أن نفاقهم كان واقعا وظاهرا .

هذا ومن نص الرسالة التي بعثها الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى عامله على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن [1] نفهم أن آل أمية أضافوا أنواعًا أخرى من الضرائب التي نلخصها في النقاط التالية :

1. ضريبة الكسور " وهي ضريبة تُدفع تعويضا للنقص الموجود بين الوزن الرسميّ للدينار[2] الذي كان وزنه 4.25 [3] غراما من الذّهب و الوزن الرّسمّي للدّرهم الذي كان 2.975 جرام فضة [4].

2. ضريبة الضَّرَّابين (ويُقصد بها ضريبة تفرض على التجار الذين كانوا يضربون العملة لحسابهم ، وكانت نسبتها واحدًا في المائة فقط)[5]

3. ضريبة اسمها " المستغلات [6] " (وهي خاصة بإيرادات الأراضي المملوكة للدولة وما يقام عليها من أبنية وحوانيت وغيرها).

---

(1) " أن انظر الأرض ولا تحمل خرابا على عامر ولا عامر على خراب ، وأنظر الخراب فإن أطلق شيئا فخذ منه ما أطلق وأصلحه حتى يعمر ، ولا تأخذ من عامر لا يحتمل شيئا وما أجدب من العامر من الخراج فخذه في رفق وتسكين لأهل الأرض ، وأمرك أن لا تأخذ في الخراج إلا وزن سبعة [أي عشرة دراهم يجب أن تساوي سبعة مثاقيل والمثقال هو إثنان وسبعون حبّة من حبّة الشّعير المعتدل] ليس فيها تبر [أي موزونة] ولا أجور الضرابيين ولا إذابة الفضّة ولا هديّة النيروز والمهرجان ولا ثمن الصحف وأجور الفتوح ولا أجور البيوت ولادراهم النكاح ولا خراج على من أسلم من أهل الأرض "، أبو يوسف ، كتاب الخراج ص 86 ، الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ج8 ص 139 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 61.

(2) الماوردي ، الأحكام السلطانية ص 81 و 155.

(3) محمد ضياء الدين الرّيس ، الخرّاج ص 352.

(4) محمد ضياء الدين الرّيس ، نفس المرجع ص 354.

(5) نفسه ص 217.

(6) نفسه ص 221.

4. هدية عِيدَي " النيروز " " والمِهْرَجَان " .
5. ضريبة لتحصيل ثمن الورق المستخدم في الطلبات الرّسمية .
6. ضريبة تدفع لتشجيع الفتوحات الإسلاميّة عند قيامها .
7. ضريبة تدفع عند عقد النكاح .

ولا شك أن فرض هذه الضرائب كان يحمل بعض الخصوصيات ، فلا يمكن فرض ضريبتي النيروز والمهرجان مثلا إلا في الأراضي الفارسيّة الموروثة من الدولة السّاسانية بل نستطيع القول: إن هذه الضرائب المذكورة سابقا كانت خاصة بالولايات الشرقية من الدولة الأموية ،تُجبى من العرب والفرس على السواء ، فنحن نعلم مثلا أن محمد بن يوسف أخا الحجاج والي اليمن فرض ضريبة – وظيفة الخراج – التي لم تُعرف في غير ولايته[1]

لاشك أن فرض هذه الضرائب لم يكن بأي حال من الأحوال إلا ابتداءً من عهد الخليفة عبد الملك بن مروان،العهد الذي شهد ضبطا في الجباية وتعديلا فيها [3] وإن كان الجهشياري [2] قد تحدّث عن عشرة آلاف ألف درهم جُنيت من النيروز و المهرجان في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان ، فإنها كانت بمثابة هدايا فقط وليس ضرائب مفروضة. ذلك لأنه كان من عادة الفرس أن يهادوا ولاتهم وملوكهم في أيّام أعيادهم وأخذوها سُنة مع العرب المسلمين ليس ابتداء من عهد معاوية ، بل منذ أن بدأت الفتوحات الإسلامية تطأ أرضهم حيث أن الطبري[4] أورد أوّل ذكر لهذه الهدايا في أخبار سنة 23هـ (643 م) ، ومع ذلك فإننا نشك في أن يكون الخليفة عبد الملك بن مروان قد حول ما يقدمه الفرس في النيروز والمهرجان من هدايا إلى ضريبة مفروضة عليهم ذلك لأن الخليفة عمر بن عبد العزيز حافظ على تسميتها بالهدية " في الوقت الذي كان يذكر لفظ " ثمن " على الضريبة .[5]

(1) البلاذري ، فتوح البلدان ص 99.
(2) محمد ضياء الدين الرّيس ، الخراج ص 216.
(3) الوزراء اوالكتاب ، ص : 24.
(4) تاريخ الأمم والموك ج 5 ص 83.
(5) ينظر الرسالة التي في هامش الصفحة السابقة .

وبما أنه كان يعتبر الهديّة رشوة أمر بالامتناع عن قَبُولها[1].

يحاول البعض [2] أن يجعل هذه الضرائب الإضافية التي فرضتها الدّولة الأموية مشروعة قياسا بما كانت تُنفقه على الفتوحات والحروب وبناء الدولة . فإن الحرب مع الروم لم تكد تنقطع من أيام الخليفة عبد الملك إلى أن بلغت ذورتها بحصار القسطنطنية في سنة (98-99 هـ /716 و717م)، كما استؤنف في فتح إفريقية في سنة (74هـ/693 م) فأخضعت وفتحت الأندلس في عام (92هـ / 710م) كما أتم قتيبة بن مسلم فتح ما وراء النهر ووصل في فتوحاته إلى حدود الصين ،وأتم يزيد بن المهلب فتح " جرجان " وطبرستان"

وبذلك وصلت الدّولة الإسلامية إلى أقصى اتساعها في عهدي الوليد بن عبد الملك وأخيه هشام ، حيث امتدت من شواطئ المحيط الأطلسي غربا إلى تخوم الصين شرقا [3] هذا وقد اهتم الأمويّون بالزراعة و استصلاح الأراضي الذي وإن كان قد عَمّ كل البلاد فإننا نكتفي بإعطاء مثال عما أحدثه الحجاج بن يوسف من إصلاحات في بلاد العراقين ، حيث حفر أنهاراً[4] وأحدث مدينة " واسط " [5] وأكثراليد العاملة بل ووصل به الأمر إلى أن منع أهل السّواد من ذبح البقر لتكثر الحراثة والزراعة .[6]

ولا ننسى كثرة بناء المساجد التي كانت تُبنى في كل مكان تصله الفتوحات الإسلامية [7] بفن راق وذوق عال تعبيرا عن الإسلام والمسلمين ، ويُعتبر مسجد دمشق أو "

---

(1) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ص 162 ، عماد الدين خليل ، ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز ص 122 ، صبحي محمصاتي ، فلسفة التشريع في الإسلام صم 211 .

(2) محمد ضياء الدين الريس ، الخراج ص 123 ، نجدة خماش ، الإدراة في العصر الأموي ص 212 وما بعدها ، محمود الخالدي ، سوسيولوجيا الإقتصاد الإسلامي ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر 1989.

(3) فليب حتّي ، تاريخ العرب المطوّل،ج 1 ص 270.

(4) البلاذري ، فتوح البلدان ص 407 و 408.

(5) البلاذري ، نفس المصدر ص 407.

(6) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ص 14 .

(7) نجدة خماش ، الإدارة في العصر الأموي 161 ، محمد أحمد محمد ، بخاري في صدر الإسلام ص 97 .

"الجامع الأموي " الذي بناه الخليفة الوليد بن عبد الملك المثال الأول الذي كان ولا يزال تحفة، فقد أنفق عليه خراج الشام لمدة سبع سنين كاملة.[1]

هذا ولا يجب أن ننسى ما كانت تصرفه الدولة لإخماد ثورات المعارضين وبخاصة منها الشيعة والخوارج .

ومهما يكن فقد ألغى الخليفة عمر بن عبد العزيز كُلّ تلك الضرائب الإضافية ولا ندري كيف وصل المؤرخون المُحْدَثُون [2] إلى الجزم بأن إصلاحات الخليفة عمر ماتت معه مع أن القدامى لم يشيروا إلى شيء مثل هذا ما عدا الماوردي[3] الذي يتحدث عن ضريبة الكسور التي استمرت إلى العهود الأولى من العصر العباسي مبررا مشروعيتها عند بعض الفقهاء ، وأيضا ابن الأثير[4] والبلاذري[5] اللذان ذكرا أن الخليفة يزيد بن عبد الملك " أعاد وظيفة الخراج التي كان قد وضعها على أهل اليمن محمد بن يوسف أخو الحجاج " التي تكون قد أُلغيت بعد ذلك، فقد ذُكر عن الخليفة هشام " أنه كان لا يدخل بيت مَالِه مالٌ حتى يشهد أربعين قسّامة : لقد أخذ من حقّه ، و لقد أعطى لكل ذي حق حقّه "[6] كما ذُكر عن الخليفة يزيد بن الوليدبن عبد الملك أنه كان وعمر بن عبد العزيز أعدلا بني مروان [7] أما بقية الخلفاء المتأخرين فإننا لم نجد إشارة موثوقة عن عدالتهم الضريبية .

(1) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج 4 ص 206 ، الذهبي ، العبر في خبر من غبر، ج 1 ص 102 .

(2) فان فلوتن ، السيادة العربية ص 60 ، عبد العزيز الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ص 72، يوسف العش، الدّولة الأموية ص 279 ، جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ص 279 ، نظير حسّان سعداوي ، الدولة العربية الإسلامية ص 193 ، محمد كرد علي، الإسلام والحضارة العربية ج2 ص 190 و 406 ، محمد مصطفى هَدّارة ، اتجاهات الشعر ص 38 .

(3) الماوردي، الأحكام السلطانية 81 و 155.

(4) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 67.

(5) البلاذري ، فتوح البلدان ص 99.

(6) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ص 296.

(7) ابن كثير ، البداية و النهاية ج 6 ص 236 ، محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ، تحقيق ، على الزاوي ومحمد محفوظ دار الغرب الإسلامي بيروت 1988 ط 1 ص 202.

ولعل السّبب في ذلك يعود إلى الفوضى التي عمّت عهودهم .

هذا وأُشيع أيضا أن الخلفاء الأمويين لم يكونوا متدينين ولم تكن سياستهم تعبّر عن الإسلام في شيء بل لقد انغمسوا في اللهو والترف كثيرا مما جعل الفرس يثورون في خراسان ولم يكن ما أسلفناه نظرةَ بعضِ المُحْدَثين من المؤرخين [1] فقط ، بل لقد عبّر عنها الكثير من القُدَامَى [2] الذين وإن اتهموا أغلبية الخلفاء الأمويّين بذلك ، فقد خصّوا منهم الخليفة معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد والخليفة يزيد بن عبد الملك وابنه الوليد بن يزيد .

لقد وُصف الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بالرجل الماكر الخداع [3] القاتل [4] المشكوك في دينه [5] بل و الزّنديق [6] الذي اغتصب الخلافة من أهلها [7]

---

(1) ناجي حسن ، ثورة زيد بن علي ص 79 ، صبحي محمصاني ، تراث الخلفاء الراشدين ص 37 ، النعمان القاضي ، الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ، دار المعارف القاهرة (دت) 87 ، مصطفى الرافعي ، حضارة العرب ص 255 ، محمد هدارة ، اتجاهات الشعر ص 60 ، فليب حتي،تاريخ العرب المطلول ج 1 ص 349 ، السيد عبد العزيز سالم ، العصر العباسى الأولى ص 33 ، أحمد علبي ، العهد السّري للدعوة العباسية (أومن الأمويين إلى العباسيّين) ، دار الفكر ، بيروت 1988 ص 68 ، فان فلوتن ،السيادة العربية ص 22،محمد عمارة،المعتزلة ومشكلة الحرية الانسانية،دار الشروق القاهرة (1408 هـ / 1988 م) ط 2 ص 154 .

(2) سيأتي ذكرهم في هذا المبحث .

(3) المسعودي ، مرُوج الذهب ، ج 2 ص 411 وما بعدها .

(4) ابن تيمية (أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية) المتوفى سنة 758هـ،منهاج السنة النبوية ، المكتبة العلميّة ، بيروت ج ت ج 2 ص 224.

(5) ابن أبي حديد،شرح نهج البلاغة ج 5 ص 130 ، الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ) توفي 255 هـ رسالة الجاحظ في بني أمية دار المعارف ،القاهرة (د.ت) ص 124.

(6) ابن أبي حديد ، نفس المصدر ج 1 ص 340.

(7) الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ) رسائل الجاحظ (رسائل الجاحظ السياسية) مكتبة الهلال ، لبنان (د.ت) ط 1 ص 606 ، المقريزى (تقي الدين المقريزي)،النّزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم ، حقّقه وعلّق عليه ، حسين مؤنس ، دار المعارف،القاهرة (د.ت) ص 25 ، محمد أبو زهرة ، الإمام زيد ، حياته وعصره وآراؤه وفقهه ، دار الثقافة العربية للطباعة ، القاهر (دت) ص 97 ، محمد عمارة ، المعتزلة ، ص 153 عبد العزيز سالم ، العصر العباسي ص 34.

وحولها ملكا كِسْرَاوِيًّا [1] مع أنه صحابيّ جليل[2] زاهد[3] ومن صفوة الصّالحــين [4]

لقد أسلم معاوية بن أبي سفيان يوم فتح مكة في سنة 8هـ /629 م.[5] وإن كان هناك

من يذكر[6] أنه أسلم قبل ذلك وتحديدا بعد صلح الحُدَيْبِيّة [7] في سنة 6 هـ/ 627م

---

(1) ابن طباطبا (محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي) الفخْري في الآداب السّلطانية والدّولة الإسلامية، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده،القاهرة (د.ت) ص 91 ، ابن أبي حديد ، شرح نهج البلاغة ج 5 ص 130 ، الجاحظ ، رسالة الجاحظ في بني أمية 124 ، إدوارد عطيّة،العرب ، ص 39 ، عبد العزيز سالم ،العصر العباسي ص 32 ، النعمان القاضي ، الفرق الإسلاميّة ص 71،جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ج 1 ص 200 ، صلاح الدين محمد نوّار ، نظرية الخلافة أو الإمامة وتطورّها السّياسي والدّيني (11 – 41 هـ 632 – 661) دار المعارف بالاسكندرية 1996 ص 103.

(2) ابن تيمية،منهاج السّنّة النبوية، ج 2 ص 199 ، الخزاعي (علي بن محمد بن مسعود الخزاعي) تخريج الدّلالات السمعية ، تحقيق إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1405 هـ 1985 م ط 1 ص 171 ، العسقلاني (الحافظ شهاب الدين الفقيه أحمد بن على الكناني العسقلاني الشافعي المعروف بابن حجر) 773 – 852 هـ الإصابة في تمييز الصحابة ، دار الكتاب العربي،بيروت (د.ت) ج 3 ص 412 ، القرطبي (القرطبي المالكي) (363 – 463 هـ) ،الإستيعاب في أسماء الأصحاب ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ج 3 ، ص 375، الترمذي (ابن العربي المالكي) عارضة الأحوذي لشرح صحيح الترمذي دار الكتاب العربي بيروت (د ت) ج 13 ص 229 ، الحنبلي ، شذرات الذهب ص 165.

(3) أبو بكر العربي المالكي (468 – 543 هـ) العواصم و القواصم في تحقيق مواقف الصّحابة بعد وفاة النبي (ﷺ) حققة وعلق على حواشيه ، العلامة الشيخ محبّ الدين الخطيب (1303-1389 هـ) أخرج أحاديثه و علّق عليه محمود مهدي الأستانبولي دار الجيل ، بيروت(د ت)ص 217 (من تعقيبات محبّ الدين الخطيب) ، فتحي عثمان ، أضواء على التاريخ الإسلامي ، دار الجهاد،القاهرة(دت)ص198 .

(4) ابن تيمية ، منهاج السنة ج 2 ص 198 و 203 ، الخزاعي،تخريج الدلالات السمعية ص 171،العسقلاني الإصابة في تمييز الصّحابة ج 3ص 412 ، القرطبي ، الإستيعاب في أسماء الأصحاب ج 3 ص 375 ، فتحي عثمان ، أضواء علي التاريخ الإسلامي ص 198 .

(5) ابن تيمية ، منهاج،ج 2 ص 198 و 206 ، السّيوطي ، تاريخ الخلفاء ص 233،العسقلاني،الإصابة في تمييز الصّحابة ج 3ص 412 ، القرطبي ، الإستيعاب في أسماء الأصحاب ج 3 ص 375 .

(6) العسقلاني ، نفس المصدر والصفحة ، القرطبي نفس المصدر والصفحة .

(7) الحُديبية موقع تاريخي يعرف اليوم " بالشميسي " على طريق القوافل والسّيارات من جدّة إلى مكّة . أما صلح الحديبية فَيُقْصَد به الهُدْنة التي عقدها النبيّ (ﷺ) مع قريش في العام السادس للهجرة . بعد أن خرج في جمع من

" لكنه كتم الأمر حتى أظهره عام الفتح" (1) وصَلح إسلامه وحَسن(2) وشارك في غزوة حنين(3) وكان من المؤلَّفة قُلُوبُهم (4) فاختاره الرّسول (ﷺ) لكتابه الوحي واستعان به في بعض أعماله(5) وصاحبه حتى أصبح من أهم رواة الحديث حيث روى له مائة وثلاثة وستين حديثا(6) وردت في الصِّحَاح و المَسَاند وغيرها(7) وكان الرسول(ﷺ) مُعْجَبا به كثيرا حيث دعا له قائلا: "اللّهم اجعله هاديا واهدِ به". (8) وأيضا: " اللهم علِّم معاوية الكتابَ والحسابَ وَقِهِ

= المسلمين من المدينة إلى مكة معتمرا فقطعت قريش عليهم الطريق واحتجزت عثمان بن عفان ، لكنهم انتهوا بعقد الصّلح ينظر التفاصيل عند ابن الجوزية ، زاد المعاد ج2 ص 112 ،وأحمد عطية الله،القاموس الإسلامي ج 2 ص 52 و 53 وبدر عبد الرحمن محمد ، حكومة الرّسول (ﷺ) في المدينة ودورها في توحيد الجزيرة العربية ، مكتبة الأنجلو المصرية (د.ت) ص 84 .

(1) العسقلاني،الإصابة في تمييز الصّحابة ج 3 ص 412،القرطبي،الاستيعاب في أسماء الأصحاب ج3 ص375.

(2) ابن تيمية (أبو العبّاس تقي الدّين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية) المتوفى 758هـ،الفتاوى،جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي وساعده ابنه محمد،طُبع بأمر صاحب السمو فهد بن عبد العزيز – السعودية (1398 هـ) ط 1 ج4 – مفصّل الإعتقاد – ص 477 ،السوطي ، تاريخ الخلفاء ص 232 ابن تيمية ، منهاج السنة النبوية ج 2 ص 314 .

(3) حنين ، موقع جبلي بالقرب من مكة جرت عنده المعركة التاريخية بين النبيّ والمشركين من قبيلتي " هوازن " و " ثقيف " اللّتين تحفزتا لقتال المسلمين بعد أيام من فتح المسلمين لمكة في عام 8 هـ (639 م) فخرج النبي لصدهم في 12 ألف مقاتل من المهاجرين الأنصار من بينهم أبو سفيان بعد إسلامه ، أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ج 2 ص 172 .

(4) ابن تيمية ، منهاج السنة النّبويّة ج 2 ص 216 ،السيوطي،تاريخ الخلفاء ص 233،الخزاعي ، تخريج الدّلالات السّمعية ص 172 ، القرطبي ،الاستيعاب في أسماء الأصحاب ج 3 ص 375 .

(5) ابن تيمية ، منهاج السنة النبوية ج 2 ص 199 ، السّيوطي،تاريخ الخلفاء ص 233 ، ابن قتيبة ، المعارف ص 152 و 152،القرطبي ، الإستيعاب ج3 ص 375،العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصّحابة ج 3 ص 413 ، الخزاعي ، تخريج الدّلالات السّمعية ص 172،الحنبلي،شذرات الذهب في أخبار من ذهب ص 165 .

(6) السيوطي تاريخ الخلفاء ، ص 233 ، العسقلاني ،الإصابة في تمييز الصّحابة ج 3 ص 413.

(7) ابن تيمية ، منهاج السنة ج 2 ص 201.

(8) السيوطي،تاريخ الخلفاء ص 233 ،الترمذي،عارضة الأحوذي لشرح صحيح التّرمذي ، ج 13 ص 229،أبو بكر المالكي ، العواصم والقواصم ص 214 .

العذاب[1]" بل لقد بشّره بالخلافة حيث قال له يوما " يا معاوية إذا ملكت فأحسن".[2]

لقد ظلت مكانة معاوية عاليه بين صحابة الرسول بعد وفاته ، فقد كان الخليفة عمر ابن الخطاب يعتبره "فتى قريش"[3] " من يضحك في الغضب ولا يُنال ما عنده إلا على الرضا ولا يُؤخذ ما فوق رأسه إلا من تحت قدميه " [4] لذا استخلفه " استحقاقا ولا محاباة " [5] على ولاية الشام بعد موت أخيه يزيد بن أبي سفيان [6][7] ثم أقرّه عليها الخليفة عثمان بن عفان فاستمر فيها عشرين سنة أميرا[8] ومثلها خليفة بعد أن بايعه الحسن بن على[9] في عام الجماعة[10]، فكان في الحالتين "مثاليًا في

---

(1) الترمذي،عارضة الأحوذي 13 ص 230،السيوطي ، تاريخ الخلفاء ص 233 ،الخزاعي ، تخريج الدّلالات السّمعية ص 172.

(2) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ص 234 ،العسقلاني ،الإصابة في تمييز الصحابة ج 3 ص 413 .

(3) القرطبي،الاستيعاب ج 3 ص 377 ،الخزاعي ، تخريج الدّلالات السمعية ص 173.

(4) القرطبي،الإستيعاب في أسماء الأصحاب ج 3 ص 277،الخزاعي ، تخريج الدّلالات السمعية ص 173.

(5) ابن تيمية ، منهاج السنة النبوية ج2 ص 202.

(6) كان يقال له يزيد الخيّر استعمله أبوبكر علي الشام ثم أقرّه عمر بعد أبي بكر وكان أبوسفيان بن حرب يقاتل تحت راية ابنه يزيد يوم اليرموك ومات يزيد بالشام وهو عامل عمر وذلك في سنة 18 هـ،ابن قتيبة،المعارف،ص 150 وما بعدها .

(7) ابن تيمية ، منهاج السنة ج 2 ص 202 أبو بكر بن العربي المالكي،العواصم والقواصم ص 95،الخزاعي ، تخريج الدّلالات ص 267 ، العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصّحابة ج3 ص 412، القرطبي الإستيعاب ج3 ص 275 ، المقريزي ، النزاع والتخاصم فيما بين بني أميّة وبني هاشم ص 84 ، فتحي عثمان،التاريخ الإسلامي والمذهب المادّي في التفسير ،الدّار الكويتية للطباعة والنشر،الكويت 1969 ط 1 ص 239 ، عبد العظيم محمود الدّيب ، نحو رؤية جديدة للتاريخ الإسلامي (نظرات وتصويبات دار الوفاء للمنصورة)،مصر 1997 م ط 2 ص 201.

(8) ابن تيمية ، منهاج ج2 ص 202 ، الخزاعي ، تخريج الدّلالات السّمعية ص 173،العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ج3 ص 412 ،القرطبي ، الاستيعاب ج3 ص 275 .

(9) ابن تيمية منهاج ج2 ص 202 تعليقات محبّ الدين الخطيب،العواصم والقواصم ص 177،ابن قتيبة ، المعارف ، ص 92،السيوطي،تاريخ الخلفاء،ص 227.

(10) العسقلاني،الإصابة ج 3 ص 413،القرطبي،الاستيعاب ج3 ص 378 ، تعليقات محبّ الدين الخطيب العواصم والقواصم ص 208.

العدل والتراجم والتأسّي، لم يُخيَّر بين الطيّب والأطيب إلا اختار الأطيب على الطيب [1] فقد كان أعدل من الخليفة عمر بن عبد العزيز[2] بل أسود خلق (أكرم وأحلم) بعد الرسول (ﷺ)[3] أحب رعيته وصلى عليها ، فأحبته حبا يكاد يكون خرافيًّا وصلّت عليه. فهو إذن من خيار الأئمة " قياسا بالحديث الذي جاء فيه " خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذي تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم "[4].

أعتمد لتأكيد مَكْر معاوية وخداعه على إشاعة أنه اتخَذ من مقتل الخليفة عثمان ذريعة للوصول إلى الخلافة ، وأنه وافق على خدعة التحكيم ليسلبها سلبا من الخليفة عليٍّ رضي الله عنه .

لقد أصبحت هاتان الإشاعتان راسختين في عقولنا حتّى لا نكاد التشكيك فيهما أبدا ذلك لأنها شاعت في برامجنا التعليمية وفي وسائل إعلامنا ، مع أن الذي حدث في الإشاعة الأولى يكاد يكون شيئا معتادا حيث إنّ معاوية رفض بعد استشارة أهله وأصحابه مبايعة عليٍّ بالخلافة إلاّ بَعد أن يَقْتُلَ قَتَلَةَ عثمانَ أو يسلِّمَهم له حتى يُجْرِي الحدّ عليهم بعدما طلب منه أبناء عثمان ذلك وسائر عصبيته[5]" ذلك لأن قَتْل القَاتِل إنما شرع عصمة"[6] وعندما لم يكن الخليفة عليٌّ قادرا على هذا الإجراء خوفا من الفتنة وبخاصة أن القتلة كانوا قد انضموا إليه وعسكروا معه في العراق فكانت قبائلهم لا محالة ستغضب وتثور[7] فقرّر عزل

---

(1) تعقيبات محبّ الدين الخطيب ، العواصم والقواصم 216.

(2) تعقيبات محبّ الدين الخطيب، العواصم ص 217، فتحي عثمان، أضواء، ص 199 .

(3) ابن تيمية، منهاج ج 2 ص 218.

(4) ابن تيمية ، نفس المصدر ج 2 ص 222، تعقيبات محبّ الدين الخطيب، العواصم والقواصم ص 97.

(5) ابن تيمية ، نفسه ج 2 ص 208 ومجموع فتاوى ابن تيمية ج 35 ص 72 – 73، تعليقات محب الدين الخطيب، العواصم والقواصم ص 168.

(6) ابن تيمية ، منهاج السنة ج 2 ص 210.

(7) ابن تيمية ، منهاج، ج 2 ص 209 ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ج 35 ص 73 ، تعليقات محب الدين الخطيب العواصم والقواصم ص 168 و169.

معاوية من ولاية الشّام [1] مما جعل معاوية يُعلن مجتهدا في سياسته لا خارجا عن دينه[2] الخروج عن طاعة الخليفة [3].

أما خدعة التّحكيم التي نلخصها حسب ما جاءت في العديد من المصادر[4] في أن الخليفة عليًّا ومعاوية اتّفقا على التحكيم بعد فتنة "صفّين "التي قُتل فيها سبعون ألف مسلم فاخْتير من جانب معاوية عمرو بن العاص واختير من جانب الخليفة عليٍ أبو موسى الأشعري فاجتمعا "بأدرج"[5] وتفاوضا واتفقا على أن يخلع الرجلان ، فقال عمرو لأبي موسى اسبق بالقول فتقدم فقال : " إني نظرت فخلعت عليّا عن الأمر ، ولينظر المسلمون لأنفسهم كما خلعت سيفي هذا من عاتقي " . وأخرجه من عنقه فوضعه في الأرض وقام عمرو فوضع سيفه في الأرض وقال : " إنّي نظرت فأثبت معاوية في الأمر كما أثبت سيفي هذا في عاتقي" وتقلده فأنكره أبو موسى ، فقال عمرو : " كذلك اتفقنا ، وتفرق الجمع على ذلك من الاختلاف ".

لقد تحيّر " محب الدّين الخطيب كثيرا من هذا المَوْقف وقال : " إن معاوية لم يكن يومئذ خليفة حتى يخلعه أو يثبته عمرو بل إنه لم يكن يدّعي الخلافة ولم يكن يفكر فيها ولم يَدْعه أحد خليفةً أبداً إلا بعد أن بايعه الحسن بن علي واجتمع عليه الناس كلهم

---

(1) ابن تيمية ، منهاج،ج2 ص 222.

(2) الترمذي ، عارضة الأحوذي لشرح الترمذي ج 13 ص 230.

(3) ابن تيمية ، منهاج ج 2 ص 209 ومجموع فتاوى ابن تيمية ج 35 ص 73 ، تعليقات محبّ الدين الخطيب العواصم والقواصم ص 168.

(4) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 6 ص 37 وما بعدها،ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج3 ص 329 وما بعدها، ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم)،الإمامة والسياسة،تقديم عبد الرحمان بوزيد،موفم للنشر،الجزائر 1989 ج 1 ص 210 وما بعدها،المسعودي ، مروج الذهب ج 2 ص 409 ، أبو بكر العربي المالكي،العواصم والقواصم ص 177، السيوطي ، تاريخ الخلفاء،ص 207 .

(5) موضع بصحراء الأردن بين معان والبتراء (بطرا) يرجع تاريخه إلى العصر الروماني كانت تحط عنده قوافل قريش في طريقها بين مكة،والشام،أحمد عطية الله،القاموس الإسلامي،ج 1 ص 58.

في عام الجماعة ".[1] فهو لم تكن أهدافه حتى هذا والوقت سوى إقامة الحدّ الشرعي على القتلة وإبقائه واليا على الشّام مثلما كان في عهد عمر وعهد عثمان .[2] ويؤكد محبّ الدين الخطيب أن " عمرو بن العاص لم يغالط ولم يخدع أبدا بأي حال من الأحوال أبا موسى الأشعري لأنه لم يعط معاوية شيئا جديدا " وإن " الذي فعله عمرو هو نفس الذي فعله أبو موسى " واتفقا على أن يعهدا أمر الخلافة إلى أعيان الصحابة الموجودين على قيد الحياة للنظر فيها ، متى شاءوا اجتهادا منهما حتى يُبّعِدا المسلمين عن الفتن[3]. ويواصل قائلا: " إذا كانت هذه الخطوة لم تَتِمَّ فما في ذلك تقصير من أبي موسى ولا من عمرو" المهم أن التحكيم لم يقع فيه خداع ولا مكر و لم تتخلّله بلاهة وغفلة من أبي موسى ولم يقرر فيه الحكماء قرارا غير ما سلف ذكره،لذا ، لم يطرأ أي جديد بعده فالخليفة عليّ بقيت تحت أيديه العراق والحجاز وما كان يتبعهما،والوالي معاوية عاد إلى الشام مثلما كان من قبل[4].

ولم ينفرد محبّ الدين الخطيب وحده بهذه الأحكام ، بل نفهمها أيضا من ابن كثير[5] الذي يقول بعد عرض الحدث أنه حديث منكر ورفعه موضوع والله أعلم . إذ لو كان هذا معلوما عند عليّ لِمَ يُوافق على تحكيم الحكمين حتى لا يكون سببا لإضلال الناس كما نطق به هذا الحديث،وآفة هذا الحديث هو زكريا بن يحيي وهو الكندي الحميري الأعمى"

أمّا عن اتهام معاوية بالقتل فقد أجاب ابن تيمية[6] قائلا: أما الصحابة فيقال الذين قُتِلوا من الطائفتين قَتَلَ هؤلاء من هؤلاءِ و هَؤلاءِ من هؤلاءِ...وكان عليّ ومعاوية رضى الله عنهما أَطْلَبَ لِكفّ الدماء من أكثر المقتتلين لكن غُلِبا فيما وقَع والفتنة إذا ثارت عجز الحكماءُ عن إطفاء نارِها.وكان في العَسْكَرين مثل الأشتر النّخعي وهاشم بن عتبة المرقال

---

(1) تعقيبات محبّ الدين الخطيب ، العواصم والقواصم ص 177.

(2) تعقيبات محبّ الدين الخطيب ، العواصم والقواصم ص 177 .

(3) تعقيبات محبّ الدين الخطيب ص 177 و 178 .

(4) نفسه ص 177.

(5) البداية والنهاية ج 7 ص 385 .

(6) ابن تيمية ، منهاج السّنّة،ج 2 ص 224.

وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد وأبو الأعور السلمي ونحوهم من المحرّضين على القتال قوم ينتصرون لعثمان غاية الانصار وقوم ينفرون عنه وقوم ينتصرون لعليّ وقوم ينفرون عنه ...وقتال الفتنة مثل قتال الجاهلية ..."

أما قتله لحجر بن عديّ [1] فقد ذكر ما يعلّله . فقد كان حجر يسعى دائما لإثارة الفتن في الكوفة، المنطقة التي أخرجت العدد الأكبر من الفاتنين مندفعا بعاطفته الحزبية وتشيعه لعليّ. [2] ويظهر أن محاولاته هذه كانت قد فاقت مدى حلم الخليفة وسعة صدره . وكان آخر ما قام به هو قطع خطبة الجمعة لزياد بن أبي سفيان حيث يُذكر أن زيادًا خطب وأطال الخطبة في الكوفة فقاطعه مناديا : " الصلاة " لكن زيادا واصل في خطبته إلا أن حجر حاصبه مع مجموعة من الرجال فكتب الوالي إلى الخليفة يشكو بغي حجر وفساده فأمر الخليفة بتسريحة له ولما جيء به أمر بقتله[3] .

لقد كان معاوية مقتنعا أن قتل حجر كان الجزاء الذي ينبغي أن يكون ويظهر هذا في ردّه على السيّدة عائشة حينما كلمته في الأمر حيث قال لها :" دعيني وحجرا حتّى نلتقي عند الله . وأنتم معشر المسلمين أولى أن تَدَعُوهما حتى يَقِفا بين يَدي الله مع صاحبهما العدل الأمين المصطفى المكين ، وأنتم ودخولكم حيث لا تشعرون ، فما لكم لا تسمعون ."[4]

أما اتهام معاوية بقتل الحسن بن علي رضى الله عنهما بأن اتّفق مع إحدى زوجات الحسن وهي جعدة بنت الأشعث على أن تدسّ له سُمّا ووعدها على ذلك بمائة ألف درهم وبأن يزوجها ابنه يزيد[5] ، فهو اتهام كاذب ومستحيل الحدوث كما يراه

---

(1) حجر بن عديّ الكندي يلقب بحجر الخيّر ، وَفَد على النبي هو وأخوه هانيء بن عديّ ، و شهد القادسية وكان من أمراء جيش عليّ في يوم الجمل وصفّين، سكن الكوفة بعد ذلك في إمارة زياد، قَتَلَه معاوية " بمرج عذراء " مع أصحاب له عام 51 هـ / 671 م، أحمد عطية الله القاموس الإسلامي ج 2 ص 44.

(2) تعقيبات محب الدين الخطيب، العواصم والقواصم، ص 119 و 120.

(3) تعقيبات محب الدين الخطيب ، نفس المصدر ص 119.

(4) أبو بكر بن العربي، العواصم و القواصم ص 220

(5) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ص 228 ، المسعودي ، مروج الذهب ج 3 ص5 .

البعض،[1] فأبوبكر العربي يقول [2]:" هذا محال من جهتين: أحدهما أنه ما كان [معاوية] ليتقي من الحسن بأسا وقد سلم الأمر . والثاني أنه أمر مُغيّب لا يعلمه إلا الله فكيف تحملونه بغير بيّنة على أحد من خلقه في زمان متباعد لم تثق فيه بنقل ناقل ، بين أيدي قوم ذوي أهواء ، وفي حال فتنة وعصبية ، ينسب كلّ واحد إلى صاحبه ما لا ينبغي..." .

أما الشيخ ابن تيمية فيقول[3] :" لم يثبت ذلك ببينة شرعية ولا قرار معتبر ولا إقرار معتبر ، ولا نقل يجزم به . وهذا ممّا لا يمكن العلم به ، فالقول به قول بلا علم" ويحاول هذا الشيخ أن يُعطي احتمالات على فرض صحة الخبر فيجدها كلها مستحيلة الافتراض . ويذكر أن جعدة المتهمة كانت مطلقة من الحسن عند وفاته .

أما اتهام معاوية رضي الله عنه بالرجل المشوك في دينه بل والزنديق فنرد عليهم بعرض برنامج حياته اليومي المشحون بالعبادة والمكارم كما جاء به المسعودي[4] المؤرخ الشيعي نفسه حيث يذكر :"...كان يؤذّن في اليـوم والليلة خمـس مرّات ، كان إذا صلى

> الفجر جلس للقاص حتى يفرغ من قصصه ، ثم يدخل فيؤتى بمضحفه فيقرأ جزأه ، ثم يدخل إلى منزله فيأمر وينهى ، ثم يصلّي أربع ركعات ، ثم يخرج إلى مجلسه ، فيأذن لخاصة الخاصة فيحدثهم ويحدثونه ويدخل عليه وزراؤه فيكلمونه فيما يريدون من يومهم إلى العشيّ ، ثم يُؤتى بالغداء الأصغر ، وهو فضلة عشائه من جدي بارد أو فرخ أو ما يُشبهه ، ثم يتحدّث

(1) ابن تيمية ، منهاج السنة ج 2، ص 225 ، أبوبكر بن العربي المالكي ، العواصم والقواصم ص 221 ، محمود شلبي ، حياة الإمام الحسين ، دار الجيل ، بيروت (1405 هـ - 1985 م) ط 1 ص 38.

(2) العواصم والقواصم ص 221

(3) منهاج السنة النبوية ، ج 2 ص 225.

(4) مروج الذهب ، ج 3 ص 40 و 41.

طويلا ، ثم يدخل منزله لما أراد ثم يخرج فيقول " يا غلام أَخْرِج الكُرسي " فيتقدم إليه الضعيف والأعرابي والصبيّ والمرأة ومن لا أحد له . فيقول : " ظُلمتُ " فيقول " أَعِزّوه " ويقول :" عُدِي عليّ فيقول:" ابعثوا معه " ويقول " صُنع بي " فيقول " انظروا في أمره" حتى إذا لم يبق أحد دخل فجلس على السرير (...) ثم يُؤتى بالغداء ، يَحْضُر الكاتبُ فيقوم عند رأسه ويقدّم الرّجل فيقول له : " اجلس على المائدة ، فيجلس ، فيمد يده فيأكل لقمتين أو ثلاثا والكاتب يقرأ كتابه فيأمر فيه بأمره ، فيُقال :" يا عبد الله أعقب" ، فيقوم ويتقدم آخر ، حتى يأتي على أصحاب الحوائج كلهم ، وربما قدم عليه من أصحاب الحوائج أربعون أو نحوهم على قدر الغداء ، ثم يرفع الغداء ويُقال للناس : "أجيزوا" فينصرفون ، فيدخل منزله ، فلا يّطمع فيه طامع ، حتى ينادى بالظهر ، فيخرج فيصلّي ثم يدخل فيصلّي أربع ركعات ثم يجلس فيأذن لخاصة الخاصّة ... ثم يخرج فيصلّي العصر ثم يدخل إلى منزله فلا يطمع فيه طامع ، حتى إذا كان في آخر أوقات العصر خرج فجلس على سريره ويُؤذن للناس على منازلهم فيؤتى بالعشاء فيفرغ من مقدار ما ينادى بالمغرب ...ثم يرفع العشاء وينادي بالمغرب ، فيخرج فيصلّيها ثم يصلي بعدها أربع ركعات يقرأ في كل ركعة خمسين آية يجهر تارة ويخافت أخرى ثم يدخل منزله فلا يطمع فيه طامع حتى ينادى بالعشاء الآخر فيخرج فيصلّي ، ثم يُؤذن للخاصة وخاصة الخاصة والوزراء والحاشية (...) ويستمرّ إلى ثلث اللّيل (...) ثم يدخل فينام ثلث الليل ، ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك وأخبار

الحروب والمكايد فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتّبون وقد وُكّلوا بحفظها وقراءتها ، فتَمرّ بسمعه كل ليلة جمل من الأخبار والسِّيَر والآثار وأنواع السّياسات ، ثم يخرج فيُصلي الصبح ثم يعود فيفعل ما وصفنا في كل يوم ."

ثم كيف يُتّهم بالزندقة من يقول عليه الصحابي الجليل أبو الدرداء [1]: "ما رأيتُ أحدا أشبه صلاة بصلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم من معاوية."[2] ومن يعتبره الصحابي ابن عباس[3] فقيها [4] ومن يشهد له الصحابي المسور بن مخزمة [5] بالخير والاجتهاد في مرضاة الله[6] ولو كان زنديقا أو متهما في دينه على الأقل لما كان الصحابة الذين أدركوا خلافته يوافقون عليه خليفة [7] بل إنّ عليًّا رضى الله عنه اعترف بإمارته وحاول إبعاد شيعته عن كرهه حيث قال :" أيها الناس لا تكوهوا إمارة معاوية ، فإنكم لو

(1) كُنيَة أشتهر بها عويمر بن ملك بن قيس الخزرجي الأنصاري ، كان تاجرا قبل البعثة وأسلم يوم بدر وأشترك في غزوة " أحد " عام 3 هـ (625 م)،وَرُوِي أن النبي قال عنه بعد المعركة :"نعم الفارس عويمر " في خلافة عمر ولّاه معاوية [وكان أمير الشام] قضاء دمشق،تزوج خيرة بنت أبي حدرد وهي التي عرفت بأم الدرداء ، توفي حوالي عام (32هـ /652م)،أحمد عطية الله،القاموس الاسلامي ج2 ص 357 .

(2) ابن تيمية ، منهاج السنة النبويّة،ج 3 ص185، تعليقات محبّ الدين الخطيب ،العواصم والقواصم ص 212

(3) هو عبد الله بن عبّاس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، ابن عم رسول (ﷺ) ،ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ومات سنة ثمان وستين بالطائف،العسقلاني (أحمد بن علي بن حجر) توفي 853 هـ ، تقريب التهذيب ، حققه عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار الباز للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ، 1975 م ط 2 ج 1 ص 425.

(4) العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ص 413.

(5) هوالمسور بن مخزمة بن نوفل بن أهيب القريشي الزهري ، أبو عبد الرحمن ، من فضلاء الصحابة وفقهائهم ، ولد في السنة الثانية للهجرة و أدرك النبي (صلعم) وهو صغير وسمع منه وكان مع خاله عبد الرحمن بن عوف ليالي الشورى ، وروى عن الخلفاء الأربعة وغيرهم من أكابر الصحابة ، وشهد فتح إفريقية مع عبد الله بن سعد ،وهو الذي حرض عثمان على غزوها،توفي في حصار مكة في سنة (64 هـ / 683 م) ، الزركلي ، الأعلام ج 8 ص 123 و124 .

(6) القرطبي ، الاستيعاب في أسماء الأصحاب ج 3 ص 382 ، الحزامي ، تخريج الدلالات ص 174 .

(7) القرطبي الإستيعاب ج 3 ص 381.

فَقَدْتُمُوه رأيتم الرؤوس تندر عن كواهلها كأنها الحنظل ".[1] كما أن ابنه الحسن رضى الله عنه لعن كل من يذكر أن معاوية سيكون من أهل النار.[2] كما أنّه رُوي عن الخليفة عمر بن عبد العزيـز أنه لـم يكن يعاقب أحدًا إلا بعد حبسه ثلاثة أيام كراهة أن يُعَجل في أول غضبه [3] ، ولم يضرب أحدا سوطا طيلة مدّة خلافته ، إلا رجل واحد ثلاثة أسواط لأنه تناول من معاوية "[4].

أما من اعتبروا معاوية مغتصبا للخلافة فيجيبهم ابن تيمية [5] قائلا : " لم يَدّعِ معاوية الخلافة ، ولم يبايع له بها حين قاتل عليّا ولم يقاتل على أنه خليفة ، ولا أنه يستحقّ الخلافة ، ويقرون له بذلك وقد كان معاوية يقر بذلك لمن سأله عنه ، ولا كان معاوية وأصحابه يرون أن يُبتَدُوا عليّا وأصحابه بالقتال ، ولا يعلوا " . كما يقول في جهة أخرى "...لم يكن معاوية ممن يختار الحرب ابتداء بل كان من أشدّ الناس حرصا على أن لا يكون قتال وكان غيره أحرص على القتال منه ..."[6] كما أن المصادر[7] تذكر أنّ الحسن ابن علي رضى الله عنهما هو الذي بادر بمبايعة معاوية لأنه كان للحرب والقتال كارها وبالعلم والتعبد مشغفا . مما جعل الناس تجتمع على مبايعته فسمّي عام 41 هـ (661م) عام الجماعة لذلك .[8] فأين هو الاغتصاب؟

---

(1) تعقيبات محبّ الدين الخطيب ،العواصم والقواصم ص 212 .

(2) القرطبي،الإستيعاب،ج 3 ص 383.

(3) السيوطي ، تاريخ الخلفاء،ص 282.

(4) السيوطي نفس المصدر،ص 283 ،القرطبي ، الاستيعاب ج 3 ص 383 .

(5) فتاوى إبن تيمية ج 35 ص 72.

(6) منهاج السنة النبوية ج 2 ص 219.

(7) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 6 ص 93 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 3 ص 404 ،السيوطي،تاريخ الخلفاء،ص 227 ، ابن قتيبة ،المعارف ، ص92 ، ابن كثير،البداية والنهاية ج 6 ص 244،ابن عبد ربه،العقد الفريد،ج 4 ص 362 ، أبو الفدا ،المختصر في أخبار البشر ، ج 1 قسم 1 ص 182 .

(8) العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ج3 ص 413 ،ابن تيمية ، فتاوى ج 35 ص 19،تعليقات محبّ الدين الخطيب ، العواصم والقواصم ص 216.

واحد، ويُوَلّيه الرسولُ (ﷺ) على "نَجْرَانَ" ويظل واليا عليها حتى وفاة الرسول.[1] ويُكلفه بمهمة أخرى أخطر من الحرب، من الناحية النفسية ، ذلك أنه وَجّهه إلى " مناة" فهدّمها وهي التي كانت الإله المعبود من عهود .[2]

يواصل أبو سفيان جهاده بعد موت الرسول فيشارك في فتح الشام "يوم اليوموك"[3] وهو شيخ عليل في الثمانين من عمره . ويقال، إنّ كلّ الأصواتِ فُقِدَت يَوْمَها أثناءَ المعركة إلا صوت أبي سفيان وهو ينادي: " يا نَصْرَ اللهِ اقْتَرِبْ يا نَصْرَ اللهِ اقْتَرِبْ"حتى فُقِعَتْ عينُهُ الباقيةُ وخرج من المعركة ضريرا أعمى[4] فأين هو النفاق إذن ؟

هذا وقد اتُّهِمَتْ هندُ بنتُ عُتبَة زوجةُ أبي سُفْيانَ وأمّ معاوِيَة في شَرَفِها وَوَصَفوها بالفَاجِرة العاهِرة[5] مع أنها كانت سيدة قومها صافحها الرسول يوم إسلامها ولم يصافح أبدا امرأة غيرها.[6] صحيح ، إنها كانت عدوّةَ الإسلامِ في جَاهِلِيّتها ، لكن الإسلامَ يَجُبُّ كلَّ مَا قَبْلَه .

أما باقي الخلفاء الأمويين فيواصل الأصفهاني [7] في اتهامهم بالفُسق وشرب الخمر فيقول " إن الوليد بن عبد الملك كان يَشرب يوما ويدع يوما ،وسليمان يشرب في كل ليلة وهشام يسكر في كل جمعة ويزيد بن الوليد يُدْمِن الشرب فكان دهره بين سكر وخمّار "

---

(1) يحيي بن أبي بكر العامري النبيني ،الرياض المستطاب في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة ، أشرف على ضبطه وتصحيحه عمر الديراوي أبو حجلة مكتبة المعارف،بيروت 1983 ط 3 ص 129.

(2) العسقلاني ،الإصابة،ج 2 ص 172 ، عبد العظيم محمود الديب ، نحو رؤية جديدة للتاريخ الإسلامي ص 199 .

(3) هو اسم لنهر بالشام ، حدثت الغزوة في رجب سنة 15 هـ (636 م) في عهد الخليفة عمر رضى الله عنه فتحت على إثرها بلاد الشام،البلاذري،فتوح البلدان ص 184 وما بعدها .

(4) العسقلاني ،الإصابة ج 2 ص 173 ، عبد العظيم محمود ، نحو رؤية جديدة للتاريخ الإسلامي ص 199.

(5) ابن أبي حديد شرح نهج البلاغة ، ج1 ص 336.

(6) ابن أبي حديد ،نفس المصدر ج 1 ص 339.

(7) محاضرات الأدباء ج2 ص 710.

ويواصل قائلا : " إن سليمان بن عبد الملك أقام مسابقات بين المغنين في المدينة أثناء حجّه "[1]

هذا ونجد هذه الاتهامات ملخّصة أيضا عند الجاحظ[2] الذي يذكر " أما معاوية ومروان وعبد الملك والوليد وسليمان وهشام ومروان بن محمد ، فكان بينهم وبين الندماء ستارة ،وكان لا يظهر أحد من الندماء على ما يفعله الخليفة إذا طرب للمغنى والتذه ، حتى يَنقل ويمشي ويحرّك كتفيه ويرقص ويتجرد حيث لا يراه إلا خواص جواريه إلا أنه كان إذا ارتفع من خلف الستارة ، صوت أو نعير طرب أو رقص أو حركة بزفير تجاوز المقدار ، قال صاحب الستارة :" حسبك يا جارية !كُفّي !أنتهي! أقصري ! يوهم الندماء أن الفاعل لذلك بعض الجواري ، فأما الباقون من خلفاء بني أمية ، فلم يكونوا يتحاشون أن يرقصوا أو يتجردوا ويحضروا عراة بحضرة الندماء والمغنين " ويجب أن نذكر هنا أن عمر ابن عبد العزيز لم يُسْتَثْنَ من جماعة الخلفاء الذين يجدون كامل الوقت لسماع الغناء الذي يذهب بعقلهم بعيدا ويدفعهم للتفاهة والسفاهة فقد ذكر أنه " كان يسمع الغناء وإن لم يسمعه في خلافته ، فقد سمعه أثناء ولايته بالمدينة وكان ربما صفق بيديه وربما تمرّغ على فراشه وضرب برجليه ".[3]

لقد وُصف هشام بن عبد الملك بالرّجل البخيل[4] الذي أنجبته امرأة حمقاء أمرها أهلها أن لا تُكلم زوجها عبد الملك حتى تَلِد،والتي كانت تثني الوسائد وتركبها كأنها دابة وتشتري الكندر (اللبان) فتمضغه وتعمل منه تماثيل وتضع التماثيل على الوسائد وقد

---

(1) الأغاني ج 1 ص 317.

(2) التاج ص 39.

(3) الجاحظ ، التاج ص 39.

(4) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8ص 284 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 261، ابن كثير ، البداية والنهاية ج 9 ص 352 ، 353،ابن طباطبا، الفخري،ص 104 ،المسعودي،مروج الذهب ج 3 ص 222.

سَمَّتْ كلّ تِمْثَال باسم جارية وتنادي يا فلانة ويا فلانة [1] كما وصف سليمان بالرجل الأكول الذي " أكل في مجلس سبعين رُمّانة وخروفا وستّ دجاجات ومكوك[2] زبيب طائفي"[3] ووُصف الوليد بن عبد الملك بالرجل الذميم السائل الأنف[4] واتهم مروان بن محمد باتباعه للمذهب الجعدي[5] لأن جعد بن درهم كان معلمه في الصغر[6]!

لقد حاول بعض المغرضين الارتكاز في ذمهم لآل أمية على القرآن والسنة ، وقالوا: إن الله لعنهم وقصدهم في قوله " الشجرة الملعونة " الواردة في سورة الإسراء [7] مع أن القرطبي [8] يفسرها تفسيرا ماديا حيث يقول " ولم يَجْرِ في القرآن لعن هذه الشجرة ،ولكن الله لعن الكفار وهم آكلوها . والمعنى : والشجرة الملعونة في القرآن آكِلوها . ويمكن أن يكون

(1) هي عائشة بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم الطبري ، تاريخ الأمم ج 8 ص 180 ، ابن الأثير ، الكامل ج 5 ص 124 .

(2) المكوك هو طاس يشرب به أعلاه ضيّق ووسطه واسع ،ومكيال قديم يختلف مقداره باختلاف اصطلاح الناس عليه في البلاد ، مجمع اللغةالعربية،المعجم الوسيط ج 2 ص 881.

(3) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص 269.

(4) الذهبي ،العبر في خبر من غبر،ج 1 ص 114.

(5) ابن الأثير ،الكامل ج 5 ص 429 ، أبو الفدا ،مختصر أخبار البشر ج 1 قسم 1 ص 212،السيوطي ، تاريخ الخلفاء،ص 307.

(6) من أصحاب الآراء المنحرفة وممن أتهموا بالزندقة ، عاش بشمال العراق في أواخر حكم الدولة الأموية ، من أقواله " أن النظر الذي يُوجد المعرفة تكون تلك المعرفة فعلا لا فاعل لها"يُذكر أن الجَعد كان أول من قال بخلق القرآن مما أثار الفتنة بعد ذلك في خلافة الرشيد ، قتله خالد القسري بأمر من الخليفة هشام عام 118 هـ (736م) الحنفي (صدر الدّين محمد بن علاء الدين الأذرعي الصالحي الدمشقي) شرح العقيدة الطحاوية ، حققها جماعة من العلماء ، خَرّج أحاديثها محمد ناصر الدّين الألباني ، طبع لصاحبه زهير الشاويش بيروت 1399 ص 590 ، أحمد عطية الله،القاموس الإسلامي ج 1 ص 611.

(7) الطبرسي (أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي) مجمع البيان في تفسير القرآن تصحيح وتحقيق وتعليق هاشم الرسول المحلاتي وفضل الله اليزيدي الطباطبائي ،دار المعرفة للطباعة والنشر،لبنان 1406 هـ / 1986 هـ ط1 ج 5 ص 652.

(8)(أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي)، الجامع لأحكام القرآن ، دار الكتاب العربي،بيروت ج 9 ص 286.

هذا على قول العرب لكل طعام مكروه ضارّ ملعون " ويواصل قائلا :" قال ابن عباس : "الشجرة الملعونة هي هذه الشجرة التي تلتوي على الشجر فتقتله ، يعني الكشوث"[1] وما نرى تأويل هذه الآية وتخصيصها " إلاّ ابتغاء الفتنة "[2] .

هذا وقد نسب هؤلاء عددا لا يحصى من الأحاديث اللاعنة لآل أمية للرسول (ﷺ) التي من بينها أنّه (ﷺ) قال : إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه "[3] الحديث الذي يراه ابن تيمية[4] كاذبا حيث يقول : " أما ما ذكره من أن النبيّ صلى الله تعالى عليه وسلم لعن معاوية وأمر بقتله إذا رُئِيَ على المنبر فهذا الحديث ليس في شيء من كتب الإسلام التي يُرجع إليها في علم النقل وهو عند أهل المعرفة بالحديث الكَذب موضوع مختلق على النبي...لم يُذّكَر له إسنادٌ " ثم يقول : إن :" الرسول لم يكن ليزرع الفتنة حتّى يقول بقتل معاوية ، ثم لو يُقتل معاوية لمجرد صعوده المنبر أوجب قتل كلّ من جاء بعده ذلك لأنه كان أخير منهم كلهم[5] .

في الواقع،لقد تحامل المؤرخون على تشويه التاريخ الأموي ، ويجب أن نذكر أنهم على الرغم من اجتهادهم في تصوير آل أمية وعظمائهم مستهترين بالدين الإسلامي فإنّهم تركوا بعض الفجوات التي تُعبّر عن مدى وضوح الإسلام في حياتهم وحكمهم . ولا يجب أن نضع الصّحابي الجليل معاوية في الميزان لأنه أعظم وأجلّ من ذلك . أما ابنه يزيد فقد رأينا وصفا لالتزامه واجتهاده في دينه من ابن الحنفية ، أما عبد الملك ابن مروان الذي قيل

---

(1) تسمى بالفرنسية CUSCUTE وتسمى " الحامول " في مصر " والهالوك " في الشام وهي جنس نباتات طفيلية مضرة من فصيلة " المحموديات " سوقها صُفر أو شقر، خيطيّة طوال تلتفّ على مُضيفها وتنشب فيه زوائد ماصّة تمصّ نسغه ولاورق لها أنواعها كثيرة . EMIR MOUSTA-Pha CHEHABI, DICTIONNAIRE DES TERMES AGRICOLES p205.

(2) سورة آل عمران آية رقم 7.

(3) ابن تيمية،منهاج السنة النبوية،ج 2 ص 201.

(4) نفس المصدر والصفحة.

(5) ابن تيمية ، نفسه ج 2 ص202.

عنه " ولَدَ الناسُ أبناء وولد مروان أباً "[1] لكثرة علمه ورجاحه عقله ، فكان يُعتبر من أفْقَهَ الفقهاء حتى أن ابن عمر رضى الله عنهما أجاب من سأله: " مَنْ يُسْأَلُ بعد الصَّحَابة " قال: " إن لمروان إبناً فيها فاسألوه " [2] أما الوليد بن معاوية فقد شهد عهده أعظم بناء وتعمير وتزيين للمساجد[3] فقد أمر بتوسيع المسجد النبوي وبنى مسجد دمشق وكان يُقسِّم قِطَعَ الفِضَّة على قُرَّاء مسجد بيت الأقصى [4] حتى لا يَكلّوا من القراءة وشجّع الفتوحات الإسلامية حتى فتحت في عهده فتوحات عظيمة كأيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه[5] أثبتت ببناء المساجد في كل أرض تفتح[6] أما سليمان بن عبد الملك فقد اعتُبر من خيار خلفاء آل أمية كان يَحُثّ على الدين الصحيح ونظر في أمر مواقيت الصلاة ونهى الرعية عن الغناء[7] كما أنه كان دائم التأثر بالفقيه " رجاء بن حيوة "[8] ويقال إن عمر بن عبد العزيز اتبع مبادئه الإسلامية وأجتهد فيها[9]، وأما يزيد بن عبد الملك فقد سبق أن رأينا كيف يتعجب كارل برو كلمان ويقول : " إنه لمن العسر أن ينسب إلى مثل هذا الرجل من العاطفة ما جعله يحزن لوفاة جارية من جواريه حتى مات ."[10] أما هشام بن عبد الملك فإننا

(1) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ص 257.

(2) نفس المصدر والصفحة .

(3) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج 4 ص 206 ، الذهبي ،العبر في خبر من غبر، ج 1 ص 102 .

(4) السيوطي ، تاريخ الخلفاء، 266.

(5) السيوطي ، نفس المصدر، 267.

(6) نجدة خماش، الإدارة في العصر الأموي ص 161 ، محمد أحمد محمد ، بخارى في صدر الإسلام ص 97.

(7) السيوطي ، تاريخ الخلفاء، 269.

(8) فقيه واعظ ، اشتهر أمره إبان العصر الأموي ، وهو أبو المقدام رجاء بن حيوه بن جرول الكندي اتصلت سيرته بالخليفة سليمان بن عبد الملك ، وهو الذي أشار عليه باستخلاف عمر بن عبد العزيز ، ترددت في كتب السيرة ، أخباره مع الخليفتين وكلها تدور حول زهده وحكمته ومدى تأثر الخليفتين بشخصيته ، توفي عام 112 هـ (730م) في خلافة هشام ، ابن قتيبة ، المعارف ص 208 ، أحمد عطية الله، القاموس الإسلامي ج 2 ص 499.

(9) عبد العزيز الدّوري ، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، ص 67.

(10) تاريخ الشعوب الإسلامية ص 152.

نلمس درجة إيمانه وخشوعه مما قاله السيوطي[1]:" إِنَّهُ [هشام] كان حازما عاقلا. لا يَدْخُل بيتَ ما! ما! حتى يشهد أربعون قسّامة :" لقد أخذ من حقه ، ولقد أعطى لكل ذي حق حقّه" كما يُذكر أنه تفقد بعض ولده لم يحضر الجمعة فقال له " ما منعك من الصلاة " قال" نفقت دابتي " قال " أفعجزت عن المشي فتركت الجمعة " فمنعه الدّابّة سنة.[2] ويُذكر أنه كان جادا في فرض تطبيق الشريعة المحمدية على رعيته ويبدو أنه كان ينشر عمالا للنظر في ذلك، فقد جيء إليه برجل عنده قِيان وخَمْر و بَرْبَط فقال " اكسروا الطنبور على رأسه " وضربه فبكى الرّجل وهو شيخ ولما حاول بعض العمال تصبيره قال :" أتراني أبكي للضرب؟ إنما أبكي لاحتقاره [-يقصد هشام-] للبربط إذْ سمّاه طنبورا "[3] ثم إن هشاما كان رجلا متواضعا يرفض المواكب والمظاهر و الأبهة ويكفي دليلا على ذلك أنه عند موته ما وجدوا قُمْقُمًا لِتَسْخِين الماء لتغسيله حتى استعاروا واحدا من بعض الجيران[4] وأنه ظل لسنين طويلة من خلافته يلبس قباء أخضر كان يلبسه قبل خلافته ولم يغيره[5]. أما اتهامه بالبخل فذلك لأنه كان ضابطا في دواوينه حتى قال عنه عبد الله بن علي العباسي[6]:" جمعت دواوين بني مروان فلم أرَ ديـوانا أصحّ ولا أصلح للعامة والسلطان مِن

---

(1) تاريخ الخلفاء ص 296.

(2) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 285 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 262.

(3) الطبري ، نفس المصدر والصفحة ، ابن الأثير ، نفس المصدر والصفحة .

(4) الطبري ،نفسه ج 8 ص 284 ، ابن الأثير ، نفسه ج 5 ص 261.

(5) الطبري، نفسه ، ج8 ص 285، ابن الأثير ، نفسه ج 5 ص 261.

(6) هو عبد الله بن عبد الله بن العباس الهاشمي العباسي : أمير، هو عمّ الخليفة أبي جعفر المنصور وهو الذي هزم مروان بن محمد بالزاب ، وتبعه إلى دمشق ، وفتحها وهدم سورها وقتل من أعيان بني أمية 80 رجلا بأرض الرّملة، ومهد دمشق لدخول السّفّاح ، وظل أميرا على بلاد الشام ولما ولي المنصور خرج عبد الله عليه ،ودعا إلى نفسه ، فأنتدب المنصور لاخضاعه أبا مسلم الخراساني فقاتله " في نصيبين " فانهزم عبد الله واختفى ، وصار إلى البصرة فأمنه المنصور ، فاستسلم ،وأشخص على بغداد وحبس بها ، فوقع عليه البيت الذي حبس فيه فقتله . الزركلي، الأعلام ، ج 4 ص 241.

ديوان هشام".[1] وهو إن عُرف بجمع المال فللأمة الإسلامية [2] وليس ليعود له و لأهله بَنِي مروان الذي منع عنهم العطاء إلا مَنْ يغزو منهم.[3] ونذكر هنا أحد الأبيات قالها هشام تعبّر عن اجتهاده في السّمو بأخلاقه يقول فيه :

إذَا أَنْتَ لَمْ تَعْصِ الهَوَى قادَكَ الهَـوَى إلَى بَعْضِ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَال [4]

أما عن الوليد بن يزيد فإنّنا نكتفي فقط بطرح سؤال أتصوّر أنه كان من الواجب أن يطرحه كلُّ من اتّهمه بالزندقة و المجوسية والكفر : أليس من عجائب الأقدار أن يُقتل الوليد وهو يقرأ القرآن[5] راغبا أن يلاقي حتفه وكلام الله بيده ؟ بعدما سأل قاتليه عن سبب قتله موضحا لهم أنه لم يقترف ذنبا إذْ قَالَ :" أَلَمْ أرفع المؤن عنكم (يقصد الرعية) ألم أعط فقراءكم ألم أخدم زمناكم (المرضى المزمنين) ؟"[6] وعندما أجابوه أنهم يقتلونه انتقاما لاستخفافه بأمر الله : قال :" حسبك يا أخا السّكاسك [– رجل من الذين بعثهم يزيد لقتل الوليد] فَلَعَمْرِي لقد أكثرت وأغرقت ،وأنّ فيما أحل الله سعة عما ذكرت "[7] أمّا يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، فقد عرف بالنسك والتواضع[8] والعدل وحبّ الخير والحق [9] ويكفي توضيح مدى درجة تطبيقه للإسلام أنه خطب الرّعية واعداً ببعض الإصلاحات ثم قال :" وإن لَمْ أَفِ فلكم أن تخلعوني إلا أن أتوب ،وإن علمتم أحدا ممن

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 285 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 262 .

(2) الطبري ، نفس المصدر، ج 8 ص 284 ، ابن الأثير ، نفس المصدر، ج 5 ص 261.

(3) الطبري ،نفسه ج 8 ص 285.

(4) السيوطي ، تاريخ الخلفاء، ص 297.

(5) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 9 ص 12 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج 5 ص 288 .

(6) الطبري ، نفس المصدر والصفحة ، ابن الأثير ، نفس المصدر، ج 5 ص 287 ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج 10 ص 4.

(7) الطبري، نفسه، ج9ص12،ابن الأثير، نفسه، ج 5 ص 287 .

(8) الطبري، نفسه ج9 ص 3،ابن الأثير، نفسه ج 5 ص 281 ، ابن طباطبا، الفخري ، ص 106 .

(9) ابن كثير ، البداية والنهاية ج 10 ص 16 ، البلخي، البدء و التاريخ، ج 6 ص 53 ، الحنبلي، شذرات الذهب من أخبار من ذهب، ج 1 ص 167.

يعرف بالصلاح يعطيكم من نفسه مثل ما أعطيكم وأردتم أن تبايعوه فأنا أول من يبايعه . أيها الناس لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"[1] ويكفي أن نقول:إنه حاول إبعاد أهله ورعيته عن كل ما يسيء إلى الدين حيث يذكر أنه قال :" يا بني أمية إياكم والغناء ، فإنه ينقص الحياء ويزيد في الشهوة ، ويهدم المروءة وأنه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل المسكر ..."[2] ثمّ إن الرّعيّة كانت محبّة له ويظهر ذلك في قول أحد الشعراء فيه:

رأيت اليَزيدَ بْنَ الوَليدِ مُبارَكاً شَديداً بأَعْباءِ الْخِلاَفَة كَاهِلُه.[3]

وأما مروان بن محمد فقد وُصف بالشجاعة والحزم و الفروسية والإقدام والرجولة والدّهاء[4] لم يُعْرَف أنه هنئ بالخلافة يوما لكثرة مَنْ خَرج عليه من كل جانب فقد عاش حربا دائمة عُرف فيها بكثرة الصبر لذا لقب بمروان الحمار .[5]

وفي الأخير،نقف لنتساءل ، هل كانت ستنجح الفتوحات التي شهدها العصر الأموي وخلفاء الأمة يعيشون سكارى مولعين ببعض الجواري يَسْبَحُون مع المغنين في الخيال يَسمرون الليل وينامون النّهار غائبين عن واقع خلافتهم ورعيتهم ؟ ونتساءل أيضا لماذا بقيت الدّولة الأموية موحدة طيلة عصرها ولم ينتهز الولاة وغيرهم فرصة انشغال الخلفاء في ملذاتهم ويعلنون الاستقلال بالمناطق التي كانوا يشرفون عليها ؟

لاشك أن التاريخ الأموي تعرض أكثر من غيره إلى تشويش وتشويه وطمس الحقائق من أعدائه الكثر الذين تمثلوا في الشيعة والزبيريين والعباسيين الذين رغبوا في الخلافة وفي الخوارج الذين جعلوها حقًّا لكل مسلم كُفْء وأيْضاً الشعوبيين الذين هدفوا إلى الإطاحة بالحكم العربي وأيضا في المستشرقين ، وبخاصّة منهم الألمان الذين دافعوا عن قوميتهم

(1) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ص 304 ، ابن الأثير ،الكامل ج 5 ص 292 ، ابن طباطبا ، الفخري ،ص107.

(2) السيوطي، تاريخ الخلفاء،ص 304.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية،ج 6 ص 239.

(4) السيوطي ، تاريخ الخلفاء،ص 307 ، ابن الأثير ، الكامل،ج 5 ص 429 ، ابن طباطبا ،الفخري، ص 105 .

(5) السّيوطي ، نفس المصدر و الصفحة ، ابن الأثير ، نفس المصدر والصّفحة ، ابن طباطبا ، نفس المصدر والصفحة.

بالإساءة إلى الأمويين ، الذين عَدُّوهم حَامِلِي لِوَاءِ التوسّع والاستعمار في القارة الأوروبية[1] هذا فضلا عن الكثير من المحدّثين الذين نقلوا عن قصد ودون قصد من كتب المستشرقين معتبرين الحقائق التي توصلوا إليها نظريات [2]

ولا نَشك أبدا في أمر التشويه إذا ما عرفنا أن تاريخ بني أمية لم يُدوّن في عهدهم بل دُوّن أثناء وجود الدولة العَدُوّة ؛ الدولة العبّاسية ، و بالذات في القرن الهجري الثالث[3] اعتمد في ذلك على ما حملته الذاكرة الإنسانية من أخبار[4] خاضعة للأهواء الشخصية والسياسية ، ويجب أن نذكر هنا أن المؤرخين عملوا على التقرّب إلى السلطة بالإساءة إلى الأمويين بعدما أدركوا ذلك التشجيع على تشويه تاريخ آل أمية من الخلفاء العبّاسيين أنفسهم ، وأدلتنا على ذلك كثيرة ، فقد ذكرت بعض المصادر[5] أن الخليفة المأمون (198-218هـ /813-833م) طلب في سنة (211هـ- 729هـ) من مناديه أن ينادي " برئت الذمّة ممن ذكر معاوية بخير أو فضّله على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم " وهذا بعدما لاحظ ميلاً كبيرا من رعيته لمعاوية بل أن أبا بكر بن العربي [6] يتحدث عن ظاهرة شاعت في بغداد وهي كتابه عبارة " خير النّاس بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ،ثم علـيّ ثـم معاوية خال المؤمنين رضى الله

---

(1) فاروق عمر ، الجذور التاريخية للوزارة العباسية،دار الشؤون الثقافية العامّة بغداد 1986 ط 1 ص 179، إبراهيم بيضوت ، الدولة الأموية والمعارضة،ص 13 و 14.

(2) فاروق عمر ، الجذور التاريخية للوزارة العباسية)ص 179.

(3) صلاح الدين محمد نوار ، نظرية الخلافة أو الإمامة،ص 102 ، أحمد شلبي ، التاريخ الإسلامي والحضارة الاسلامية ج 3 الخلافة العباسية ص 17.

(4) عبد المنعم ماجد ، مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامي ، مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة 1971 ط 3 ص 33.

(5) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 10 ص 278 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 6 ص 406،المسعودي ، مروج الذهب ج 4 ص 40 ، السيوطي،تاريخ الخلفاء،ص 366.

(6) العواصموالقواصم ص 219 وما بعدها .

عنهم [1]" على العديد من أبواب مساجد بغداد كما أن الخليفة المعتضد العباسي(279-289 هـ/ 892-901 م) عزم في (284هـ/897 م) على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر " وأمر بإنشاء كِتَاب يُقرأ على الناس ، وهو كِتَابٌ طويل قد أحسن كتابته ، إلا أنه قد استدل فيه بأحاديث كثيرة على وجوب لَعْنِه عن النبي (ﷺ) لا تصح وذكر في الكتاب يزيد وغيره من بني أمية ،وعُمِلَتْ به نُسَخٌ قرئت بجانبي بغداد ...ونهى الذين يسقون الماء في الجامعين أن يترحّموا على معاويّة أو يذكروه ".[2] ثم إن العباسيين لم يقفوا عند هذا الحدّ بل عمدوا إلى تزوير الحقائق التاريخية المعروفة وصاروا ينسبون لأنفسهم مآثر أعدائهم وينحلون ما قيل فيهم من طيب الشعر والمديح،[3] فبدّلوا اسم عبد الملك بن مروان الأموي باني قبة الصخرة [4] في القدس باسم" المأمون " لكنه غرب عن بالهم أن يبدلوا سَنَة بِنَاءِ القبة (72 هـ / 691 م) بغيرها من سنين خلافة المأمون [5] كما أنهم لم يتركوا حسنة لبني أميّة إلا وأتوا عليها ، وأخذوا يضطهدون من والاهم أو ساعدهم أو انتسب إليهم ، فقد أمر الخليفة المأمون بإبعاد آل زياد بن عبيد الذين قرّبهم معاوية عن نسبهم القريشي ، على الرغم من أن الخليفة المهدي (158-169هـ /774-784م) قد ردّه إليهم في سنة (160 هـ 776 م)[6]، هذا فضلا عما أمر به الخليفة المستعين (248- 252هـ/ 862 – 866 م) في سنة

---

(1) معاوية خال المؤمنين ، لأنه أخو أمّ المؤمنين رملة بنت أبي سفيان المشتهرة بكنيتها أم حبيبة . إبن تيمية،منهاج السّنة النبوية،ج 2 ص 198 . تعليقات محبّ الدين الخطيب،العواصم والقواصم ص 220.

(2) ابن الأثير،الكامل في التاريخ ج 7 ص485 وما بعدها . السيوطي ، تاريخ الخلفاء،ص 433.

(3) الجوزي بندلي صليبا،دراسات في اللغة والتاريخ الاقتصادي ص 61 . زكي مبارك ، جناية أحمد أمين على الأدب العربي ، عرض و دراسة حسين خريس ،منشورات المكتبة العصرية ، بيروت صيدا (د.ت) ص 135.

(4) قبّة الصخرة تعرف خطأ باسم مسجد الصخرة ومسجد عمر ، ذلك أنها ليست مسجدا و بالتالي ليست المسجد الذي رُوِيَ أن عمر رضى الله عنه قد أقامه عندها يوم زار القدس عام 16 هـ وقبةالصخرة بناء حجري ثُمَانِي الأَضْلاَع لهذا تُعرف جدرانه بالتثمينات تُتَوّجه قبة كبرى أصبح يعرف بها . أحمد عطية الله ،القاموس الإسلامي ج 4 ص 256.

(5) الجوزى بندلي صليبا ، دراسات في اللغة و التاريخ ص 61.فلهوزن ، تاريخ الدّولة العربية ص 206.

(6) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 9 ص 335 . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 6 ص 47 .

(250 هـ / 864 م) من إسقاط من مراتب من كانت له مرتبة في دار العامّة من بني أميّة، كأبي الشوارب والعثمانيين .[1]

هذا وقد كتب مؤرخو الشيعة[2] التاريخ الأموي مندفعين من عواطفهم الهائجة التي أملت عليهم ما يسيء كثيرا إلى العصر الأموي ، ولم يرتبطوا بالعصر العباسي فقط ، بل لقد ظهر من المحدثين[3] من كتبوا بعاطفة جياشة أكثر من الأقدمين والملاحظ أن هؤلاء جميعهم اجتهدوا في جعل إسلام آل أمية نفاقا وفي جعل العداوة بين بني هاشم وبني عبد شمس قديمة ودموية منذ ميلادهما ، حيث يعطي المقريزي [4] دليلا خرافيا عن ذلك قائلا :" إن هشاما وعبد شمس ولدا توأمين ، خرج عبد شمس في الولادة قبل هاشم ، وقد لصقت إصبع أحدهما بجبهة الأخر فلما نزعت دمى المكان فقيل سيكون بينهما أو بين بنيهما دمٌ ، فكان كذلك " مع أننا نفهم من الواقدى[5] أن بني عبد شمس كانوا من جملة المتدلين في عداوة محمد (ﷺ) بل أنهم في الكثير من الأحيان كانوا كارهين للمسير لقتال المسلمين " حتى أصبحت قريش تعرف ذلك منهم " ثم أن أبا سفيان كان صديقا للعباس بن المطلب ونديما له .[6] ولم تبدأ الكراهية التي لم تكن بين آل أمية وكل آل هاشم بل فيما بينهم وبين عليّ رضى الله عنه إلا ابتداء من معركة بدر في السنة الهجرية الثانية (623 م) ذلك لأنه قَتل وحده أَرْبَعةً من بني عبد شمس[7] .

---

(1) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 7 ص 134.

(2) ينظر المقريزي ، النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم ، الطبرسي ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، ابن طباطبا ، الفخري في الآداب السلطانية ، المسعودي ، مروج الذهب، أبو الفرج الإصفهاني ، مقاتل الطالبين .

(3) ينظر محمد أبو زهرة، الإمام زيد حياته وعصره آراؤه وفقهه ، ناجي حسن ، ثورة زيد بن علي .

(4) النزاع والتخاصم ص 37 و 38.

(5) الواقدي (محمد بن عمر بن واقد) المتوفّى في (207هـ) كتاب المغازي تحقيق ، مارسدن جونس عالم الكتب بيروت (1403 هـ / 1984 م) ط 3 ج 1ص 37.

(6) القرطبي، الاستيعاب في أسماء الأصحاب ج 4 ص 986، حسين مؤنس، مقدمة النزاع والتخاصم ص9

(7) حسين مؤنس ، مقدمة النزاع والتخاصم ص 9.

ومن جانب آخر نرى الشعوبيين يتحاملون في كتاباتهم لتاريخ آل أمية ،وأخطر ما تركوه هي تلك المصادر التي سلكوا فيها طريقا بين الأدب والتاريخ صَبّوا فيها قصصا خيالية تفوق قصص ألف ليلة وليلة محتواها دائما الغرام و الغناء والرقص والجنس،وجعلوا أبطالها شخصيات معروفة ومحترمة من التاريخ الأموي والإسلامي خلفاء كانوا أو فقهاء أو علماء بل وحتى من أسرة الرسول (ﷺ).ولا شك أن كتاب الأغاني للأصفهاني الذي يَزعم أنه أموي النّسب حتى يُصدّق[1] يعتبر أخطر مصدر من نوعية هذه المصادر ،وقد شهد ابن الجوزي عليه بالكذب والتلفيق حيث يقول :"...ومثله لا يوثق بروايته ، يصرح في كتبه بما يوجب عليه الفسق ،ويهوّن شرب الخمر و ربما حكى ذلك عن نفسه ،ومن تأمل كتاب الأغاني ، رأى كل قبيح منكر "[2].

وفي الأخير ،وتأكيدا على مدى تشويه التاريخ الأموي نقول : إن العصر العبّاسي عرف في بدايته انتفاضات كثيرة قامت تطالب بعودة الأمويّين وخصوصا في سوريا وفلسطين والجزيرة [3] التي نذكر منها انتفاضة حبيب بن مرّة المريّ أحد قادة الخليفة مروان بن محمد [4] وانتفاضة أبي الورد[5] (أحد أصحاب مروان) وانتقاضه أهل البثنية وحوران وقنسرين وحمص وتدمر ودمشق [6] في الشام وأهل قرقسيا والرّقة وحران في الجزيرة .[7] وعلى الرغم من أن العباسيين تمكنوا من التغلب على كل هذه الانتقاضات فإنهم لم يتمكنوا

---

(1) وليد الأعظمي ، السّيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني ، شركة الشهاب الجزائر ص 60.

(2) ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي) المتوفى في 597 هـ المنتظم في أخبار الملوك والأمم ، حيدر آباد (1359 هـ) ج 7 ص 40 و 41.

(3) الجزيرة اسم أطلقه جغرافيّو العرب على الإقليم الشمالي لبلاد ما بين النهرين (دجلة والفرات) ويعرف كذلك بالجزيرة الفراتية وتشمل الإقليم الذي يمتد في شمال الأنبار وتكريت • كي لسترنج،بلدان الخلافة الشرقية ص 114 وما بعدها ، أحمد عطية الله،القاموس الإسلامي ج 1 ص : 608.

(4) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 9 ص 139 • ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص432 .

(5) الطبري ، نفس المصدر والصفحة • ابن الأثير ،نفس المصدر والصفحة .

(6) الطبري ، نفسه.ابن الأثير ، نفسه .

(7) الطبري ، نفسه ج 9 ، ص 139 و 140 • ابن الأثير ، نفسه ج 5 ص 134 و 435.

لقد حاول محمد ضياء الدين الرّيس [1] إبعاد مقولة أن خلافة معاوية ليست خلافة بل ملكا كسرويا ،واعتبرها خلافة تامة ذلك لأن الإجماع في نظره لا يعني أن الناس كلها تجتمع على شخص واحد بل معناه أن الصحابة والمسلمون اجتمعوا على وجوب قيام الخلافة أي المبدأ أيا كان الشخص الذي يختار " لكنّ لِا بْنِ تَيْمِيّة [2] حكماً آخر ، فهو يُجيز تسمية من جاء بعد الخلفاء الراشدين خلفاء ، لكنه لا يضع خلافتهم في نفس درجة الخلفاء الراشدين ، ذلك لأن الخلافة الراشدية كانت خلافة نبوّة ، أما من جاء بعدهم ، فيسميها خلافة الملك أو خلفاء الملوك .

لقد كان معاوية رضى الله عنه مقتنعا أن خلافته دون خلافة الراشدين حيث إنه كان يعترف قائلا : " أنا أوّل الملوك وآخر خليفة " [3] على الرغم من أن حكمه كان مثاليا في العدل والتراحم والتأسي . ولاشك أن حكم ابن تيمية كان ناتجا على سياسة التوريث في الخلافة التي بدأها معاوية والتي لها ما يبرّرها عند ابن خلدون الذي[4] يقول :" ...والذي دعا معاوية لإِ يثَار ابنه يزيد بالعهد دون من سواه ، إنما هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحلّ والعقد عليه حينئذ من بني أمية ، إذ إن بني أمية يومئذ ، لا يرضون سواهم ، وهم عصابة قريش وأهل الملّة أجمع ، وأهل الغلب منهم ، فآثره بذلك دون غيره ممن يظن أنه أولى بها ... ولا يُظن بمعاوية غير هذا فعدالته وصحبته مانعة عن سوى ذلك " ويواصل قائلا[5] " وحضور أكابر الصحابة لذلك وسكوتهم عنه دليل على انتفاء الرّيب فيه ، فليسوا ممن تأخذهم في الحَقّ هوادة ، وليس معاوية ممن تأخذه في

---

(1) الاسلام والخلافة في العصر الحديث (نقد كتاب الإسلام وأصول الحكم) دار التراث القاهرة(دت)ص 248 و 250

(2) الفتاوى الكبرى ج 35 ص 20 و ما بعدها .

(3) تعليقات محبّ الدين الخطيب،العواصم والقواصم ص 216.

(4) ابن خلدون (عبد الرحمان ولي الدّين بن عبد الرحمن بن خلدون)،المقدمة،الدار التونسية للنشر ، تونس 1984 ج 1 265 .

(5) ابن خلدون ، المقدمة،ج 1 ص 265.

العزّة في قَبول الحق ، فإنّهم كلهم أجل من ذلك ..." وتأكيدا لنظريته يقول [1] :" أفلا ترى إلى المأمون [2] ما عهد إلى عليّ بن موسى بن جعفر الصادق وسمّاه الرّضا كيف أنكرت العباسية ذلك ، ونقضوا بيعته وبايعوا لعمه إبراهيم بن المهدي وظهر من الهرج والخلاف وانقطاع السّبل وتعدّد الثوار والخوارج ما كاد أن يصطلح الأمر حتى بادر المأمون من خراسان إلى بغداد وردّ أمرهم لمعاهِدِه ".

صحيح أن مبدأ الشورى في انتخاب الخليفة كان أفضل بكثير من مبدإ ولاية العهد لكن معاوية اجتهد حتى لا يحدث في الأمّة الإسلامية مجزرة لا ترقأ فيها الدماء[3] وأن الخلافة قد حُصرت في آل أمية بعد ذلك فلم تكن تمشي على المبدإ الوراثي الذي نفهمه في العصر الحديث،الذي يجعل حتمية تَوَلي الابن بعد الأب فنحن لا نعرف إلا أربعة خلفاء أمويين عهدوا الأمر لأبنائهم من بعدهم وهم معاوية بن أبي سفيان وأبنه يزيد ومروان بن الحكم[3] وابنه عبد الملك كما أن نظام أخذ البيعة،أي موافقه أعيان الناس ، ظلّ أساسيًا إلى نهاية العصر الأموي [5]. فالحكم الأموي لم يكن أبدًا مُلكا كسرويا ، أو على الأقلّ نقول:إنه ظل أكثر قربا إلى الخلافة الراشدية منها إلى الملكية،وهذا ما عبر عنه المستشرق هاملتون[6]

---

(1) ابن خلدون ، المقدمة،ج 1 ص 266 .

(2) هو عبد الله أبو العباس بن الرشيد ،ولد سنة سبعين ومائة في ليلة الجمعة منتصف ربيع الأول ، وهي الليلة التي مات فيها الهادي ، واستخلفه أبوه ، أمه أمّ ولد اسمها مراجل " ماتت في نفاسها به ، مات يوم الخميس لأثنتي عشرة بقيت من رجب سنة ثمان عشر " بالبدّ يُودُون " من أقصى الرّوم ،ونقل إلى " طرسوس " فدُفن بها ، السّيوطي تاريخ الخلفا ،ص 364و 371.

(3) تعقيبات محبّ الدين الخطيب ، العواصم و القواصم ص 222.

(4) هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن قهر بن مالك بن النصر بن كنانة يُكَني أَبا عبد الملك بايع له أهل الشام بعد وفاة معاوية بن يزيد ، استمرت ولايته عشرة أشهر ثم مات في سنة 65 هـ - ابن قتيبة،المعارف،ص 154.

(5) نجدة خماش ،الإدارة في العصر الأموي ص 98 ، صالح أحمد العلي ، خطط البصرة ومنطقتها دراسة في أحوالها العمرانية والمالية في العهود الإسلامية الأولى،مطبعة المجمع العلمي العراقي،العراق 1406هـ/ 1986 ص 104 .

(6) دراسات في حضارة الإسلام 48.

حيث قال :" ولعله من قبيل التناقض أن يلصق الناس بالأمويين تلك التهمة الشائعة ،وهي أنهم حولوا الخلافة إلى ملك، مع أنه لم يحدث أن مارس أموي مثل تلك السُّلطة الشخصية التي مارسها العباسيون أو ظهر بمثل تلك الأبهة الملكية التي ظهروا بها ".

أما يزيد بن معاوية فقد كان له أيضا نصيب كبير في التّهم والإشاعات حتّى لا نكاد نجد عنه خبرا طيبا . فابن طَبَاطَبَا [1] يصفه قائلا :" كان موفر الرغبة في اللهو والقنص والخمر والنّساء والشعر"،والمسعودي [2] يصفه قائلا :" كان يزيد صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود ومنادمة على الشراب...وغلب على أصحابه وعماله ما كان يفعله من الفسوق، وفي أيامه ظهر الغناء بمكة و المدينة ،واستعملت الملاهي وأظهر النّاس شرب الشراب ، وكان له قرد يكنّى " بأبي قيس " يحضره مجلس منادمته ويطرح له متكأ ،" وكان قردا خبيثا ...!!" ويذكر عنه ابن الأثير[3] " أنه حجّ في حياة أبيه ، فلما بلغ المدينة جلس على شراب ".

لا يُعْقَل أن يكون المقصود بهذه الأوصاف يزيد بن معاوية الذي لقب" بفتى العرب [4] لشجاعته وبسالته في ميادين الجهاد ضد البزنطيين ، والذي عُرف برجاحة العقل والعلم حيث شهد له الصحابي ابن عباس بذلك فقال يعنيه :" إذا ذهب بنو حرب ذهب علماء الناس"[5] والذي شهد له ابن الحنفية [6] بصحة دينه واجتهاده في التقرب إلى

---

(1) الفخري في الآداب السلطانية ص 91.

(2) مروج الذهب ج 3 س 77.

(3) الكامل في التاريخ ج 4 ص 127.

(4) تعليقات محبّ الدين الخطيب ، العواصم و القواصم ص 222.

(5) ابن كثير،البداية والنهاية ج 8 ص 228 ؛ تعليقات محبّ الدين الخطيب،العواصم والقواصم ص 229 .

(6) هو أبو القاسم محمد بن علي أخو الحسن والحسين من أبيه ، ولد بالمدينة عام 21 هـ (632م) أمه خولة بنت جعفر الحنفية تَفَقَّه في علوم الدين وروى الحديث عن عثمان ، كما عُرف بقوته وشجاعته بايع يَزيدَ بن معاوية ، ولما قُتِل الحسينُ طلب من يزيد الأمان كما قبل عطاءه ، توفي في سنة 81 هـ (700م) . أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ج 2 ص 171.

خالقه،[1] بل لقد شهد له الناس بذلك حتى إنهم أصبحوا لا يفضلون عليه أحداً.[2]

لقد كان في نية يزيد بن معاوية اتباع منهج حكم الخليفة عمر بن الخطاب،فيُروَى أن:" أباه سأله يوما كيف تراك فاعلا إن وُلّيت " قال :" كنت والله يا أبةً عاملا فيهم عمل عمر بن الخطاب ". فقال معاوية :" سبحان الله يا بنيّ ، والله لقد جهدت على سيرة عثمان فما أطقتها . فكيف بك وسيرة عمر "[3] ومع ذلك فقد حاول تطبيقه إلا أنه يظهر أن للبيئة وللناس دورا كبيرا في اختيار المنهج[4] . فها هو فتحي عثمان[5] ينبهنا إلى ذلك قائلا : " قد يظن من لا نظر له في حياة الشعوب وسياستها أن الحاكم يستطيع أن يكون كما يريد أن يكون ، حيثما يكون !!! وهذا خطأ فللبيئة من التأثير في الحاكم وفي نظام الحكم أكثر مما للحاكم ونظام الحكم من التأثير على البيئة ... ".وهذا ما عبر عنه

---

(1) يذكر أن عبد الله بن مطيع داعية ابن الزبير مشى في المدينة هو وأصحابه إلى ابن الحنفية وأرادوه على خلع يزيد ابن معاوية فأبى عليهم فقال ابن مطيع :" إن يزيد يشرب الخمر ويترك الصلاة ويتعدى حكم الكتاب ". فقال لهم:"ما رأيت منه ما تذكرون ، وقد حضرته وأقمت عنده فرأيته مواظبا على الصلاة ، متحريا للخير يسأل عن الفقه ، ملازما للسّنة ..قالوا :" فإن ذلك كان منه تصنعا لك ." فقال :" وما الذي خاف مني أوْرَجَا حتى يُظهر إليّ الخشوعَ فاطلعكم على ما تذكرون من شرب الخمر ؟ فلئن كان أَطْلَعَكُم على ذلك إنكم لشركاؤه ،وإن لم يكن أطلعَكُم فما يَحِلّ لكم أن تشهدوا بما لا تعلمون ". قالوا :" إنه عندنا لحق وإن لم نكن رأيناه " فقال لهم : " أبى الله ذلك على أهل الشهادة " إلا من شهد بالحق وهم يعلمون " ...ولست من أمركم في شيء " قالوا :" أفَلَعَلَكَ تَكْرَه أن يَتولّى الأمر غيرك، فنحن نوليك أمرنا " قال :" ما ستحل القتال على ما تُرِيدُونَني عليه تابعا ولا متبوعا ". وقالوا : " فقد قاتلتَ مع أبيك ؟ قال :" جيئوني بمثل أبي أُقاتِل على مثل ما قاتَل عليه " فقالوا:" فَمُرْ ابنك أبا القاسم والقاسم بالقتال معنا " . قال :" لو أمرتهما قاتلت " قالوا : " فقم معنا مقاما تحض الناس فيه على القتال " قال :" سبحان الله آمر الناس بما لا أفعله ولا أرضاه (...) إذن ما نصحت لله في عباده " قالوا :" إذن نكرهك " قال :" إذن آمر الناس بتقوى الله ، وألا يُرْضُوا المخلوقَ بسخط الخالق ". ابن كثير،البداية والنهاية ج 8 ص 233 ، تعليقات محبّ الدين الخطيب ،العواصم والقواصم ص 233 ، فتحي عثمان ،أضواء على التاريخ الإسلامي ص 202.

(2) ابن كثير ، البداية والنهاية ج 8 ص 143 ، تعقيبات محبّ الدين الخطيب،العواصم والقواصم 234.

(3) ابن كثير ، البداية والنهاية ج 8 ص 229 ، تعقيبات محبّ الدين الخطيب،العواصم والقواصم 216.

(4) محمد خضري بك ، تاريخ الأمم الاسلامية،ج 2 ص 210.

(5) أضواء على التاريخ الاسلامي،ص 211.

فيما بعد الخليفة عبد الملك بن مروان قائلا [1]: " إنكم لتسومون منا فعل أبي بكر وعمر ولَسْتم بِعَمل رَعيتهما. فأعان الله كلاً على كلٍّ ". إذن،لم يكن يزيدُ يُشْهِر سيفَهَ على المعارضين لو لم يبادروا بالثورة بل إنه لم يأمر بقتل الحسين في كربلاء،[2] برغم خروجه عليه فقد روى أنه تأثر كثيرا بالحادث ودمعت عيناه وقال : كنت أرضى من طاغيتكم [يقصد عبيد الله بن زياد] بدون قتل الحسين ، لعن الله ابن سمية ! أما والله لو أتى صاحبه لعفوت عنه فرحم الله الحسين ".[3]

بقي أن نقول: إن معاوية اهتم بتنشئة ابنه يزيد تنشئة إسلامية ، وأنه اختار له الخشونة والبداوة فبعثه لينشأ عند أخواله من قضاعة في البادية[4]، ولاشك أنه أعطاه الكثير من سياسته وعَلّمه كيف يُكثر الأحبابَ ويكسب الأعداء فكيف إذن يخرج عن طاعة ربه علنا في وقت كان لا يُقَوِّمُ الإنسان إلا بدينه ؟

أما الخليفة يزيد بن عبد الملك ، فقد وُصف بالخلاعة ،وأنه شغف بجاريتين اسم أحداهما سلامة واسم الأخرى حبابة.[5] وقالو إن حبابة غنت له يوما فأراد يزيد بن عبد الملك أن يطير فقالت :" يا أمير المؤمنين لنا فيك حاجة " فقال :" والله لأطيرن "،

(1) الاصفهاني (أبو القاسم حسين بن محمد الراغب) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت 1961 م ج 1 ص 163 .

(2) ياقوت الحموي ،معجم البلدان ج 4 ص 32.

(3) الطبري ، تاريخ الأمم والموك ج 6 ص 264 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج4 ص 84 ،الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص 261 ، تعليقات محبّ الدين الخطيب ، العواصم و القواصم ص 240 ، يوسف العش ، الدولة الأموية والأحداث ص 162 ، محمود شلبي ، حياة الحسين ص 234.

(4) تعليقات محب الدين الخطيب ، العواصم والقواصم ص 232.

(5) الطبري تاريخ الأمم ج 8 ص 179 ، ابن الأثير ، الكامل ج 5 ص 121 ، المسعودي ، مروج الذهب ، ج 3 ص 207 ، ابن طباطبا ، الفخري ص 102 ، ابن قتيبة ، المعارف،ص 159 ، أبو الفدا ،المختصر في أخبار البشر ج 1 قسم 1 ص 203 ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج9 ص 223،البلخي ، البدء والتاريخ ج 6 ص 48 ، ابن واصل الحموي، المتوفّى سنة (627 هـ) تجريد الأغاني،تحقيق طه حسين وإبراهيم الأبياري،الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة . قسم 2 ج 1 ص 1625.

فقالت: " فعلى من تدَعُ الأُمَّةَ ؟ " قال : " عليك" وقَبَّلَ يَدها .[1]

وقيل إن سبب موته أن حبابة هذه خرجت معه إلى ناحية الأردن ليتنزها فرماها بحبه عنب فدخلت حلقها فشرقت ومرضت وماتت ، فتركها ثلاثة أيام لم يدفنها حتى أنتنت وهو يشمها ويقبلها وينظر إليها ويبكي ، فكُلم في أمرها حتى أُذن في دفنها ،وبكى عليها حتى مات .[2]

وعن هذه الأوصاف التي وصف بها يزيد الثاني يقول المستشرق " كارل بروكلمان"[3] " ...إنه لمن العسير أن ينسب إلى مثل هذا الرجل من العاطفة ما جعله يحزن لوفاة جارية من جواريه حتى مات . فقد وَحَّد الإدارة في مكة والمدينة وأدخل إصلاحات على ديوان القبائل في مصر ...ليس هذا فحسب ، بل لقد حاول أن يعالج المظالم الناتجة عن إصلاحات عمر الثاني المالية ...وأصطنع في سياسة النصارى اتّجاهاً غير اتجاه عمر القائم على أساس الاحترام والود فلم يكتف بالاستيلاء على عدد من كنائسهم بل أمر إلى ذلك بتحطيم تماثيلهم الدينية " فكيف لسياسي مثل هذا أن يعيش مبهورا بجارية ويطير عند غنائها ، وهو خليفة عاقل مهاب ومحترم؟

أما الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، فيبدو أنه نال حصة الأسد من الإتهامات حيث اتفقت كل المصادر [4] التي اطلعنا عليها على وصفه بالماجن والخليع

---

(1) الطبري تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 179 ،المسعودي ، مروج الذهب ج 3 ص 209 ،ابن طباطبا،الفخري ص 102 ،ابن واصل الحموي ، تجريد الأغاني قسم 2 ج 1 ص 1627 ، ابن عبدربه،العقد الفريد،ج 4 ص 444 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 121.

(2) الطبري ، تاريخ الأمم ج 8 ص 179 ، ابن الأثير،الكامل ج 5 ص 121 ، ابن كثير،البداية والنهاية ج 9 ص 233،ابن واصل الحموى ، تجريد الأغاني،قسم 2 ج 1 ص 1628 ، البلخي ، البدء والتاريخ ج 6 ص 49 ، ابن عبدربه،العقد الفريد ، ج 4 ص 444.

(3) تاريخ الشعوب الإسلامية ص 152 ، اتبعه في دفاعه أيضا ، أحمد أمين ، يوم الإسلام،ص 1 7،وعطا سليمان، العدالة عند العرب ص 30.

(4) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 288 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 264،ابن طبا طبا ، الفخري ص 105 ، المسعودي ، مروج الذهب ج 3 ص 225 و 226 ، ابن قتيبة ، المعارف،ص 160 ، البلخي،=

والزنديق[1] .

من هذه المصادر نأخذ وصف ابن طَبَاطَبَا له [2] ذلك لأنه، وحسب ما يبدو، كان أَلْيَنَ وصف حيث يقول : " كان الوليد من فتيان بني أمية وظرفائهم ،وشجعائهم وأجوادهم وأشدائهم ، منهمكا في اللهو والشرب وسماع الغناء ، وكان شاعراً حسناً له أشعار حسنة في العتاب والغزل ووصف الخمر".

أما الوصف الذي لا يتصوره عقل عاقل ولا يَرْضَى به الحياء فقد جاء به الاصفهاني الذي من بين ما يَذكر أنه : " لما وُلِّيَ الوليدُ بن يزيد لهج بالغناء والشراب والصيد وحمل المغنين من المدينة وغيرها وأرسل إلى أشعب [- فكاهي-] فجيء به ، فألبسه سراويل من جلد قرد له ذنب ، وقال له أرقص وغنّ شعرا يعجبني فإن فعلت ، فلك ألف دهم"[3]. وذكر أيضا أنه " كان يخطب يوم الجمعة بشعر وهو سَكران وعلى جُنُبٍ "[4] كما نسبه إلى المجوس حيث ذكر أنه " كان يفعل ما يفعل المجوس ببناتهم "[5] ويظهره في جهة أخرى على صورة رجل مُجْنُون مَخْبول حيث يقول أنه ذكر وهو على المنبر أثناء الحج " إنه ولد زنا وكلّ من في الحج أولاد زِنا".[6]

ويذكر أيضا الأصفهاني [7] أن الوليد فتح المصحف ذات ليلة وقرأ قوله تعالى:"

= البدء والتاريخ ج 6 ص 51 و 52 و 53 ، أبو الفدا ،المختصر أخبار البشر ج 1 قسم 1 ص 205 ، ابن عبد ربه،العقد الفريد ج 4 ص 452 ، و 454 و 462 ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج 10 ص 76 ، ابن واصل الحموي ،تجريد الأغاني ج 7 ص 59 و 60 ، اليعقوبي ، تاريخه ج 2 ص 334 .

(1) الاصفهاني ، الأغاني ، ج 7 ص 4.

(2) الفخرى ، ص 105.

(3) الأغاني ج 7 ص 66.

(4) نفسه ج 7 ص 57.

(5) الأصفهاني ،نفسه ج 7 ص 60.

(6) الأصفهاني نفسه ج 7 ص 58.

(7) الأغاني ج 7 ص 49 ،وذُكر هذا أيضا عند المسعودي ، مروج الذهب، ج 3 ص 282 ، ومحمود مقديش ، نزهة الأنظار ص 202 . ينظر سورة إبراهيم الآيتان : 15 و 16.

وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ " فأمر بتعليقه ، ثم أخذ القوس والنّبل فرماه حتى مزقه ثم قال :

أتُوعِدُ كـلّ جَـبَار عَـنِيْد فَهَا أنَـا ذاك جَبَّار عنـيد

إذا مَا جِئتَ ربّك يوم حَشْر فقُلْ يَا رَبّ خرّ قني الوليد

هذا وهناك أوصاف أخرى ذكرها الأصفهاني [1] يخجل المرء من ذكرها لما تحمله من فضائح جنسية مخجلة ،وننهي القائمة بذكر خبر ورد عند بعض المؤرخين [2] يُبين أن " الخليفةَ هشام ولّى الوليدَ على الحج سنة ست عشرة ومائة ، فحمل معه كلابا في صناديق وعمل قبة على قدر الكعبة ليضعها عليها ،وحمل معه الخمر وأراد أن ينصب القبة على الكعبة ويشرب فيها الخمر ، فخوفه أصحابه وقالوا : " لا نأمن الناس عليك وعلينا معك". فلم يفعل " ونتساءل أين هم ثُقاة الأُمّة الغيوُرون على دينهم وهل كان الوليد مجنونا ينوي الإطاحة بخلافته وبحياته ؟

نبدأ ردّنا على هذه الاتهامات بما قاله الفقيه ابن عُلاثة للمهدي العباسي[3] حين سأله عن الوليد :" يا أمير المؤمنين الله أعظم وأجل من أن يولي خلافة النبوة وأَمْرَ الأُمَّة مَنْ لا يُؤْمِن به ..."[4] ويظهر أنّ المهدي اقتنع بهذه المقولة حيث يذكر أنه كان يرددها كلما ذُكر أن الوليد كان خليفة فاسقا[5] واقتنع بذلك أيضا ابنه الرشيد الذي يُذكر أنه كان يهوى

---

(1) ينظر الأغاني 7 ص 47 و ج 7 ص 58.

(2) الطبري ، تاريخ الأمم والموك ج 8 ص 288 ، ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ج 5 ص 264 ، اليعقوبي ، تاريخه ج 2 ص 334.

(3) اسمه محمد وُيكنى أبا عبد الله وأمّه أم موسى بنت منصور الحميرى ، استخلف بعهد من أبيه المنصور وهو ابن ثمان وثلاثين سنة وولّي عشر سنين وشهرا ومات في المحرم سنة تسع وستين ومائة وقد بلغ من السن ثمانية وأربعين سنة.ابن قتيبة ، المعارف،ص 166 .

(4) الاصفهاني ، الأغاني ج 7 ص 81 ، ابن واصل الحموي ، تجريد الأغاني قسم 1 ج 2 ص 835.

(5) ابن الأثير ، الكامل ج 5 ص 291 ،و الأصفهاني،الأغاني ج 7 ص 81 ، السيوطي،تاريخ الخلفاء ص 301.

كثيرا الحديث عن الوليد.[1]

لقد وُجِدَتْ بَعَضُ الأوصاف العادلة عن الوليد ومنها أنه " كان مِنْ أَجْمل الناس وأشدهم وأشعرهم "[2] وأنه " كان كريما ممدحا شاعرا مجيدا لا يُسْأَل شيئا قَطّ فيقولُ لا "[3].

لقدذكرتْ بعض الروايات تعبر عن مدى جديته وخشوعه في صلاته .[4] كما أورد ابن كثير حديثا نبويا يعنى فيه الوليد ويجعله بريئا من التهم التي أشيعت عليه — عن أبي الدرداء يقول فيه (ﷺ) " إذا قُتل شابٌّ من بَني أمية بَيْن الشامِ والعراق مَظْلومًا ، مَا لَمْ تَزَلْ طاعةٌ يستَخَفّ بها ،ودَمٌ مسفوكٌ بِغير حَقّ "[5]

الواقع أن هناك قوى عديدة تحاملت على التشنيع بالوليد ،ولم تتمثل هذه القوى في أعداء بني أمية ؛ المتمثلين في الشيعة والزُّبَيْريّين والعباسيين والخوارج والشعوبيين فحسب، بل تمثلت أيضا في العائلة الأموية نفسها ، حيث شَنّع الخليفة هشام بن عبد الملك بالوليد كثيراً[6] حتى يخلعه من ولاية العهد و يعقدها لأبنه مسلمة ، ذلك لأنه كان من الصّعب عليه أن يحقق هذا الإجراء دون إيجاد أسباب مُقنعة . فالوليد كان وليّ العهد الفعلي والرسمي بعد هشام حسب ما عقده الخليفة يزيد بن عبد الملك الذي لم يكن يعهدها لهشام أولا لو كان ابنه الوليد بالغا.[7] كما أن الخليفة يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، شَنّع كثيرا

---

(1) الاصفهاني ، الأغاني ج 7 ص 19 .

(2) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ص 301 .

(3) ابن كثير ، البداية والنهاية ج 10 ص 4.

(4) الإصفهاني الأغاني ج 7 ص 13 و ج 7 ص 81 ، ابن واصل الحموي ، تجريد الأغاني ، قسم 1 ج 2 ص 835.

(5) ابن كثير البداية والنهاية ج 6 ص245 .

(6) ابن واصل الحموي ، تجريد الأغاني القسم 1 ج 2 ص 807.

(7) الطبري ، تاريخ الأمم والموك ج 8 ص 288 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 264 ، النويري،نهاية الأرب في فنون الأدب،ج 21 ص 463.

بالوليد واتهمه في دينه كثيرا حتى يجمع الناس عليه ويُبرر قتله له .[1]

بقي لنا أن نقول هنا : لو كان الوليد خليعا مجوسيا زنديقا ، لما كان الخليفة مروان ابن محمد قد خرج ثائرا طالبا بدمه [2] ، ولَمَا كان يعمُّ الحزنُ الشديدُ والنوائح والبواكي على قتل الوليد في العديد من المناطق وبخاصة منها حمص[3] ونتساءل في الأخير لماذا لم تصلنا من أشعاره غير شعرٍ في الخمريات التي بها اعتبر مخترع الفن الخمري[4] وهل نضمن أن هذه الأشعار كانت حقيقة من نظمه وهو خليفة أمة إسلامية ونحن على يقين أن التاريخ الأموي لم يُكتب في الغالب إلا بأقلام الأعداء وبعد زوال خلافة آل أمية ؟

لم ينجُ بقية خلفاء آل أمية وعظماؤهم من التشنيع والدعاية والتهم فقد أشاعوا أن إسلام أبي سفيان بن حرب [5] كان نفاقا[6] مع أن الرّسول (ﷺ) صدّقه ورفع مقامه بأن قال :" من دخل دار أبي سفيان فهو آمن "[7] ومع أن أبا سفيان جاهد في سبيل الله جهاداً عظيما حتى فقد إحدى عينيه في يوم الطائف[8] وأتى الرسول (ﷺ) قائلا"...ها قد فقدت عيني في سبيل الله "، فيقول عليه الصلاة والسلام :" إن شئت دعوتُ اللهَ فرُدَّتْ عَلَيْكَ وإنْ شِئْتَ الجَنَّةَ " قال " الجنّةَ "[9] وكل هذا الحدث ولم يمض على إسلامه إلا نحو شهر

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم وك ج 9 ص 3 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 280.

(2) الطبري ، نفس المصدر ج9 ص 44 ، ابن الأثير ، نفس المصدر ج 5 ص 309.

(3) الطبري ، نفسه ج 9 ص 23 ، ابن الأثير ، نفسه ج 5 ص 292.

(4) كارل برو كلمان،تاريخ الشعوب الإسلامية ص 161 ، طه حسين ، حديث الأربعاء،دار المعارف ،القاهرة ط9 ج 2 ص 139 139.

(5) هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، صحابي جليل ورأس بني أمية ،ولد حوالي عام 57 ق هـ (567 م) توفي في خلافة عثمان عام 31 هـ 652 م،أحمد عطية الله،القاموس الإسلامي ج 3 ص383.

(6) المقريزي ،النزاع والتخاصم فيمابين بني أمية وبني هاشم،ص 52.

(7) العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ج 2 ص 172،القرطبي،الإستيعاب في أسماء الأصحاب ج 4 ص 87 .

(8) العسقلاني ، نفس المصدر ج 2 ص 173 ، القرطبي،نفس المصدر ج 4 ص 88 ، الخزاعي ، تخريج الدلالات السمعية ص 505 ، الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج 1 ص 37 ، ابن قتيبة،المعارف،ص 150 .

(9) العسقلاني نفسه ، عبد العظيم محمود الديب ، نحو رؤية جديدة للتاريخ الإسلامي ص 198 .

من استئصالها نهائيا فقد عادت شديدة في عهد المأمون عندما لا حظ العرب سيطرة "آل الفضل" الفرس على الخليفة ونفهم من الطبري أن الشام شهد في هذا العهد الكثير من الانتفاضات قام بها الثائر ابن السريج وابن أبي الجمل وابن أبي الصّقر ، وأن هؤلاء تمكنوا من التغلب على الإقليم حيناً[1] كما تذكر المصادر أيضا أن القيسية في دمشق خرجت في سنة (227 هـ /841م) عن طاعة العباسيين مطالبين بحكم آل أمية ،وأنهم عاثوا كثيرا وأفسدوا وحاصروا أميرهم قبل أن يُهزموا .[2] و يجب أن نذكر هنا أن هؤلاء الثائرين لمّا أدركوا استحالة عودة الأمويين للخلافة نشروا اعتقادا فيما بينهم يقول بعودة السفياني مهديهم المنتظر ليخلصهم من نير ظالميهم [3]، والمؤكد أنّ هذا الاعتقاد انتشر أيضا بين الأعاجم وأنه لا يزال إلى اليوم في شنغان في بلاد الهند .[4]

هذا وقد عبّر بعض الشعراء العباسيين على حنينهم إلى حكم آل أمية ،ومنهم بشار ابن برد[5] الذي قال :

بَني أميّةَ هُبُّـــوا طَـال نَـوْمُـكم   إنّ الـخَـليفَةَ يـعْقُـوبَ بْـنَ دَاوُد
ضَاعت خِلاَفَتُكُمْ يَا قَوْمُ فَالتَمِسُوا   خَلِيــفَةَ الله بَيْــنَ الزّقّ[6]والْعُود[7]

---

(1) الطبري،تاريخ الأمم والملوك ج 10 ص 278.

(2) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج 6 ص 523.

(3) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 10 ص 155 ، ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ج 6 ص 250 الجوزي بندلي صليبا ، دراسات في اللغة والتاريخ ص 67 ، فليب حتى ، تاريخ العرب المطول ج 1 ص 358.

(4) الجوزى بندلي صليبا ، دراسات في اللغة والتاريخ ص68.

(5) هو بشار بن برد فارسي الأصل ،من طخارستان أُخذ أبوه في سَبْيٍ وقع في يد المهلب بن أبي صفرة ،ولد بشار أعمى أتهم بالزندقة فقتله الخليفة المهدي في سنة (167 هـ) .

(6) الزّق ،وعاء من جلد يُجزّ شعْرهُ ولا يُنْتف ، للشّراب وغيره ، مجمع اللغة العربية،المعجم الوسيط ج 1 ص 396

(7) جرجي زيدان،تاريخ آداب اللغةالعربية،ج 1 ص 366.

والشاعر أبو عطاء الذي قال [1] :

يَا لَيْتَ جُورَ بَنِي مَرْوَانَ عَادَلنَــا وَ أنَّ عَدْلَ بَنِى العَبَاسِ فِي النَّارِ [2]

وأيضا الشاعر دعبل بن علي [3] الذي هَجَا الرشيد قائلا :

أرَى أمَيّــةَ معـذوريـن ان قـتَلـوا ولا أرَى لِبَنِي العَبَّاسِ مِن عُذْرِ [4]

بل لقد عُرف بعض الحنين إلى خلفاء آل أمية من الخلفاء العباسيين أنفسهم ، فكان الخليفة المنصور (136 –158 هـ/753-774م) يهوى أخبار هشام والحديث عن سيرته [5] لأنه كان يراه رجل القوم [6] ويذكر أنه تأثر به كثيرا حتى صار يسير سيرته في سياسته وتدبير أموره . [7]

كما يذكر أن الخليفة الرشيد (170-193هـ /786-809 م) كان مقتنعا أن خلفاء آل أمية كانوا أنفع للناس من الخلفاء العباسيين [8] ، كما عُرف عن الخليفة المتوكل أيضا 232-247 هـ / 846 –861م) أنه كان محبًّا لآل أميّة حتى إنّه كان لا يجالس إلا منهم أو من يُعْرف بحبهم . [9]

أَمَّا أنّ يَكُون ولآة بـني أمية في خراسـان هم أيضا دنياويين ؛اهتموا بتكرار الفتوحات

---

(1) أبو عطاء اسمه مرزوق مولى أسد بن خُزيمة وكان جَيّد الشّعر وكانت فيه عجميّة ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم) الشعر والشعراء ، قدم له حسن تميم راجعه وأعدّ فهارسه ، عبد المنعم العريان دار إحياء العلوم، بيروت (1407 هـ 1987م) ط 3 ص 591 .

(2) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص 522.

(3) وهو دِعْبل بنُ علي بن رزين بن خزاعة وُيكَنَّى أبا علي توفي سنة 246هـ ابن قتيبة، الشعروالشعراء ص 582 ، جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة والعربية ، ج 1 ص 377.

(4) جرجي زيدان ، نفس المرجع، ج 1 ص 378 .

(5) المسعودي ، مروج الذهب، ج 3 ، ص 223.

(6) ابن خلدون المقدمة، ج 1 ص 261 .

(7) المسعودي ، مروج الذهب، ج 3 ص 223.

(8) ابن كثير، البدايةوالنهاية، ج 10 ص 47.

(9) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج 7 ص 56.

في ما وراء النهر وغيرها لتحقيق الثّراء والغنيمة، ممّا ساعد في ظهور المعارضات[1] فإنّ الدّارس المستقرئ لحقائق التاريخ – في مصادره– يدرك أنّ هذه التّهم من نتاج الدعوة العباسية التي من بين ما أشاعت أن الولاة الأمويين يبطنون الكفر برغم ادعائهم الإسلام وأنهم وُلّاة جور.[2]

أما قضية تكرار الفتوحات فيجب أن نعلم أن ولاّة بني أمية في خراسان خوّلوا مهام صعبة أكثر من بقية ولاة بني أمية الآخـرين ، ذلـك لأن الإقليم كان يُعتبر أهم ثغر إسلامي[3]، يتجمع من ورائه شعب تُركيّ متمكن في فنون القتال يصفه القزويني[4]: " بزيادة الشجاعة والجلادة وصور السّباع ، ...والغالب عليهم الغضب والظلم والقهر وأكل لحوم الحيوان ...ولا يَرون إلاّ ما كان اغتصابا كما هي عادة السّباع ، وليس عيشهم إلا شنّ غارة أو طلب ظبي نافر" . فلم يكن يكفي أتراك ما وراء النهر الخروج عن طاعة الأمويين بمجرد خروج الجيوش الاسلاميّة من بلادهم ، بل إنهم كانوا ينتـهزون فرصا ليتجمّعوا لدخول خراسان وطرد العرب والمسلمين منها ، وفعلا كاد أن يحدث ذلك في عهد الوالي أشرس بن عبد الله في سنة (110 هـ /728 م)[5] وفي عـهد الوالـي أسد بن عبد الله القسري في سنة (119هـ/ 737 م)[6]. إذن ، لقد كـان تكرار الفتوحـات أمـرًا ضروريا

(1) فان فلوتن ، السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات ص 20. 22. 24. 55، فلهوزن،تاريخ الدولة العربية ص 413 ، جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ، ج 1 ص 277 ، إدوارد عطيّة،العرب ص 33 ، جبّور عبد النور، الجواري ص 24، 25 ، فليب حتي،تاريخ العرب المطول ج 1 ص 288 ، يوسف العش ،الدولة الأموية والأحداث ص 50 ، إبراهيم بيضون ، الدولة الأموية والمعارضة ص 22 ، نظير حسّان سعدواي ،الدولة العربية الإسلامية ص 202، صبحي الصّالح ،النظم الإسلامية ، ص 35 ، عبد الله مهدي الخطيب ، الحكم الأموي ، ص 12 و85 .

(2) فان فلوتن ،السيادة العربية ص 95 و 96 ، بدر عبد الرحمن محمد ،الدّولة العباسية ص 11 .

(3) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 139.

(4) آثار البلاد وأخبار العباد ص 514.

(5) الطبري ، تاريخ الأمم ج 8 ص 201 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 151

(6) الطبري ، نفس المصدر ج8 ص 234 ، ابن الأثير ، نفس المصدر ج 5 ص 203.

لنشر الإسلام فيها وللحفاظ على استقرار خراسان أيضا .

أما أن تكون الغزوات عبارة عن أعمال عسكرية لتحقيق الثراء و الغنيمة ، فالردّ البسيط على ذلك هو أنها لم تكن نزهة للتمتّع بالطبيعة حتى يكون فيها جمع الغنيمة سهلاً . فقد أثبت التاريخ أنها كانت من الصعوبة ، لدرجة الموت أو على الأقل التعّوق ، ومن طبيعة الإنسان أن يبتعد عن كل ما يؤدّي به إلى التهلكة إلا إذا كان الهدف هو الجهاد في سبيل الله وابتغاء مرضاته. فقد قُتل في معركة" الشعب" في عهد الجنيد بن عبد الرحمن خمسون ألفا من المسلمين و كادوا أن يُقتلوا جميعا لو لا بَسَالَة بعض الرجال ودخول العبيد المعركة [1]، كما مات المسلمون عطشا عندما اجتمعت عليهم الأتراك في سنة (106 هـ/ 774م) في عهد الوالي مسلم بن سعيد،[2] وكانوا كثيرا ما يتعرضون إلى حصارات خانقة ماتوا فيها جوعا مثلما حدث في سنة (108 هـ / 720م) عندما غزا أسد بن عبد الله القسري الخُتل[3] وكانت التشوهات أقل ما يتعرض إليها الفاتحون، فيكفي أن نقول أن عيني الوالي سعيد بن عثمان بن عفّان والمهلّب بن أبي صفرة فقعتا أثناء غزوهم لسمرقند [4] وكيف يكون هدف الولاّة الأمويين في خراسان من الفتوحات كسب الثّراء فقط وقد ذكرت المصادر أنهم كانوا كثيرا ما يرفضون ما يَعرضه بعض أعيان العدو من فدية مغرية ويفضلون قتلهم خوفا من خطرهم على المسلمين . والأمثلة على ذلك كثيرة منها أن قُتيبة بن مسلم أخذ رجلا أعور في مدينة " بيكند " عرض أن يفدي نفسه بخمسة آلاف حريرة قيمتها ألف ألف . لكن قتيبة رآه خطيرا فأمر بقتله،[5] وأن الوالي أسد بن عبد الله القسري ، رفض فدية مغرية من مَلِك الخُتل " بدر طرخان " قدرها ألف ألف درهم وأمر بقتله .[6] ويجب

(1) الطبري ،تاريخ الأمم والملوك، ج 8 ص 210 و 212 .

(2) الطبري ، نفس المصدر ج 8 ص 185 ، ابن الأثير،الكامل في التاريخ،ج 5 ص 129 .

(3) الطبري ، نفسه ج 8 ص 191 ، ابن الأثير ، نفس المصدر،ج 5 ص 140.

(4) البلاذري ، فتوح البلدان ص 578.

(5) الطبري تاريخ الأمم ج 8 ص 63 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 4 ص 529 .

(6) الطبري ، نفس المصدر ج 8 ص 245 ، ابن الأثير ،نفس المصدر ج 5 ص 213.

أن نذكر هنا أن الولاّة ما كانوا يغامرون بأي حال من الأحوال باكتناز الأموال وشراء الممتلكات ذلك لأنه وُجد في العصر الأموي ما يسمى " بدار الإِسْتِخراج " التي كان يؤخذْ فيها كل الولاّة والموظفين المهمين في الدولة ليحقّق في شرعية مكتسباتهم ، وكان من يُشك فيه يُعذّب حتى درجة الموت ليُقرّ بأسماء من أودع عندهم الأموال لتُرد كلها إلى بيت المال [1].

لقد كان ما قام به ولاّة خراسان في إقليم ما وراء النهر وغيره فتحا إسلاميا حقيقيا بعيدا عن كل أهداف اقتصادية ، ويكفي أن نبرهن على ذلك ، أن الولاة ما كانوا ينطلقون إلى غزواتهم إلاّ بعد أن يصلوّا مع جموع المسلمين ركعتين طِوَالاً يُطال فيهما الدّعاء لله وطلب النصر منه حتى ينتهي كل الناس منها وهم مؤمنون بالنصر الأكيد .[2] ويكفي أن نعيد ذكر ما فعله قتيبة بن مسلم لنشر الإسلام بين الصغد حيث كان يمنح كلّ من يصليّ منهم صلاة الجمعة درهمين تشجيعا .[3] وأقول في الأخير لو كانت تلك التّهم المغرضة صحيحة لكان ملك الصين المعاصر لهم قد شك فيهم ، وما بعث إلى قتيبة يقول :" أَنِ ٱبْعَثْ إِلَيَّ رَجُلاً شريفا يُخْبِرني عنكم وعن دينكم ".[4].

وفي الأخير نخرج من هذا الفصل مقتنعين أن جُلّ الأسباب – وإن لم نقل كلها — التي اعتبرها المغرضون أسبابا حقيقية لظهور معارضات الفرس في خراسان للدولة الأمويّة هي أسباب واهمية كاذبة .

---

(1) ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن الخطاب ص 64 ،الجوزى بندلي صليبا ، دراسات ص 56 و 57،فان فلوتن ، السيادة العربية 32 و 33 ، نجده خماش ، الإدارة في العصر الأموي ص 290،يذكر ابنُ عَبدِ الحَكَم ،"أن عمر بن عبد العزيز كان معارضا لفكرة تعذيب الولاة والعمال وأنه قال : " لأن يَلقوا الله بخيانتهم أحبّ إلى من أن ألقى الله بدمائهم ".

(2) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 234 وما بعدها .

(3) النرشخي ، تاريخ بخارى ص 74.

(4) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 100، ابن الأثير،الكامل في التاريخ ج 5 ص 65.

الفصل الرابع

الفصل الرابع :

معارضات إقليم خراسان وأسبابها الحقيقية

(100-132هـ / 718-749م)

يتناول هذا الفصل البحث في المعارضات التي عرفتها خراسان في الاثنتين والثلاثين سنة الأولى من القرن الهجري الثاني ، التي أدت إلى سقوط الدولة الأموية فيهـــــــا. ويجب أن نعترف أن البحث في هذه المعارضات لم يكن هيّنا ، بل كان من الصعوبة لدرجة أننا ما كنّا نستطيع أن نصل إلى ما وصنا إليه لولا اعتمادنا على الاستقراءوالاستنتاج،ذلك لأن المصادر الإسلامية الأساسية لم تهتم — في الغالب — إلا بذكر المواجهات المسلحة التي دارت بين المعارضين و ولاّة بني أميّة في خراسان .

واعتماداً على المادة التي جمعناها لهذا الفصل والتي تؤكد أن كل المعارضات كانت عربية الأصل والزعامة ؛ أقام بعضها عرب خراسان المستقرّون بالإقليم وأقام البعض الآخر الهاشميون من خارج الإقليم ، الذين وجدوا فيه المكان الأمثل .

وبناء على ذلك تشكّل هذا الفصل من قسمين ، يدرس القسم الأول منه معارضات عرب خراسان ويدرس الآخر معارضات آل هاشم .

قبل الغوص في البحث في معارضات عرب خراسان يتوجب علينا أن نبحث في دخول العرب إلى الإقليم واستقرارهم فيه ، مع الوقوف عند جانب من أسلوب حياتهم اليومية .

ونعترف في البداية أنه لمن الصّعب الغوص في البحث في هذه الجوانب ، ذلك أنّ المصادر الإسلامية الأساسية لم تُفصّل الحديث عنها بل اكتفت بذكر بعض الإشارات الخفيفة فقط عن بعض الحملات الكبرى التي انطلقت إلى الإقليم ، وبعض المواجهات القبلية المتقطّعة . لذا ، علينا الاجتهاد في الاستنتاج والترجيح .

لا شك أن بدايات استقرار العرب في خراسان كانت مع بدايات الفتح الإسلامي لها، لكنه من المؤكد أن هذا الاستقرار ظلّ ضعيفا ولم يزدهر إلا في عصر الأمويين الذين وجدوه ضرورة لا مَحيد عنها لتسهيل السيطرة على الإقليم وبخاصة أنه كان بعيدا عن قلب الدّولة الإسلامية وكان يُعدّ أهم ثغر لها[1].

---

[1] الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 139.

تُوضح المصادر أن العرب دخلوا خراسان عن طرق رسمية منظمة تمثلت في الحملات العسكرية والتوطين الرّسمي الذي أقرّه بعض الولاّة ، لكنه من المؤكد أن تكون هناك هجرات حرّة فردية وأسرية موازية لهذه الطرق الرسمية،هذا فضلا عن هجرات المتمردين والمعارضين الذين وجدوا في خراسان المكان الأفضل للاستقرار وللمعارضة .

أما الطرق الرسمية فيبدو أنها كانت كثيرة وإن كانت المصادر لم تُسجّل إلا أهمّها ابتداء من الحملة التي قادها عبد الله بن عامر بن كريز في سنة 29 هـ (649 م) التي لا نعرف عددها التقريبي ، وكل ما نعرفه أنهم كانوا من عرب البصرة وأنهم كانوا يتركون بعد انتهاء غزواتهم حامية دائمة منهم مُقدّرة بأربعة آلاف جندي .[1] الخبر الذي لا يَعني أن بقية العدد المكون للحامية — غير هذه الأربعة آلاف جندي — قد عاد إلى مدينته الأصلية . بل لقد بَقِيَ في خراسان يتدخل في حفظ النظام ،وهذا ما صَعّب محاولات خروج بعض المدن المهمّة في الإقليم عن طاعة المسلمين في فترة الفتنة بين الخليفتين عليّ ومعاوية،رضي الله عنهما.[2]

ومهما يكن فيبدو أن الطرق الرسمية قد توقفت بعد سنة 29هـ (649 م) لتبدأ من جديد مع الأمويّين في سنة 45 هـ (645 م) حيث يذكر البلاذري [3] أن أمير بن أحمد اليشكري الذي استعمله زياد بن أبي سفيان على مَرْو الشاهجان حينما قسّم خراسان إلى أربعة أرباع ووَلاّها لأربعة وُلاّة — " كان أوّل من أسْكن العرب فيها " لِتَتَواصَل بعده الحملات العسكرية الرّسمية والتوطينات الرسمية مع أغلب الولاة.ففي سنة 51 هـ (671م) عيّن زيادُ بن أبي سفيان الرّبيعَ بْنَ زياد الحارثي على خراسان وبعث معه خمسين ألفا من عرب البصرة وعرب الكوفة بِعيِالاَتِهم لإسكانهم فيها [4] وفي سنة 54 هـ (673 م)

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 5 ص 84 ، ابن الأثير الكامل في التاريخ ج3 ص 135.

(2) الطبري، نفس المصدر ج 5 ص 233 ، ابن الأثير ، نفس المصدر ج3 ص 273.

(3) فتوح البلدان ص 576.

(4) الطبري، نفسه ج 6 ص 161 ، ابن الأثير،نفسه ج 3 ص 489 ، البلاذري،فتوح البلادان ، ص 577.

يتحدث البلاذري عن حملة عسكرية قطعت النّهر مع عبيد الله بن زياد كان أغلبها قد دخل خراسان لأوّل مرّة مع الوالي الجديد.[1] كما يُذكر أن الوالي سعيد بن عثمان بن عفان دخل واليا على الإقليم في سنة 56 هـ (675 م) ومعه مجموعات كثيرة من العرب " منهم أَوْسُ بنُ ثَعلبة التميمي ،و طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي والمهلب بن أبي صفرة وربيع بن عسل " وأنه أخرج معه " قوما من الأعراب كانوا يقطعون الطريق على الحُجاج ويُخيفون السبيل ."[2] كما يُذكر أن الوالي مسلم بن زياد دخل الإقليم في سنة 61 هـ (680م) ومعه مجموعات كبيرة من القادة والأعوان منهم "عمران بن الفضيل البرجمي، وعبد الله بن خازم السّلمي ،وطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي ، والمهلب بن أبي صفرة ،و حنظلة بن عرادة ، وأبو حزابة الوليد بن نهيك ، و يحيى بن معمر العدوي — وَخَلْقٌ كثير من فرسان البصرة و أشرافهم فكان منهم ألفان وقيل ستة آلاف ".[3] كما يُذكر أن الحجاج بن يوسف الثقفي بَعَث في سنة 95 هـ (713م) جيشا — لم تُحَدِّد المصادر عَدَده — من العراق إلى خراسان فقدموا على قتيبة بن مسلم[4].

هذا وقد أعطت المصادر إحصاءً لعدد المُقَاتِلة العرب في خراسان لسنة 96 (713م) بلغ فيه " أهل البصرة أربعين ألفا: من أهل العالية (قيس) تسعة آلاف ، ومن بكر سبعة آلاف ، رئيســهم الحفين بن المنذر ، و من تميم عشرة آلاف ، عليهم ضرار بن حصين الضبي ،ومن عبد القيس أربعة آلاف ، عليهم عبد الله بن علوان ، ومن الأزد عشرة آلاف ، رَأسَهُم عبد الله بن حوذان . وكان بها من مقاتلة أهل الكوفة سبعة آلاف عليهم جهم بن زَحر أو عبيد بن عليّ "[5] ومع ذلك يبدو أننا لا يمكننا أن نسلم تسليما كُلِيًّا بهذه

---

(1) البلاذري ، فتوح البلدان ص 577.

(2) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 6 ص 171 .

(3) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 6 ص 172 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 4 ص 96.

(4) الطبري نفس المصدر 7 ص 97 ، ابن الأثير ، نفس المصدر ج 4 ص 583.

(5) الطبري ، نفسه 8 ص 106 ، ابن الأثير ، نفسه ج 5 ص 15 ، البلاذري ، فتوح،ص 596.

الإحصاءات وخاصة حينما نجد أبا عبيدة [1] يَذكر أن مقاتلة بني تميم وحدهم كانوا في الفترة التي سُجِّلَت فيها هذه الإحصاءات يبلغون أربعة وعشرين ألفا القول الذي يجعلنا نرى أن الإحصاء الذي ذُكر يخص مدينة مرو الشاهجان وحدها وبخاصة أننا نعلم أنه كان في كل مدن الإقليم حاميات عربية دائمة .

لقد تواصلت البعثات الرسمية العسكرية منها والمدنيّة تتدفّق على خراسان في الاثنتين والثلاثين سنة الأولى من القرن الهجري الثاني فيُذكر أن الوالي الجُنَيد بن عبد الرحمن دخل مَرْو سنة (112 هـ / 730 م) في خمسمائة من العرب[2] وأنه بعد أن تكبّد جَيْشُه خسائر فادحة في معركة" الشِّعَب " بسمرقند ، بعث له الخليفة هشام بن عبد الملك عشرة آلاف من رجال البصرة بقيادة عمرو بن مسلم وعشرة آلاف من رجال الكوفة بقيادة عبد الرحمن بن نعيم .[3] ويبدو أنّ الخليفة هشامًا اهتمّ كثيرا ببعث الحملات العسكرية إلى خراسان بعد عهد الجنيد ، فقد ذكر الشاعر العربي الكُمَيْت بن زيد الأسدي في قصيدة طويلة أرسلها إلى الحارث بن سريج التميمي في سنة (117 هـ / 735 م) يُهَنّئه فيها بانتصاراته على الوالي عاصم بن عبد الله الهلالي — أنّه كان في مرو الشاهجان بمفردها سبعون ألفا من الجنود العرب .[4]

لقد حاول بعض المُحَدَثين إعطاءَ رقم تقريبيٍّ لعرب خراسان — المقاتلة والمدنيين قبيل نهاية الدولة الأمية ، ففي الوقت الذي يرى فيه فلهوزن [5] أن العدد " لا يمكن أن يكون قد

---

(1) أبو عبيدة (معمر بن المثنى) نقائض جرير والفرزدق ، تحقيق بيفان طبع ليدن 1905 ، ج1 ص 368.

(2) الطبري تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 204 ، ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ج 5 ص 156، البلاذري،فتوح البلدان ص 603.

(3) الطبري ، نفس المصدر ج 8 ص 211 ، ابن الأثير ، نفس المصدر،ج 5 ص 168 ،البلاذري ، فتوح البلدان603

(4) الطبري نفسه،ج 8 ص 222.

(5) تاريخ الدولة العربية،ص 468.

تجاوز المئتي ألف نفس " يَرى مُحدِثَانِ آخران[1] أنه كان في حدود نصف مليون . ومهما كانت هذه الاجتهادات إلا أنها لا يمكن أن تكون بأي حال من الأحوال قريبة للحقيقة وذلك لأن المصادر لم تعطِ أبدا رقما معلوما، وإن كان هؤلاء المحدثون قد اعتمدوا على البعثات الرسمية التي توالت على الإقليم في العصر الأموي ، فيجب أن يعلموا أن المصادر الإسلامية الأساسية لم تَذكر إلا أهمّها،ثم لا يجب أن نجزم أن كل من دخل خراسان عن طريقها ظل فيها . كما يجب أن نكون منطقيين أيضا ونقول: إن خراسان كانت ثغرًا إسلاميا ،دائمة الغزوات والحروب ، فيها احتمال موت الجنود أقوى من احتمال حياتهم، وبعيدا عن الحروب والغزوات يظل عُمُر الإنسان محدودا دائما،ينتهي بموت حَتميٍّ ويجب أن نعلم أيضا أن قتيبة بن مسلم استوطن مجموعات من خراسان في إقليم ما وراء النهر ، واستعمل رجلا من مواليه يقال له " الخوارزمي" على مقطع النهر وأصدر له تعليمات صارمة بعدم عبور أحدهم النهر إلا بِجَوَاز [2]. كما يجب أن نعلم في الأخير أن دخول العرب إلى خراسان بعيدا عن البعثات الرسمية كان منتشرا انتشارا يكفي أن نعبِّر عنه أن الراغبين منهم في المشاركة في الغزوات كانت تُجرَى لهم قرعة يُختار فيها واحدٌ من بين أربعة أو خمسة رجال [3]. ومن هذا الخبر الأخير نقول : إن عدد العرب بخراسان كان يفوق كثيرا ما قدره المُحَدثون ، عبرّ عنه أبو عبيدة [4] بقوله : إن " أكثر خراسان في نهاية القرن الأول كانت عربية ."

أما الحديث عن الأماكن التي سكنها العرب بخراسان ، فهو صعب لدرجة التعقيد لكننا نعلم أنهم شاركوا السكان الأصليين مُدُنَهم وقُرَاهم،فاليعقوبي [5] يذكر أنّه " في جميع

---

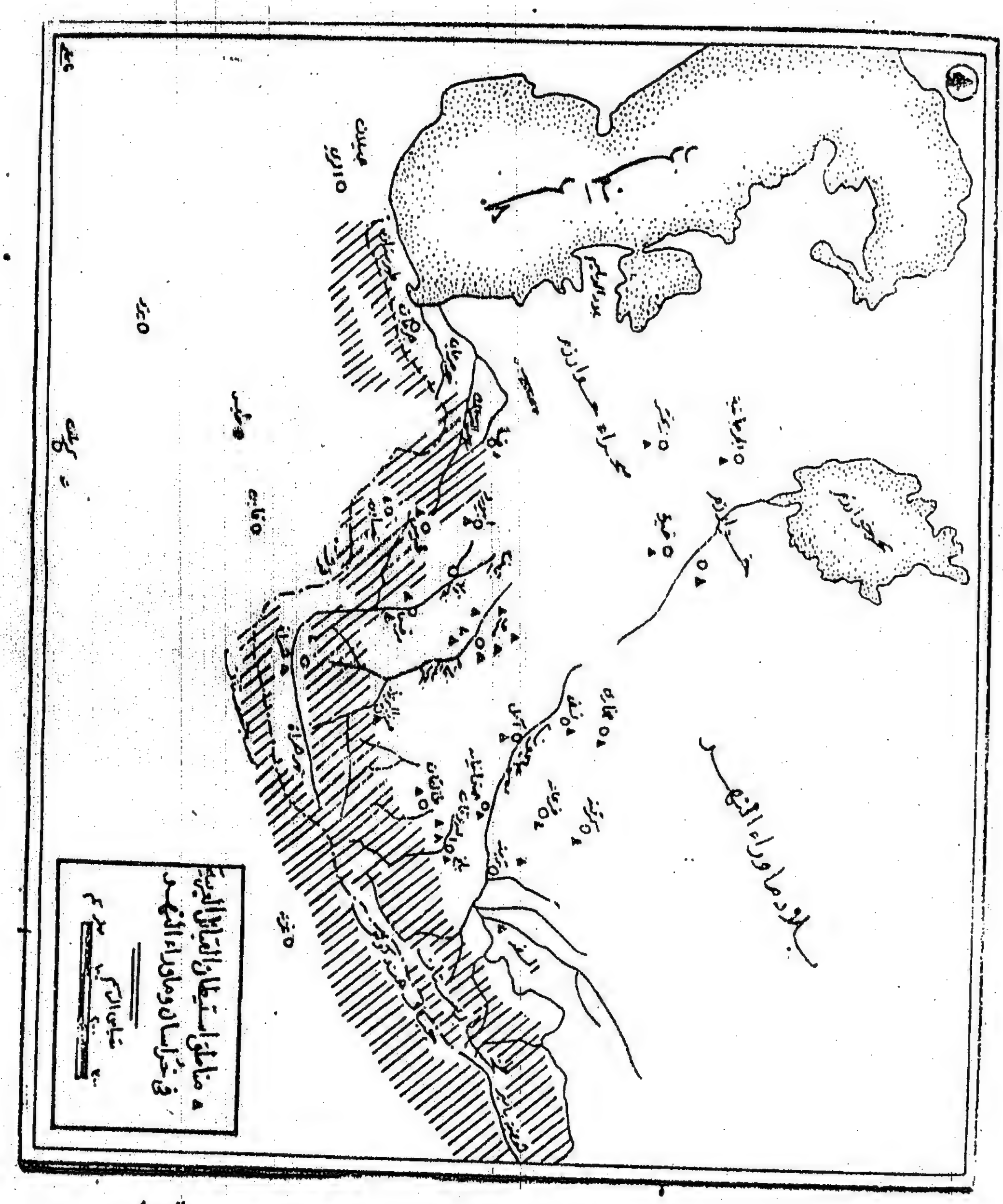
[1] محمد أمان صافي ، أفغانستان في الأدب العربي عبر العصور ص 97 ، وحسين عطوان،الشعر في خراسان ص 48

[2] الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 99 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 5.

[3] الطبري نفس المصدر ج 7 ص 278 .

[4] نقائض جرير والفرزدق ج 1 ص 368.

[5] البلدان ص 294 .



المرجع : نقلا عن كتاب دراسات في تاريخ خراسان للدكتور راضي عبد الله عبد الحليم - ص 130 .

والملاحظ أنه مازالت إلى حدّ اليوم في ربع بلخ (نواحي بلخ والجوزجان) بعض القرى عربية في لغتها وعاداتها . ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

1. قرية " (خُوشِخَال آباد) " التي تقع في غربي مدينة " دولت آباد" في ولاية بلخ.
2. قرية "بَخْدَان " تقع في الجنوب الشرقي من مدينة " دولت آباد " في بلخ .
3. قرية "سلطان أريغ " التي تقع غربّي مدينة " آقجه " في ولاية " الجوزجان "
4. قرية "حسن آباد " وتقع في الشمال الشرقي من ولاية " الجوزجان"[1]

أما نيسابور فكانت قبيلة قيس هي الغالبة فيها [2] وخاصة في أواخر العصر الأموي. وأما هراة فكانت بكريّة في غالبها [3]، والمعروف أن القبيلة كانت تنزل في أول الأمر بمرو الروذ وأنها ظلت مقيمة بها حتى قيام الفتنة القبلية بخراسان ، في سنة 65 هـ (684م) التي قَتل فيها الوالي عبد الله بن خازم السلمي سليمان بن مرثد وعمرو بن مرثد ، البكريين. ممّا جعل البكريين يرتحلون إلى هراة ويلحق بهم سائر أبناء قبيلتهم الذين كانوا مبثوثين بنواحي خراسان .

أما الأسباب التي كان العرب بخراسان يكسبون أرزاقهم منها ، فالواضح أن المقاتلين المسّجلين في ديوان العطاء كانوا يتقاضون رواتب من الدّولة ، كما كانت الدولة تفرض عطاء لبعض أفراد أسرهم ، كان يشمل زوجة المقاتل وواحدا أو إثنين من الأولاد كما كان المقاتلون يفوزون بِأَسْهُم من الغنائم التي كانوا يجتازونها في غزواتهم المستمرة لما وراء النهر[4] هذا وقد اهتم العرب بالزراعة أيضا وبخاصة في أواخر الدّولة الأموية[5] كما لا نستبعد اهتمام بعضهم

---

(1) محمد أمان صافي ، أفغانستان والأدب العربي عبر العصور ص 106.

(2) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 220 و ج 9 ص 71 ، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص 461.

(3) الطبري نفس المصدر ج 7 ص 44 وما بعدها ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 4 ص 156.

(4) صالح العلي، التنظيمات الإجتماعية والإقتصادية في البصرة،ص 150 وما بعدها حسين عطوان ، الشعر في خراسان ص 52 .

(5) حسين عطوان ، نفس المرجع ص 53.

بنفس الحرف التي اشتهر بها الإقليم كثيرا كصناعة النسيج[1] وتجفيف الفواكه[2] وصناعة الجلود والحصير والبرام والنحاس والإبر والسكاكين[3] وأيضا صناعة الطب[4] وصناعة الألحان والموسقى.[5]

لقد كان عرب خراسان على اختلاف كبير في المذاهب في الإثنتين والثلاثين سنة الأولى من القرن الهجري الثاني. فقد ذهب بعضهم المذهب الشيعي على اختلاف فرقه مثل أغلبية سكان الإقليم الأصليين الذين تعاطفوا مع الحسين بن عليّ رضي الله عنهما لأنه تزوج من " شهربَانو " ابنة الإمبراطور السّاساني يزدجرد الثالث [6] كما ذهب بعضهم الآخر المذهب الخارجي وَ خاصة الفرقة العجاردية [7] منه التي كانت قد تغلبت على خوارج خراسان [8] والفرقة الشيبانية [9] كما أنتشر بينهم أيضا مذهب المرجئة [10] وبعض المذاهب

(1) المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص 324.

(2) الأصطخري، المسالك والممالك ص 151 ، إبن حوقل ، صورة الأرض، ص 366 ، المقدسي، أحسن التقاسيم ، ص 324.

(3) المقدسي ، نفس المصدر والصفحة ، كي لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية، ص 471 .

(4) الأصطخري ، المسالك والممالك ، ص 149 .

(5) ابن خرداذبة ، مختار من كتاب اللهو والملاهي ، نشرهُ عن نسخة يتيمة الأب أغناطيوس عبده خليفة اليسوعي ، دار المشرق ، بيروت(د ت) ص 26.

(6) محمد كامل الهاشمي ، عقائد الشيعة في الميزان، دون دار طبع، القاهرة (د ت) ، ص 162.

(7) هم أصحاب عبد الله بن عجرد ، قالوا أطفال المشركين في النار وأجازوا نكاح بنات البنات وبنات البنين وبنات بني الإخوة والأخوات ، الجرجاني ، التعريفات ص 78، ابن حزم ، الملل والأهواء و النحل ، ج 5 ص 53.

(8) ابن حزم نفس المصدر ج 5 ص 55.

(9) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك، ج 9 ص 89 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج 5 ص 368.

(10) وهم قوم يقولون : لا يضرّ مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وهم ثلاثة أصناف : صنف منهم قالوا بالإرجاء في الإيمان ، وبالقدر على مذهب القدرية ، فهم معدودون في القدرية والمرجئة ، وصنف منهم قالوا بالإرجاء في الإيمان ، ومالوا إلى قول جهم في الأعمال والإكساب ، فهم من حمله الجهمية والمرجئة ، وصنف منهم خالصة في الإرجاء من غير قدر وهم خمس فرق : يونسية وغسّانية وثوبانية وتومنيّة ومريسية ، الجرجاني ، التعريفات ،

الكلامية[1] كالمتعزلة[2] والقدرية[3] والجبرية [4]و الجمهية[5] و الجعدية مثلما كان حال أغلب الشعوب الإسلامية في ذلك الوقت وخاصة شعوب العراق والأقاليم الشرقية منها.

لقد كان تأثير العرب في سكان خراسان الأصليين — الذين كان جلهم

= ص110، البغدادي(عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي التميمي) المتوفى عام 429 هـ (1037 م) الفرق بين الفرق حقق أصوله وفصله وضبط مُشكلهُ وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد المجيد ، دار المعرفة بيروت ص 25.

(1) الكلام هو علم باحث عن أمور يعلم منها المعاد وما يتعلق به من الجنّة والنّار والصراط والميزان والثواب والعقاب ، وقيل الكلام هو العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة عن الأدلة ، الجرجاني،التعريفات، ص : 98.

(2) المعتزلة يتسمون بأصحاب العدل والتوحيد ،وهم ستّ فرق وهي الحسنية و الهذيلية والنظامية ،والمعمريّة والبشرية ،والجاحظيّة . أصولهم خمسةٌوهي التوحيد ،والعدل والوعد والوعيد ،والمنزلة بين المنزلتين ،والأمر بالمعروف و النهي عن المنكر يتفقون مع الخوارج في وجوب اختيار الخليفة و الإبتعاد عن التّوريث ،ويتفقون مع الزيديّة أيضا في الكثير من الأمور لا تتعلّق بالإمام أو بالمهدي . الخوارزمي ،مفاتيح العلوم ص 18 ، أحمد رمضان أحمد،الخلافة في الحضارة الإسلامية دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع جدّة 1403 هـ / 1983 م ط 1 ص 242 وما بعدها .

(3) القدريّة وهم الذين يزعمون أنّ كلّ عبد خالق لفعله ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله تعالى . الجرجاني التعريفات ص 92.

(4) الجبرية وهم عدة فرق إسلامية ، يجمعها نفي أن يكون الإنسان خالق أفعاله ،ويميز بينها التفاوت في الموقف الجبري ، فبعضها يرى الإنسان مجبرا جبرا مطلقا ، فهو كالريشة المعلقة في الهواء ، تميلها ريح القدرة الإلهية حيث مالت ...وبعضها ينسب للإنسان " كسبا " وهو عبارة عن الرغبة في الفعل والقصد إليه ، أما خالق الفعل ذاته فهو الله ..وبعضها يرى أن الإنسان " فاعل" لكن على سبيل المجاز ،والفاعل الحقيقي هو الله ، محمد عمارة ، الفرق الإسلامية ، المعارف للطباعة والنشر،سوسة ، تونس (د.ت) ص 24.

(5) الجهمية وهم أصحاب جهم بن صفوان : قالوا : لا قدرة لعبد أصلا ، لا مؤثرة ولا كاسبة ، بل هو بمنزلة الجمادات والجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلها حتى لا يبقى موجود سوى الله . الأشعري (أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعري) المتوفى في عام 330 هـ،مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة (1389هـ/1969م) ط 2 ج1 ص 338، ينظر أيضا ابن قيّم الجوزية الدمشقي، مختصر الصواعق المرسلة على الجمهية المعطلة اختصره محمد بن الموصلي دار الكتب العلمية بيروت ، (د.ت) ص 21 و 216 ، الجرجاني،التعريفات ص 43 ،الذهبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان) المتوفى سنة 748 هـ ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تحقيق على محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية مصر 1382 هـ 1963، ط 1 ص 426.

من التاجيك [1][2] فضلا عن بعض الاقليات التركية في هراة [3] وطخارستان[4] وأقليات أخرى من الاكراد[5] وأيضا من البلوخيين [6] مثلما كان حال الأقاليم المجاورة — كبيرا في أمور الدين والعلوم واللغة". [7]

أما اللغة العربية فقد تزامن انتشارها في خراسان مع بدايات الفتح الإسلامي لها.[8] وقامت بالدور الأكبر فيه طيلة العصر الأموي قبيلة تميم[9] التي كانت أكبر قبيلة عربية في الإقليم [10] ومع ذلك لم تنل اللغة العربية ما ناله الإسلام في الانتشار [11] . فهي وإن كانت قد انتشرت بين المرازبة والدهاقين المشرفين على إدارة الإقليم لاتصالهم المباشر بالعرب[12] وبين المتعلمين بعد ذلك ، فإنها لم تصل إلى عامة الشعب الخراساني . الذي كان أغلبه من

---

(1) أصلهم من إقليم " تاجاكستان " أو " تازيكستان " الذي يتكون جغرافيا من حوض نهر" جيحون " نزحوا إلى إقليم خراسان في فترات متعددة ، أحمد عطية الله القاموس الإسلامي،ج 1 ص 423 .

(2) فان فلوتن ، السيادة العربية ص 44.

(3) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 5 ص 76 و ج 6 ص 161 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 3 ص489.

(4) فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 412.

(5) الأصطخري ، المسالك والممالك ص 153 و 155 ، وابن حوقل،صورة الأرض ص 370 و 373 .

(6) وهم من إقليم " بلوخستان "وهو إقليم جبلي صحرواي ، يطل على البحر العربي لمسافة 500 ميل يحده من الشرق نهر السند و من الغرب إقليم " كرمان "ومن الشمال أفغانستان . أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي،ج 1 ص 361 و 362.

(7) غوستاف لوبون ، حضارة العرب ص 185 .

(8) نجدة خماش ، الإدارة في العصر الأموي ص 155.

(9) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 106 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 14 .

(10) الطبري ،نفس المصدر والصفحة ، ابن الأثير ، نفس المصدر والصفحة فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 394، فليب حتي ، تاريخ العرب المطول ، ج 1 ص 35 ، شاكر الفحّام ،الفرزدق ص 99 ، محمد أمان صافي، أفغانستان والأدب العربي . ص 97.

(11) نجدة خماش ،الإدارة في العصر الأموي ص 155.

(12) شكري فيصل ، المجتمعات الإسلامية في ق الأول ، ص 216.

المزارعين والحرفيين الصِغار ، وإن كانوا قد ألفوها واطمأنّوا لها مع مرور الزمان [1]، ذلك لأنها كانت لغة دينِ مَنْ دَخَل الإسلامَ منهم واللغة الرسمية التي يُؤخذ بها العلم ويُكتب طيلة العصر الأموي بل وبعده بزمن بعيد.[2]

وبعيدا عن الدين الإسلامي واللغة العربية ، فقد فشل العرب في تغيير العادات والتقاليد الفارسية لسكان خراسان الأصليين[3] برغم دخول أغلبيتهم الإسلام ، وبرغم كثرة

---

(1) نجدة خماش ، الإدارة في العصر الأموي ص 155.

(2) لقد كانت اللغة البهلوية " لغة دين ودولة في العصر الساساني لكنها تقهقرت أمام اللغة العربية لتظهر بعد زمن لغة فارسية جديدة تمسى باللغة الدّرية التي من أهم ميزاتها أن حروفها عربية وبها الكثير من الكلمات العربية أمّا ظهورها رسميا فقد اختلف فيه كثيرا . فمنهم من يقول أنه كان في عهد الدولة الصفارية مع الأمير يعقوب بن الليث الصفار . الذي مُدح يوما بالعربية ولم يكن يفهمها فقال متسائلا " لماذا يُقال لي ما لا أفهم " فجاءت المدائح بالفارسية بعد ذلك . ومنهم من يرى أن ذلك كان في عهد الخليفة العباسي المأمون . الذي مدحه الشاعر أبو العباس المروزي عام 193 هـ (808م) بقصيدة باللغة الفارسية ومنهم من اعتبر الشاعر يزيد بن مفرغ الحميري الذي يرجع تاريخه إلى أواسط المائة الأولى أول من قال شعرا بالفارسية الدّرية . ينظر مجهول،تاريخ سيستان ص 210،محمد عوفي (ت .القرن السابع الهجري)،لباب الألباب باتصحيحات جديد وحواشي وتعليقات كامل بكوشش نفيسى تهران 1335 ص 21 . ذبيح الله صفا،تاريخ ادبيات درايران جلد أول أز آغار عهد اسلامي ووره سلجوقي تهران 1338، هـ ص 49،إبراهيم باستاني باريزى ،يعقوب بن الليث الصفار،ترجمهُ وقدم له وعلق عليه فتحي يوسف الرّيس،دار الرائد العربي،القاهرة (د.ت) ص 119 وما بعدها . أحمد الخولي ، سجستان بين العرب والفرس منذ دخول الإسلام حتى ظهور الصفاريين دار حراء القاهرة(دت) ص 52 و 53 ، محمد نور الدين عبد المنعم ، دراسات في الشعر الفارسي حتى القرن الخامس الهجري دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة 1976 ص 13 وما بعدها،السباعي محمد السباعي، في اللغة الفارسية،دار الثقافة للطباعة والنشر،القاهرة 1975 ص 5 وما بعدها ، إسعاد عبد الهادي قنديل، فنون الشعر الفارسي،دار الأندلس للطباعة والنشر(دت)ص 19 وما بعدها،جهيدة بوجممة ، مجتمع سجستان في ظل الدولة الصفارية ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي جامعة عين شمس،القاهرة 1991 . تحت إشراف الأستاذ الدكتور فتحي أبوسيف ، ص 152 وما بعدها .

(3) موريس لومبار ، الإسلام في مجده الأول ص 16 ، عبد المنعم ما جد ،الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى 16.

التمازج والتزاوج[1] فيما بينهما ويظهر أن الأمر طبيعي جدا فمن الصعب أن يتغيير مجتمع ويتحول عن ما تأصل فيه إلا بعد أجيال وعهود طويلة . و الذي حدث هو أن العرب هم الذين تطبّعوا إلى حدّ بعيد بطباع أهل خراسان فكانوا يلبسون السّراويل كما يلبسها أهلها ويحتفلون بعيدّي النّيروز والمهرجان ويَظهر أشرافهم بمظهر المرازبة وأسلوبهم في الحياة [2]. بل وتعلموا الفارسية وتكلموا بها وخاصة صغارهم الذين كانوا يتقنونها إتقانا حتى إنهم نَظَمُوا بها أغاني يعيبون بها الوالي أسد بن عبد الله القسري عند انهزامه أمام خاقان بعد غزوة الخُتل في سنة 118 هـ (736م).[3] ووصل تأثرهم بأهل البلاد حتى أنهم أصبحوا يُسمّون أبناءهم بأسماء فارسية فزوجة نصر بن سيار كانت تسمى " المرزبانه "[4] وأصبحوا هم كلهم يُسَمّون بالخراسانيين[5] بعدما شعروا فعلا أنهم خراسانيون.[6]

نفهم من فلهوزن[7] و البعض ممّن رأى رأيه [8] — أن عرب خراسان عاشوا منذ أن دخلوها في فوضى وتقاتل ، لكن المتتبع لأخبارهم ، في المصادر الإسلامية الأساسية يلاحظ أنهم كانوا يعيشون في سلام همّهم تأمين حياتهم في الوطن الجديد والنّجاح في غزواتهم في داخل وخارج الإقليم ولم يبدأ الخلاف فيما بينهم إلا في سنة 65 هـ (684 م) عندما دبت

(1) حسن أحمد محمود، الإسلام والحضارة العربية،ص 40 ، أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ج 8 ص 52 ، حسن أحمد محمود،إبراهيم الشريف ،العالم الإسلامي في العصر العباسي ص 35 ، أنور الجندي ، الإسلام وحركة التاريخ ، رؤيا جديدة في فلسفة تاريخ الإسلام ، دار الكتاب اللبناني ، 1986 م ط 8 ص 164 ، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 468 ،الخربوطلي ، العرب والحضارة ص 72 و 73.

(2) فلهوزن ،تاريخ الدولة العربية ص 468 ، حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف،العالم الإسلامي ص 36، محمد مصطفى هدّارة ، اتجاهات الشعر العربي ص 55.

(3) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 234.

(4) الطبري،نفس المصدر ج 9 ص 53 .

(5) الهادي حمودة الغزي ، الشعر الأموي في خراسان والبلاد الإيرانية ص 38 .

(6) فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 468 شكري فيصل ، المجتمعات الإسلامية في ق هـ الأول ص 214 .

(7) تاريخ الدولة العربية ، ص 393.

(8) الهادي حمودة ، الشعر الأموي في خراسان ص 30،ناجي حسن،ثورة زيد ص 81.

الفتنة بين قبيلة بكر والوالي عبد الله بن خازم السُلمي حيث انشقوا إلى مجموعتين متعاديتين تتألف المجموعة الأولى من عرب تميم وقيس والمجموعة الثانية من عرب بكر.[1] ومع ذلك لم يكن الخلاف خطيرا بينهما إلا عندما كثر الأزد بخراسان في زمن المهالبة.[2]، وأعلنوا انحيازهم مثلما كان حالهم في البصرة — إلى البكريين فأصبح الأزد وبكر وعبد القيس في صَفٍّ وظلت تميم وقيس في صَفٍّ آخر ، يتقاتلان ويتوادعان [3] إلى أن ظهرت خطورة الخلاف الفعلية في الاثنتين والثلاثين سنة الأولى من القرن الهجري الأول عندما توجّه بعضهم إلى معارضة الدّولة الأموية نفسها .

ليس الحديث عن الأسباب الحقيقية لهذه المعارضات القَبَلية التي عرفتها خراسان سهلا ، ذلك لأنها لم تكن خاصة بها فقط بل لقد عمّت كُلّ الأراضي التي كانت خاضعة للدولة الأموية ، مع اختلاف في درجة القوّة والضعف من مكان إلى مكان .

أما السبب الأول لها فيعود أصله إلى مدينة البصرة حيث تَنَشَأت علاقات سيّئة ومتوتّرة بين القبائل العربية بسبب تباين أهوائها ومواقفها ومنافعها القبليّة والسياسيّة والاقتصاديّة ممّا جعلها تنشقّ إلى شقّين متباعدين: شق يجمع بين مضر وقيس والآخر يجمع بين القبائل اليمنيّة ، والربيعية.[4]و المعروف أن أكثرية عرب خراسان كانوا من عرب البصرة . دخلوا إقليمهم الجديد وهم يحملون معهم تركة الإنشقاق والتّباين فيما بينهم .

لم يكن الشقاق العربي في البصرة عظيما في العصر الراشدي وبداية العصر الأموي حيث لم يلاحظ إلا بعض التباين بين مضر وربيعه [5] على الرغم من اشتراكهم في النسب

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 7 ص 44 وما بعدها ابن الأثير ،الكامل في التاريخ 4 ص 156 .

(2) المهالبة من عرب اليمن ويُقصد بهم هنا الوالي المهلب بن صفرة (78-82 هـ) (697 – 701م) وابناه يزيد بن المهلب (82-85 هـ/ 701 – 704 م) وأيضا (97-99 هـ / 185-187 م) والمفضل بن المهلب (85 هـ – 86 هـ/ 704-705 م) .

(3) حسين عطوان ، الشعر في خراسان ص 57 .

(4) فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 380.

(5) فلهوزن ، نفس المرجع والصفحة ، يوسف العش ، الدولة العربية و الأحداث ص 303 ، حسين عطوان،=

الواحد[1] ذلك لأن ربيعة عُرفت بغيرتها من مضر لأنها كانت أهل الكثرة والغلبة بالحجاز كما كان لها الرياسة بمكة والحرم[2] والأهم من ذلك كان منها الرّسول(ﷺ) والخلفاء.[3]

لقد تغيرت أحوال عرب البصرة كثيرا بعد ذلك وبالأخص في حدود سنة 60 هـ (679م) حيث دخلت إلى المدينة مجموعات كثيرة من أزد عُمَان[4]-على الساحل الشرقي لجزيرة العرب- ونحن لا ننفي أنه وُجد بعض الأزديين في البصرة قبل هذا التاريخ لكنْ يبدو أن عددهم كان ضعيفا لدرجة أنّه اعتبر دخول أزد عُمَان أول وجود للأزديّين في البصرة.[5]

لقد كانت تميم تريد في أول الأمر أن تكسب صداقة الأزديين وأن تجعل منهم حلفاء لها . لكنها لم تبادر في ذلك لأن الأحنف بن قيس حكيمها الأكبر وصاحب الكلمة النافذة فيها رأى أن مَن يبدأ بطلب الحِلْف يكون له دائما الشأنُ الثاني فيه ، فاستقبلهم مالك ابن مسمع رئيس بكر — من ربيعة — فتعاقدت الأزد وبكر وبهذا تبدلت قوى العرب في البصرة حيث قويت بكر بانـضمام الأزد إليـها وظلت قوة تميم على حالها بعد ما كانت هي

= الشعر في خراسان ص 60 ، بطرس البستاني ، معارك العرب ص 83.

(1) تعود مضر وربيعه إلى نزار بن عدنان القزويني (السيد مهدي القزويني الحسني) ت 1300 م،أنساب القبائل العراقية ، حققه وعلق عليه عبد المولى الطريحي المطبعة الحيدريّة 1383 هـ (1963 م) ط 3 ص 38 ،السويد (أبو الفوز محمد أمين البغدادي)سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب دار إحياء العلوم بيروت (دت) ص 20.

(2) السويد ، نفس المصدر والصفحة.

(3) بطرس البستاني ، معارك العرب ص 83.

(4) الأزد من قبائل اليمن سكنوا "سبأ" وبعد حادثة انفجار سدّ " مأرب " شرعوا في التحرك نحو الشمال فاستقر بعضهم في مكة وعُرفوا " بقضاعة " و البعض الآخر في يثرب وعرفوا بعد زمن " بالأوس والخزرج " كما استقر البعض الآخر أيضا في سوريّة وعرفوا " بالغساسنة " وفي العراق وعرفوا " ببني كلب " أما الباقي فقد نزلوا همذان وعمان . سيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب ص 80 ، توفيق برو ، تاريخ العرب القديم، دار الفكر، دمشق 1404 هـ (1984م) ط 1 ص 233 و ما بعدها .

(5) فلهوزن ، تاريخ الدّولة العربيّة ص 283، حسين عطوان، الشعر في خراسان، ص 60.

الغالبة[1].

وقع الانفجار الحقيقي بين القبائل العربية في البصرة في سنة 65 هـ (684م) بعد وفاة الخليفة يزيد بن معاوية وانقسام الناس بين عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم [2] عندما دعا الوالي عبيد الله بن زياد، أهل البصرة إلى مبايعته حتى يَنْجَلِي الأمر ، ويختار الناس خليفة لهم، فبايعوه لكنهم سرعان ما تمرّدوا عليه وخلعوه ، فاستجار بمسعود بن عمرو زعيم الأزد، فأجاره ومنعه بعد حين، مما جعل ابن زياد يخرج إلى الشام ويستخلف على البصرة مسعود بن عمرو الأزدي، لكن تميم وقيس رفضوه وهجموا عليه وهو يدخل المسجد وقتلوه. فاجتمعت الأزد وبكر على تميم وقيس واقتتلوا قتالا عنيفا مات فيه العديد من الطرفين. واستمرّ ذلك إلى أن رأى رئيس تميم الأحنف بن قيس الرجوع إلى كتاب الله والتصالح على أن تدفع تميم دية مسعود إن كان للأزد عليه بَيّنة فاصطلحوا وَفَدَتْ تميمُ مسعودا بِعَشْرِ دِيَات .[3]

وهكذا اتسعت شقة الخلاف بين هاتين المجموعتين المتزاحمتين من القبائل العربية بالبصرة، وأصبحت الأزد وبكر وعبد القيس في جانب وتميم وقيس في جانت آخر . وكان لِماَ شَجَر بينهما من صِدَام أثره فيمن انتقل منهم إلى خراسان . إذْ اتّحدت هنالك قبائل كل مجموعتين وتنافست على نحو ما تكتّلت في البصرة وتنابذت [4].بل إن ما كان يحدث في خراسان في الاثنتين والثلاثين سنة الأولى من القرن الهجري الثاني كان أخطر بكثير مما كان يحدث في البصرة التي هدأ فيها العرب وانشغلوا بمحاربة الخوارج[5].

---

(1) فلهوزن ، تاريخ الدّولة العربيّة ص 283،حسين عطوان الشعر في خراسان ص 60.

(2) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ص 252 و 256 .

(3) أبو عبيدة ، نقائض جزير والفرددق،ج 1 ص 111 و ج 2 ص 740.

(4) حسين عطوان ، الشعر في خراسان،ص 61،محمد طليس ، تاريخ العرب،ج 1 ص 181، شاكر الفحام ، الفرزدق ص 27.

(5) فلهوزن ، تاريخ الدّولة العربيّة ص 393.

وخاصة أنه كان من أم كلبية يمنية [1] وزوجا لامرأة كلبيه أيضا مما أغضب القيسية وجعلهم يرفضون الاعتراف بخلافة ابنه معاوية الثاني بن يزيد .[2] ويناصرون عبد الله بن الزبير ويعترفون بصحة خلافته . ويحاربون معه في معركة مرج راهط [3] ضدّ الأمويين في 65 هـ (684 م) لكنهم فشلوا أمام اليمنيّين وبخاصة منهم الكلبيون الذين اجتهدوا كثيرا في مناصرة الأمويين .[4]

أما عبد الملك بن مروان فقد عمل على تخفيف حدّه العصبيّات القبليّة وسامح القيسييّن وقربهم إليه كما قرب إليه الكلبيين أيضا .[5] وبهذا أثبت أنه مثل الخليفة معاوية ابن أبي سفيان يعرف كيف يؤلف بين الخصوم فيجعلهم يخدمون الدولة[6]، لكن خراسان لم يصلها هذا التسامح والتصالح فقد تواصلت العصبية القبلية فيها في عهود المهالبة اليمنيين الذين كانوا يُؤْثِرُون قومهم ويفضلونهم على سواهم.[7]

وأما الخليفة الوليد بن عبد الملك فقد كان هواه واضحا للقيسيّين [8]مما جعل الحجاج ابن يوسف ينحّي يزيد بن المهلّب عن خراسان و يولّي عليها قتيبة بن مسلـــــم[9]

---

(1) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ص 245 .

(2) مي يوسف، قضية الالتزام ص 17 • فليب حتي ، تاريخ العرب المطول،ج 1 ص 351 ، نظير حسّان سعداوي، الدّولة العربية الإسلامية ص 211.

(3) مرج راهط : على بضعة أميال إلى الشمال الشرقي من دمشق • سيد أمير علي ، مختصر تاريخ العرب،ص 97.

(4) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 7 ص 113.•ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 4 ص 149 • عبد العزيز الدوري ، مقدمة،ص 65 • سيد أمير علي ، مختصر تاريخ العرب،ص 97 فليب حتي،تاريخ العرب،ج 1 ص 352. عبد اللطيف الطيباوي ، محاضرات في تاريخ العرب والإسلام ص 151 • نجدة خماش ،الإدارة في العصر الأموي، ص 112.

(5) فلهوزن،تاريخ الدّولة العربية ص 204 • نجدة خمّاش ، الإدارة في العصر الأموي،ص 113.

(6) نجدة خمّاس ، نفس المرجع والصفحة .

(7) شاكر الفحّام ، الفرزدق ص 43.

(8) حسين عطوان،الشعر في خراسان ص 59 • فليب حتي ، تاريخ العرب المطوّل،ج 1 ص 351 .

(9) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 8 ص 39 • ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 4 ص 523• البلاذري،فتوح البلدان ، ص :59.

الباهلي[1]. وأما الخليفة سليمان بن عبد الملك فقد كان هواه للأزد و خلفائها اليمنيّين فلقد انخفضت في عهده منزلة المضريّين كلهم وبخاصّة أكبر قبائلهم؛ بنو تميم وقيس. فهو لم يَنْسَ لهم وقوف الحجاج بن يوسف وقتيبة بن مسلم مع الخليفة الوليد بن عبد الملك حينما أراد فصله عن الخلافة ومبايعة ابنه عبد العزيز بن الوليد[2] . وهذا ما جعل قتيبة يتوحش من خلافته ويدعو عرب خراسان لخلعه ، لكنهم ثاروا عليه وقتلوه[3]. فعيّن الخليفةُ سليمانُ يزيدَ بْنَ المُهلّب من جديد على خراسان فعاد نفوذ اليمن من جديد على الإقليم.[4]

وأما الخليفة عمر بن عبد العزيز فقد سوى بين كلّ العرب ولم يختر منهم إلاّ الأصلح والأكفأ لاستخدامه في المهامّ الكبرى [5] كما عمل على تقسيم حكم الولايات بين رجلين إثنين أحدهما على الصّلاة والحرب والثاني على الخراج يكون أحدهما من مضر و الثاني من اليمن.[6] أمّا الخليفة يزيد بن عبد الملك . فقد اعتمد على القيسية وقرّبهم وذلك لأنه كان متزوجا من ابنة محمد بن يوسف الثقفي أخي الحجّاج أم أبنه الوليد الذي أصبح فيما بعد خليفة .[7] وكان من أثر ذلك أنه قَتل يزيد بن المهلبّ[8] وعيّن عمر بن هبيرة على العراقين،

---

(1) كان الانتساب إليها يُعتبر من ضروب المعرّة ، ذلك لأن هذه القبيلة المضريّة اشتهرت بالضّمة وخبث السّيرة ، إلى أن برز فيها قتيبة بن مسلم الذي رفع من شانها ،، تنسب إلى باهلة بنت صعب ، أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ج 1 ص 266 .

(2) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج5 ص 10 ، البلاذري ، فتوح البلدان،ص 594 ، رضى عبد الله عبد الحليم، دراسات في تاريخ خراسان،ص 43.

(3) الطبري ، تاريخ الأمم و الملوك ، ج 8 ص 108 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 17 .

(4) الطبري ، نفس المصدر،ج 8 ص 120 ، ابن الأثير ، نفس المصدر،ج 5 ص 29.

(5) نجدة خماش ، الادارة في العصر الأموي ، ص 107.

(6) فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص 428 ، نجدة خمّاش ، الإدارة في العصر الأموي،ص 297.

(7) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 16 ، ابن الأثير ،الكامل في التاريخ،ج 5 ص 281.

(8) الطبري ، نفس المصدر ج 8 ص 151 ، ابن الأثير،نفس المصدر،ج 5 ص 79.وما بعدها النويري ،نهاية الأرب في فنون الأدب،ج 21 ص 186.

الذي أساء كثيراً للأزد و اليمن جميعا في خراسان والشرق كلّه.[1]

وأمّا الخليفة هشام فيظهر أنه كان رجلا عمليا لا يهمه إلاّ السّير الأفضل لأمور الدولة لذا ، نجده يعتمد على المضريّين واليمنيين معاً ، لكنّه مع ذلك زاد نار العصبية في الشرق عندما عَزل عمرَ بنَ هُبَيرة من العراقين و ولاّها لخالد بن عبد الله القسري اليمني الذي قوي في عهده الطويل / (105- 120هـ) (723-737 م) نفوذُ اليَمن في الشرق [2] إلى أن عزله هشام بعدما وصله عنه ما وصل وعين في مكانه يوسف بن عمر الثقفي الذي كان قيسيا لحما ودماً [3].

وأما الخليفة الوليد بن يزيد ـ بحكم أنه من أم قيسية ـ فقد قرّب أخواله وأبعد اليمنيّين الذين ثاروا عليه بعد أن أمر بقتل خالد بن عبد الله القسري[4] ممّا سهّل على الخليفة يزيد بن الوليد جذبهم جميعا و الاعتماد عليهم للقضاء عليه .[5]

وأما الخليفة مروان بن محمد فقد اعتمد اعتماداً كاملا على المضرية وبخاصة منهم القيسية [6] ممّا أبعد عنه اليمنية جميعا الذين اختاروا في الأخير الميل للدّعوة العباسية .[7]

ومهما يكن من أمر ،ومع إقرارنا بأن لبعض الخلفاء دوراً في زيادة حدّة العصبية القبلية ، فإننا نرى أنّ المؤرخ محمود إسماعيل [8] قد بالغ كثيرا حينما ذكر " أن بني أميّة عملوا على إذكاء النعرات القبلية وأعانوا بعض الأحزاب على بعضها الآخر لإحداث نوع

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 8 ص 166 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 97 ، رضى عبد الله عبد الحليم ، دراسات في تاريخ خراسان ص 55 ، ناجي حسن ، ثورة زيد بن علي،ص 71 .

(2) الطبري ، نفس المصدر،ج 8 ص 184،ابن الأثير ، نفس المصدر،ج 5 ص 128 ،النويري ،نهاية الأرب،ج 21 ص 404،الحنبلي ، شذرات الذهب،ج 1ص 133.

(3) فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية،ص 450.

(4) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 17 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج 5 ص 276.

(5) السيد عبد العزيز سالم ، العصر العبّاسي الأوّل ، ص 89.

(6) علي إبراهيم حسن ، التاريخ الإسلامي العام،ص 327 ، السيّد عبد العزيز سالم ،العصر العباسي الأوّل،ص89.

(7) علي إبراهيم حسن،نفس المرجع والصفحة ، السيد عبد العزيز سالم ، نفس المرجع والصفحة .

(8) قضايا في التاريخ الإسلامي ص 26.

من التوازن السّياسي يَكفل لحكمهم البقاء والاسْتمرار " . فأين ذلك التوازن السياسي الذي كسبوه من العصبية القبلية التي أضعفت الدولة وأسقطتها،بداية من سقوطها في إقليم خراسان . ونظيف أنّنا لا نتّفق تماما مع قول المؤرّخ عبد العزيز الدوري [1] الذي جاء فيه : " إنّ خلفاء بني أمية الذين جاءوا بعد سليمان بن عبد الملك أصبحوا كأنهم رؤساء أحزاب بدلا من أن يكو نوا رؤساء دول . وبذلك ضعف التّوجيه وتضعضت وحدة الدّولة المتمثلة في خليفتها وانصدعت دعامة الحكم الأمويّ". ويحق لنا أن نسأل هذا الباحث هل كان – على الأقل– عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك رؤساء أحزاب وهما اللذان عُرِفَا بسيساتهما الجريئة التي جعلتهما يُحّسِنَان الإشرافَ على كلّ أرجاء الدولة الإسلاميّة ، ويتدخّلان في كلّ الكبائر والصّغائر كأنهما كانا يعيشان في كل أقاليم الدّولة.

هذا وقبل ختم حديثنا عن الأسباب نظيف سببا آخر يُعَدُّ – في الحقيقة – نتيجة من نتائج العصبية القبلية ، كما يُعَدّ السّبب المباشر لظهور معارضات اليمنيين للحكم الأموي في خراسان ، وهو قتل يزيد بن عبد الملك ليزيد بن المهلب وقتل الوليد بن يزيد لخالد بن عبد الله القسري.

أما المعارضات العربية للحكم الأموي في خراسان في الإثنتين والثلاثين سنة من القرن الهجري الثاني فهي :

1 / معارضة البروقان 106 هـ (774م) :

حدثت هذه المعارضة في سنة 106 هـ (774م) في عهد الوالي مسلم بن سعيد بن زرعة على خراسان عندما كان يهدف إلى غزو فرغانة مع جموع العرب لكن الأزد وبكر أعلنوا تمرّدهم على الوالي في مدينة " بلخ" وامتنعوا عن اللّحاق به متذرعين ، في الظاهر ، بأنه لم يدفع لهم أُعْطِيَاتِهم مضمرين ، في الحقيقة ، التّمرد والعصيان .[2] ويبدو أن عزل الخليفة هشام بن عبد الملك لعمر بن هبيرة القيسي عن العراق وتوليته لخالد بن عبد الله

[1] مقدمة في تاريخ صدر الإسلام،ص 65.

[2] الطبري،تاريخ الأمم والملوك،ج 8 ص 183 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج 5 ص 127.

القسري اليمني مكانه، قد أغرى اليمانية وحُلفاءهم بخراسان بالتّمرد على والي خراسان القيسي مسلم . الذي،برغم ما حصل،قطع النهر (جيحون أو بلخ) وحاول معهم الحلول السلمية حيث بعث لهم القائد نصر بن سيار على رأس مجموعة [1] من الرّجال الذين أسرعوا جميعا في توزيع الأُعْطِيَات المتأخرة على المتمرّدين[2] الذين أصروا برغم ذلك على مواصلة الخروج على الوالي[3] مما جَعَلَ نصرًا يغيّرُ سياسته ويقوم بحرق باب دار البختري ابن درهم البكري الذي كان يتزعم بكرا و ربيعة ،وباب دار زياد بن طريف الباهلي الذي كان على رأس المعارضين .[4]

لقد تصاعدت الأمور بعد ذلك كثيراً ، وانضمّ إلى المعارضين عمرو بن مسلم الباهلي (أخو قتيبة بن مسلم الوالي السابق) عامل مدينة بلخ التي أغلقها عن نصر وأصحابه[5] بعدما اقتربت منه ربيعة وجعلته صاحب كلمتها في المعارضة[6] وبخاصة منهم التغلبيون [7] الذين أشاعوا أن باهلة أكثر قرابة إليهم من المضريين. مما جَعَلَ نَصْرًا يتجه إلى مدينة البروقان حيث أتاه جمع كبير من أنصاره[8] ولحق به المعارضون الذين عسكروا على بعد

---

(1) تكونت هذه المجموعة من قادة مشهورين وهم سلم بن سليمان بن عبد الله بن خازم وبلعاء بن مجاهد بن بلعاء العنبري وأبو حفص بن وائل الحنظلي وعقبة بن شهاب المازني وسالم بن ذؤابة ، الطّبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 8 ص 183 و 184 .

(2) الطبري ، نفس المصدر،ج 8 ص 184.

(3) الطبري ، نفسه،ج8 ص 183 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 127.

(4) الطبري ، نفسه،ج 8 ص 183 ، وابن الأثير ، نفس المصدر،ج 5 ص 127.

(5) الطبري،نفسه ، ابن الأثير،نفسه .

(6) الطبري ، نفسه .

(7) تَغْلِب تُنْسَب إلى جدّ جاهلي يُدعى تَغْلِب بن وائل بن قاسم من بني ربيعة،يُعرفون أيضا " بالأراقم " موطنهم الأصلي نجد والحجاز لكنهم هاجروا منذ عهد بعيد إلى الجزيرة في العراق في الموضع الذي يعرف بديار ربيعة بالقرب من حدود الشام . أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي،ج 1 ص 480.

(8) أتاه أهل " صغانيان " ومسلمة الغفقاني من بني تميم وحسّان بن خالد الأسدي كلّ واحد منهما في خمسمائة وأتاه سنان الأعرابي وزرعة بن علقمة وسلمة بن أوس والحجاج بن هارون التميري في أهل بيته ، الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 8 ص 183.

فرسخ ونصف منه [1].

وعلى الرغم من أن المواجهة أصبحت حتميّة بين نصر والمعارضين ، فإنه حاول أن يعالج الأمور " سلْمِيًّا " فأرسل من يناديهم :" لقد أخذتهم أُعْطِياتِكم فالحقوا بأميركم فقد قطع النهر[2] " لكن المعارضين لم يأبهوا لكلامه وبادروا بالحرب التي كان النَّصْرُ فيها في الأخير لنصر بن سيّار الذي أمن المعارضين جميعا .[3]

وعلى الرغم من أن هذه المعارضة جاء الحديث عنها مقتضبا عند الطبري ، فيبدو أنها كانت ساخنة وَهي وإنْ أخذتْ حيّزا زمنيًّا قصيرا ، فإنّها أثّرت كثيرا في مستقبل عرب خراسان فقد أشعلت الحرب الباردة بينهم وجعلتهم دائما متأهبين للحرب. هذا فضلا عن أنّها كانت السّبب الأول في فشل غزوة مسلم وعزله.[4]

2/ معارضة الحارث بن سريج (116-128 هـ /734-745 م) :

تعد معارضة الحارث بن سريج التميمي المرجئي معارضة قبلية عقائدية مزقت بني تميم ولم تتمكن من جمعهم كلّهم في صفّها [5] كما مزقت المرجئة وجمعت كلّ من أصبح يقول قول جهم بن صفوان في الأعمال أو الإكساب .[6]

كان الحارث بن سريج بطلا شارك في قتال الأتراك مساندا وُلاّة خراسان ، وكان هو الذي حضّ الناس على الثبات عندما أشرف المسلمون على الموت عطشا أمام حصار التّرك في بِيكَنْد في عهد الوالي الأشرس بن عبد الله في سنة (110 هـ 728 م) [7]حيث

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 8 ص 183.

(2) الطبري ،نفس المصدر والصفحة.

(3) الطبري ، نفسه،ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 128.

(4) الطبري ، نفسه،ج 8 ص 187 ، ابن الأثير ، نفس المصدرج 5 ص 129 ، النويري ،نهاية الأرب ج 21 ص 404 ، ابن كثير ، البداية والنهاية،ج 9 ص 234 ، فلهوزن ، تاريخ الدّولة العربية،ص 433 .

(5) فلهوزن ، نفس المرجع ص 463.

(6) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 67 ، البغدادي ، الفرق بين الفرق ص 25.

(7) الطبري ، نفس المصدر،ج 8 ص 198 ، ابن الأثير ،الكامل،ج 5 ص 150 ،النويري نهاية الأرب في فنون

حمّسهمقائلا :" أيها الناس القتل بالسيف أكرم في الدنيا وأعظم أجرا عند الله من الموت عطشا"(1) فقاتلوا وكان لهم النصر .(2) لكنّه عندما قدم الوالي عاصم بن عبد الله خراسان في سنة 116 هـ (734 م) أعلن معارضته ولبس السّواد ودعا إلى كتاب الله وسنة نبيّه والبيعة للرّضا.(3) وأقبل من جهة نُخَد (4) حتى وصل الفارياب وسار إلى بلخ في أربعة آلاف مقاتل وعليها نصر بن سيار الذي سرعان ما تغلب عليه الحارث وطرده وأصحابه من المدينة التي أصبحت و الجوزجان والفارياب والطالقات ومرو الروذ تحت سيطرته ممّا جعله يوجه اهتمامه إلى العاصمة مرو (5) التي يُذكر أن بعض أهلها راسلوا الحارث وطلبوا منه دخولها . فسمع بذلك الوالي عاصم(6) فأرَاد أن يهرب إلى نيسابور أرض قومه القيسيين منتظرا عون الخليفة هشام بن عبد الملك له لكنه أُشير عليه بالبقاء والثبات ومواجهة الحارث فقبل ذلك بعد أن حلف أهل مرو بالطّلاق والعتاق على الصّدق في القتال (7) فخرج عاصم في أهلها وغيرهم وعسكروا ، فقام وشَجّع النّاسَ بأن وزّع عليهم المال وأمرهم ببناء القناطر استعدادا للقاء الحارث الذي سرعان ما اقترب منهم في ستين ألفا من أنصاره من بني تميم ودهاقين المناطق الخراسانية التي أصبحت تحت سيطرته ، فضلا عن ألفين من الأزد تحت إمْرَة

= الأدب،ج 21 ص 409 • فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية،ص 436.

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 198.

(2) الطبري ، نفس المصدر،ج 8 ص 198 • ابن الأثير ، الكامل،ج 5 ص 150 •النويري نهاية الأرب،ج 21 ص 409 • فلهوزن تاريخ الدولة العربية،ص436.

(3) الطبري ، نفسه ج 8 ص 219 • ابن الأثير ، نفس المصدر،ج 5 ص 185.

(4) نُخَد أو نُخَذ ناحية خراسانية بين عدّة نواحٍ منها : الفَرَيَاب وزمّ والَيهودية وآمُل • ياقوت الحموي ، معجم البلدان،ج 4 ص 767.

(5) الطبري،تاريخ الأمم والملوك،ج 8 ص 220 • ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 184 .

(6) خطب الوالي عاصم أهل مَرْو قائلا :" يا أهْل مَرْو قد كاتَبْتُم الحَارث بن سُرَيج ،لا يقصِد مدينة إلاّخلّيتُمُوها له واني لاحق نيسابور و أكاتب أمير المؤمنين حتّى يمُدّني بعشرة آلاف من أهل الشّام "• الطبري،تاريخ الأمم والملوك،ج 8 ص 220•ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 184.

(7) الطبري ، نفس المصدر والصفحة • ابن الأثير ، نفس المصدر والصفحة .

والأتراك – حيث انضمّ إلى خاقان الترك وشجعه على أسد الذي تمكن منهما واسترجع منطقة طخارستان[1] فصاحب الحارث خاقان إلى بلاده مع خمسة آلاف من أصحابه [2] وناصر القائد كورصول الذي قَتل خاقان وتزعم الترك بعده على قتل المسلمين . فقد شاركه في منع نصر بن سَيّار وجيوشه من قطع نهر " سيحون " بل ونصب عليهم عَرَادتين لكنه تراجع في الأخير عن قتلهم خوفا من أن يصيب أهل قبيلته تميم .[3] والتجأ إلى الشاش ، لكنّ نصرا اشترط على أهلها بعد فتحها إخراجه منها فأخرجوه إلى الفاراب في الضّفّة الشرقية لنهر سيحون .[4]

لقد كفّ نصر بن سيار عن ملاحقة الحارث بعد أن أُخرج من الشاش ، لكنه بعد أن خرج عليه جديع الكرماني ، خاف قدومه عليه وأصحابه وجموع الترك ، فيشتدّ الأمر عليه . لذا، رأى أن يبعث له جماعة لمناصحته.[5] وفي الوقت نفسه بعث إلى الخليفة يزيد ابن الوليد بن عبد الملك طالبا منه كتابة أمان رسمي للحارث ففعل [6]، فعاد الحارث إلى خراسان في جمادى الآخرة سنة (127هـ/477م) بعدما قضى اثنتي عشرة سنة هاربا عند الأتراك.[7] والحقيقة فقد بذل نصر كُلّ ما في وسعه لإرضاء الحارث وإبعاده عن فكرة

---

(1) الطبري، تاريخ الأمم والملوك،ج 8 ص 230 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 198.

(2) الطبري ، نفس المصدر،ج 8 ص 238 ،ابن الأثير ، نفس المصدر،ج 5 ص 205.

(3) الطبري ، نفسه،ج 8 ص 269.ابن الأثير ، نفسه،ج 5 ص 238 ، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية،ص452، رضى عبد الله عبد الحليم ، دراسات في تاريخ خراسان،ص 80.

(4) الطبري،نفسه،ج 8 ص 270 ، ابن الأثير ، نفسه،ج 5 ص 238 ، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية،ص452.

(5) أرسل إليه مقاتل بن حيان النبطي وثعلبة بن صفوان البناني ،وأنس بن بحالة الأعرجي وهدبة الشمرواي وربيعة القرشي ، الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 42.

(6) كتب له قائلا: " أما بعد فإنا غضبنا لله إذْ عُطلت حدوده وبلغ بعباده كُلّ مبلغ وسفكت الدماء بغير حلها وأخذت الأموال بغير حقّها فأردنا أن نعمل في هذه الأمّة بكتاب الله جلّ وعزّ وسُنّة نبيه(ﷺ)، ولا قوّة إلا بالله فقد أوضحنا لك عن ذات أنفسنا ، فأقْبل آمِنًا أنت ومن معك فإنكم إخواننا وأعواننا وقد كتبت إلى عبد الله بن عمر ابن عبد العزيز يردّ ما كان اصطفى من أموالكم وذراريكم ". الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 43.

(7) الطبري، نفس المصدر والصّفحة ، ابن الأثير ،الكامل في التاريخ،ج 5 ص 308.

المعارضة. لقد أسكنه قصر بُخَارَا خُدَاه وأجرى عليه خمسين درهما كل يوم وأطلق سراح من كان مسجونا من أهله و رَدّ له كل ما صودر منه[1] وشاركته زوجته المرزبانة في هذا الإرضاء أيضا بأسلوبها الخاص[2] بل إن نصرا عرض على الحارث أن يوّليه ويُعطيه مائة ألف دينار ، لكنه لم يوافق مغرضا وأرسل إليه قائلا :" إني لست من هذه الدنيا ولا من هذه اللذات ولا من تزويج عقائل العرب في شيء ، وإنما أسأل كتاب الله عزّ وجلّ والعمل بالسنّة واستعمال أهل الخير والفضل ، فإن فعلتَ ساعدتك على عدوّك .[3]

لقد كان الحارث يعلم جيّدا أحوال خراسان السّيّئة ومَدى معاناة نصر لحلّهَا . لذا ، ظلّ دائما برغم ما قام به نصر في سبيل إرضائه مقتنعا بتمرّده ، فسرعان ما اتصل بالمعارض جديع الكرماني يقول : " إن أعطاني نصر العمل بكتاب الله وما سألته من استعمال أهل الخير والفضل عضدتُه وقمت بأمر الله وإن لم يفعل استعنت بالله عليه وأعنتك إن ضمنت لي ما أريد من القيام بالعدل والسنة ".[4] و بدأ الحارث يدعو إلى نفسه وأجابه الكثير من بني تميم وغيرهم .[5] ولمّا وصل مروان بن محمد الخلافة أعلن خروجه عنه وخرج بإزاء قصر بُخَارَا خُداه وعسكر ،وأرسل إلى نصر يقول :" اجعل الأمر شورى" لكن نصراً رفض ، فخرج الحارث فأتى منازل يعقوب بن داوود ،وَأَمَرَجَهْمُ بْنَ صَفْوان مولى بني راسب فبدأ يشهر سيرة الحارث ويدعو له النّاس فكثرت أتباعه .[6] ويبدو أن ثقة

---

(1) الطبري، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 53.

(2) أرسلت إليه المرزبانة بنت قديد ، امرأة نصر بن سيّار بجرز سمور [فرو السّمور و السّموردابّة معروفة تُسّوى من جلودها فراء غالية الأثمان ، ينظرابن منظور، لسان العرب مادة "سمر"] مع جارية لها ، فقالت : " أقرئي ابن عمّي السلام وقولي له اليوم بارد فاستدفئ بهذا الجرز السمور فالحمد لله الذي أقدمك صالحا " فقال للجارية : " إقرئي بنت عمي السّلام وقولي لها إعارية أم هديّة ؟ " فقالت " بل هديّة " فباعه بأربعة آلاف دينار وقسمها في أصحابه ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 53.

(3) الطبري ، نفس المصدر و الصفحة • ابن الأثير ،الكامل في التاريخ،ج5 ص 328.

(4) الطبري ، نفسه • ابن الأثير ، نفس المصدر والصفحة .

(5) الطبري ، نفسه ،ج 9 ص53.

(6) الطبري ، نفسه،ج 9 ص 66 • ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 342.

الحارث بنفسه كانت قوية جدا إذ إنه بعث إلى نصر يطلب منه أن يعزل سالم بن أحوز من شرطته وأن يختار كل واحد منهما رجالا يُترك لهم اختيار عمّال خرسان [1]، وبرغم أن هذه المطالب كانت تذلّلُ نصرا فإنّه وافق عليها راغبا في السلام الذي لم يكن الحارث يهدف إليه أبداً ، فأظهر أنّه صاحب الرّايَاتِ السّود ومع ذلك لم يغير نصر سياسته وواصل نصحه له وملاطفته أيضا مع شيء من التهديد حيث بعث إليه قائلا :" إن كنت تزعم أنكم تهدمون سور دمشق وتزيلون ملك بني أميّة فخذ منّي خمسمائة رأس ومائتي بعير واحمل من الأموال ما شئت وآلة الحرب وسر فلعمري لئن كنت صاحب ما ذكرت إني لفي يدك وإن كنت لست ذلك فقد أهلكت عشيرتك ".[2] ولما لم يتراجع الحارث عاد نصر إلى المناصحة بل وعرض عليه ولاية ما وراء النهر مع ثلثمائة ألف ، لكنه كان مصراً على تمرّده وحاول التحايل على نصر قائلا :" إن شئت فابدأ بالكرماني ، فإن قتلته فأنا في طاعتك وإن شئت فخلّ بيني وبينه فإن ظفرتُ به رأيتُ رأيك وإن شئت فسر بأصحابي ، فإذا أجرت الريّ فأنا في طاعته ."[3] وانتهى الأمر بينهما إلى التّناظر واتفقا على أن يحكم بينهما مقاتل بن حيان وجهم بن صفوان اللذان حكما بأن يعزل نصر ويكون الأمر شورى . لكن نصرا رفض وبرفضه بدأت الحرب الفعلية بينهما.[4]

لقد نشط الحارث كثيرا في نشر سيرته التي أصبحت تُقرأ في طرايق مرو و مساجدها و بايعه قوم كثير . ووصل قارئ السيرة إلى باب نصر بن سيار نفسه ممّا جعله يأمر بنشر دعاية مضادّة عن الحَارث[5] الذي تمكن من دخول مدينة مرْو من نقب في سورها من ناحية

---

(1) لقد اختار نصر رجلين حكيمين هما مقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيّان النّبطي واختار الحارث المغير بن شعبة الجهضمي و معاذ بن جبله ،الطبري،تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 67 .

(2) الطبري، نفس المصدر والصفحة ؛ابن الأثير ،الكامل في التاريخ،ج 5 ص 343.

(3) الطبري ، نفسه ج 9 ص 67.

(4) الطبري ، نفسه ؛ ابن الأثير ، الكامل،ج 5 ص 343.

(5) أصبح الحسن بن سعد مولى قريش بأمر من نصر يُنادي :" إن الحارث بن سريج عَدُوّ الله ، قد نابذ وحارب فاستعينوا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، الطبري،تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 68.

" باب البالين " لكنه هُزم وقُتل بعض أصحابه من بينهم كاتبه جهم بن صفوان [1] ومع ما حَصَل لم يفقد الحارث ثقته بنفسه ، فقد راسل نصرا قائلاً :" لا نرضى بك إماما "[2] فردّ عليه نصر،الذي يبدو أنه أحسّ ببعض قوته،قائلا :" كيف يكون لك عقل وقد أفنيت عمرك في أرض الشرك وغزوتَ المسلمين بالمشركين ، أتراني أتضرع إليك أكثر مما تضرعت "[3] وهنا بعث الحارث ابنه حاتما يستنجد بجديع الكرماني الذي سرعان ما أتاه مع مناصريه من الأزد وربيعة ،وتمكّن بعد معارك كثيرة من التغلب على نصر وأصحابه المضريين.[4] ويظهر أنّ الحارث التميمي المضري قد ندم على استنجاده بالكرماني الأزدي اليمني ، فبدأ يتقرّب من نصر حيث راسله قائلا " إن اليمانية يعيّروني بانهزامكم وأنا كَافٌ ، فاجعل حماة أصحابك بإزاء الكرماني"[5] فأخذ عليه نصر العهود بذلك وترك مرو للمعارضين والتجأ إلى نيسابور [6].

لقد ثار أصحاب الحارث على الكرماني ، ذلك لأنهم لم يَنسوا ما فعله في عهد أسد ابن عبد الله القسري بأهل " التبوشكان " بني برزي التغلبيين أصهار الحارث حيث يُذكر أن " الكرماني بقرَ بطون خمسين رجلا وألقاهم في نهر بلخ وقطع أيدي ثلثمائة منهم وأرجلهم وصلب ثلاثا وباع أثقالهم "[7] وما زادهم كرها له أنه هدّم دور المضريين في مرو ونهب أموالهم [8] وهم الذين كانوا يقفون مع الحارث لإعلاء كلمة الحقّ وتطبيقها — كما أشاع —[9] لذلك أصبحت الحرب بين الرجلين حتمية اقتتلا فيها قتالا شديدا انتهى بقتل

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج9 ص 68، ابن الأثير،الكامل في التاريخ،ج 5 ص 344 .

(2) الطبري ، نفس المصدر،ج 8 ص 69.

(3) الطبري ، نفسه .

(4) الطبري ، نفسه،ج 9 ص 71 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 344.

(5) الطبري ، نفسه ، ابن الأثير ، نفس المصدر،ج 5 ص 345.

(6) الطبري ، نفسه ، ابن الأثير ، نفسه ، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 461.

(7) الطبري ، نفسه .

(8) نفسه،ج 9 ص 72.

(9) نفسه .

الحارث في يوم الأحد لستّ بقين من رجب سنة (128 هـ -745م) وقتل أخيه سوادة ومئة من أصحابه وبذلك صفت مرو لليمنيين الذين انتقموا انتقاما من مُضَرِيِّيها .[1]

لقد أشاد بعض المؤرخين [2] كثيرا بثورة الحارث بن سريج واعتبروها ثورة إصلاحية ترمي إلى مساعدة مسلمي الأعاجم على المساواة الكاملة بالعرب في الحقوق وأنها كانت امتدادًا لثورة " أبي الصيداء " الذي ثار على الوالي الأشرس بن عبد الله عندما طلب منه اختبار إسلام " الصّغد " بالإختتان وإقامة الفرائض وقراءة سورة من القرآن قبل رفع الجزية عنهم [3]، وأنه أشعل نار الثورة على بني أميّة لتحرير أولئك المستعبدين ورَفْع ذلك النير عنهم . فهو كان يزعم أنه المهدي المنظر الذي بعثهُ الله لتخليص المضطهدين والأخذ بناصر المظلومين . ويذكر فان فلوتن [4] :" إنّ السّواد الأعظم ممن اشتركوا مع الحارث كانوا من الدهاقين ومِنّ صغار الملاّك الذين كان يضطهدهم أمراء الولايات وعمال الخراج " مع أننا حينما نتتبّع أحداث هذه المُعَارَضَةِ في المصادر الإسلامية الأساسية وبخاصة منها الطبري، الذي جاءت فيه أحداثها أكثر تسلسلا وتعمقا ، لا يظهر لنا أن الحارث قام من أجل رفع نير الظلم عن غير العرب المضطهدين كما لا يظهر لنا أبدا أن تابعية كانوا جلهم من الدهاقين وصغار الملاّكين بل كانوا عربا من بني تميم ولهذا تعصّبوا على جديع الكرماني اليماني عندما أضرّ بمضريّي مَرْو .

الواقع،إن هؤلاء المؤرخين المُحْدَثِين اعتمدوا على ما جاء به " فان فلوتن " من مادّة خيالية لا وجود لها في المصادر لإثبات أن الموالي والفرس كانوا مضطهدين جميعا . فجعل الحارث مهديهم المنتظر الذي في الأصل لم يكن سوى رجل انتهازي جرّب كلّ السّبل من أجل الإطاحة بالحكم الأموي فقد جمع معه المرجئة والجهميين ودهاقين المناطق التي كان

---

(1) الطبري ،تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 73 ، ابن الأثير ، والكامل،ج 5 ص 346.

(2) فان فلوتن ،السيادة العربية،ص 61 ، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص 442،جمال الدين سرور،الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية،ص 162 ، إبراهيم بيضون،الدولة الأموية والمعارضة ، ص34 وما بعدها .

(3) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 8 ص 197 ، ابن الأثير ، الكامل ، في التاريخ،ج 5 ص 148.

(4) السيادة العربية ، ص 63.

قد سيطر عليها ، بل وتحالف مع خاقان الترك وكورصول أعداء الإسلام والمسلمين وحتى مع الكرماني الأزدي وهو يعرف تلك العصبية التي كانت بينهما . فهو من أجل أهدافه تحالف ـ مثلما ذكر الهادي حمودة الغزي[1] مع الشيطان ، ولو كان كما أفهمنا فَانْ فُلُوتِن لكان نال الدعم من كل الأعاجم ولما كنّا نسمع أن أهل " ترمذ " — [في شمال مضيق نهر جيحون][2] — قد امتنعوا عنه وحاربوه أشدّ حرب[3] . ويجب أن نذكر في الأخير أن الحارث بدأ المعارضة في عهد الوالي الجنيد بن عبد الرحمن (111- 116 / 729-334م) لأنّه — وحسب ما نفهمه من الطّبري — كان قد اقترف ما جعل الوالي يبعده عن مهامه السامية في خراسان بل ويأمر عامل " بلخ " بضربه أربعين سوطا،[4] أما الشعارات التي رفعها ، فلم تكن جديدة في هذه العهود ، فقد كان كلّ المعارضيين للدولة يرفعون شعارات العدل والمساواة والعودة إلى الدين الإسلامي .

3/ معارضة جديع الكرماني (126-130 /744-747م) :

لقد بدأ جديع الكرماني يفكر في الخروج على الوالي نصر بن سيّار منذ أن عزله من الرياسة و ولاها لغيره،[5] وكانت فرصته عندما ظهرت بعض الفوضى بين الناس لأن الوالي لم يتمكن من دفع أُعْطِياتهم نقدا وعوّضها ببعض أواني الذّهب والفضّة التي كان قد صنعها ليهديها للخليفة الوليد بن يزيد [6] حيث تزعّم الأزد وحليفتها ربيعة وأعلن معارضته لنصر المضري الذي لم يعترف عمليا بالخليفة يزيد بن الوليد بن عبد الملك اليمني الهَوَى.[7]

---

(1) الشعر الأموي في خراسان والبلاد الإيرانية،ص 34.

(2) كي لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية،ص 484.

(3) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 8 ص 227.

(4) الطبري ، نفس المصدر،ج 8 ص 220.

(5) الطبري ، نفسه،ج 9 ص 39 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ،ج 5 ص 304.

(6) الطبري ، نفسه،ج 9 ص 38 ، ابن الأثير ،نفس المصدر،ج 5 ص 303.

(7) السيد عبد العزيز سالم ، العصر العباسي،ج 1 ص 89.

وبأميره على العِراقَيْن منصور بن جمهور[1] وأَجْهَرَ أنه مُطالِب بثأر بني المهلب اليمنيين [2].

لم يسارع نصر في القبض على جديع برغم ما سمع ورأى منه ،وظلّ يُفكر في الحلول السّلمية — كعادته — لإبعاد النّاس عن الفتنة كأن فكر مثلا في مصاهرته في أبنائه وبناته وأيضا في منحه مائة ألف درهم.[3] لكن جديع تمادى كثيرا حتى قيل لنصر :" لو أن جديعا لم يقدر على السّلطان والملك إلا بالنّصرانية واليهودية لَتَنَصَّرَ و تَهَوَّدَ"[4] فأدرك نصر الخطر وأمر بالقبض عليه وحبسه في قَهَنْدَزِ مَرْو في آخر رمضان سنة (126هـ / 744م) . لكنه ظل يُعامله معاملة السّيد وبخاصّة أن الأزد شغبت كلها . ولم تهدأ إلا عندما حلف لهم نصر أنه لن يتعرض له بسوء بل وطلب منهم أن يختاروا رجلا للإقامة معه . فاختاروا يزيد النحوي ،ومع ذلك لم يظلّ الحارث في الحبس إلا 29 يوماً وهرب .[5]وهنا تهيّأ نصر للحرب وعسكر بباب " مرو الرُّوذ " حيث خاطب الناس ذَامًّا للكرماني قائلا :" وُلد بكرمان وكان كرمانيا ثم سقط إلى "هراة " فكان هرويًّا والساقط بين الفِراشَيْن لا أصلَ ثابت ولا فرع نابت " كما نال من الأزد أيضا [6] وبرغم ذلك لم يبادر في الحرب وآمن الحارث بعد أن ضمن عنه قومه ألاّ يخالفه .[7]

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 13 و 41.

(2) نفس المصدر ج 9 ص 38 ، فلهوزن ،تاريخ الدولة العربية،ص 459.

(3) الطبري ، نفسه ، ابن الأثير ، الكامل،ج5 ص 304.

(4) الطبري ، نفسه،ابن الأثير ، نفس المصدر و الصفحة .

(5) الطبري ، نفسه،ج 9 ص 39 ، ابن الأثير ، نفسه،ج 5 ص 305 ، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية،ص 459

(6) قال نصر قاصدا الأزد : إنّ يَسْتوتقوا فاذْلُّ قومٍ أن ياتوافهُم كما قال الأخطل

ضفادعُ في ظلماء لَيلٍ تجاوبتْ فدلّ عليها صوتها حية البَحْرِ .

الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج 9 ص 41.

(7) الطبري، نفس المصدر والصفحة ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج5 ص 306،فلهوزن،تاريخ الدولة العربية ، ص 459.

لقد ظل جديع دائما متأهبا للحرب وما أن بلغه عن نصر بعض الكلام حتى خرج وعسكر وخرج نصر أيضا الذي آمنه بل وحاول التقرّب إليه حيث وزع على من كان معه عشرة عشرة [1] .

في هذه الأثناء عَزل الخليفة يزيد بن الوليد منصور بن جمهور من العراقيْن ، ونصّب عبد الله بن عمر بن عبد العزيز عليها الذي سرعان ما أقرّ نصرا على خراسان مما جعله يخطب مستبشراً :" قد علمت أنه [- منصور بن جمهور -] لم يكن من عُمّال العراق وقد عزله الله واستعمل الطّيب بن الطيب "[2] فغضب الكرماني لمنصور الكلبي اليمني [3] وحمل السّلاح وأظهر الخلاف . لكن نصرا ظلّ يلاطفه و يناصحه دون جدوى بل إن الكرماني قرر الخروج إلى جرجان[4] وهنا أدرك نصر الخطر وخاف أن يجتمع الحارث والكرماني عليه ، فطلب من الخليفة يزيد بن الوليد كتابةَ أمانٍ رَسميٍّ للحارث ليعود إلى خراسان بعدما قضى 12 سنة في بلاد الترك معارضا[5] لكنه برغم الصّلح فقد كاتب الكرماني يطلب منه الوقوف معه ضد نصر لكن الكرماني كان يرى الحارث في البداية منافسا له ، فلم يردّ عليه وتجاهله[6] ،مما شجّع نصرا على محاولة التقرب من الكرماني فكتب إليه يدعوه للقائه لكنّه خاف الغدر[7] وحدث في الأخير ما كان يخشاه الوالي حيث اتّحد المعارضان عليه معا وتغلبا على مرو فاضطر نصر للّجوء إلى نيسابور ولما قُتل الحارث تهيّأ لاسترجاع العاصمة لكنّه لم يتمكن .[8] ولما تعبَ نَصْرٌوَ الْكِرْمَاني من الحرب وتقهقرا تدخّل أبو مسلم الخراساني

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 9 ص 41 ، ابن الأثير، الكامل،ج 5 ص 306.

(2) الطبري ، نفس المصدر والصفحة .

(3) الزركلي ، الأعلام،ج 8 ص 236 .

(4) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 41.ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج ، 5 ص 307.

(5) الطبري ، نفس المصدر،ج 9 ص 42 ، ابن الأثير ، نفس المصدر والصفحة .

(6) الطّبري نفسه ج 9 ص 53 ، ابن الأثير ، نفسه،ج 5 ص 328.

(7) الطبري ، نفسه ج 9 ص 91 ، ابن الأثير ، نفسه،ج 5 ص 344.

(8) الطبري ، نفسه،ج 9 ص 92.

بينهما ،عاملاً على توسيع الشَّرْخ وأصبح يكتب مباشرة إليهما ذاكرا لكلّ واحد منهما"أن الإمام قد أوصاني بكم ولست أعدو رأيه فيكم"[1] ثم كتب إلى الكرماني قائلا:" إني معك[2] فوافقه لكنه حينما كاتبه نصر قائلا :" ويلك لا تغترّ ! فو الله إني لخائف عليك وعلى أصحابك منه ، ولكن هلمّ إلى الموادعة فتدخل مرو فتكتب بيننا كتابا بصلح "[3] فوافقه بسرعة ذلك لأنه كان يعرف نصرا ويجهل أبا مسلم ، لكن الإتفاق لم يتم،ذلك لأن ابن الحارث بن سريج قتل الكرماني خلسة ثائرا لأبيه .[4] وهنا يحاول البعض [5] أن يجعلوا هذا القتل مدبرا من نصر الذي كان هواه الصلح دائما . ونقدا لهذه الروايات نقول : لو كان نصر هو المدبر لما كان ابن الكرماني والأزد وحليفتها بكر قَدَّمَا لَحُوا نصرا لحظة بعد ذلك،و المرجح أن هذا الخبر أشاعه أبو مسلم الخراساني لكسب ابن الكرماني في صفّه .

كان نصر بن سيار قد أكثر طلب النجدة من الخليفة مروان بن محمد لكنه لم يظفر منها بطائل [6] وبقيت أحوال خراسان تنذر بالهلاك ، وخاصة عندما تمكن أبو مسلم الخراساني من فتح هراة وطرد عاملها عيسى بن عقيل بن معقل الليثي عنها الذي سرعان ما وصلَ نصرًا مهزومًا .[7] فقام نصر يدعو العرب إلى موادعته ضد هذا الخطر وساعده في ذلك سيد بكر يحيى بن نعيم بن هبيرة ، الذي اجتهد كثيرا في تقريب العرب إلى نصر وبذلك اجتمعت مضر مع ربيعة وأيضا الأزد التي يبدو أنها أصبحت بعد وفاة الكرماني

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 93 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 364 .

(2) الطبري ، نفس المصدر والصفحة،ابن الأثير ، نفس المصدر،ج 5 ص 365 ، بطرس البستاني،معارك العرب، ص 87.

(3) الطبري ، نفسه .

(4) الطبري ، نفسه ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج5 ص 365 .

(5) الطبري ، نفسه ، ابن الأثير ، نفس المصدر والصفحة ، بطرس البستاني ، معارك العرب،ص 87 ، إحسان النّص ، العصبية القبلية،ص 331.

(6) الطبري ، نفسه ، ابن الأثير،نفسه،ج 5 ص 366 ، فلهوزن،تاريخ الدّولة العربية،464 .

(7) الطبري ، نفسه،ج 9 ص 83 و 89 ، ابن الأثير،نفسه،ج 5 ص 357 و 368 ، برتولد شپولر ، تاريخ إيران دَرْقُرون نحتين إسلامي ، ص 63.

مقسمة بين زعيمين و هما شيبان بن سلمة الحروري الخارجي وعليّ بن الكرماني " أو على الأقل نقول: إن الشيبانيين منهم كانوا تحت شيبان [1] .

في هذه الأثناء نشط أبو مسلم الخراساني لكسر هذا الاتفاق ، وبدأ يراسل ابن الكرماني قائلاً :" أما تأنف من مصالحة نصر و قد قتل بالأمس أباك وصلبه؟..."[2] وظل بإزائه حتى أقنعه أنّ نصرا هو قاتل أبيه فنقض الصّلح[3]وكاتبه يقول : " إني ما صَالَحْتُ نصرا إنما صالحه شيبان ، وأنا لذلك كاره وأنا موتور بقتله أبي ولا أدعُ قتله ".[4] فتنفس أبو مسلم الخراساني الصُّعداء وبعث إليه يذكّره بمناصرته ومساعدته ، ولكن عليًّا — على حسب ما يبدو — ظل دائما يشك في هذا الرجل الغريب ممّا جعله يبعث إليه يطلب لقاءه، فأتاه أبو مسلم وأظهر طاعته لعليّ وسلَّم عليه بالإمارة خدعة وأقام عنده يومين ثم عاد إلى معسكره بالماخوان وذلك في 5 محرم من سنة (130 هـ / 747م)[5]

لما انتقض صلح العرب حاول نصر استمالة أبي مسلم الخراساني وإدخاله في حلف مضر ، لكن أبا مسلم اختار محالفة الأزد وربيعة [6] وهنا راسله عليّ بن الكرماني يطلب منه الاتحاد ضد نصر والعزم على دخول " مرو" العاصمة قائلا:" أن أدخل الحائط من قِبَلِك وأَدْخُلُ أنا وعشيرتي من قِبَلِي ، فتغلّب على الحائط ".لكن يقظة أبي مسلم الخراساني جعلته يحتمل الغدر دائما في عرب خراسان ، فبعث إلى عليّ قائلا :" أنْ لست آمن أن تجتمع يدك ويد نصر على محاربتي ، ولكن أدخل أنت فأنشب الحرب بينك وبينه وبين

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 89 ، أبن الأثير ، الكامل،ج 5 ص 368 ، رضى عبد الله عبد الحليم، دراسات في تاريخ خراسان،ص 93.

(2) الطبري ، نفس المصدر،ج 9 ، ص 97 ،ابن الأثير ، نفس المصدر،ج 5 ص 369 .

(3) الطبري ، نفسه،ج 9 ص 89 ، ابن الأثير ، نفسه،ج 5 ص 368.

(4) الطبري ، نفسه،ج 9 ص 89 ، ابن الأثير ، نفسه،ج 5 ص 369.

(5) الطبري ، نفسه،ج 9 ص 90 ، ابن الأثير ،نفسه،ج5 ص 369.

(6) الطبري ، نفسه،ج 9 ص 98 ، ابن الأثير ، نفسه،ج 5 ص 379.

أصحابه ".[1] فدخل علي بن الكرماني حائط مرو وأنشب الحرب . وهنا بعث أبو مسلم جيشا تحت إمرة النقيب " أبي علي شبل بن طهمان " الذي سرعان ما استسهل أمر مرو وبعث إلى أبي مسلم يطلب منه دخول المدينة فدخلها والفريقان يقتتلان ، فأمرهما بالكف ، ونزل قصر الإمارة الذي كان ينزله ولاة خراسان وذلك في اليوم التاسع من جمادى الأول سنة (130 هـ / 747 م) ، وصفت له مرو كاملة في صبيحة اليوم الثاني عندما هرب منها نصر بن سيار .[2]

لم يثق أبو مسلم الخراساني أبداً في علي وأخيه عثمان، ابْنَي الكرماني، رغم ما فعلاه . وبرغم أنهما سلما عليه بالإمارة [3] ذلك لأنه كان يراهما منافسين حقيقيين له ، لذا اختار قتلهما غدراً .[4]

في الواقع، إن معارضة الكرماني ما كانت تصعب على نصر بن سيار لو أنها لم تتصادف مع معارضة الحارث بن سريج ومعارضة آل العباس في الإقليم . فقد كان حلف مضر أقوى من حلف اليمن في خراسان ، ويجب أن نقول هنا: إن العصبية القبلية كانت قوية بينهما لكنهما برغم ذلك كادَا أن يجتمعَا و يتفقا عندما أحسّا بخطر أبي مسلم لولا اغتيال جديع الكرماني ، كما يجب أن نذكر أنه وجدت معارضات عربية أخرى تصادفت مع المعارضات التي ذكرناها في هذا المبحث لكن المصادر الأساسية الإسلامية لم تتحدث صراحة عنها . فالقول أن شيبان بن سلمة الحروري وادع نصر لمدة سنة[5] يبرهن على أنه كان معارضا مع من اتّبع مذهبه من اليمنيين وخاصة الأزد .

---

(1) الطبري، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 90 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج 5 ص 379،السيد عبد العزيز سالم،العصر العبّاسي،ص 401.

(2) الطبري ، نفس المصدر والصفحة ، ابن الأثير ، نفس المصدر والصفحة .

(3) قال علي بن الكرماني لأبي مسلم بعد ما سلّم عليه بالإمارة : " مرني بأمرك " فقال له أبو مسلم :" أقم على ما أنت عليه حتى آمرك بأمري ". الطبري ، نفسه،ج 9 ص 93 ، ابن الأثير نفسه ج 5 ص 365.

(4) الطبري ، نفسه،ج 9 ص 103 و ما بعدها ، ابن الأثير ، نفسه ج 5 ص 184 .

(5) الطبري ، نفسه،ج 9 ص 89 ، ابن الأثير ، نفسه،ج 5 ص 368.

لقد اقتصرت المعارضة الهاشمية للدولة الأموية في القرن الهجري الأول على البيت العلوي وحده الذي ظلّ يرى في العراق وبالأخص الكُوفة ،المكان الأمثل لذلك برغم خذلان أهلها للخليفة عليٍّ رضي الله عنه وابنيه الحسن والحسين رضى الله عنهما . أما مع بداية القرن الهجري الثاني ، فقد أصبحت خراسان المركز الفعلي والعملي لكل المعارضين الهاشميّين — ذلك لبعدها عن مركز الخلافة الأموية بدمشق وتشيّع معظم سكانها — حيث ظهرت فيها معارضة يحيى بن زيد العلوي ومعارضة عبد الله بن معاوية بن جعفر الطيّار وأيضا معارضة آل العبّاس .

1/ معارضة يحيى بن زيد (126هـ / 743م) :

تعدّ معارضة يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه امتدادا لمعارضة أبيه زيد [1] ، الذي خرج عن الخليفة هشام بن عبد الملك في سنة (121 هـ -738 م) بالكوفة [2] بعدما تناظر معه وأكرهه القول ،[3] ذلك لأنه كان يرى نفسه أولى منه بالخلافة . وعلى الرّغم من أنه وضع يده على كلّ مواطن الضّعف التي كانت سبب فشل الحسين بن علي رضى الله عنهما في كربلاء . كأن أقام الدّعاة في الآفاق[4] في البصرة و واسط والموصل و الرّيّ وجرجان وخراسان وغيرها .[5] ليصفوا للناس جور بني أمية وسوء سيرتهم ويحثّوهم على الجهاد قائلين لهم " لا تقولوا خرجنا غضبا لكم ، ولكن

---

(1) أسّس الفرقة الشيعية المعروفة باسمه " الزيدية " وهو يعتبر من الشيعة المعتدلين حيث يُجيز إمامةَ المَفْضولِ مع وجودِ الأفْضلِ ،وهو معتزليّ المذهب والاعتقاد اقتبس ذلك من أستاذه واصل بن عطاء رأس المعتزلة ، الكتبي (محمد ابن شاكر بن أحمد) المتوفّى في سنة (764 هـ)،فوات الوفيات حقّقه وضبطه وعلّق عليه .محمد محيي الدين عبد الحميد ،النهضة المصرية 1951 ط ج 1 ص 335،محمد أسعد طلس ، تاريخ العرب،ص 154.

(2) الطبري،تاريخ الأمم والملوك، ج 8 ص 272 وما بعدها ، ابن الأثير ، الكامل،ج 5 ص 242 وما بعدها .

(3) الطبري،نفس المصدر،ج 8 ص 263 ، ابن الأثير ، نفس المصدر،ج 5 ص 232 ، ابن عبد ربه،العقد الفريد،ج 4 ص 482، عبد الرحمن الشرقاوي ، شخصيات إسلامية ، أئمة الفقه التسعة،دار اقرأ بيروت 1401 هـ / 1981 م ط 1 ص 28.

(4) الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، 135.

(5) الأصفهاني ، نفس المصدر والصفحة .

قولوا خرجنا غضبا لله ودينه " .[1] كما أنه أتخذ الحيطة الكاملة لنفسه حيث إنّه لم يكن يطيل الإقامة في بيت واحد بل كان يقيم في منازل شتّى بالكوفة .[2] إلا أنه فَشل وقُتل.[3] وذلك لأن أهل الكوفة خذلوه هو أيضا عندما سمعوا بقدوم جند الشام إليهم واخترعوا حيلة يرتكزون عليها للتراجع . حيث سألوه عن رأيه في أبي بكر وعمر رضى الله عنهما . فأجابهم:" رحمهما الله وغفر لهما ما سمعت أحدا من أهل بيتي يتبّرأ منهما ولا يقول فيهما إلاّ خيراً " ففارقه أكثرهم ونكثوا بيعته لأنهم رأوا أنه لم يتمسّك بحقوقه كما يجب ما دام يعتقد أن أبا بكر وعمر خليفتان شرعيّان [4] وهؤلاء هم الذين عُرِفُوا بالرّافضة.[5]

لقد انقسم أتباع زيد بعد قتله إلى عدّة فرق بايعت إحداها ابنه يحيى الذي فر هاربا مع بعض أتباعه إلى خراسان [6] وظل مقيما عند أحد شيعته الحريش بن عمر بن داود ببلخ سنتين كاملتين دون أن يعلم به نصر بن سيّار [7]، لكن عيون يوسف بن عمر أمير العراقين بالمدينة كشفت السرّ فبعث سريعا إلى نصر قائلا : " أبعث إليه [يحيى] وخذه أشد

---

(1) ناجي حسن ، ثورة زيد ، ص 111.

(2) الطبري ، تاريخ الأمم و الملوك،ج 8 ص 264 ، ناجي حسن ، نفس المرجع،ص 110.

(3) الطبري ، نفس المصدر،ج 8 ص 275 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 246 ، ابن طباطبا ، الفخري ص 105 ، أبو الفدا،مختصر أخبار البشر ج 1 قسم 1 ص 204 ، ابن كثير ، البداية والنهاية،ج 9 ص 329 ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد،ج 4 ص 483 ، المسعودي ، مروج الذهب،ج 3 ص 119 ، الأشعري ، مقالات الإسلاميين،ج 1 ص 139 ، ناجي حسن ، ثورة زيد ، ص 122 .

(4) الطبري ، نفسه،ج 8 ص 272 ، أبن الأثير ، نفس المصدر،ج 5 ص 243 ، الشرقاوي،شخصيات إسلاميّة ، ص 31.

(5) سمّوا بالرافضة لقول زيد لهم " رفضتموني " والرّوافض ظهروا في عهد عليٍّ رضي الله عنه ،وهم الذين رفضوا خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، سُمُّوا في عهده بالسّبئية (أتباع عبد الله بن سبأ) الذين غلوا واعتبروا عليًّا إلاهًا ، الأشعري ،مقالات الإسلاميين،ج 1 ص 137 ، البغدادي ، الفرق بين الفرق،ص 21.

(6) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 8 ص 277 و 300 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 247 و 271 البلخي ، البدء والتاريخ،ج 6 ص 50 ، الكتبي ، فوات الوفيات،ج 1 ص 336 ،ابن كثير،البداية والنهاية،ج 10ص 6 .

(7) الطبري ، نفس المصدر،ج8 ص 300 ابن الأثير ، نفس المصدر،ج 5 ص 271.

الأخذ " [1] فقبض نصر عليه مع مجموعة من أصحابه لكن الخليفة الوليد بن يزيد عندما علم بالأمر كتب إلى نصر مباشرة يأمره " أن يؤمنه ويخلّي سبيله وسبيل أصحابه "[2] فأطلقه ودعاه إلى تقوى الله والعدول عن الفتنة وأمره أن يلحق بالخليفة الوليد في دمشق كما أمر له بألف درهم وبَغْلَيْن .

لقد تظاهر يحيى بالعدول عن معارضته أمام نصر الذي اعتقد ذلك فعلا . لكنه ما إن وصل إلى مدينة سرخس حتّى مكث فيها مخالفا لأوامر الوالي الذي طلب منه الذهاب إلى الخليفة ، فكتب نصر إلى عبد الله بن قيس — عامله على سرخس — يأمره بإخراج يحيى منها . كما كتب إلى كل عمّاله الذين هم علىالطريق الرابط بين سرخس والعراق بالمثل أيضا[3]،لكن يحيى ما إن وصل مدينة نيسابور حتّى أخذ دواب من بعض التجار وخرج ثائرا ، فكتب عاملها عمرو بن زرارة إلى نصر حتى يأخذ قراراً في الأمر ، فقرّر ا لحرب التي تغلبّ فيها يحيى على عمرو وقتله وأصاب دواب كثيرة وهرب متوجها إلى هراة إلا أن نصراً بعث جيشا من ورائه التقى به في الجوزجان فقتله وصلبه .[4] فلم يزل مصلوبًا حتى استولى أبو مسلم الخراساني على خراسان فأنزله وصلى عليه ودفنه وأمر النياحة عليه ، وأخذ من ديوان جند خراسان أسماء المشاركين في قتله ، فقتل الأحياء منهم وخلّف سُوءا في أهل الموتى منهم .[5]

لقد كانت آثار معارضة يحيى بن زيد سيّئة جدا على الدّولة الأموية . وذلك لأنها كانت أول معارضة علويّة تقوم في خراسان البلد الذي يتعاطف معظم سكانه مع العلويين

---

(1) الطبري، ج6 ص50، ابن الأثير،ج5 ص271، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 326.

(2) الطبري ،نفسه، ابن الأثير ، نفسه ،اليعقوبي ، نفس المصدر،ج 2 ص 331 ، الحنبلي شذرات الذهب في أخبار من ذهب،ج 1 ص 167 ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج 10 ص 6 .

(3) الطبري،نفسه ، ابن الأثير ، نفسه،اليعقوبي ، نفسه ،

(4) الطبري،نفسه، ج 8 ص 301 ، ابن الأثير،نفسه،ج 5 ص 272 ، ابن كثير ،البداية والنهاية،ج 10 ص 6.

(5) ابن الأثير،نفسه ، المسعودي ، مروج الذهب ، ج3 ص 225 ، الحنبلي ، شذارت الذهب،ج 1 ص 168 ، الأصفهاني ، مقاتل الطالبسين ، ص 158.

منذ أن تزوج الحسين بن علي رضى الله عنه " بشهرآنو " ابنة يَزْدَ جَرْد الثالث "[1] ولهذا شهدت خراسان حزنا كبيرا على موت يحيى [2] فقد بكاه أهلها صباح مساء[3] وسَوّدوا لباسهم عليه [4] وسموا كل مواليدهم الذكور باسمه أو باسم أبيه[5] . ومع ذلك ما كانت هذه العواطف لتترك آثارها على الدّولة الأموية لو لم تستغلهّا الدّعوة العبّاسيّة التي كانت تنشط في الإقليم ، حيث ارتكز عليها الدّعاة وأظهروا أنفسهم بمظهر الآخذين بثأر آل البيت.[6] لهذا " ظهر أمرهم وكثر من يأتيهم ويميل معهم وجعلوا يذكرون للناس أفعال بني أميّة ،وما نالوا من آل رسول الله ، حتى لم يبق بلد إلا فيه هذا الخبر وظهر الدّعاة ورُئِيَت المنامات وتُدُورِسَتْ كُتُبُ الملاحم ."[7]

2 / معارضة عبد الله بن معاوية بن جعفر الطيار(127- 130هـ / 744-747م) :

لقد استغل شيعة الكوفة فرصة اضطراب أحبال بنى أمية في عهد الخليفة يزيد بن الوليد بن عبد الملك وأغْرَوْا عبدَ اللهِ بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب [8]، الذي دخل المدينة زائرا،بالدعوة إلى نفسه قائلين :" ادْعُ إلى نفسك فبنُو هاشم أولى بالأمْر من بني مروان "[9] .

---

(1) محمد كامل الهاشمي ،عقائد الشيعة في الميزان ص 162 ؛ حسن إبراهيم حسن،تاريخ الإسلام ، ج2 ص15.

(2) قتل يحيى بن زيد ، وعمره ثمانية عشر عاماً ، ولم يعقب إلا ابنة واحدة توفيت بعده وهي صغيرة ؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ، ص 56.

(3) مجهول (من القرن الحادي عشر ميلادي)،نبذه من كتاب التاريخ ، نشرها بطرس غرياز ينوبيج ،معهد الدراسات الشرقية موسكو 1960 ص 66 ؛ ناجي حسن ، ثورة زيد،ص 152 .

(4) مجهول ، نفس المصدر والصفحة .

(5) المسعودي ، مروج الذهب ، ج 3 ص 225 ؛ الحنبلي ، شذرات الذّهب في أخبار من ذهب،ج 1 ص 168 ، محمد مصطفى هدّراة ، اتجاهات الشعر العربي،ص 38.

(6) مجهول ، نبذة من كتاب التاريخ،ص 65 ؛ ناجي حسن ، ثورة زيد،ص 152.

(7) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي،ج 2 ص 326 .

(8) لقد عرفناه في صفحة رقم113من هذا البحث .

(9) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 9 ص 48.

لكن الاصفهاني[1] يذكر أن " عبد الله بن معاوية هو الذي دعا الناس إلى بيعته على الرِّضا من آل محمد ،فَـلَبِس الصّوف وأظهر سيماء الخير فاجتمع إليه نفر من أهل الكوفة فبايعوه ".

ومهما يكن الأمر فقد بايعَ عبدَ اللهِ بن معاوية معظمُ أَهْلِ الكُوفَة ، وسرعان ما خرجوا معه لقتال أمير العراقين عبد الله بن عمر بن عبد العزيز في الحيرة وذلك في شهر محرّم لسنة (127هـ / 744 م)[2] . إلا أنّهم خذلوا عبد الله هو أيضا لأن الكثير منهم فرّ من المعركة ولم يثبت فيها سوى عرب ربيعة وأتباع المذهب الزيدي[3] ، الذين ظلوا يقاتلون حتى تمكنوا في الأخير من أخذ آمان لأنفسهم ولعبد الله على أن يحلوا حيث شاءوا[4].

لقد خرج عبد الله بن معاوية من الكوفة مع بعض تابعيه وقصد المدائن التي بايعه الكثير من أهلها وعبيدها أيضا . وسرعان ما بدأ يتوسع على حساب الدولة الأموية فقد تغلّب على حلوان وقومس والرّيّ وإصبهان التي جعلها قصبته واستقر بها إلى أن تمكن من أُصْطَخْر في إقليم فارس في سنة (745/128م)[5]

لقد استطاع عبد الله بن معاوية أن يبسط سلطانه على منطقة شاسعة في شرق الدّول

---

(1) مقاتل الطالبيين ص 165.

(2) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 52 ، ابن الأثير ،الكامل في التاريخ،ج 5 ص 326 ، جمال الدّين سرور ،الحياة السياسية في الدّولة العربية الإسلامية ص 152.

(3) الزيدية هم خمسة أصناف وهم :" الأبترية " ، نُسبوا إلىكثيرٌ النّوبي واسمه المغيرة بن سعدو لقبه الأبتر ، "والجاروديّة " و نُسبوا إلى أبي الجارود زياد بن أبي زياد و الدُّكَينية نسبوا إلى الفضل بن دكيز ، و " الخشبية " ويعرفون أيضا بالصُّرخابيّة نسبوا إلى صرخابِ الطَبري ، وسمّوا الخشبية لأنهم خرجوا على السلطان مع المختار ولم يكن معهم سلاح غير الخشب ،و " الخلفية " وهم أصحاب خلف بن عبد الصّمد ، الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ص21 .

(4) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 52 ، ابن الأثير ،الكامل في التاريخ،ج 5 ص 326.

(5) الطبري ، نفس المصدر،ج 9 ص 93،ابن الأثير ، نفس المصدر،ج 5 ص 371،جمال الدّين سرور ،الحياة السياسيّة في الدّولة العربية،ص 152،الزركلي ، الأعلام،ج 4 ص 282 .

الأموية ، ضمّت بلاد " الجبل والأهواز [1] وفارس وكرمان[2] كما اجتمع حوله بعض آل هاشم [3] وبعض آل أمية [4] بل إن الخوارج الذين طردهم الخليفة مروان بن محمد من الموصل فرّوا إليه في أواخر سنة (129 هـ/ 746 م) .[5]

لقد اهتم الخليفة مروان بن محمد بمحاربة عبد الله بن معاوية وخَوّل الأمر إلى أميره على العراقين يزيد بن هبيرة الذي أسرع في إرسال قوّات أحلّت سريعاً الهزيمةَ بعبد الله الذي هرب إلى سجستان ثم قصد خراسان طمعا في نصرة أبي مسلم الخراساني له . لكن أبا مسلم اعتبر عبد الله بن معاوية منافسه الحقيقي وبخاصة أنّ كلاًّ منهما كان يدعو للرّضا من آل محمد ، فأمر بالقبض عليه وقتله .[6]

لقد كانت معارضة عبد الله بن معاوية قويّة على الدولة الأموية ذلك لأنها قامت في وقت ضعفها وكثرة مشاكلها . وما دام عبد الله قد اختار التوجّه إلى الأقاليم الشرقية فقد كانت مصادفته بأبي مسلم الخراساني حتمية لا بد منها . وبالتالي كان لا بد أن يبقى

---

(1) الأهواز وتسمى أيضا " خوزستان "وهو إقليم يقع شرقي العراق وشمال الخليج العربي يحدّه من الشرق بلاد فارس ويشمل الجانب الأكبر من إقليم " لوريستان" و الأهواز جمع " هوز أو " حوز " لهذا عُرف باسم " خوزستان " من أهم مدنها جندسابور " و " ستر " أو " شستر " و " سوق الأهواز " . كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية،ص 267 و 268 . أحمد عطية الله القاموس الإسلامي،ج 1 ص 212.

(2) الطبري ، تاريخ الأمم و الملوك،ج 949 وما بعدها . ابن الأثير ، الكامل ج 5ص 372 وما بعدها.الأصفهاني مقاتل الطالبيين ، ص 166 وما بعدها . جمال الدين سرور ،الحياة السياسية،ص 152.

(3) منهم أبو جعفر المنصور وعبد الله وعيسى أبنا علي بن عبد الله بن العباس . الطبري ، تاريخ الأمم،ج 9 ص 93 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 371 . الأصفهاني،مقاتل الطالبين،ص 167.

(4) أتاه منهم سليمان بن هشام بن عبد الملك وعمر بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان.الطبري ، تاريخ الأمم والملوك، ج 9 ص 93 . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 371.الأصفهاني، مقاتل الطالبين،ص 167 .

(5) الطبري ، نفس المصدر،ج 9 ص 95 ، ابن الأثير،نفس المصدر،ج 5 ص 372.جمال الدين سرور،الحياة السياسية،ص 153.

(6) ابن الأثير ، نفسه،ج 5 ص 373 . البغدادي ،الفرق بين الفرق ، ص 246.الأصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص 168 ، الشهر ستاني ، الملل والنّحل،ج 1 ص 176 .الزركلي،الأعلام،ج 4 ص 282 ، محمد جمال الدين سرور ،الحياة السّياسية،ص 153.

أقواهما ، ويجب أن نذكر أنه كان لعبد الله بن معاوية آثار سيئة على الدين الإسلامي ذلك لأنه أنشأ مذهبه القائل بتناسخ الأرواح فروح الله تناسخت حتّى وصلت إليه وحلت فيه كما أنه ادعى الألوهية والنبّوة معا ، وأنه عالم الغيب فعبده الحمقى وكفروا بالقيامة لاعتقادهم أن التناسخ يكون في الدنيا والثّواب والعقاب في هذه الأشخاص مما نشر الزّندقة فيما بينهم ، واستحلُّوا الخمْر والزّنى واللّواط وكُل المحرّمات ، وأسقطوا وجوب العبادات، وقالوا في المحرمات المذكورة في القرآن أنها كنايات عن قوم يجب بغضهم كأبي بكر وعمر والزبير وعائشة رضى الله عنهم [1] وهذا ما جعل " الأصفهاني "[2] يكره ذكر عبد الله في مصدر جمع فيه كلّ مَنْ ثار من آل طالب وقُتِل لكنه ذكر في الأخير معلقا :" ولولا أن يُظنّ أنّ خَبره لم يقع علينا لما ذكرناه مع من ذكرناه ولا بد من ذكر بعض أخباره ".

3/ المعارضة العباسية :

أقام المعارضةَ العباسيّةَ البيتُ العباسيّ من آل هاشم ، الذي يُنْسَب إلى العباس [3] عَمّ الرسول(ﷺ) الذي لم يطمح في خلافة الرسول (ﷺ) لأن إسلامه المتأخر لم يعطه نفوذا

---

(1) البغدادي ، الفرق بين الفرق،ص 246 ، ابن حزم ، الملل و الأهواء و النّحل،ج 5 ص 36،الشهر ستاني ، الملل والنّحل،ج 1 ص 176،الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص 162 .

(2) نفس المصدر،ص 162.

(3) هو العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، يكنّى أبا الفضل بابنه الفضل بن العباس كان أسنّ من رسول الله (ﷺ) بسنتين وقيل بثلاث سنين ، أمّه امرأة من النمر بن قاسط هي " نثلة " وقيل نثيلة بنت حباب بن كليب بن مالك بن عَمرو بن عامر بن زيد مناة بن عامر . وهي أوّل عربية كست البيت الحرام الحرير والدّيباج وأصناف الكسْوة وذلك لأن العباس ضلّ وهو صبيّ فنذرت إن وجدته أن تكسو البيت الحرام ، فوجدته ففعلت ما نذرت ، كان العبّاس في الجاهلية رئيسا في قريش واليه كانت عمارة المسجد والسّقاية ، أظهر الإسلام يوم فتح مكّة وشهد حنينا والطائف وتبوك تُوفي بالمدينة في سنة اثنتين و ثلاثين للهجرة. القرطبي ، الاستيعاب في أسماء الأصحاب،ج 3 ص 93 و ما بعدها ، الخزاعي،تخريج الدّلالات السّمعية ص 163.

وصيتا قويين بين المسلمين [1] وإن كان أحمد شلبي[2] قد رأى عكس ذلك مبرراً " أن الفكرة [- فكرة الخلافة-] لم تكن صدفة بل نبعت عقب وفاة الرسول حينما أراد بنو هاشم إسناد الخلافة إلى أهل الرّسول " ويشاطره شكري فيصل[3] الرّأي أيضا حيث يقول ." إن الدولة العبّاسية قامت في سنة (132 هـ) [(749م)] حقا ، ولكنها كانت قائمة في أذهان الناس منذ أن اختلف القوم في سقيفة بني ساعدة ..."ومهما يكن الأمر فقد أصبح للعباسيّين صيتٌ عظيمٌ بفضل ابن العباس " عبد الله "[4] الذي تَفقّهَ في الدين حتّى أُطلق عليه اسم "البحر "[5] و " الحبْر"[6] وأصبح بذلك مقدّماً و مُحَبّبًا ومُعظَّما عند عمر بن الخطّاب ، يُكْبِر علمه ويستشيره في المعضلات[7] ، كما قدّمه الخليفة عثمان بن عفان وأَمّره على الحج في سنة (35 هـ/ 655 م) [8] ولما آلت الخلافة إلى علّي ولاّه البَصْرَةَ[9] فَعَظُم صِيتُه فيهـــــا

---

(1) عبد المنعم ماجد ،التاريخ السّياسي للدّولة الأمويّة،ص 325 ، حسن أحمد محمود و أحمد إبراهيم الشريف،العالم الإسلامي في العصر العبّاسي،ص 12 ، أحمد مختار العبادي ، في التاريخ العبّاسي والأندلسي،ص 18 ، طه حسين، الفتنة الكبرى ، علي وبنوه،دار المعارف،القاهرة 1969 ط 7 ص 17 .

(2) موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلاميّة ج 3،الخلافة العباسية،ص 20.

(3) مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت 1978 ط 4 ص 36.

(4) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ، أبو العبّاس الصحابي الجليل ولد بمكّة ،ونشأ في بدء عصر النبّوة ، فلازم رسول الله (ﷺ) وروى عنه الأحاديث الصحيحة وشهد مع عليّ " الجمل وصفين " وكفّ بصره في آخر عمره ، فسكن الطائف وتوفى بها سنة (68 هـ / 787 م) . له في الصحيحين وغيرهما 1660 حديثا ، الزركلي ، الأعلام ج 4 ص 228 وما بعدها .

(5) البلاذري ، أنساب الأشراف،قسم 3 ص 27 و 30 و 33،عبد المنعم ما جد،التاريخ السياسي،ص 325 .

(6) الحَبْر هو العالم من أهل الكتاب سواء أكان مسلما أم ذمّيًا ، أبو حيان التوحيدي (ت 414 هـ)،البصائر والذخائر،تحقيق إبراهيم الكيلاني ، مكتبة أطلس ومطبعة الإنشاء دمشق 1964 ج 1 ص 384 .

(7) البلاذري ، أنساب الأشراف،قسم 3 ص 31.

(8) نفس المصدر قسم 3 ص 35.

(9) يُذكر أن عبد الله أكل من أموال بيت المسلمين في البصرة ، مستحلاً ذلك بسبب قرابته من رسول (ﷺ) مسوّغا فعلته بتأويل الآية " واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذوي القربى..."فكتب له عليّ محاسبا إياه وتشدّد في مطالبته فأخذ عبد الله أموالا من بيت المال وترك منصبه وأمن الحماية لنفسه بواسطة أخواله. ابن عبد

وفي الشرق وظهر به فضل البيت العبّاسي وعرفه الناس.[1]

لقد أهتم عبد الله بالعلم كثيراً ممّا جعله-على ما يبدو — يبتعد عن التفكير في الخلافة بل إنّه سالم الأمويّين وأعلن خلافه لعبد الله بن الزبير بعد ما أخرج محمد بن الحنفية من مكّة . وأوْصى ابنه عليًّا[2] بالذهاب إلى الشام والميل إلى الخليفة عبد الملك بن مروان والوقوف ضد المعارض ابن الزبير[3]وإن كان هناك[4] من يذكر أن الأمويّين هم الذين استدعوا عليّا إلى الشام واقتطعوه قرية في البلقاء بشرق الأردن اسمها الْحُمَيْمَة .[5]

لقد عمل عليٌّ بنصيحة أبيه ونزل دمشق وَابْتَنَى بها دارًا ، ثم نَزَلَ " الشّراة "[6] وأمضى وقته متعبداً حتى لُقّب " بالسّجّاد " [7]. فَفَضْلاً عن ملازمته الصّلاة في المسجد كان يُصلي كل يوم ركعتين تحت خمسمائة أصل زيتون كان يملكها .[8]

= ربه،العقد الفريد،ج 4 ص 354 و ما بعدها ـ أبو هلال العسكري (توفي حوالي 400 هـ) الأوائل . تحقيق محمد البصري ووليد قصّاب،منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي،دمشق-1975 ج 2 ص 20 .

(1) حسن أحمد و أحمد إبراهيم الشريف ، العالم الإسلامي في العصر العباسي ص 12.

(2) هو جدّ الخلفاء العباسيين ولد في سنة (40 هـ / 660م) . كان كثير العبادة والصلاة ، فغلب عليه لقب "السّجاد " وكان من أجمل الناس وأوسمهم ، عظيم الهيبة ، جليل القدر ، قيل للوليد بن عبد الملك :" إنه يقول بأنّ الخلافة ستصير إلى أبنائه ، فأمر به فضُرب بالسّياط ، توفى في سنة (118 هـ / 736م)،البلخي ، البدء والتّاريخ ، ج 6 ص 61،الزركلي ، الأعلام،ج 5 ص 117.

(3) البلاذري ، أنساب الأشراف،قسم 3 ص 70 وما بعدها .

(4) أحمد مختار العبادي ، في التاريخ العباسيّ والأندلسي،ص 18.

(5) الحُمَيْمَة تصغير حَمّة ، و الحَمّة هي الحجارة السّوداء ، أو العين الحَارة ، والحميمة إسم موضع في شمال الجزيرة العربية بالقرب من حدود الشام،أحمد عطية الله ،القاموس الإسلامي ، ج 2 ص 167.

(6) الشراة هو صقع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول (ﷺ) ومن بعض نواحيه القرية المعروفة بالحميمة" ، ياقوت الحمويّ ، معجم البلدان،ج 3 ص 270 وما بعدها .

(7) البلاذري،أنساب الأشراف،قسم 3 ص 71 ، البلخي ،البدء والتاريخ،ج 6 ، ص 56 ، الحنبلي،شذرات الذهب ، ج1 ص 148،عبد المنعم ما جد ، التاريخ السياسي،ص 325 .

(8) البلخي، نفس المرجع والصفحة ،الحنبلي،نفس المرجع والصّفحة .

لقد أكرم الخليفة عبد الملك بن مروان عليًّا وقرّبه،[1] لكن العلاقة هذه سرعان ما تغيرت وذلك عندما تزوّج عليّ زوجة عبد الملك الطّالق[2] فأصبح الخليفة يذمّه قائلا :" إنما صلاته رياء "[3] ومع ذلك يبدو أن العلاقة التي كانت بين علي و آل أمية لم تَسُؤ إلا في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك ، وذلك لأن الخليفة أُخبر أن عليًا يقول : "إنّ الأمر منتقل إلى ولده"[4] فحبسه وضربه سبع مائة ضربة بالسّياط [5] ثم نفاه إلى دهلك [6]،لكنّه شفع فيه بعد ذلك وسمح له بالعودة إلى الحُمَيْمَة [7]حيث بقي إلى أن مات بها وذلك في سنة (118 هـ /736م).[8]

لقد اختلفت الآراء كثيرا في شخصية " عليٍ"،فقد رآه البعض[9] مسالما وجديراً بالثّقة التي أولاها الأمويون له ، ويراه البعض[10] الآخر رأس الدّعوة العباسية . أما المؤرخ أحمد مختار[11] العبادي ، فقد رآه " شخصية غامضة غير واضحة كوضوح شخصيّة أبيه "

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 230 ، ابن الأثير الكامل في التاريخ ج 5 ص 198 .

(2) وهي ابنة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، طلقها لأنه عضّ على تفاحة ثم رمى بها إليها فأخذت سكينا فقال " ما تصنعين " قالت " أميط الأذى عنها "،البلخي ، البدء والتاريخ،ج 6 ص 57 .

(3) البلاذري ، أنساب الأشراف ، قسم 3 ص 76.

(4) البلاذري ، نفس المصدر، قسم 3 ص 79 ، البلخي ، البدء والتاريخ،ج 6 ص 57.

(5) قال الوليد لعلي بن عبد الله : " لمَ تزوجت بها " قال : " لأني ابن عمها وقد أرادت الخروج من هذا البلد فتزوجتها لأكون لها محرماً" فقال الوليد :" إنما تتزوج من أمهات الخلفاء لتضع منك". لأن مروان بن الحكم تزوج أم خالد بن يزيد بن معاوية لتضع منه،البلخي،البدء والتاريخ ، ج 6 ص 57.

(6) دَهْلَك اسم عجمي معرب ويقال له " دَهيك " أيضا ، وهي جزيرة في بحر اليمن بين اليمن والحبشة . وهي ضيّقة حرجة حارّة كان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نفوه إليها ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان،ج 2 ص 634.

(7) البلاذري ، أنساب الأشراف،قسم 3 ص 79.

(8) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 8 ص 230،ابن الأثير ،ا لكامل في التاريخ،ج 5 ص 198.

(9) أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي،ج 3 الخلافة العباسية ص 30 ، حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف ،العالم الإسلامي في العصر العباسي،ص 14.

(10) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ص 66 ، عبد المنعم ماجد،التاريخ السياسي،ص 326.

(11) في التاريخ العباسي والأندلسي ص 19.

لقد أنجب عليّ بن عبد الله بن العبّاس أولاداً ذكورا كُثْر نيفوا على العشرين[1] من بينهم محمد[2] الذي يُعدّ العبّاس الحقيقيّ الذي أظهر طموحا نحو الخلافة وسعى سعيًّا سِرّيًا مُنظّمًا لنيلها.[3]

لقد بايعت الفرقة "الكيسانية"[4]،إثر وفاة محمد بن الحنفية في سنة (81هـ/700م)، ابنه عبد الله المكَنّيّ بأبى هاشم [5]الذي أصبح إمامها الشرعي[6] فنظم دعوة سرية للوصول إلى الخلافة التي أكسبته المزيد من المناصرين الذي أصبحوا يؤتونه ويؤدون له الخراج[7]، ويُذكر أنه زار الخليفة سليمان بن عبد الملك الذي أكرمه وقضى حوائجه لكنه تخوّف منه لمَا رآه من علمه وفَصَاحَته فوضع عليه من وقف على طريق عودته إلى المدينة وسَمّه في

(1) البلاذري ، أنساب الأشراف،قسم 3 ص 75.

(2) هو محمد بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب،ولد في سنة (62 هـ / 681 م) ، أوّل من قام بالدّعوة العباسيّة ،وهو والد السّفّاح والمنصور ، كان عاقلاً حليما جميلا وسيماً . مات بالشّراة في سنة (125هـ / 743 م)، الزركلي،الأعلام،ج 7 ص 153.

(3) أحمد مختار العبادي ، في التاريخ العباسي و الأندلسي،ص 19.

(4) كيسان هو مولى لعلي بن أبي طالب،رضى الله عنه ،وهي فرق كثيرة يرجع مُحَصَّلُهَا إلى فرقتين إحداهما تزعُم أن محمد بن الحنفية حيٌّ لم يَمُتْ ،وهم على انتظاره ، ويزعمون أنه المهدي المنتظر والفرقة الثانية منهم يقرون بإمامته في وقته وبموته ، وينقلون الإمامة بعد موته إلى غيره ويختلفون بعد ذلك في المنقول إليه . البغدادي،الفرق بين الفرق،ص 23 ،وينظر أيضا الخوارزمي ، مفاتيح العلوم،ص 21.

(5) هو عبد الله بن عليّ بن محمد بن حنفيه أمه أم ولد تُدعى " نَائِلَة " كان لَبِيبًا خَصْمًا عالما كانت طائفة من الشيعة ترى أن عليا رضي الله عنه أوصى بالإمامة بعده ، إلى ابنه محمد بن الحنفيّة وأنها انتقلت من محمّد إلى ابنه عبد الله الذي قام بأمرهم،توفي عبد الله في سنة (99هـ /717 م) وقيل إن الخليفة سليمان هو الذي دبر له موته . الأصفهاني، مقاتل الطالبيين ص 126 ، الزركلي الأعلام ج 4 ص 256.

(6) الأصفهاني ، مقاتل الطالبين ص 126 . المسعودي ،مروج الذهب،ج 3 ص 123 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 53 . بدر عبد الرحمن محمد ، الدولة العباسية،ص 9 . الزركلي ، الأعلام،ج 4 ص 256 .

(7) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج 4 ص 475.أحمد علبي ، العهد السّرّي للدّعوة العباسيّة،ص 30.

لبن [1] ولما أحسّ أبو هاشم بدنوّ أجله عرّج إلى " الْحُمَيْمَة " حيث كان محمد بن على ابن عبد الله بن العبّاس الذي كان سبق لهما أن اجتمعا معا.[2] وأخبره أنه ميّت لا مَحالة وسلم له زمام الدّعوة الكيسانية وتنازل له عن حقّه في الخلافة . كما أنه أخبر شيعته بذلك أيضا ،الذين ما إن مات حتى وَفَدُوا إلى محمد وبايعوه [3]، لكن هناك[4] من ذكر أن أبا هاشم تنازل لعلي بن عبد الله وليس لابنه محمد الذي — حسب رأيهم — كان صغير السن . لكن شكّنا يزول إذا علمنا أن محمداً وُلِدَ في سنة (62 هـ /681م) [5] وأنه كان قد تجاوز الثلاثين من عمره عند وفاة أبي هاشم في سنة (99هـ / 717 م) [6].

لقد لقيت هذه الرّواية قَبُولا عند بعض المُحَدّثين [7] الذين برّروا موقفهم تارة " بأن أبا هاشم لم يكن له خَلَفٌ ذكرًا من صلبه " فَخِلفَتُهُ كانَتْ كلُّها بناتٍ "[8] وتارة أخرى بأنه كان صديقا لمحمد ومُحِبًّا له وأن الصّلة بين آل هاشم جَمِيعًا كانت قوية وودّية ،وتارة أخرى

---

(1) ابن الأثير،الكامل في التاريخ،ج 5 ص 53 ، ابن كثير ، البداية والنّهاية،ج 10 ص 5 ، ابن طباطبا،الفخري ، ص 112 ، الحنبلي،شذرات الذهب،ج 1 ص 166 ، ابن عبدربّه ، العقد الفريد ، ج4 ص 476،بدر عبد الرحمن محمد ،الدولة العباسية،ص 9 ، أحمد مختار العبادي،في التاريخ العباسي و الأندلسي،ص 19،أحمد علبي ، العهد السّرّي،ص 30.

(2) ابن الأثير،الكامل في التاريخ،ج 5 ص 53 ، محمد زكي العشماوي ، موقف الشعر،ص 21 .

(3) ابن الأثير ، نفس المصدر والصفحة،البلخي ، البدء والتاريخ،ج 6 ص 58 وما بعدها،عبد المنعم ما جد ، التاريخ السياسي،ص 326 ، يوسف العش ، محاضرات في تاريخ الخلافة العباسية،ص :6 .

(4) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب،ص 66 ، أبو حاتم الرّازي (ت 322 هـ)،كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ، تحقيق عبد الله سلوم السامرائي ، وزارة الأعلام بغداد،1972 قسم 3 ص 298 .

(5) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 7 ص 5 ، ابن الأثير،الكامل في التاريخ،ج 4 ص 110 .

(6) ابن الأثير،نفس المصدر،ج 5 ص 44.

(7) يوسف العش ، محاضرات في تاريخ الخلافة العباسية،ص 6،العشماوي،موقف الشعر،ص 21 ،حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف ، العالم الإسلامي في العصر العبّاسي،ص 13 ، بدر عبد الرحمن محمد،الدولة العباسية،ص 9 ، حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام،ج 2 ص : 11.

(8) ابن حزم ،جمهرة أنساب العرب،ص 66 ، مجهول،من القرن الثالث الهجري ، أخبار الدّولة العباسية ،وفيه أخبار العبّاس وولده ، تحقيق عبد العزيز الدّوري وعبد الجبّار المطلبي،دار الطليعة،بيروت 1971 ص 177.

-أيضا-أنه كان هناك اختلافات في مبادئ الشّيعة الكيسانية وأن العباسيين كانوا أكثر نشاطا في نهاية القرن الهجري الأول من آل علي .

أما البعض الآخر من المُحَدِّثين [1] فلم يقتنعوا أبدا بِصحّة هذا التنازل واعتبره موضوعًا من العباسيّين لكسب الحقّ الشّرعي لخلافتهم . وقد حدّد أحمد مختار العبادي موقفه منهم ، مدعما إياه بمجموعة من المبررات نوجزها في النقاط التالية :

1. إذا كان هذا التنازل قد حدث فعلا لكان للعباسيين الحق في الإفصاح عنه ولكنّنا نجد دعوتهم تُلْقَى باسم آل البيت أو آل محمد ولا شك أن الغرض من ذلك هو التمويه أو التعمية عن الشيعة بوجه خاص ،وهذا دليل يهمل فكرة التنازل .

2. لقد اجتمع آل عليّ وآل العبّاس في أواخر الدولة الأموية ،واتفقوا على أنه في حالة سقوط الخلافة الأموية يكون خليفةُ المُستقبلِ الإمام محمد النفس الزكية (حفيد الحسن ابن علي بن أبي طالب) وكان أبو جعفر المنصور (الخليفة العباسي الثاني حاضرا في هذا الاجتماع ، فلو أن فكرة التنازل وقعت لاعترض وأشار إلى التنازل .

3. حاول العباسيون ، بعد أن استقر لهم الأمر ، أن يحيطوا خلافتهم بشيء من الشرعيّة فطبّقوا عليها قانون الوراثة في الشريعة الإسلامية على اعتبار أن الخلافة تركة بعد النبي ، فقالوا إنهم من نسل العبّاس عمّ النبي ، بينما العلويون من نسل فاطمة الزهراء بنت النبي ،والعم في الميراث والعصبيّة مقدم على ابن البنت .

والظاهر أن رواية الوصية موضوعة فعلا من قبل العباسيّين لإثبات شرعية خلافتهم، وذلك لأنهم أدركوا أن الجوّ قد خلا من أعظم الزّعماء العلويين بعد أن توفي عليّ بن الحسين[2] وأبو هاشم بن محمد بن الحنفية ولم يبق في السّاحة سوى محمد

(1) سيد أمير علي ، مختصر تاريخ العرب ، ص 136 ؛ عبد العزيز الدّوري ، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ، ص75 ؛ أحمد مختار العبادي ، في التاريخ العباسي والأندلسي،ص 20.

(2) يطلق عليه اسم زين العابدين و" عليّ الأصغر " وهو ابن الحسين بن علي بن أبي طالب ولد في سنة (38 هـ / 658 م) وهو رابع الأئمة الإثنى عشر عند الإمامية ، وليس للحسين بن علي عقب إلاّ منه . توفي في المدينة في سنة (94 هـ / 712م)،الزركلي ، الأعلام،ج 5 ص 86 .

الباقر [1] و زيد بن علي اللذ ن كانا لا يزالان صغيرين ،ونتأكد من هذا الرأي أكثر حينما نعلم أن نشاط العباسيين كان قد ضَعُف وقت خروج زيد بن عليٍّ وعَظُم بعد استشهاده [2].

ومهما يكن أمر الوصية ،فقد استطاع محمد بن عليٍّ كسب ثقة دعاة أبي هاشم [3] وبالأخصّ رئيسهم " سلمة بن بجير " الذي كان محمد يخاطبه قائلا :" أنت أخي دون الإخوة ،ولست أقطع أمرا دونك ، ولا أعمل إلا بك ".[4] ومن هنا نقول إن وفاة أبي هاشم هي التي تحكمت في وقت بدء الدعوة العباسية وليس مثلما يُذكر [5] أن محمدا كان ينتظر حلول رأس المائة الهجرية قائلا :" هذا أوان ما نأمل ونرجو من ذلك لانقضاء مائة من التاريخ فإن لم تنقض مائة سنة على أمة قطّ إلا أظهر الله حق المحقّين وأبطل باطل المبطلين ".[6]

---

(1) وهو محمد بن علي زين العابدين بن الحسين الطالبي الهاشمي القرشي ، أبو جعفر الباقر ، خامس الأئمة الإثنى عشر عند الإمامية ، كان ناسكا عابدا . له في العلم وتفسير القرآن آراء وأقوال . ولد بالمدينة في سنة (57هـ/676م) وتوفي بالحميمة في سنة (114هـ / 732 م) ، تنسب إليه الباقريّة من طوائف الإمامية • الزركلي ، الأعلام،ج 7 ص 153 • أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي،ج 1 ص 359.

(2) مجهول : نبذة من كتاب التاريخ ، ص 44 • ناجي حسن،ثورة زيد،ص 140 .

(3) لقد افترقت الكيسانية " الهاشمية " (نسبة إلى أبي هاشم) بعد وفاته إلى فرق عديدة أهمها الراوندية ، التي ايّدت محمد بن علي صاحب الدعوة العباسية بحكم التنازل الذي حدث وفرقة قالت بإمامة ابن أخي أبي هاشم وهو الحسن بن علي بن محمد بن الحنفية وفرقة ثالثة ادعت أن أبا هاشم أوصى إلى أخيه علي بن محمد بن الحنفية وفرقه رابعة قالت بإمامة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الذي قال بتناسخ الأرواح ،البغدادي، الفرق بين الفرق،ص 40 وما بعدها .

(4) مجهول ، أخبار الدولة العباسية،ص 182 وما بعدها .

(5) الذهبي (شمس الدّين محمد بن أحمد بن عثمان) ت 748 هـ ، سير أعلام النّبلاء ، معهد المخطوطات، جامعة الدول العربية،تاريخ رقم 287 ج 5 ، ص 42 • الدينوري،الأخبار الطّوال،ص 332.

(6) الدينوري،نفس المصدر والمرجع.

لقد بدأت الدعوة العباسية السّرية في سنة (100 هـ / 718م)(1) عندما سير محمد دعاته إلى الآفاق (2)للدعوة ، سراً " للرضا من آل محمد "،(3)بعدما جعل الحُمَيْمَة والكُوفَة وخُرسان محور دعوته ، فأما الحُمَيْمَة فتكون محل التّدبير والتنظيم ،وأمّا الكوفة فتكون نقطة الاتصال يلتقي فيها الذين يحملون الأوامر والتوجيهات من الحُميمة مع الدّعاة الذين عادوا من خراسان لينقلوا إلى القادة نتائج كفاحهم وليتلقوا التعليمات الجديدة أمّا خراسان فهي الهدف الحقيقي للدعوة .(4)

لقد كان أبو هاشم ومناصروه من أهل تلك الناحية (5) مصدر صلة محمد بخراسان . وفي هذا يقول ابن عبد ربّه (6)- الذي يثق في رواية تنازل أبي هاشم لمحمد -" إنّ أبا هاشم هو الذي أوصى محمدا بخراسان حيث قال له :" لتكونَنّ دعوتك خراسان ، ولا تعدها ولا سيّما مرو ،واستبطِنّ هذا الحيَّ من اليَمَن ، فإن كلَّ مُلك لا يقوم به فمَصيره إلى انتقاض ".

لقد أسرع محمد في تعيين الدّعاة الذين أشار إليهم رأس دعوته " سلمة بن بجير (7) وخاطبهم قائلا : " أما الكوفة وسَوَادُها فهناك شِيعَة عليّ وولده،والبصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكفّ ، وأما الجزيرة فحروريّة مّا رِقة وأَعرَبٌ كَأَعْلَاجٍ ومُسْلِمُون أَخْلَاق النصارى . وأما الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان ، عَدَاوة راسخة وجهل متراكم ،وأما مكة والمدينة فغلب عليها أبو بكر وعمر [رضى الله عنهما] ولكن عليكم بأهل خراسان فإنّ هناك العدد الكثير والجلد الظاهر ،وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 8 ص 135 ، ابن الأثير ،الكامل في التاريخ،ج 5 ص 53 ، ابن كثير،البداية والنهاية،ج 9 ص 189 ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي،ج 2 ص 308.

(2) ابن الأثير ،نفس المصدر والصفحة.

(3) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 99 ، ابن الأثير ، نفسه ،ج 5 ص 380 .

(4) أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي،ج 3 الخلافة العباسية،ص 31 .

(5) مجهول ، أخبار الدّولة العبّاسية،ص 173.

(6) العقد الفريد،ج 4 ص 476.

(7) مجهول ، أخبار الدّولة العباسية،ص 173 .

تتقسّمها الأهواء ولم تتوزعها النِحَل ولم يقدم عليهم فساد وهم جندٌ لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولِحى وشَوارِب وأصوات هايلة ولغات فخمة تخرج من أجواف منكرة ".[1]

إذن،لقد كانت خراسان الاختيار الأفضل والأمثل ، ذلك لأن الأمصار العربية كانت تشغلها الأحزاب السّياسية التي كان فيها كل حزب يسعى للوصول إلى الخلافة،أمّا عرب خراسان ومواليها فلم يكن يراودهم هذا الحُلم و كان من السّهل كسبهم و بخاصة أن أكثريتهم شيعة لآل عليّ وأن الدّعوة قامت " للرضا من أهل البيت."[2]

لقد اعتبر الإمام محمد كثيرًا مما مضى لآل عليّ وأدرك أن المواجهة المباشرة للحكم الأموي لن ينجح فيها أبداً إلاّ بعد أن يُعدّ عدّته وبخاصة أن الشيعة الذين اعتمد عليهم آل عليّ خذلوا فيهم مرارا وتكراراً،و لذا عمل على تنظيم دعوته السّرية تقية منه.[3] وعين لها دعاة من أكْفَاءِ الرجال ثقافة وأوسعهم معرفة في العلوم الإسلامية واللغة،كانوا قد وُلّوا التعليمَ وأخَذَ النّاسُ عَنْهم .[4] وجعل لكلّ واحد منهم إِثْنَا عَشَر نقيبًا يختارهم الداعي بنفسه أو يعينهم هو — الإمام محمد — دون أن يتصل بهم . ولهذا لم يكن النقباء يعرفون إمام العصر. وكان هذا من أبرز الفروق بين الدّعاة والنقباء،وكان لكل نقيب مجموعة من الأتباع أو " المريدين " يصل عددهم إلى سبعين ، ولهؤلاء المريدين أيضا مجموعاتهم كذلك تنتشر في خلايا سرّية تعمّ جهات خراسان .[5]

---

(1) ياقوت الحموي ، معجم البلدان،ج 2 ص 413 • ابن الفقيه ، كتاب البلدان ص 395•البلخي ، البدء والتاريخ،ج 6 ص 159.

(2) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 99 • ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 380 .

(3) أحمد علبي ، العهد السّرّي،ص 45 .

(4) حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف ، العالم الإسلامي في العصر العباسّي،ص 14 .

(5) الطبري ،تاريخ الأمم والملوك،ج 8 ص 136 و ج 9 ص 98•ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 53 و ص 380 • أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي،ج 3 ص 38.

لقد كان أول ما عين الإمام محمد من دعاة الداعية مَيْسَرة الذي وجّهه إلى الكوفة . و الداعية محمد بن خُنَيس وأبا عكرمة السرّاج (يلقب بأبي محمد الصادق)وحيّان العطار إلى خراسان ،اللذين دخلوها في عهد الوالي الجراح الحكمي فلقوا من لقوا ثم انصرفوا بكتب فيها أسماء من استجاب للدّعوة وأسماء النقباء الإثنى[1] عشر الذين اختارهم أبو عكرمة وسلموها إلى ميسرة القائم بالكوفة الذي سلمها بدوره إلى الإمام[2].

كانت مهمة الدّعاة والنّقباء في خراسان ، تقوم على ترديد بعض الشعارات وهي المساواة والعدل وحقّ آل البيت في الخلافة ، مبرزين أخطاء خلفاء آل أمية و ولاتهم معتبرينهم " جميعا حكاما دينيويّين لا يهتمون بالإسلام وروحه وفلسفته".[3]

لقد تفاءل هؤلاء الدعاة الأوائل الذين دخلوا إلى خراسان بنجاح دعوتهم فيها . فقد كسبوا ثقة سبعين من أهم رجالاتها[4] ." وغرسوا فيها غرسا ."[5] ولما خرجوا منها تركوا النقباء والأتباع في نشاط دائم إلى أن بعث ميسرة القائم بالدعوة في الكوفة – رجالا إليها في

---

(1) وهم : سليمان بن كثير الخزاعي ،ولاهز بن قريظ التميمي ، وقُحطبة بن شبيب الطائي ، وموسى بن كعب التميمي ،وخالد بن إبراهيم أبو داود من بني شيبان بن ذهل ،والقاسم بن مجاشع التميمي ،وعمران بن إسماعيل أبو النجم مولى آل أبي معيط ،وملك بن الهيثم الخزاعي ،وطلحة بن زريق الخزاعي وعمرو بن اعين أبو حمزة مولى خزاعة ،وشبل بن طهمان أبو علي الهروي مولى لبني حنفية ،وعيسى بن أعين مولى خزاعة ، الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 98 ، ابن الأثير،الكامل في التاريخ،ج 5 ص 53 وما بعدها ، ابن كثير،البداية و النهاية،ج 9 ص 189.

(2) الطبري،نفس المصدر، ج 8 ص 136 ، ابن الأثير ، نفس المصدر والصفحة ، ابن كثير ، نفس المصدر والصفحة، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي،ج 2 ص 308.

(3) أحمد شلبي،موسوعة التاريخ الإسلامي،ج 3 ص 38،عبد العزيز سالم ،العصر العباسي الأول،ص 28،فان فلوتن، السيادة العربية، ص 95 و 96 ، عبد العزيز الدوري ، مقال تحت عنوان ضوء جديد على الدعوة العباسية مجلة كلية الآداب ، بغداد العدد الثاني 1957 م ص 75 ، شوقي ضيف،العصر العباسي الأول،ص 11 ، عبد المنعم ماجد ، التاريخ السياسي،ص 326،عبد العزيز الدّوري ، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام،ص 5 ، بدر عبد الرحمن محمد،الدولة العباسية،ص 11 و 12 .

(4) البلاذري ، أنساب الأشراف،قسم 3 ص 115 .

(5) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 308 ، البلخي ، البدء والتاريخ،ج 6 ص 59 .

سنة (102هـ / 720 م) موصيهم بالتركيز على مرو التي جعلها عاصمة للدّعوة حيث اصطدموا ببعض عَرَبها ، فقد جاء رجل من بني تميم [1] إلى سعيد بن عبد العزيز (خُذينه) وَاشِيًا :" أن ها هنا قوما قد ظهر منهم كلام قبيح " فبعث إليهم الوالي بالحضور فأتى بهم لكنهم أقنعوه أنـهم تجار مشغولون بتجـارتهم فَأَخْلَى سبيلهم بعدما ضمنهم رجال أكثريـتهم من ربيعة واليمن .[2]

وفي سنة (105 هـ / 723م) قدم بُكير بْنُ مَا هَان من السند — التي كان بها مع الجنيد بن عبد الرحمن [أحد ولاة خراسان] — الذي حسب ما يبدو أنه قد عُزل من مَهامّه فانضمّ إلى مَيْسرة في الكوفة وأعطاه أربع لَبِنَات من فضة ولَبِنة من ذهب وذَهب إلى الإمام محمد الذي اختاره في محلّ مَيْسَرة لَمَّا وصله خبر موته [3] وإن كانت هناك رواية أخرى [4] تقول:إن سلمة بن بجير — رأس شيعة أبي هاشم — هو الذي أشار ببكير بن مَاهَان داعية للإمام محمد لأن بكير كان من أتباع الدّعوة الكيسانية ومن موالي بُني*مُسليه" مثل سلمة . والمهم في كل هذا أن الدعوة العباسية أصبحت تتمركز في يد بكير بعد موت مَيْسَرة فبعث في سنة (107 هـ/ 725 م) مَجْمُوعة [5] من الدّعاة إلى خراسان لكن الوالي

---

(1) اسمه عمرو بن بحير بن ورقاء السعدي الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 8 ص 167،ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 100.

(2) الطبري ، نفس المصدر والصفحة ، ابن الأثير،نفس المصدر والصفحة ، الدينوري،الأخبار الطوال،ص 333 ، بدر عبد الرحمن ،الدولة العباسية،ص 12 ، بطرس البستاني،معارك العرب،ص 81.

(3) الطبري ، نفسه ،ج 8 ص 180 ، ابن الأثير ، نفسه،ج 5 ص 125 ،الدينوري،نفس المصدر والصفحة ، بطرس البستاني ، معارك العرب ، ص 81 ، حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف ، العالم الإسلامي في العصر العباسي،ص 15 ، شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي،ج 3 ص 37،أحمد مختار العبادي،في التاريخ العباسي والأندلسي،ص 23 .

(4) البلاذري ، أنساب الأشراف،قسم 3 ص 190.

(5) وهم : أبو عكرمة وأبو محمد الصّادق ومحمد بن خُنيس وعمّار العبادي وزياد — خال الوليد الأزرق-في عدّة من شيعتهم ، الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 8 ص 188 ، ابن الأثير،الكامل في التاريخ،ج 5 ص 136 .

أسد بن عبد الله القسري سمع بأمرهم فَقَتَل أبَا عِكْرِمة [1] وقطع أَيْدِيهِ وأرجل البعض ممن قبض عليهم . أما من استطاع الهروب فقد أبلغوا بكير الذي أخبر الإمام بدوره فأجابه :" الحمد لله الذي صدّق دعوتكم ومَقَالَتكم وقد بقيت منكم قَتْلى سَتُقْتل ".[2]

لم تَزِد هذه الأحداث بكيرَ بْنَ مَا هَان سوى إصرار على المواصلة فقد بعث مجموعة أخرى من الدعاة والشيعة في سنة (108 هـ / 726م) التي لم يخف أمرها على الوالي أسد الذي قطع أطراف بعض رجالها أيضا[3] ومع ذلك نتصور أن نشاط الدّعاة والنّقباء قد تثاقل بعد ذلك لأننا لا نجد ذكرا للدعوة العباسية بعد هذا الحدث إلا في أخبار سنة (113هـ / 731م) حيث يذكر الطبري[4] أن " جماعة من الدّعاة دخلوا خراسان فأخذ الجنيد بن عبد الرحمن رجلا منهم فقتله وقال مهددا : " من أصيب منهم فَدَمُه هَدَر " لكننا نفهم من الدينوري [5] فيما يخص هذا الحدث أن الجنيد تعاطف مع هؤلاء الدعاة لأنهم كانوا يَمَنيين مثله وأطلق سراحهم فانتشروا في جميع نواحي الإقليم " وغرسوا في هذه البلاد غرسا كثيرا " فندم الجنيد على فعلته وكتب إلى أمير العِراقَيْن خالد بن عبد الله القسري الذي أخبر الخليفة هشام الذي ردّ قائلا :" ألا يرغب في الدماء وأن يكفّ عمن كفّ عنه ، ويسكن الناس بجهده وأن يطلب النفر الذين يدعون الناس حتى يجدهم فينفيهم ".

وفي سنة (119هـ / 737م) أخذت الدعوة العباسية منعرجا جديداً وذلك حينما بعث بكريرُ بْنُ ما هان عمارَ بْنَ يَزيد داعية على خراسان وواليا على شيعة آل البيت فنزل مرو وغَيَّرَ اسمه وتَسَمَّى بِالـ " خَدَّاش " وبدأالدّعوة فأقبلت عليه الناس " و قَبِلُوا ما جاءهم

---

(1) البلاذري ، أنساب الأشراف،قسم 3 ص 114 وما بعدها .

(2) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،8 ص 188 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج 5 ص 136 ،البلخي،البدء والتاريخ،ج 6 ص 59.

(3) الطبري ، نفس المصدر،ج 8 ص 190،ابن الأثير ، نفس المصدر،ج 5 ص 140.

(4) الطبري ، نفسه،ج 8 ص 217.

(5) الأخبار الطّوال ، ص 336.

به وَسَمِعُوا له وَأَطَاعُوا ." فانتعشت بذلك الدّعوة [1]لكنه سرعان ما أظهر الخُرَّمِيَّة[2] وأحل المنكرات ودنّس المحَارم والمصَاهَرات "[3] فسمع بأمره الوالي أسد بن عبد الله فوضع عليه عيونا حتى ظفر به وأمر بقتله قائلا:" الحمد لله الذي انتقم لأبي بكر وعمر [رضي الله عنهما] منك "[4].

لقد أصبحت الدّعوة العبّاسية في موقف سَيِّئ مع " الخدّاش " الذي أساء إلى مبادئها وأبعد الكثير من مناصريها ، وكانت النتيجة أن انقطع الاتصال بين أصحابها حتى اجتمع بعضهم بسليمان بن كثير [الذي رُقِّيَ على حسب ما يبدو من درجة نقيب إلى درجة داعٍ] وطلبوا منه الاتصال بالإمام ، فذهب إليه متنكرا وأخبره بما وصل إليه الحال في الإقليم فسلم له الإمام كتابا مختوما[5] ثم صرفه إلى خراسان وفي طريق عودته مرّ على بكير بالكوفة الذي سلم له هو أيضا كتابا يحاول فيه إقناع الأنصار بالعودة إلى الطاعة ، لكن الكتابين لم يُغيِّرَا الوَضْعَ فذهب بكيرٌ إلى الإمام الذي أعطاه مجموعات من العِصِيّ المضبّبة بعضها بالحديد والبعض الأخر بالنحاس ليدفع لكل واحد من النقباء والشيعة واحدة فأدركوا عندها أنهم مخالفون للإمام فأطاعوه من جديد[6] ومع ذلك يبدو أن نشاط الدّعوة العباسية في

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 8 ص 228 وما بعدها،ابن الأثير،الكامل في التاريخ،ج 5 ص 196، حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف ،العالم الإسلامي،ص 16.

(2) الخرمية فرقة إعتقادية تنسب إلى بلدة " خرم " الفارسية التي تقع بالقرب من " أردبيل " أو إلى كلمة " خُرم" الفارسية بمعنى المرح والسرور ، ذلك لأن الشائع عن مذهب الخرمية إباحة أنواع المتع لهذا يعتبرهم البعض خلفاء للمزدكية القدماء ،وتنقسم الخرمية إلى طائفتين هما " البابكيّة" و"المازيَاريّة " ، أحمد عطية الله،القاموس الإسلامي،ج 2 ص 229 .

(3) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 8 ص 229 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 197 ، ابن كثير ، البداية و النهاية،ج 9 ص 326 ، البلخي ، البدء والتاريخ ، ج 6 ص 61.

(4) الطبري،نفس المصدر والصفحة ، ابن الأثير ، نفس المصدر والصفحة .

(5) حينما فضّ الأنصار خاتم الكتاب لم يجدوا فيه سوى "بسم الله الرحمن الرحيم " ، الطبري ، نفسه،ج 9 ص 249 ، ابن الأثير ، نفسه،ج 5 ص 219.

(6) الطبري ، نفسه ، ابن الأثير ، نفسه .

خراسان قد تراجع ، إن لم نقل قد توقف قليلا ، إلى أن مات الإمام محمد بن علي في شهر ذي القعدة سنة (125هـ / 742 م) [1] و خلفه وَفْقَ وَصِيَّته[2] ابنه إبراهيم [3] الذي ساهم مساهمة و افرة في تنظيم الانقلاب العباسي على الأمويين .

بدأ إبراهيم مساره بأن بعث في سنة (126هـ/743 م) بكير بن مَاهَان إلى خراسان ومعه" السيرة والوصيّة ".فقدم مرو و جمع النقباء ومَنْ بِها من الدُّعَاة ونعَى الإمامَ مُحَمَّدًا ودعاهم إلى إبراهيم فقبلوه ودفعوا إليه ما اجتمع عندهم من نفقات الشيعة التي أسرع إلى تقديمها إلى الإمام.[4] لكنه مرض بعد ذلك فكتب إلى إمامه يعلمه أنهُ قد استخلف حفص ابن سليمان[5] وهو رضى للأمر"ويظهر أن بكير توفي سريعا بعد هذا الكتاب فسرعان ما أسند إبراهيم أمر الدّعوة لحفص الذي دخل خراسان بكتاب مختوم من إمامه حتى يصدق.[6]

نفهم من ابن كثير [7] أن الدعوة العباسية انتابها بعض الفتور في سنة (127 هـ 744 م) ، وذلك لكثرة الشرور المنتشرة والفتن الواقعة بين الناس في الإقليم لكن التغيّر بدأ

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 8 ص 299 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 275 .

(2) الطبري ، نفس المصدر والصفحة ، ابن الأثير ، نفس المصدر و الصفحة ، اليعقوبي،تاريخه،ج 2 ص 319 ، البلاذري ، أنساب الأشراف،قسم 3 ص 80 و 118 ، مجهول ، أخبار الدّولة العباسية،ص 231.

(3) هو إبراهيم بن محمد بن علي حفيد العبّاس ، ولد عام (82 هـ / 701 م) ، أصبح إماما شرعيا بعد وفاة أبيه، واختار أبا مسلم الخراساني داعية ، في خراسان ولما انتقلت الدعوة من السر إلى الجهر قبض عليه الخليفة مروان وحبسه إلى أن ماتَ في " حران " عام (131 هـ / 749 م)،أحمد عطية الله ،القاموس الإسلامي،ج 1 ص 10 .

(4) الطبري،نفسه،ج 9 ص 43 ، ابن الأثير ، نفسه،ج 5 ص 308،الدينوري،الأخبار الطوال،ص 339.

(5) هو صهر بكير بن ما هان يسمّى أيضا بأبي سلمى الخلاّل نسبة إلى خلل السّيوف وهي أغمادها . فقد كان يعملها ، وكانت العرب تسمى من يعملها " الخلال " وقيل أنه سمّي الخلال نسبة إلى الخلّ فقد كانت له حوانيت يعمل فيها الخل كان سمحا كريما مِطْعَامًا كثير البذل مشغوفا بالتنوّق في السّلاح والدّواب فصيحا عَالِما بالأخبار والأشعار والسّير والجدل و التفسير، ابن طباطبا،الفخري ص 123،شلبي،موسوعة،ج 3 ص 45.

(6) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 66 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 339 ، الجهشياري ، الوزراء والكتاب ص 84 ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 319،الدّينوري ، الأخبار الطوال،ص 334.

(7) البداية والنهاية،ج 10 ص 25.

يَحْدث في سنة (128 هـ / 745 م) عندما وجّه الإمامُ إبراهيمُ بنُ مُحَمَّد ، مَوْلاَهُ أبَا مُسْلم الخراساني [1] الذي كان الإمام محمد قد أوصى به قبل موته عندما أحضره سليمان معه لملاقاته في مكة قبل و فاته بقليل[2] حيث قال :" إن عبد الرحمن صاحبكم[يعني أبا مسلم] فاسمعوا له وأطيعوا فإنّه القائم بهذه الدّولة " .[3] ولما حاز إعجاب إبراهيم أيضا ، جعله موضع عنايته وراح يثقّفه ويفقّهه ، ثم بعث به إلى شيعته في خراسان [4] ومع ذلك فإن هذا الاختيار ما كان ليكون لو أن إبراهيم وجد شخصية هاشمية أو عباسيّة مناسبة تمثله في الإقليم ولهذا جعله دائما تحت مراقبة وأمر سليمان بن كثير الخزاعي الذي كانت له إمامة الصلاة أيضا .[5]

لم يَرْض النّقباء والأنصار بأبي مسلم عندما وَفد إليهم في خراسان على الرغم من أنه كان يحمل معه كتابا من إمامه إبراهيم الذي جاء فيه :" إني قد أمرته بأمري فاسمعوا منه، واقبلوا قوله فإني قد أمّرته على خراسان وما غلب عليه بعد ذلك ".[6]

يظهر أن هناك سببين إثنين جعلا النقباء والأنصار يرفضون أبا مسلم وهما

---

(1) لقد اختلف في اسمه وأصله كثيرا ، فقيل هو أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم وقيل عثمان الخراساني وقيل أيضا هو إبراهيم بن عثمان بن يسار بن شدرس بن حودرن من ولد يزر جمهر بن البختكان الفاري ، مولده في سنة مائة للهجرة ومنشؤه الأوّل عند إدريس بن عيسى جدّ أبي دلف النّازل في حدّ أصفهان . ابن خلكان،وفيات الأعيان،ج 3 ص 145 . ابن قتيبة،المعارف،ص 185 . ابن طباطبا ، الفخري،ص 109.

(2) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 8 ص 299 . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 339 .

(3) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي،ج 2 ص 332.

(4) البلاذري ، أنساب الأشراف، قسم 3 ص 210 . ابن طباطبا ، الفخري ، ص 109 . الخطيب البغدادي (الحافظ أبو بكر أحمد بن علي)(ت- 463 هـ)،تاريخ بغداد أو مدينة السلام،مطبعة السعادة،مصر 1931 ج 10 ص 207 .

(5) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 76 . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 348،رمزية الأطرقجي ، الحياة الاجتماعية في بَغْدَاد،ص 93.

(6) الطبري ، نفس المصدر والصفحة . ابن الأثير ، نفس المصدر والصفحة،الدينوري ، الأخبار الطوال،ص : 343.

عجميّته[1] ـ ذلك لأننا ومن القائمة التي سبق أن عرضناها في هامش صفحة 299 ندرك أن أغلبيتهم السّاحقة كانوا من أشراف العرب — وصِغَرُ سِنِّهِ حيث يـذكر أنه كـان في التاسعة عشر من عمره [2] أو الواحـدة والعـشرين [3] أو الثـامنـة والعـشريـن إذا مـا أخــذنا بـرأي ابن قتيبة [4] القائل : " إن أبا مسلم ولد في سنة مائة للهجرة ."

لقد خرج أبو مسلم بعد هذا الرفض للقاء إمامه إبراهيم بمكة وأعلمه الأمر لكن الإمام أصرّ عليه معترفا أنه لم يجد له بديلا ، ذلك لأنه سبق أن عرض الأمر على من رآهم أصلح من أشراف العرب ولم يوافقوا .[5] ولهذا أمر بطاعته وسرحه من جديد إلى خراسان بعد أن زوّده بنصيحة قال فيها : " يا عبد الرحمن إنك رجل منّا أهل البيت فاحفظ وصيتي وانظر هذا الحيَّ من " اليمن" فأكرمهم وحلّ بين أظهرهم فإن الله لا يتم هذا الأمر إلاّ بهم ، وأنظر هذا الحيّ من ربيعة فاتّهمهم في أمرهم وانظر هذا الحيّ من مضر فإنهم العدوّ القريب الدّار فاقتل من شككتَ في أمره ومن كان في أمره شُبهة ومن وقع في نفسك منه شيء ،وإن استطعتَ أن لا تدعَ بخراسان لسانا عربيا فافعل فأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله ولا تخالف هذا الشيخ [يعني سليمان بن كثير الخزاعي] ولا تعصه و إذا أشكل عليك أمر فاكتف به مني ".

لم ترد هذه الوصية في كل المصادر الإسلاميّة الأساسية التي إعتمدنا عليها فهي موجودة عند الطبري وابن الأثير[6] دون إسناد ويذكرها ابن قتيبة مع بعض الاختلافات[7]

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج8 ص 299 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 339 .

(2) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد،ج 10 ص 207.

(3) أبو حيان التوحيدي ، البصائر والذخائر،ج 2 ص 68 وما بعدها .

(4) المعارف ص 185.

(5) عرض الأمر على سليمان بن كثير الخزاعي الذي كان شيخا مسنًّا وعلى إبراهيم بن سلمة الذي لا يذكر عنه أي تعريف فرفضا،الطبري،تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 76،ابن الأثير،الكامل في التاريخ،ج 5 ص348 .

(6) الطبري ، نفس المصدر والصفحة ، ابن الأثير ، نفس المصدر والصفحة .

(7) الإمامة و الساسية،ج 2 ص 201.

وذكرها المقريزي[1] أيضا معلّقا مستعجبا كيف يأمر إبراهيم أبا مسلم بقتل كل العرب . لكنها لم ترد عند البلاذري[2] الذي خصص قسما من مصدره لأخبار العباس بن عبد المطلب وولده كما أنّها لم ترد عند اليعقوبي والمسعودي أيضا في حين نجدها أكثر موضوعية وعقلانية عند الدّينوري [3] و مؤلف مجهول [4] حيث قالا :" إن إبراهيم أوصى أبا مسلم ألا يدع بخراسان عربيا لا يدخل في أمره إلا ضرب عنقه ."

لا شك أن الوصية التي أوصى بها الإمام إبراهيم أبا مسلم الخراساني كما جاءت عند الطبري وابن الأثير تُظهر تناقضات كثيرة فكيف يأمر الإمام بقتل كل العرب وهو يدرك أهميتهم في دعوته وأيضا يوصي أبا مسلم في بدايتها بالتقرب إلى اليمانيين وحليفتهم ربيعة، ثم إنناحينما نتتبّع الأحداث ندرك أن أبا مسلم اتّبع سياسة لا تتفق أبدا مع هذه الوصية المزعومة . فلقد قرّب واقترب من اليمانيين والربيعيين وإن كان قد قَتَل عليا وعثمان ابنَي الكرماني فذلك خوفا من التنافس. وهنا يحاول يوسف العش[5] أن يعلّل هذا التناقض قائلا:" إنّ كلمة " لسانا " من الشكل ، الذي كانت تُكتب فيه دون تنقيط " لسانا " تُصحف عن " إنسانا " و أما كلمة " عربيا " فقد تصحف عن كلمة " مريبًا " وعلى ذلك فعبارة " لسانا عربيا " تقابل " إنسانا مريبا " وتصحيف ذلك الشكل عن الآخر ممكن فيكون نصّ العبارة — كما يرى — إذن " وإن استطعت ألاّ تدع بخراسان إنسانا مُرِيبًافافعل وهذا يجري مع سياق الوصية ، ويجري مع العبارة السابقة واللاحقة ، فهو معنى الريبة والشك والتهمة " ويجتهد نفس المؤرخ[6] في جهة أخرى لإبعاد التناقض عن الوصية

(1) النزاع والتخاصم فيما بين بني أميّة وبني هاشم،ص 95 و 96.

(2) نقصد أنساب الأشراف .

(3) الأخبار الطوال،ص 359.

(4) مؤلف مجهول ، العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، قام بطبعه بالأفست مكتب المثنى ببغداد عن النسخة المطبوعة سنة 1869 م،ج 3 ص 184 .

(5) الدولة الأموية والأحداث،ص 318 .

(6) يوسف العش،الدولة الأموية والأحداث،ص 317،و محاضرات في تاريخ الخلافة العباسية ص 14 و 15.

ويجعل كلمة " مضريا " بدلا من " عربيا " في عبارة لسانا عربيا " لكنه يستدرك ويقول :" على أن هذا التفسير لا يمكن الأخذ به ، فليس هنالك لسان مضريّ ولسان غير مضري فقد توحدت الألسنة منذ عهد بعيد."

أما بعض المُحْدَثين[1] فقد اعتبروا هذه الوصيّة موضوعة وضعا ومدسوسة دسًّا من قبل الأمويين على العباسيين لإفساد دعوتهم وتلطيخ حركتهم بالقسوة والدّماء . أو من الفرس لإثبات أن الدّولة العباسيّة لم تقم إلا على أكتاف الفرس . ومهما يكن أمر هذه الوصية ، فيبدو أن الغرض منها كان دفع أبي مسلم لإحكام قبضته على أمور الدّعوة في خراسان .

لقد أحسن أبو مسلم التدبير والتنظيم وواصل الدعوة سرًّا باسم " آل محمد (ﷺ) أو آل البيت "[2] وأصبح يُطلق عليه لقب " أمين آل محمد "[3] وتمكن بذلك من جمع كل شيعة آل عليّ ظنًّا منهم أنّه يدعو إلى أحد العلويّين ، وبخاصّة أنه حدث أن اجتمع العلويون و العباسيّون بمكّة خلال العهد الأخير من الدولة الأمويّة المضطربة الأحوال وتباحثوا أمر الخلافة وقرروا جميعا على مبايعة محمد ذي النفس الزكية (حفيد الحسن بن علي بن أبي طالب) خليفةً .[4]

في سنة 129 هـ (746م) اشتدّت فتن العصبية القبلية في خراسان ورأى سليمان ابن كثير أن الوقت المناسب للنجاح قد حان وأن الأمر أصبح يتطلب رجلاً من أهل بيت إبراهيم لكسب عرب الإقليم وليس للمَوْلى مثل أبي مسلم الخراساني فكتب إلى أبي سلمة

---

(1) عبد العزيز الدّوري ، ضوء جديد على الدّعوة العباسية ،ص 78. حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف، العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص 48.بدر عبد الرحمن محمد، الدولة العباسية، ص 15 و 16.

(2) البلاذري ، أنساب الأشراف، قسم 3 ص 115. مجهول ، أخبار الدّولة العباسية، ص 194 و 204.

(3) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي، ج 2 ص 352 . ابن عبد ربه ، العقد الفريد، ج 4 ص 482 .

(4) البلاذري ، أنساب الأشراف، قسم 3 ص 115. أحمد علبي ، العهد السرّي للدّعوة العباسية، ص 43 أحمد مختار العبادي ، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص 20.

الخلاّل القائم بالدعوة في الكوفة يطلب منه إخبار الإمام إبراهيم بذلك [1]، الذي اقتنع بالرأي سريعا وكتب إلى أبي مسلم يطلب منه الحضور وإحضار ما اجتمع عنده من الأموال التي بلغت ثلاثمائة ألف وستّين ألف درهم ، فسار إليه مأمورا مع سبعين من النقباء و بعض شيعته ، بعدما حول الأموال إلى متاع التجّار مُظْهِرًا أنّه ذاهبٌ إلى الحجّ . [2]

يظهر أن الإمام إبراهيم لم ينجح في إيجاد بديل عن أبي مسلم من أهل بيته ، فتراجع عن رأيه وبعث يقول له وهو قد حل " بِقُومِس " :" إني قد بعثتُ إليْكَ بِرَايَةِ النّصْرِ فارجع من حيث لقِيَك كتابي ،وَوَجِّهْ إليّ قَحْطُبَة[3] بما معك يوافيني به في الموسم"[4] كما بعث له كتابا آخر يسلمه إلى سليمان بن كثير يأمره فيه بإظهار الدعوة قائلا :" أَنْ أَظْهِرْ دَعْوَتَكَ ولا تَرَبَّصْ فقد آن ذلك"[5] فتهيّأ أبو مسلم لذلك . ونزل قرية تدعى " قَنين " بضواحي مرو واجتمع ببعض النقباء والأنصار وقرّر أن يكون اليومُ الخامسُ والعشرُون من شهر رمضان لسنة (129 هـ / 746 م) مَوْعِدًا لِجَهْرِ الدَّعْوة في كل خراسان و ما تابعها. ووَجّه من يخبر أتباعه بذلك في المناطق البعيدة كمرو الرّوذ وطخارستان والطالقان و خوارزم " [6]

وعندما حلّت الليلة الموعودة عاد أبو مسلم إلى قرية " سَفِيذَنج " بضواحي مرو أيضا حيث كان ينزل سليمان بن كثير الخزاعي وعقد لواء الإمام إبراهيم الملقب " بالظلّ" على

---

(1) الطبري،تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 82 . ابن الأثير،الكامل في التاريخ،ج 5 ص 356 . ابن كثير،البداية والنهاية،ج 10 ص 30.

(2) الطبري ، نفس المصدر،ج 9 ص 88.

(3) هو قحطبة بن شبيب الطائي ، قائد شجاع من ذوي الرأي والشأن ، صحب أبا مسلم الخراساني ، وناصره في إقامة الدّعوة العباسية بخراسان وكان أحد النّقباء الإثني عشر الذين اختارهم محمد بن عليّ ، في بداية الدعوة ، قاد جيوش أبي مسلم ، وكان مظفرا في جميع وقائعه،غرق في الفرات على إثر وقعة له مع ابن هبيرة وذلك في سنة (132هـ / 749م).الزركلي ، الأعلام،ج 5 ص 30.

(4) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 82 و 83 . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 357 .

(5) الطبري ، نفس المصدر،ج9 ص 83.

(6) الطبري ، نفسه.ابن الأثير ، نفسه ، ج 5 ص 357 .

رمح طوله أربعة عشرَ ذراعا ورايته أيضا التي تدعى " السّحاب " على رمح طوله ثلاثة عشر ذراعا [1] وسوّد مع سليمان وأهل بيته ومواليه – تيمّنا بالرسول (ﷺ) الذي دخل مكة وعلى رأسه عمامة سوداء [2] وإن كان العبادي[3] يرى أن الشعار الأسود ما هو إلا حزنا على الشهداء من آل بيت النبي الذين قتلهم الأمويّون ـ. ثم أوقد نارًا عظيمة رُئِيت على بُعد قرى بعيدة فما أن حَلّ الصبح حتّى وافاه أهل ستين قرية لمبايعته[4] وهم ينادون " محمد يا منصور "[5] ليأتيه بعد ذلك شيعته من كل جهة من خراسان وما يتبعها ، وفي هذا يقول الدينور[6] " انجفل الناس على أبي مسلم من هراة وبوشنج ومَرْو الرّوذ و الطالقان وَمَرو ونَسا و أَبِيْوردوطوس ونيسابور وسَرْخَسْ وبلخ والصَّغَانِيَان وَطخَارستان وخُتْلَان وكَش وَنسَق ، وكانوا زُهاء مائة ألف رجل ."

ولمّا حلّ العيد نصب أبو مسلم منبراً وطلب من سليمان بن كثير الخزاعي إقامة صلاة العيد [7] لتكون أوّل صلاة يجتمع فيها شيعة آل محمد (ﷺ) في خراسان ،وبعد قضائها أطعم المصلّين . ويظهر أن الأنصار ظلوا يوافونه حتى ضاقت بهم قرية " سفيدنج " ممّا

---

(1) تأويل الظلّ والسّحاب أن السحابّ يطبق الأرض وأن الأرض كما لا تخلو من الظلّ كذلك لا تخلو من خليفة عباسيّ إلى آخر الدّهر • الطبري ،تاريخه،ج 9 ص 84 • ابن الأثير،الكامل،ج 5 ص 358.

(2) ابن كثير ، البداية و النهاية،ج 10 ص 51 • ابن الأثير، الكامل،ج 5 ص 479 • الخطيب البغدادي،تاريخ بغداد،ج 10 ص 208 .

(3) في التاريخ العباسي والأندلسي،ص 25.

(4) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 83•ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 358 .

(5) مجهول ، أخبار الدولة العباسية،ص 245.

(6) الأخبار الطّوال ، ص : 361 ، 362.

(7) " أمر أبو مسلم سليمان الخزاعي أن يبدأ بالصّلاة قبل الخطبة ، بغير أذان ولا إقامة وكان بنو أمية يبدأون بالخطبة قبل الصّلاة وبالأذان و الإقامة ،وأمر أبو مسلم أيضا سليمان بن كثير بست تكبيرات تباعا ، ثم يقرأ ويركع بالسّابعة ويكبّر في الركعة الثانية خمس تكبيرات تباعا ، ثم يقرأ ويركع بالسادسة ويفتح الخطبة بالتكبير ثم يختمها بالقرآن،وكان بنو أمية يكبرّون في الأولى أربع تكبيرات يوم العيد وفي الثانية ثلاث تكبيرات•الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 84 • ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 359 • ابن كثير ، البداية والنهاية،ج 10 ص 31.

جعل أبا مسلم يرتحل بهم إلى " مَا خُوَان " (إحدى القرى الكبيرة التابعة لمرو)[1] وذلك لتسع ليال خلون من شهرذي القعدة لسنة (129 هـ / 746 م) . واحتفر بها خندقا وجعل له بابين ، وعمل على إرساء قواعد دولة آل هاشم فوزّع المهامّ و المسؤوليات وجعل أحد الأعيان من شيعته ،وهو أبو القاسم بن مجاشع ، إماما وقَاصًّا يقصّ قصصا يذكر فيها فضل بني هاشم ومعايب بني أميّة يوميًّا بعد صلاة العصر .[2] ثم عمل على جلب العبيد وخصّ لهم داعية يدعوهم باسمه قائلا :" أيما عبد أتانا راغبا في أمرنا قبلناه وكان له ما لنا وعليه ما علينا " .[3] ولما كثر انضمامهم إليه بَنَى لهم خندقا خاصًّا بعيداً عن الأحرار في قرية شَوال " .[4]

وبعدما علم أبو مسلم الخراساني بتعاقد العرب مع الوالي نصر بن سيّار ، انتقل سريعا إلى قرية " آلين " لكن نصرا ألحق به بعض الجيوش التي لم تُوفّق في مهامّها[5] مما جعل أبا مسلم يحسّ بالغلبة وبخاصة أن أنصاره كانوا قد تمكنوا من السّيطرة على بعض المدن المهمّة مثل هراة[6] ومرو الرّوذ[7] . فكتب إلى نصر مبتدئا " بنفسه :" أما بعد فإن الله تباركت أسماؤه عَيَّر أقواما في القرآن فقال :" وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِم لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا . اِسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ، فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ".[8] فغضب نصر وبعث له جيشا إلى " آلين " لكنه

---

(1) ياقوت الحموي ، معجم البلدان،ج 4 ص 380 .

(2) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 90 ، ابن كثير،البداية والنهاية،ج 10 ص 31 .

(3) عبد العزيز الدّوري ، ضوء جديد على الدّعوة العباسيّة،ص 79 .

(4) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج 9 ص 90.

(5) الطبري ، نفس المصدر،ج 9 ص 91.

(6) الطبري ، نفسه ، ج 9 ص 89 ، ابن كثير،البداية والنهاية،ج 10 ص 31.

(7) الطبري ، نفسه،ج 9 ص 85 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 361 .

(8) سورة فاطر ، الآيتان:42 ، 43.

فشل وقُتل الكثير منه وقُبض على قائده — يزيد — الذي أحسن أبو مسلم معاملته ليكون " حُجّةً على نصر ". [1]

في هذه الأثناء عَلِم الـخليفة مروان أن الدعوة قائمة لإبراهيم الإمام فقبض عليه وسجنه[2]. فأحسّ سليمان بن كثير و أبو مسلم الخراساني بالخطر . فنشطا كثيرا في كسر التعاقد العربي الذي حدث بين نصر وعرب اليمن وربيعة ، وكان الهدف الأوّل لذلك هو عليّ بن جديع الكرماني الذي أقنعه أبو مسلم أن قتل أبيه كان بإيعاز من نصر، فنقض الصّلح وأعلن مناصرته ومساعدته للإطاحة بالوالي الأموي [3] وهنا يئس نصر كثيرا ولم يبق له إلا محاولة كسب العدو الأول أبي مسلم ، فبعث يدعوه إلى مناصرة مضر ، لكنه اختار مناصرة اليمن و ربيعة بعد أن أذلّ وفد نصر كثيرا [4].

لقد بات أبو مسلم يدرك أن النصر قادم لا محالة، فقرّر العودة إلى معسكره الأوّل مَاخْوَان بعد أن أقام في آلين زُهاء ثلاثة أشهر و ذلك في نصف صفر لسنة(130 هـ/747م) [5] وهنا كاتبه عليّ بن جديع الكرماني:" أن ادخل الحائط [يقصد حائط مرو] من قِبَلك وأدخل أنا وعشيرتي من قِبَلي ، فتغلب على الحائط " لكن أبا مسلم-كما رأينا سابقا — لم يثق أبدا في عليّ، فكتب إليه :" أن لست آمن أن تجتمع يدُك ويدُ نصر على محاربتي ، ولكن ادخل أنت فانشب الحرْب بينك وبينه وبين أصحابه " [6] فدخل علي و أنشب

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 84 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج5 ص 359 ، ابن كثير ،البداية و النهاية،ج10 ص31.

(2) الطبري ، نفس المصدر،ج 9 ص 92 ، ابن الأثير ، نفس المصدر،ج 5 ص 366 ، الدينوري،الأخبار الطّوال، ص 357 ، المسعودي ، مروج الذّهب،ج 3 ص 259 ، ابن كثير ،البداية،ج 10 ص 39 ، البلخي ، البدء والتاريخ،ج 6 ص 65 ، أبو الفِدا ، مختصر أخبار البشر،ج 1 قسم 1 ص 209.

(3) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 89 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 368 .

(4) الطبري ، نفس المصدر،ج 9 ص 97 ، ابن الأثير ، نفس المصدر،ج 5 ص 378.

(5) الطبري ، نفسه ، ج 9 ص 98.

(6) الطبري ، نفسه،ج 9 ص 98، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 369 ، السيد عبد العزيز سالم ، العصر العباسي،ص 410.

حربا مع نصر . فأرسل أبو مسلم جيشا تحت إمرة نقيبه أبي علي شبل بن طهمان لمراقبة الوضع ولما كان الأمر في صالح أبي مسلم دعاه نقيبه لدخول مرو العاصمة ، فدخلها دون أن يبذل أي جُهْد وهو يتلو :" وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ "[1] ونزل قصر الإمارة الذي كان ينزله الولاة الأمويون وذلك في اليوم التاسع من جمادي الأولى سنة (130 هـ /747 م).[2] وبهذا سقطت مَرْو في يده لتسقط كل خراسان بعد ذلك .

إذن، لقد كانت المعارضة العبّاسية معارضة عربيّة موجهة إلى عرب خراسان الذين قدّمت عصبيتهم مرْو هديّة لأبي مسلم الخراساني .

و المستنتج من كل ما سبق في هذا الفصل هو أن كل المعارضات الخراسانية التي ظهرت في الاثنتين والثلاثين سنة الأولى من القرن الهجري الثاني كانت عربية الأصل والزعامة دينية اللبّاس هدفها النَّيْل من بني أمية أو تحويل الخلافة إلى آل هشام ولم يَحْدث أبدا أن ظهرت معارضة أقامها السكان الأصليّون الذين إن حدث أن انضمُّوا إلى بعضها فذلك تعاطفا مع أصهارهم آل علي رضي الله عنهم ،

---

(1) سورة القصص،آية 15 .

(2) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 98 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج 5 ص 369 ، بدر عبد الرحمن الدولة العباسية ص 18، GUEST (BR) ACTION OF ABU MUSLIM , THE JOURNAL OF THE ROYAL ASIATIC SOCIETY 1932 P55 .

الفصل الخامس

الفصل الخامس:

سقوط خراسان وأثره في سقوط الدولة الأموية

سنتعرف في هذا الفصل — كما يتضح ذلك من العنوان،على سقوط خراسان في يد العباسيين وأثره في سقوط الدّولة الأموية قاطبة .

ويجب أن نذكر هنا أن الرّوايات التي جاءت في الطبري وغيره من المصادر الإسلامية الأساسية لم تُغَطِّ كل أحداث السقوط وجاءت مضطربة وغير متسلسلة تسلسلاً زمنيا واضحا. ولهذا اعتمدنا منهج الاستقراء والاستنتاج لتغطية الفصل كما تدرّجنا مع الأحداث وَفْقَ التّرابط المنطقي لها . وذلك بإعادة وضعها في سياقها الزمني المعقول .

لقد أهدى التنازع القبلي — كما رأينا — العاصمة " مرو " أو " مرو الشاهجان " لأبي مسلم الخراساني فدخلها ، دون بذل أي جهد يُذكر ، يوم الخميس لتسع خَلَوْن من جمادى الأولى لسنة (130 هـ / 747 م) [1] فنزل قصر إمارتها وطلب البيعة[2] " لآل هاشم" وبعث لنصر بن سيار يدعوه إلى كتاب الله عزّ وجلّ و الرضاء من آل محمد " فأظهر نصر،على ما يبدو — قبولا للذهاب إلى أبي مسلم ومبايعته [3] لكنه تخوف لما قرأ عليه رئيس الوفد " لاَ هِز بن قريظ " قول الله تعالى :" إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّاصِحِينَ " [4] فتظاهر بالخروج إلى الوضوء وهرب من خلف حجرته ومعه تميم ابنه والحكم بن نميلة النّميري — أحد مقربية — وحاجبه وزوجته المرزبانة.[5]

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 98 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 378،محمد بديع شريف ، الصّراع بين الموالي والعرب،(و هو بحث في حركة الموالى و نتائجها في الخلافة الشرقية)،دار الكتاب العربي بمصر ، 1954 ص 27 .

(2) كانت البيعة " أُبَايِعُكُمْ عَلَى كِتَاب اللهِ وَسُنّة رَسُولِهِ محمد (ﷺ) ، و الطاعة للرضا من أهل بيت رسول الله(ﷺ) و عليكم بذلك عهد الله وميثاقه والطلاق و العتاق و المشي إلى بيت الله الحرام ،وعلى أن لا تسألوا رزقا ولا طعاما حتى يبتدئكم وُلاّتكم وإن كان عدوّ أحدكم تحت قدمه فلا تهيجوه إلا بأمر وُلاّتكم "، الطبري ، نفس المصدر،ج 9 ص 99 ، ابن الأثير ، نفس المصدر،ج 5 ص 380.

(3) الطبري،نفسه ، ابن الأثير،نفسه، ج5 ص 381.

(4) سورة القصص ، الآية 20.

(5) الطبري ، تاريخ الأم و الملوك ، ج 9 ص 101 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج5ص381، بدر عبد الرحمن محمدّ ، الدولة العباسية ،ص 18 ، أحمد علبي ، العهد السرّي للدّعوة العباسية ص 53 ، رضى عبد الله=

لقد اتّجه نصر بن سيّار إلى مدينة " سرخس" مع ثلاثة آلاف من المضريّة الذين كانوا قد اجتمعوا إليه في الطريق.[1] ويبدو أن الرحلة كانت صعبة وسريعة لدرجة أن زوجته المرزبانة لم تقدر على المواصلة وبقيت بقرية تدعى " نَصْرَّانية " حيث قبض عليها أبو مسلم الخراساني[2] لكنّها اختارت الموت على الأسر ، " فانتحرت في الليلة نفسها التي أُسِرَت فيها ونالت بذلك عطف الجماهير "[3]

لقد اعتبر أبو مسلم ما اقترفه " لا هز بن قريظ " عصيانا عظيما ، فشتمه قائلا :" يا لا هز تدغل في الدين " وأمر بقطع رأسه [4] حتى يكون عبرة للجميع ، ثم سار على معسكر نصر وأخذ ثقات أصحابه وصناديدهم[5] وأمر بقتلهم كلهم مطبقا لنصيحة أصحابه القائلة :" إجعل سوطك السيف وسجنك القبر "[6] النصيحة التي طبّقها أيضا مع كل زعماء المعارضات الخراسانية الذين عاصروه وهم أبنا جديــع الكرماني[7]،وشيبان الحروري[8] وعبد الله بن معاوية[9] وذلك خوفا من منافستهم له .

= عبد الحليم ، دراسات في تاريخ خراسان،ص 94 ، بروتولد اشپول ، تاريخ إيران درقرون تحتين اسلامي، جلد أول ص 78 و ما بعدها .

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 109 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 382 .

(2) الطبري ، نفس المصدر والصفحة ، ابن الأثير ، نفس المصدر و الصفحة .

(3) حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف ، العالم الإسلامي في العصر العباسي،ص 50.

(4) الطبري،نفسه ، ابن الأثير ، نفسه،اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي،ج 2 ص 342 .

(5) كان فيهم سلم بن أحوز صاحب شرطة نصر و البختري كاتبه وابنان له ويونس بن عبد ربه ومحمد بن قطن ومجاهد بن يحيى بن حصين وغيرهم . كانت عدّتهم أربعة وعشرين رجلا ، الطبري ، نفسه،ج 9 ص 99 و 101، ابن الأثير ، نفسه،ج 5 ص 382 .

(6) الطبري ، نفسه،ج 9 ص 99.

(7) الطبري ، نفسه ،ج 9 ص 102 ، ابن الأثير ، نفسه،ج 5 ص 383.

(8) الطبري ، نفسه ،ابن الأثير ، نفسه،ج 5 ص 382.

(9) ابن الأثير ، نفسه،ج 5 ص 373 ، البغدادي ، الفرق بين الفرق،ص 246 ، الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين،ص 168 ، الشّهرستاني ، الملل والنحل،ج 1 ص 176.

لَمْ يَسْتَقِرّ نصرُ بن سيار بمدينة سرخس إلا يومين ثم توجّه إلى مدينة طُوس حيث بقي بها خمسة عشر يوما ، ثم التجأ إلى نيسابور وأقام بها[1] ويظهر أن أبا مسلم لم يهتم كثيرا بملاحقته بل اهتم بتثبيت دولة آل هاشم في خراسان وماتبعها ووزع عماله عليها " فاستعمل سباع بن النعمان الأزدي على سمر قند ، و أبا داود خالد بن إبراهيم على طخارستان ، ومحمد بن الأشعث على الطّبَسين وجعل مالك بن الهيثم على الشّرطة"[2].

في غمرة نجاح أبي مسلم الخراساني ، بعث الإمام إبراهيم بن محمد " قُحْطُبَة" ابن شبيب -"الذي كان قد ذهب للقائه في موسم الحج لتقديم حمولات خراسان- إلى مرو[3] عاقدا له لواء يجعله على مقدمة أبي مسلم ويجعل له القيادة والعزل والاستعمال ويبدو أن ما فعله الإمام كان طبيعيًا لأنه كان دائما يبحث عن رجل عربي مناسب للقيام بالدعوة في خراسان بدلا من أبي مسلم ولم يجده إلا في قُحْطُبَة بعدما أتاه[4] .

لم تذكر المصادر الأساسية أن أبا مسلم عارض أمر الإمام بل نفهم منها أنّه طبّق كل أوامر الإمام بصدر رحب . لكنه من المؤكدّ أنه أحس بخيبة كبيرة أولدت عنده حقدا جعله يتصادم فيما بعد بالعبّاسيّين ، الذين اختاروا تصفيته في الأخير .[5]

لقد توجه قُحْطَبة بعد دخوله مرو لمحاربة نصر بن سيّار الذي كان يقيم في نيسابور — والذي كان قد انضم إليه الآلاف من المُضَريّين ومن أصحاب شيبان بعد أن قتله أبو مسلم-[6] وبدأ بمعسكر ابنه تميم الذي كان بقرية " السّوذِقان " — قرب نيسابور — ودعاه

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 100 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 382 .

(2) ابن الأثير ، نفس المصدر ، ج 5 ص 386.

(3) الطبري ، نفسه ، ج 9 ص 104 ، ابن الأثير ، نفسه،ج 5 ص 385،اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي،ج 2 ص 343 ، بطرس البستاني،معارك العرب،ص 88 ، فلهوزن،تاريخ الدولة العربية،ص 509.

(4) الطبري ، نفسه،ج 9 ص 76 ، ابن الأثير ، نفسه،ج 5 ص 348 ، رمزية الأطرقجي،الحياة الاجتماعية في بغداد،ص 93.

(5) الطبري ، نفسه، ج 9 ص 159 ، ابن الأثير ، نفسه،ج 5 ص 468 ، المسعودي ، مروج الذهب،ج 3 ص 302 ، ابن طباطبا ، الفخري،ص 134 ، ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج 2 ص 237.

(6) الطّبري،نفسه،ج 9 ص 104 ، ابن الأثير ، نفسه،ج 5 ص 386.

أوّلا إلى كتاب الله عزّ وجل ، وسُنّة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإلى الرضاء من آل محمّد ولمّا لم يُجِبْه قتله واستباح عسكره [1] ، فوصل الخبر إلى نصر الذي خرج هاربا من نيسابور التي سرعان ما دخلت تحت سيطرة قَحْطُبة وذلك في آخر شوال سنة (130 هـ/ 748 م). [2]

لقد التجأ نصر بن سيّار إلى قومس — على حدود جُرْجَان — مع جموع من عرب خراسان من قبائل تميم وبكر وقيس [3] فكتب الخليفة مروان بن محمد إلى أميره علي العراقين يزيد بن عمر بن هبيرة يطلب منه أن يُوجه عامله على جرجان نباته بن حنظلة الكلابي، إلى نصر بن سيار. ويظهر أن هذه السّريّة كان هدفها استرجاع نيسابور لكنها جاءت متأخرة .

لقد اختلفت الرّوايات كثيرا بشأن هذه السرية ، بل إننا لا نكاد نفهم تفاصيلها لكثرة اضطرابها فالطبري [4] يذكر أن نباتة بن حنظلة الكلابي أتى فارس وإصبهان ثم سار إلى الرّيّ ومضى إلى جرجان ولم ينضم إلى نصر بن سيّار الذي بَقِيَ في قومس لكن من كان معه من القيسيّة — وهم الكثرة — قالوا :" لا تحملنا قومس فتحولوا إلى جرجان وخندقوا مع نباته " ويشاركه في الرواية نفسها ابن الأثير[5] الذي يذكر مخالفا في الأخير أن نصر بن سيّار توجه إلى جرجان ونزلها و خندق مع نباته . لكنه يضطّرب في الأخير ويقول[6] :" إن نصرا كان بقومس " ومهما يكن فقد اتفق الإثنان على أن قَحْطُبة بن شبيب توجّه إلى

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 104، ابن الأثير ،الكامل في التاريخ،ج 5 ص 386 ، ابن كثير ، البداية والنهاية،ج 10 ص 35 .

(2) الطبري ، نفس المصدر والصفحة،ابن الأثير ، نفس المصدر والصفحة ، ابن كثير ، نفس المصدر والصفحة ، فلهوزن تاريخ الدولة العربية ص 509 .

(3) الطبري ، نفسه،ابن الأثير ، نفسه ، ابن كثير ، نفسه ، فلهوزن ،نفس المرجع والصفحة .

(4) الطبري ، نفسه،ج 9 ص 105 .

(5) ابن الأثير ، نفسه،ج 5 ص 387 .

(6) ابن الأثير ، نفسه،ج 5 ص 393.

جرجان وتقدّم في شجاعة ونازل عدوّه وهزمه وقتله في ذي القعدة سنة(130 هـ /747م) . كما اتفقا أيضا على الرواية القائلة أن أهل " جرجان " ثاروا علىقَحْطبة لأنه قتل عاملهم الأموي نباتة ممّا جعله يقتل منهم ما يزيد على ثلاثين ألفا.[1]

أمّا ابن كثير[2] فقد اكتفى بالقول إن ،"قُحْطبة التقى بهذه السَّرِيَّة [دون تحديد مكان الالتقاء] واقتتلوا قتالا شديداً فانهزم جنود بني أميّة وقُتل من أهل الشام وغيرهم عشرة آلاف".في حين يذكر البلخي[3]"أن قحطبة خرج على طريق جرجان وفيها ابن حنظلة عامل لمروان فخرج إليه فقاتله ." في حين أن المسعودي[4] و ابن قتيبة[5] لم يذكرا شيئا.وهنا يبدو لنا أن الأرجح في أمر هذه السَّرِيَّة أنّ يَزيد بن هبيرة أعطى أمرا لعامله في جرجان ، نباتة بن حنظلة للخروج لمحاربة قحطبة الذي سمع بالأمر أثناء استعدادات أهل جرجان فدخل عليهم وقتل عاملهم وكل المتمردين .

يذكر فلهوزن[6] دائما في شأن هذه السّرية — أن :" نباتة لم يتعاون مع نصر ، بل زاده ضعفا ، لأن مَنْ كان في جيش نصر من قيس انحازوا إلى نباتة " ولا ندري كيف وصل إلى هذا القرار مع ما حملته الرّوايات في شأن هذه السّرية من اضطراب ، فأتصور أن الأمر كان يتطلب التضحية والمساعدة المطلقة وليس الإنفصال و التفكير في الذات . و الأرجح أنه كانت هناك خطة مدروسة بين نصر و نباته جعلت القيسيّين من أصحاب نصر يفضلون التوجّه إلى جرجان للقاء قحطبة .

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 111 ، ابن الأثير،الكامل في التاريخ،ج 5 ص 392 وما بعدها .

(2) البداية والنهاية،ج 10 ص 35.

(3) البدء و التاريخ،ج 6 ص 64.

(4) المقصود مروج الذهب .

(5) المقصود ، الإمامة والسياسة .

(6) تاريخ الدولة العربية،ص 510.

ولا ندري أيضا كيف يحاول الطبري[1] وبعده ابن الأثير [2] تضخيم عدد أهل الشام الذين كانوا في سَرِيّة نباتة حيث يذكران أنهم " كانوا في عدة لم ير الناس مثلها ". حتى هابهم أهل خراسان وتكلموا بذلك وأظهروه ،وبلغ ذلك قحطبة فخطب فيهم مشجعا [3]، ثم قال لهم :" إن الإمام أخبرنا أنكم تُنصرُون على عدوّكم هذا اليوم من هذا الشهر[4] " موهما أن الإمام يعلم الغيب كُلّه ذلك لأنّ روح الله حلت به مثلما أشاعت الفرقة الهاشمية الـروانـدية الـتي تؤمن برواية وصية أبي هاشم لمحمد بن علي بن عبد الله بإمامة الكيسانيّة.[5]

والواقع ، إن هذا التضخيم هو تعبير عن الميل العبّاسي الذي يعظّم من قوّة وشجاعة قحطبة . فكيف يكون أهل الشام وحدهم في عدّة لم يُرَ مثلها من قبل ونحن نعلم أن جبهات كثيرة كانت مفتوحة لمحاربة الأمويين وكانت الجيوش الشامية متوزّعة عليها . وأكبر دليل

(1) تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 106 .

(2) الكامل في التاريخ،ج 5 ص 387 .

(3) قال قُحْطُبَةُ بْنُ شَبِيب مخاطبا :" يَا أهلَ خراسانَ هذهِ البلادَة كانت لآبائكم الأولين وكانوا ينصرون على عدوّهم لعدلهم وحسن سيرتهم حتى بدّلوا وظلموا فسخط الله عز وجل عليهم فانتزع سلطانهم وسلطّ عليهم أذل أمّة كانت في الأرض عندهم فغلبوهم على بلادهم واستنكحوا نساءهم واسترقوا أولادهم ، فكانوا بذلك يحكمون بالعدل ويوفون بالعهد وينصرون المظلوم ثم بدّلوا وغيرُوا وجارُوا في الحكم وأخافوا أهل البّر و التّقوى من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلطكم عليهم لينتقم منهم بكم ليكونوا أشدّ عقوبة لأنكم طلبتموهم بالثار وقد عهد إليّ الإمام أنكم تلقونهم في مثل هذه العدّة فينصركم الله عز وجل عليهم فتهزمونهم وتقتلونهم "،الطبري ، نفس المصدر والصفحة،ابن الأثير ، نفس المصدر، ج 5 ص 388،محمد ماهر حمادة ، الوثائق السياسية والإدارية،ص 523 .

وقال أيضا اليوم الذي بدأت فيه المعركة وكان يوم الجمعة :"يا أهل خراسان إن هذا يوم قد فضّله الله تبارك وتعالى على سائر الأيام والعمل فيه مضاعف وهذا شهر عظيم فيه عيد من أعظم أعيادكم عند الله عزّ وجل وقد أخبرنا الإمام أنكم تنصرون في هذا اليوم من هذا الشهر على عدّوكم فالقوه بجدّ وصبر واحتساب فإن الله مع الصابرين "، الطبري ، نفسه ، ابن الأثير ، نفسه .

(4) الطبري نفسه ، ابن الأثير ، نفسه ، محمد ماهر حمادة ، الوثائق السياسية و الإدارة،524 .

(5) البغدادي ،الفرق بين الفرق،ص 40 و 272 و 273 ، محمد عمارة ،الفرق الإسلامية،ص 28.

على ما قلناه أنّ يزيد بن عمر بن هبيرة أجاب نصر بن سيار حينما طلب يستمده [1] قائلا : " لا غلبة إلا بكثرة وليس عندي رجل " [2] كما أجابه الخليفة مروان بن محمد معبراً عن انشغاله وعجزه عن مساعدته :" إن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، فاحسم الثُّؤْلُول من قِبَلك " فقال نصر لأصحابه أمّا صاحبكم فقد أعلمكم أنه لا نصر عنده "[3]

لقد وصلت أخبار موت نباته وسيطرة قحطبة على جرجان إلى نصر بن سيار وهو " بقومس " فكاتب من جديد يزيد بن عمر بن هبيرة يستمده قائلا :" إني قد كذّبت أهل خراسان حتى ما أحد منهم يصدّقني ، فأمدني بعشرة لآلاف قبل أن تمدني بمائة ألف "[4] لكنه لم يصله منه شيء ، فكاتبَ الخليفةَ مروان بن محمد يائسا :"...إنما أنا بمنزلة مَنْ أُخرج من بيته إلى حجرته ثم أخرج من حجرته إلى داره ثم أخرج من داره إلى فناء داره فإن أدركه من يعينه فعسى أن يعود إلى داره وتبقى له وإن أخرج من داره إلى الطريق فلا دار له ولا فناء " [5] فكاتب الخليفةُ أميرَه على العِراقَيْن يطلب منه تقديم المددّ إلي نصر فجهز جيشا في ثلاثة آلاف وجعل رئيسه ابن غُطيف وسيّره إلى خراسان[6].

وفي محرم سنة (131 هـ / 748 م) وجّه قتيبة بن شبيب ابنه الحسن إلى نصر في

---

(1) كتب نصر إلى يزيد بن عمر بن هبيرة قائلا :

أبْلِغْ يَزيدَ وَخَيْرُ القولِ أَصْدَقُه ... وَقَدْ تبَيّنتُ الأخيرَ في الكَذِبَ
إنّ خراسَان أرْضٌ قد رَأيتُ بها ... بَيْضًا لَوْ أفرَخَ قد حُدِّثْتَ بالعَجَب
فِراخُ عامين إلّا أنَّها كَبُرت ... لَمّا يَطِرْنَ وقد سُرْبِلْنَ بالزّغَب
فإن يَطِرن ولم يحتل لهنّ بها ... يُلهبْنَ نِيرَان حَرْبٍ أيّما لَهَب

الطبري، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 92 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 366 ، المسعودي،مروج الذهب،ج 3 ص 257.

(2) الطبري ، نفس المصدر والصفحة ، ابن الأثير ، نفس المصدر و الصفحة .

(3) الطبري ، نفسه ، ابن الأثير ، نفسه .

(4) الطبري ، نفسه،ج 9 ص 112،ابن الأثير، نفسه،ج 5 ص 393.

(5) الطبري، نفسه،ج 9 ص 111 ، ابن الأثير ، نفسه .

(6) الطبري ،نفسه،ج 9 ص 112،ابن الأثير ، نفسه ج 5 ص 393 و ص 395.

قومس ولأسباب قد تعود إلى قلّة تجربته وجّه إليه مجموعة من القادة [1] على رأس سبعمائة من الرجال. لكن أحدهم وهو أبو كامل انحاز إلى نصر بن سيار الأموي وأعلمه مكان أصحابه [2] فوجه إليهم نصر جنداً ، فهرب جند قُحطبة وخلفوا شيئا من متاعهم [3] وفي هذه الأثناء كان قد وصل ابن غطيف في ثلاثة آلاف رجل وأقام بالريّ [4].

نفهم من رواية الطبري [5] أن ابن غطيف كان يتحاشى لقاء نصر " فقد خرج من الرّي حين قدمها نصر وتوجّه إلى همذان و اختار التوجّه في الأخير إلى إصفهان " لكن الأرجح أن نصراً لم يدخل الرّيّ في الوقت الذي حدّده مع ابن غطيف الذي اختار الخروج منها بعد أن استبطأه ، فلا يعقل أن يكون قد جاء مدداً بأمر الخليفة في وقت ضياع دولتهم ويحاول التهرب منه؟!

يذكر الطبري [6] أيضا رواية تبدو غريبة جاء فيها : " إن نصرا بعث بالمتاع الذي خلّفه بعضٌ من جيش قحطبة مع كتاب إلى ابن هبيرة فعرض له ابن غطيف بالرّي وأخذ الكتاب من رسول نصر والمتاع وبعث بهما إلى ابن هبيرة فعتب نصر وقال : " إنيّ شَغب ابن هبيرة أيشغب عليّ بضَغا بيس [7] قيس ، أَمَا والله لأ دعنّه فَلْيَعْرِفَنّ أنه ليس بشيء ولا ابنه الذي تَرْبُص له الأشياء ". ونقول هنا ، إنّه مهما كانت قيمة المتاع فما كان يفكر نصر في بعثها إلى العراق لأنه كان إليها أحوج ، ثم إن المتاع الذي غنمه لم يكن عظيما فقد خصّ سبعمائة من الرجال فقط ، ثم إن هذه الرواية وسابقتها تحاولان زرع فكرة الانشقاق

(1) وهم أبو كامل وأبو القاسم محرز بن إبراهيم وأبو العباس المروزي ، الطبري ، تاريخ الأمم والملوك، ج 9 ص 112، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج 5 ص 395.

(2) الطبري ، نفس المصدر و الصفحة، ابن الأثير ، نفس المصدر و الصفحة .

(3) الطبري ، نفسه، ابن الأثير ، نفسه .

(4) الطبري ، نفسه، ابن الأثير ، نفسه .

(5) نفسه .

(6) نفسه .

(7) مفردها ضُغبوس وهو ولد الثّعلب والضعيف المهين ، مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ج 1 ص 540 .

واللاتفاهم بين عمّال آل أمية الذين كانوا – بالتأكيد – في هذه الأوقات في كامل اتّحادهم حفاظا على دولتهم وعلى مراكزهم ،ثم هل يعقل أن يقول نصر ما سلف ذكره وهو الذي كان في أحرج أوقاته ؟

لقد مكث نصر بن سيّار يومين بالرّي مرض فيهما مرضه الأخير (1) ويظهر أنّه كان يريد الالتجاء إلى العراق فحُمل حملا حتى وصل إلى ساوة [قريبة من الرّي] حيث لفظ أنفاسه الأخيرة وذلك في يوم 12 ربيع الأول سنة (131 هـ / 748 م) ، وهو شيخ في خمس وثمانين من عمره .(2)

والحقيقة أن نصرا مات " كَمَدًا" (3) على ما يحدث في خراسان بعدما بذل كل جهده للوقوف أمام كل المعارضين ، كما أنه كان يعبّر دائما على وفائه اللامحدود لآل أميّة وذكائه الفارط وحكمته الواسعة التي لم يُعِبْها تقدّمه الكبير في السّنّ ، وهذا ما جعل البعض(4) يراه في " صورة أسطورية من ملحمة ضائعة ". ذلك لأنه لم يكن في رأيهم أبداً كالوُلاة والقادة الآخرين :" فهو لا يتكلم من فوق منبره ...وإنما يذيع ما يريد في صيغة شعر ، ويكتب إلى الخليفة رسائل شعر لا الرّسائل الإدارية المألوفة ، فيها إنذار وتحذير وتنبُّؤ ".

---

(1) كاتب نصر وهو بالرّي إلى الخليفة مروان قائلا :

إنّا و مَا نَسكُتُمْ مِن أمرنَـا   كالثَّـوْرِ إذْ قُرِّب للنَّـاخـع
أو كالتي يـحسبها أهلُها   عذراء بـكرا وهـي في التّاسع
كنّا نرْقيهـا فـقد مُزِّقـتْ   وَ اتَّسَـعَ الخرْق عـلى الرّاقع
كَالثَوْب إذا أنْهَجَ فيه البلَى   أعْيَا عَلَى ذِي الحيلَة الصانع

المسعودي ،مروج الذهب،ج 3 ص 358،الدينوري،الأخبار الطوال،ص 360.

(2) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 112 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 396،أبو الفدا ، مختصر أخبار البشر،ج 1 قسم 1 ص 209 ، ابن خلّكان ، وفيات الأعيان،ج 3 ص 150 ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج 10 ص 37 ، البلخي ، البدء و التاريخ،ج 6 ص 64،المسعودي،مروج الذهب،ج 3 ص 358 .

(3) المسعودي،نفس المصدر والصفحة .

(4) حسن أحمد محمود ، وأحمد إبراهيم الشريف ، العالم الإسلامي في العصر العباسي ، ص 50 .

بعدما تمكن قُحْطُبة بن شبيب من جُرْجَان سار للقاء ابنه الحسن بقومس مع القائد زياد بن زرارة القشري [1] الذي خذل أميره في أنه ندم على اتّباعه وأعلن ميله إلى آل أمية وأخذ طريق إصبهان للقاء عاملهم هناك عامر بن ضبارة مع جموع من أصحابه لكن قحطبة سرعان ما بعث من ورائه قائده المسيّب بن زهير الضّبّي الذي لحق بزياد قبل دخوله إصبهان وقتله وقتل كل من كان معه .[2]

لما وصل قُحْطُبَةُ قُومس قَدَّمَ ابنَه الحَسَنَ للدخول إلى الريّ التي ما إن سمع عاملها الأموى حبيب بن بديل النهشلي ومن كان معه من أهل الشام بالخبر حتى خرجوا منها هاربين،[3] مما جعل الحسن يدخلها دون عناء وذلك في شهر صفر من سنة (131هـ/748م) . ولما استقرّ أمر آل هاشم بها هرب منها أكثرية أهلها إلى مكة ثم عادوا منها وأقاموا بالكوفة وذلك لأن ميولهم كانت أمويّة فأُعْطِيَ الأمر بمصادرة أموالهم وممتلكاتهم التي خلّفوها في الرّيّ.[4]

لقد التحق قحطبة سريعا بابنه الحسن في الرّي واختار سياسة الشدة مع من فضل البقاء فيها من أهاليها .[5] وسيّر ابنَه – الحسنَ – إلى " همذان " التي دخلها أيضا دون عناء يُذكر وذلك لأن عاملها الأمويّ مالك بن أدهم ومن كان معه من أهل الشام هربوا منها إلى "نهاوند " التي أضحت الهدف القريب للحسن فنزل على بعد أربعة فراسخ منها وأقام حصارًا طويلا عليها[6] فخرج عامر بن ضبارة عامل بني أميـة على إصفهان مع جيش حَسَن العدد والعدّة من أهل الشـام وأهل خراسان [7] يُطْلق عليه اسم " عسكر

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم الملوك،ج 9 ص 112 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 396 .

(2) الطبري ، نفس المصدر،ج 9 ص 112،ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص396 .

(3) الطبري ، نفسه،ج 9 ص 113 ، ابن الأثير ، نفسه ، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية،ص 510.

(4) ابن الأثير،نفسه .

(5) نفسه ج 5 ص 397.

(6) الطبري نفسه ، ابن الأثير ، نفسه،ج 5 ص 398 ، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية،ص 510.

(7) الطبري ، نفسه،ج 9 ص 114 ، ابن الأثير ، نفسه ، فلهوزن ، نفس المصدر والصفحة .

العساكر[1] لفك حصار " نهاوند " لكن قحطبة هاجمه في الطريق عند " جَابلق " — من أعمال إصبهان — وهزمه وقتله . وذلك في يوم السبت لسبع بقين من رجب سنة (131هـ / 749 م)[2]

بعد ما مكث قحطبة عشرين يوما في إصبهان [3]توجه للقاء ابنه الحسن أمام مدينة نهاوند التي واصلا حصارها ثلاثة أشهر كاملة ووضعا عليها المجانيق لكنّ مَنْ بها مِن جنود أهل الشام طلبوا الأمان لأنفسهم فنالوه دون زملائهم من أهل خراسان وتعاونوا مع قحطبة الذي دخل المدينة دون عناء وسلم الخراسانيين لجنوده الذين قتلوهم كلهم [4]، [5].

ولما انتهى قحطبة من نهاوند بعث القائد أبا عون عبد الملك بن يزيد الخراساني والقائد مالك بن طرافة الخراساني في أربعة آلاف إلى مدينة شهرُزور [6] التي تَمكّنَا منها سريعا [7]. وبشهرزور تقرر مصير بلاد الجبل كلّها وأصبح الطريق إلى العراق مفتوحا مباشرة أمام قحطبة.

في هذه الأوقات كان أبو مسلم الخراساني مقيما في نيسابور وذلك منذ أن أُخرج نصر ابن سيّار منها .[8] وكان يحاول من جهته إخضاع بعض حكام الأقاليم القريبة من خراسان إلى أمر آل هاشم سلميًّا ، ذلك لأن كلّ الجيوش كانت تتّجه إلى الغرب مع قحطبة فقد

---

(1) الطبري تاريخ الأمم والملوك ج 9 ص 114 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج5 ص 396.

(2) الطبري نفس المصدر الصفحة ، ابن الأثير نفسه ، فلهزن تاريخ الدولة العربية ص 510.

(3) الطبري ، نفسه ، ج 9 ص 115 ، ابن الأثير نفسه ج 5 ص 399.

(4) قُتل من أهل خراسان أبو كامل ،وحاتم بن الحارث بن سريج ،وابن نصر بن سيّار وعاصم بن عمير ،وعلي ابن عقيل وبيهس بن بديل من بني سليم . الطبري ، نفسه ــــــــــ ، ابن الأثير ، نفسه .

(5) الطبري، نفسه ،ابن الأثير ، نفسه ، ابن كثير،البداية والنهاية،ج 10 ص 37 ،الدينوري،الأخبار الطوال، ص 363 ،البلخي ، البدء والتاريخ،ج 6 ص 65.

(6) شَهْرَزور وهي كورة واسعة في الجبال بين أربل وهمذان ، تسمّى أيضا " نيم أزرّاي " أهلها كلهم أكراد ، يا قوت الحموي، معجم البلدان،ج 3 ص 340 ، كي لسترنج ، بلدان الخلافة،ص 225 و 226.

(7) الطبري ، نفسه ج 9 ص 116 ، ابن الأثير ، نفسه .

(8) الطبري ، نفسه ج 9 ص 113 ، ابن الأثير ، نفسه،ج 5 ص 397.

راسل حاكم طبرستان ودعاه إلى الطاعة و أداء الخراج فأجابه إلى ذلك ، كما راسل المَصْمغان صاحب دُنبَاوند [1] بالمثل لكنه رفض وأجابه " إنّما أنت خارجي وإن أمرك سينقضي "[2].

أصبح قحطبة بن شبيب بعد هذه النجاحات يتهيّأ لدخول العراق ، ولما كان في حلوان – بوّابة العراق ممّا يلي أرض الجبال [3] – بعث له يزيد بن عمر بن هبيرة جيشا تحت قيادة ابنه عليّ الذي سرعان ما عاد منهزما إلى أبيه الذي تهيأ لمواجهة قحطبة بنفسه.[4]

لقد تهيأ قحطبة للقاء يزيد بن عمر بن هبيرة ،ولما كانت قوّات آل أمية مقسّمة إلى قسمين قسْم مع ابن هبيرة في العراق وقِسْم مع الخليفة مروان بن محمد في الشام ، قرّر تقسيم جيشه هو أيضا وترك بعضه احتياطا لما قد يصله من جيش الشام .[5]

لقد خرج يزيد بجيشه نحو الفرات للقاء قحطبة ووصل إلى " جَلولاء "[6] وعسكر بها فتجنبه قُحطبة بمهارة وعبر دجلة وتقدم إلى الكوفة من غير أن يمر بمعسكر يزيد فوقف حينا عند الأنبار على الفرات فأسرع يزيد للحاق به وعسكر إلى الجنوب على الضّفة اليُسرى للنّهر ، عند الموضع المسمى " فم الفرات " في الفُلوُجة العليا حيث يتفرع النّهر إلى الكوفة، وأرسل قائده حوثرة بن سهيل الباهلي في المقدمة إلى المدينة في الوقت الذي كان فيه قحطبة

---

(1) يقول يا قوت الحموي، معجم البلدان،ج 2 ص 606 وما بعدها أن " دُنباوند هو اسم لجبلين واحد في ناحية الرّيّ والآخر بكرمان " لكن كي لسترنج ، بلدان الخلافة،ص 411 يذكر أن دُنبا وند هو اسم لجبل عظيم بإقليم طبرستان و هو يسمى أيضا بدمَّا وند " .

(2) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 6 ص 65.

(3) ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج 2 ص 314 . كي لسترنج،بلدان الخلافة الشرقية،ص 88 .

(4) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 116 . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 401 .

(5) حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف ،العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص 50.

(6) من السواد في طريق خراسان بينها وبين " خانقين " سبعة فراسخ [نهر عظيم] بها كانت الوقعة المشهورة التي تغلب فيها المسلمون على الفرس وذلك في السنة 16.هـ فسميت " جلولاء الوقيعة " ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج 2 ص 107.

قد عسكر في الضفة اليمني من النهر في " الحائرة " التي كانت مواجهة للمكان الذي كان يعسكر فيه يزيد بن هبيرة مباشرة [1].

أصبحت المواجهة حتمية إذن بين قحطبة ويزيد بن عمر بن هبيرة ولما كان قحطبة وجنوده أكثر ثقة بنجاحهم بادروا بذلك وفاجأوا ابن هبيرة بعبورهم النهر في مخَاضِه بين الأنبار والكوفة وأنشبوا معركة هُزِمَ فيها ابن هبيرة الذي انسحب مع بعض أصحابه إلى فم النيل أولا ثم التجأ إلى مدينة " واسط" الحصينة " [2] وذلك في ليلة الأربعاء الثامن من محرّم سنة (132 هـ / 749 م).[3]

في هذه الأوقات كان القائد ابن حوثرة قد تقدم كثيرا نحو الكوفة بل ووصل مداخلها عند قصر ابن هبيرة لكنه لم يجرؤ على دخولها واختار الالتحاق بابن هبيرة في واسط بعد بلوغه خبر الهزيمة [4].

لقد فُقد قُحطبة في ظروف غامضة[5] فلم يَشْهَدْ نَجاحَهُ العَظيمَ علَى ابن هُبَيْرة الذي تعجّب له الخليفة مروان بن محمد كثيرا وقال:"هذا و الله الإدبار[6] ،و إلا فمن سمع بميّت

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 116،ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 401 ، ابن كثير، البداية والنهاية،ج 10 ص 38،فلهوزن،تاريخ الدّولة العربية،ص 511.

(2) الطبري ، نفس المصدر،ج 9 ص 118 ، ابن الأثير ، نفس المصدر،ج 5 ص 404 ، البلخي،البدء والتاريخ،ج6 ص 65 ، أبو الفدا،مختصر أخبار البشر،ج 1 قسم 1 ص 210 ، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص 511.

(3) الطبري ، نفسه،ج 9 ص 118 ، ابن الأثير ،نفسه،ج 5 ص 404 فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية،ص 511، حسن أحمد محمود إبراهيم الشريف ، العالم الإسلامي ص 50.

(4) الطبري ، نفسه ، ابن الأثير ، نفسه ، فلهوزن ، نفس المرجع،ص 512 .

(5) قيل :" إنه غرق في النهر " ،وقيل :" إن معن بن زائدة ضرب قُحْطُبَة لما عبر الفرات على حبل عاتقه ، فسقط في الماء فاخرجوه ، فقال : " شدّوا يدي إذا أنا متّ وألقوني في الماء لئلا يعلم الناس " ، وقيل أيضا :" إنهم وجدوه في جدول وجرب بن سالم بن أحوز قتيلين فظنوا أن كل واحد منهما قتل صاحبه ".الطبري ، نفسه،ج 9 ص 119 ، ابن الأثير،نفسه ،

(6) يقال : " أدْبَر أمْرُهم : " : ولّى لفساد ، مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط،ج 1 ص 269 .

يهزم حيًا .[1]

لقد أسرع أصحاب قحطبة في عهد الإمارة إلى الحسن بن قحطبه الذي كان بعيداً في الضّفّة اليمنى من النهر فأحضروه وسلموا له أمر أبيه سريعا حتى لا يُرى خَلل يمنعهم عن مواصلة فتوحاتهم .[2]

في هذه الأوقات كان خبر نجاح قحطبة قد وصل الكوفة فخرج محمد بن خالد بن عبد الله القسري — ابن خالد القسري أمير العراقين الذي قتله آل أمية — ثائراً على عاملها الأموي عبد الرحمن بن بشير العجلي " مع جموع اليمانييّن الذين ناصروا محمد بن " خالد الشهيد " [3]وسوّدوا جميعا واتصلوا بقحطبة [– لم يسمعوا بهلاكه –] يعرضون عليه دخول المدينة ، فدخلها الحسن دون عناء وذلك في إحدى عشر ليلة خلت من المحرم سنة (132هـ / 749 م) [4].

لقد سارع الحسن بن قحطبة عند دخوله الكوفة إلى لقاء أبي " سلمة الخلاّل " رئيس دعاة العراق ،وبايعه بوصفه " وزير آل محمد " [5] وسلم له مقاليد الحكومة [6] فعسكر أبو سلمة " بالنَّخَيْلة — " موضع قرب الكوفة على سَمت الشام " – [7] يومين ثم ارتحل إلى "حمام أعين " (بالكوفة) [8] حيث كان يعسكر جند خراسان وشرع في تسيير أمر دولة "

---

(1) الثعالبي، خاص الخاص،ص 87 ، ابن عبد ربّه ، العقد الفريد،ج 4 ص 210.

(2) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج9 ص 118،ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج5 ص 404 ، فلهوزن ، تاريخ الدّولة العربيّة،ص 512 .

(3) فلهوزن ، نفس المصدر والصفحة .

(4) الطبري، نفس المصدر،ج 9 ص 120 وما بعدها،ابن الأثير ، نفس المصدر،ج 5 ص 406 ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي،ج 2 ص 445 ،الجهشياري ، الوزراء والكتاب،ص 84 ، فلهوزن ، نفسه،ص 512.

(5) أوّل من أطلق هذا اللقب على أبي سلمة الخلال هم رجال من أصحاب الحسن بن قحطبة " كانوا يسألونه في الطريق أين منزل أبي سلمة وزير آل محمد " الطبري، نفسه،ج 9 ص 121.

(6) الطبري ،نفسه ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 406 ، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية،ص 513.

(7) ياقوت الحموي ، معجم البلدان،ج 4 ص 371.

(8) ياقوت الحموي، نفس المصدر،ج 2 ص 329 .

"آل محمد " فاستعمل محمد بن خالد بن عبد الله القسري على الكوفة وبعث الحسن بن قحطبة مع بعض القادة [1] إلى واسط لقتال ابن هبيرة الذي تحصّن هناك . كما وجه القائد حميد بن قحطبة إلى المدائن ومجموعة أخرى من القادة نحو " ديرقُنّي "[2]" وعين التّمر" [3] والأهواز .[4] أما البصرة فقد وجه إليها سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب الذي حاول الإطاحة بعاملها الأموي سلم بن قتيبة الباهلي بمساعدة من فيها من اليمانيين وحُلفائهم من ربيعة ، لكنه أخفق ، ذلك لأن مضريّي المدينة ومن معهم من أهل الشام تغلبوا عليه ، إلا أن سلم لم يدم مقامه في البصرة فقد هرب منها عند سماعه قتل ابن هبيرة .[5]

كان الخليفة مروان بن محمد قد حبس إبراهيم الإمام في نهاية سنة (129هـ / 746 م)[6] ذلك لأن نصر بن سيّار كاتبه يعلمه لمن تقوم الدّعوة في خراسان [7] بعد أن دسّ رجلاً في صفوف أبي مسلم.[8] كما أن رجال الخليفة تمكنوا من القبض على رسول أبي مسلم ومعه رسالة إلى الإمام فأوصلوه إلى الخليفة الذي أجزل له المال على أن يأتيه بجواب إبراهيم الإمام فجاءه به وفيه أوامره إلى أبي مسلم بموالصلة السعي والحيلة ضدّ العَـــــدوّ

(1) منهم : خازم بن خزيمة ومقاتل بن حكيم العكي وخفاف بن منصور وسعيد بن عمرو، وزياد مشكان والفضل بن سليمان وعبد الكريم بن مسلم وعثمان بن نهيك وزهير بن محمد والهيثم بن زياد وأبو خالد المروزي ، الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 121 .

(2) ديرقُنّي ، يعرف أيضا " بدير مرّماري السليخ " وهو على ستة عشر فرسخا من بغداد في الجانب الشرقي و معدود في أعمال " النهروان " ، بينه وبين دجلة ميل ، ياقوت الحموي،معجم البلدان ، 2 ص 687.

(3) عين التمر بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة بقربها موضع يقال له " شفاثا " من عين التمر يجلب التّمر إلى سائر البلاد، ياقوت الحموي ، معجم البلدان،ج 3 ص 759.

(4) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 122،ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 406 .

(5) الطبري ، نفس المصدر والصفحة ، ابن الأثير ، نفس المصدر والصفحة،فلهوزن ،تاريخ الدولة العربية ، ص 512.

(6) الطبري ، نفسه،9 ص 92 ، ابن الأثير ، نفسه،ج 5 ص 366.

(7) الطبري ، نفسه،ابن الأثير ، نفسه ، الثعالبي،خاص الخاص،ص 87.

(8) البلاذري ، أنساب الأشراف،قسم 3 ص 121.

والمسك بزمام الحكم .[1]

لقد ظلّ إبراهيم الإمام في حبسه في أحوال طيّبة إلى أن تحركت شيعته إلى العراق في سنة (132 هـ / 749 م) حيث توفي أو كما يرجح البعض قُتل [2] . ولما كان قد أوصى لأخيه أبي العباس [3] بالخلافة من بعده وبالتوجه مع كل آل العبّاس[4] إلى الكوفة التي

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ص ج9 ص96،ابن الأثير،الكامل في التاريخ،ج5 ص 366، المسعودي ، مروج الذّهب،ج 3 ص 359 ، مجهول، أخبار الدّولة العباسية،ص 390 و 391 ، الحميّري (محمد بن عبد المنعم) توفي سنة (727م)،الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس،مؤسسة ناصر للثقافة،بيروت 1980 ط 2 ص 200،يقول المسعودي إن الرّسالة المعنية أنهاها الإمام بالرّجز جاء فيه :

دُونك أمراً قَد بَدَتْ أشْرَاطُـهُ أنّ السَّبيلَ وَاضِحٌ صِرَاطُهُ

لَمْ يَبْقَ إلاّ السَّيْفُ وَ اخْتِرَاطُهُ

(2) اختلفت الروايات كثيرا في موته فقيل : " إنه هلك في وباء وقع " بحرّان حيث حبس مع عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والعباس بن الوليد بن عبد الله اللذين رافقاه في الحبس " وقيل :" إن الخليفة مروان هدم على إبراهيم بيته فقتله " وقيل :" إنهم جعلوا رأسه في جراب كان معهم فيه نورة [(حجر الكلس وأخلاط من أملاح الكلسيوم والباريوم ، تستعمل لإزالة الشعر ، مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط،ج 2 ص 962)] مسحوقه فاضطرب ساعة ثم خمد" وقيل " إن أهل حوران هم الذين قتلوه مع مجموعة من المحبوسين عندما عاد مروان بن محمد مهزوما من الزّاب وانتشرت الغوغاء في المدينة " وقيل :" ديس بطنه " وقيل دس له سُمّ في لبن شربه و تكسر جسده وأصابه إسهال حاد فمات ، الطبري ، تاريخ الأمم ج 9 ص 132 وما بعدها،ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 422، المسعودي ،مورج الذهب،ج 3 ص 261 وما بعدها ، البلاذري،أنساب الأشراف،قسم 3 ص 121 ، الحميري ، الروض المعطار ، ص 200 ، مجهول ، أخبار الدّولة العباسية،ص 393،المقريزي ، النّزاع والتخاصم بين بني أميّة وبني هاشم،ص 33.

(3) هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، أمّه ريطة بنت عبد الله بن عبد المدان الحارثية . التي كانت تحت عبد الملك بن مروان وأنجبت له الحجاج بن عبد الملك بويع له بالخلافة بوصية أخيه إبراهيم يوم الجمعة 13 ربيع الأول سنة (132 هـ) وهو ابن أربع وعشرين سنة ، توفي بالأنبار في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة للهجرة ، ابن قتيبة،المعارف،ص 162 وما بعدها ، المسعودي،مروج الذّهب،ج 3 ص 266.

(4) منهم : أخوه أبو جعفر المنصور وعبد الوهّاب ومحمّد أبنا أخيه إبراهيم ،وأعمامه داود وعيسى وصالح وإسماعيل وعبد الله وعبد الصمد ، بنو علي بن عبد الله بن عباس وابن عمّه داود ،وابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن علي ،ويحيى بن جعفر بن تمّام بن عباس ، الطبري،تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 124 ، ابن الأثير،الكامل في التاريخ،ج 5 ص 409.

حسب البلاذري [1] كان أبو هاشم محمد بن الحنفية قد أوصى محمد بن علي بن عبد الله بن العبّاس بها عندما تنازل له عن الإمامة قائلا :" عليك بالكوفة ، فيها شيعتك وأهل مودّتك " لأنها كانت شِيعيّة الهوى منذ أن دخلها الخليفة علي بن أبي طالب وجعلها عاصمة له .[2] فوصلوها سراً في شهر صفر لسنة (132 هـ / 749 م) [3].

لقد جاءت رواية الطبري[4] الخاصة بوصية الإمام إبراهيم[5] لآل بيته وخروجهم إلى الكوفة مضطربة أو على الأقل غير واضحة التاريخ إذ إنه يقول :" حين أخذ للمُضيّ بإبراهيم إلى مروان نعى نفسه إلى أهل بيته حين شيّعوه وأمرهم بالمسير إلى الكوفة مع أخيه أبي العباس وبالسمع له والطاعة وأوصى إليه بالخلافة بعده فشَخَص عند ذلك ومن معه من آل بيته (...) حتى قدموا الكوفة ".فالرواية تبدو غير معقولة ذلك لأن الخليفة مروان قبض على إبراهيم الإمام في نهاية سنة(129 هـ / 747 م)[6] ولم يقدم آل العباس إلى الكوفة إلا في صفر سنة (132 هـ /749 م).[7]

الأرجح أن إبراهيم الإمام أوصى أخاه بالذهاب إلى الكوفة إذا ما قُتل أو أنه لم يُوصِه بذلك نهائيا ولما سَمع بموته وبنجاح دعوتهم بالكوفة توجهوا إليها هاربين مطمئنين. أو كما يرى المسعودي [8] " أن الوصيّة كُتبت لمّا كان إبراهيم في الحبس وعلم أن لا نجاة له

---

(1) أنساب الأشراف،قسم 3 ص 114.

(2) نفس المصدر، قسم 3 ص 143.

(3) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 124،ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 409 .

(4) نفس المصدر والصفحة،واتبعه في ذلك ابن الأثير،نفس المصدر والصفحة،وابن طباطبا ، الفخري ، ص 114.

(5) كتب الخليفة مروان إلى عامله بدمشق يأمره بالكتاب إلى صاحبه بالبلقاء :" أنْ يسير إلى " الحميمة "ويأخذ إبراهيم بن محمد ويوجّه به إليه " فقدم الرسول وأخذ أبا العبّاس بالصّفة ، فقيل له " إنّما أُمرْت بإبراهيم وهذا عبد الله " فترك أبا العبّاس وأخذ إبراهيم وانطلق به إلى مروان ، الطبري ، نفسه ، ابن الأثير ، نفسه .

(6) الطبري، نفسه ، ج 9 ص 92،ابن الأثير ، نفسه ، ج 5 ص 366 .

(7) الطبري ، نفسه ج 9 ص 124 ، ابن الأثير ، نفسه ج 5 ص 409 ،الدينوري،الأخبار الطوال، ص 359 ، أبو الفدا،مختصر أخبار البشر،ج 1 قسم 1 ص 210 ، المسعودي،مروج الذهب،ج 3 ص 268 .

(8) المسعودي ، نفسه ،ج 3 ص 267 .

من مروان وسلمها لمولاه الخوارزمي — الذي كان يقوم بخدمته-على أن يسلمها لأبي العباس إن حدث به حدث ".

اتفقت الرّوايات [1] على أنّ أبا سلمة الخلاّل لم يُحسن استقبال آل العبّاس ذلك لأنه " لم يعتبر حقهم في الخلافة حقًّا بديهيًّا بعد موت الإمام إبراهيم بن محمد " [2] فقد أنكرهم عندما اتصلوا به وهم على مشارف الكوفة وقال :" خاطروا بأنفسهم وعجّلوا فليقيموا بقصر مقاتل[3] حتى ننظر في الأمر "[4] لكن آل العبّاس سألوه الدخول إلى الكوفة ليتحرزوا بها ، ذلك لأن جيوش الشام كانت على بعد ثلاثة مراحل من قصر مقاتل فقط ، فاضطر إلى موافقتهم وأنزلهم دار أحد الشيعَة [5] وكتم أمرهم نَحْوًا من أربعين ليلة من جميع القواد والشيعة بل وإنه رفض منح الإمام مائة دينار ثمن كراء الجمال التي حملتهم[6].والأخطر من ذلك أنه - وكما أشيع [7]— أراد تحويل الأمر إلى أبي طالب واتصل ببعضهم[8] وأصبح إذا ما سئل عن الإمام يقول :" ليس هذا هو وقت خروجه لأن

---

(1) الطبري ،تاريخ الأمم والملوك، ج 9 ص 125 • ابن الأثير ،الكامل في التاريخ،ج 5 ص 409 و 410 • البلاذري ، أنساب الأشراف،قسم 3 ص 122 وما بعدها • المسعودي،مروج 3 ص 268 • ابن كثير ، البداية والنهاية،ج 10 ص 40 • الجهشياري ، الوزراء والكتاب،ص 86•البلخي،البدء والتاريخ،ج 6 ص 67 .

(2) فلهوزن ، تاريخ الدّولة العربية،ص 514 .

(3) قَصْرُ مُقاتِل،قَصْرٌ كَانَ بَيْنَ عَيْن التمر والشام وهو منسوب إلى مقاتل بن حسّان بن ثعلبة بن أوس وهو قرب القُطْقُطانة • ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج 4 ص 121.

(4) الجهشياري،الوزراء والكتاب،ص 86.

(5) وهو الوليد بن سعد مولى بني هاشم •الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج 9 ص 125•ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 409.

(6) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 125 • ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 410.بدر عبد الرحمن محمد ،الدولة العباسية ص 20.

(7) الطبري ، نفس المصدر ج 9 ص 124 • ابن الأثير ، نفس المصدر،ج 5 ص 409 •المسعودي،مروج الذهب ج3 ص 268 • الجهشياري،الوزراء والكتاب،ص 86.

(8) فكر أبو سلمة الخلاّل في ثلاثة من أعيان العلويين ، هم : جعفر الصادق ، وعبد الله المحض بن الحسن ابن علي، وعمر الأشرف بن زين العابدين ، فارسل إليهم كتبا مع رجل من مواليهم ، و قال له :" اقصد أولا جعفر

واسطا لم تفتح بعد"[1] لكنه حدث أن دخل أحد الشيعة القواد ، اسمه أبو حميد محمد بن إبراهيم الحميري من " حمّام أَعْيَنْ " " يريد " الكناسة""[2] فلقي " الخوارزمي " مولى إبراهيم الإمام ، فسأله عن الأمر ، فأخبره بما يحدث فرغبَ أبو حميد في لقاء أبي العبّاس وكان له ذلك بعد أن استأذن له "الخوارزمي" ، فدخل أبو حميد على آل العباس وسأل عن الخليفة منهم فأشاروا إلى أبي العبّاس ، فبايعه بالخلافة وقبل يديه ورجليه وعزّاه في إبراهيم الإمام ثم قال له :" مُرْنَا بِأَمْرِكَ" ثمّ خرج وأعلم جماعة[3] من القواد المرابطين بظاهر الكوفة " بحمام أعين " فاستقر رأيهم على المضي إلى أبي العباس ومبايعته ، فخرجوا إليه ولما عرف أبو سلمة الخبر ركب في أصحابه سريعا إلى أبي العباس ، فأُغلق الباب دونه ،

= الصادق ، فإن أجاب فابطل الكتابين الآخرين ،وإن لم يجب فالق عبد الله المحض ، فإن أجاب فابطل كتاب عمر وإن لم يجب فالق عمر " فذهب الرسول إلى جعفر الصادق أولا ودفع إليه كتاب أبي سلمة ، فقال جعفر :" مالي ولأبي سلمة وهو شيعة لغيري ؟ " فقال له الرسول :" اقرأ الكتاب " فقال الصّادق لخادمه :" أَدْنِ السّراجَ مني " ، فَأَدْنَاهُ . فوضع الكتاب على النار حتى احترق ، فقال الرّسول :" ألا تجيبه ؟ " فقال :" قد رأيتَ الجوابَ " ثم مضى الرسول إلى عبد الله المحض ودفع إليه الكتاب فقرأه وقبله ، وركب في الحال إلى الصادق وقال " هذا كتاب أبي سلمة يدعوني فيه إلى الخلافة ، وقد وصل على يد بعض شيعتنا من أهل خراسان ". فقال له الصادق :" ومتى صار أهل خراسان شيعتك أأنت وجهت إليهم أبا مسلم ، هل يعرفونك ؟ " فقال عبد الله :" هذا الكلام منك لشيء " فقال الصادق : " قد علم الله أنّي أوجب النصح على نفسي لكل مسلم فكيف أدّخره عنك فلا تُمن نفسك بالأباطيل ، فإنّ هذه الدولة ستتم لهؤلاء . وقد جاءني مثل الكتّاب الذي جاءك ." فانصرف عبد الله من عنده وقد عدل عن الاستجابة لدعوة أبي سلمة . أما عمر الأشرف بن زين العابدين فإنه ردّ الكتاب وقال :" أنا لا أعرف صاحبه فأجيبه " ، الجهشياري ، الوزراء والكتاب،في 86 ، البلخي،البدء والتاريخ،ج 6 ص 67 ، المسعودي ، مروج الذهب،ج 3 ص 268 ، أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي،ج3 ص 47.

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج 9 ص 124 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 409.

(2) الكنانة هي محلة من محلات الكوفة الكبيرة في ظفّ البادية ،فيها أوقع يوسف بن عمر الثقفي ، زيد بن علي ابن الحسن بن علي بن أبي طالب ، حولها بساتين النخيل وتمرها أجود التمور ، ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج 4 ص 307 ، كي لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية،ص 102.

(3) وهم موسى بن كعب ، وأبو الجهم ، وعبد الحميد بن ربعيّ ، وسلمة بن محمّد ،و إبراهيم بن سلمة ، وعبد الله الطّائي ، واسحاق بن إبراهيم ،و شرحيل ،وعبد بسّام ، وسليمان بن أسود ومحمد بن الحصين ، الطّبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 125 ، ابن الأثير،الكامل في التاريخ،ج 5 ص 411.

ففتح أصحاب أبي سلمة الباب ، وقالوا : " وزير آل محمد " ، فَأَسْمَعَهُ مَنْ بالدَّاخِل بعضَ ما يَكْرَهُ ثم أدْخَلوه ، فاستقبل القِبْلة وسلم ثم سجد ،وقبّل يد أبي العَبّاس وقدميه ،وبدأ في الاعتذار[1] ، فقال أبو العباس " عذرناك يا أبا سلمة ، غير مفنّد ، وحقّك لدينا معظّم وسابقتك في دولتنا مشكُورة وزلّتك مغفورة "[2].

لم يسامح أبو العباس أبا سلمة الخلال على ما اقترفه ، لكنه كان لا يزال في حاجة إلى أعماله. لذا ، أجّل قتله وفوّض إليه أمور الدّولة كلّها ،وسلّم له الدواوين [3]، ويظهر أن أبا سلمة قد اجتهد كثيرا في كسب ثقة الخليفة ، فقد أحسن السياسة والجباية حتى ملأ بيت مال الخلافة الناشئة [4] مع أنه ظل دائما يتوقع الأذى فيذكر أنه كان يقول : " خاطر من ركب البحر وأشدّ منه مُخاطرة مَنْ دَاخَل الملوك ".[5]

وعندما همّ أبو العباس بقتل أبي سلمة الخلاّل تنكّر له كلية وتحول عنه إلى المدينة "الهاشمية" [6] لكنه لم يبادر بذلك إلا بعد استشارة أهله لعلمه بعلوّ مكان وزيره عند الناس[7] فلم ينل تشجيعا من عمّه داود بن علي أو على الأقل أراد أن يُبعد الأمر نهائيا عن

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم و الملوك،ج9 ص 125 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5ص 411، الجهشاري، الوزراء والكتاب،ص 67 ، ابن طباطبا ، الفخري في الآداب السّلطانية،ص 122،أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي،ج 3 ص 48 ، فلهوزن،تاريخ الدّولة العربية،ص 515 .

(2) الجهشياري ، نفس المصدر والصّفحة .

(3) مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، 377 ، أحمد علبي ، العهد السّرّي للدّعوة العباسية،ص 102 ، بدر عبد الرحمن محمد ،الدّولة العباسية ، ص 22.

(4) مجهول ، أخبار الدولة،ص 377.

(5) الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل) (ت 430 هـ)،تحفة الوزراء ، تحقيق حبيب علي الراوي وابتسام مرهون الصفار ،وزارة الأوقاف بغداد ، سلسلة ، إحياء التراث الإسلامي،1977 ص 118.

(6) الهاشمية : مدينة بناها أبو العباس بالكوفة وهي إضافة لما بناه ابن هبيرة وأخذ اسمه " قصر ابن هبيرة " سماها أبو العباس بالهاشمية تخليدا لاسم جده " هاشم "، ياقوت الحموي ، معجم البلدان،ج 4 ص 946 ، كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية،ص 96 .

(7) البلاذري،أنساب الأشراف،قسم 3 ص 201 .

آل العباس حتى لا يحتج الأعاجم ، فكتب أبو العباس إلى أبي مسلم الخراساني يعلمه بما عزم عليه أبو سلمة من نقل الدّولة عنهم ويقول له :" إنني قد وَهَبْتُ جُرْمَه لَكَ " فرد أبو مسلم بعد أن فهم المغْزى من الرّسالة : " إن كان أمير المؤمنين أُطلع على ذلك منه فليقتله "...[1] ومع ذلك ظل داودبن علي مستوحش الأمر وقال لأبي العبّاس : " اكتب إلى أبي مسلم فليبعث إليه من يقتله " فبعث أبو مسلم مرار بن أنس الضبي[2] راسما له خطة العمل [3] وعندها أمر أبو العباس مناديا ينادي :" إن أمير المؤمنين قد رضي عن أبي سلمة" فـأصبح يأتيه ويسهر معه عامة الليل ولما انصرف من عنده في إحدى اليالي تعرض له مرارا وقتله وذلك في رجب سنة (132 هـ /749 م) وألصقت التهمة بالخوارج .[4]

لقد كان أبو مسلم الخراساني حاقدا على أبي سلمة الخلال[5] فهو لم يكتف بقتله فقط بل وأرسل إلى فارس من يضرب أعناق عمّاله الذين كان قد نصبهم بدلا من عمال أبي مسلم .[6] بل إننا نفهم من المسعودي [7] أن أبا العباس ما كان يفكر أبدا في قتل أبي سلمة الخلال واعتبر خطأه زلّة كانت منه ،وهي خطرة من خطرات الشيطان ،وغفلة من غفلات الإنسان " وظل يأنس به ويسمر معه ، فكاتبه أبو مسلم يشير عليه بقتله قائلا : " قد أحل الله لك دَمَهُ لأنه قد نكث وغيّر وبدّل " لكن أبا العبّاس أجابه رافضا : " ما كنت لأفتتح دولتي بقتل رجل من شيعتي ، لاسيما مثل أبي سلمة ،وهو صاحب هذه الدعوة ، وقد عرّض نفسه وبذل مهجته وأنفق ماله وناصح إمامه وجاهد عدّوه " فكاتب عمّه داود بن علي

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 141 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 436 ، ابن طباطبا ، الفخري،ص 123.

(2) عند الدينوري/أخبار الطوال،ص 370 " موران الضّبّي ".

(3) قال أبو مسلم إلى مرار بن أنس " انطلق إلى الكوفة ، فأخرج أبا سلمة من عند الإمام أبي العباس فَاضْرِبْ عنقَه وانْصَرِفْ من سَاعَتِكَ "،الدينوري،نفس المصدر والصفحة .

(4) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج 9 ص 141 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 436.

(5) المسعودي ، مروج الذهب،3 ص 284 .

(6) مجهول ، أخبار الدولة العباسية،ص 378 ، أحمد علبي ،العهد السّرّي للدّعوة العباسية،ص 103 .

(7) مروج الذهب،ج 3 ص 284 .

وأخاه وأبـا جعفر[1] يسألهما أن يشيرا على الإمام بقتل أبي سلمة ،ولما لم يقدرا على إقناعه وجّه مِن جهته جماعة مِن ثقات أصحابه في إعمال الحيلة في قتل "وزير آل محمد" ربما حسدا له أو ربما كان بينهما اتفاق خشي أن يصل الخليفة في يوم من الأيام ،وقد كان أبو جعفر يُحسّ بشي مثل هذا حيث قال :والله ما أدري ، لعل الذي كان منه[من أبي سلمة الخلاّل ويقصد محاولة نقل الخلافة إلى العلويين] عن رأي أبي مسلم ".[2]

ومع أنّ ما ذكره المسعودي يبدو مقنعا ، إلا أننا نشك في أن يكون أبو مسلم هو الذي أشار بقتل أبي سلمة لآل العباس فَقَتْلُه لا يمكن أن يكون إلا بأمر الخليفة وأهله الذين أصبحوا ينتهجون أسلوب التصفية الجسدية مع كل من يشكّون في منافسته لهم وكان أبو مسلم الخراساني واحدا من بين هؤلاء[3] .

---

(1) هو أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ولد بالحميمة سنة 101 هـ من أم وَلَد اسمها سلامة ، بُويع للخلافة بوصية أخيه أبي العباس في سنة (136 هـ) ويعد المؤسس الحقيقي للدولة العباسية ، توفي يوم السبت لِستّ (خلوْن من ذي الحجة) (سنة ثمان وخمسين ومئة) . فكانت ولايته اثنتين وعشرين سنة إلا تسعة أيام ، المسعودي ، نفس المصدر،ج 3 ص 294،ابن قتيبة،المعارف،ص (164 و 165) ،أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي،ج 3 ص 75.

(2) البلاذري ، أنساب الأشراف،قسم 3 ص 154 .

(3) كان في نفس المنصور – قديما – حزازات من أبي مسلم ، وكان بينهما تباغض ، فأشار على أخيه أبي العباس بقتله لكنه امتنع وقال : كيف يكون ذلك مع حسن بلائه في دولتنا " ولما وُلّي المنصور أرسل أبا مسلم لحرب عمّه عبد الله بن علي بن العباس في الشام لأنه أراد الخلافة لنفسه ،ولما ظفر أبو مسلم به وغنم جميع ما كان في عسكر عبد الله الذي أنهزم في البصرة زاد طغيانه و " كان يأتيه الكتاب من أمير المؤمنين ، فيقرأه ثم يلوي شدقه على سبيل السخرية منه " فيبعث له من يحصو الغنائم ، فغضب أبو مسلم وشتم المنصور وقال :" أُؤْتَمَنُ على الأرواحِ ولا أُؤْتَمَنُ على الأموال ؟ " وعزم على الخلاف ،وهم بالتّوجه إلى خراسان ، فحاول المنصور إبعاده عنها خوفا من عصيانه في منطقة نفوذه ، فبعث له " قد وليتك الشام ومصر ، فهي خير لك من خراسان ، فأرسل على مصر من أحببت ،وأقم بالشام فتكون بقرب أمير المؤمنين " لكنّ أبا مسلم رفض وقال :" هو يوليني الشام ومصر ،وخراسان لي " وواصل سيره نحو خراسان ، وعندئذ لجأ المنصور إلى سياسة اللّين وأساليب الدهاء فأخذ يؤمنه ويستميله ويسترضيه ، كما أرسل إليه من يخوفه من نتائج معصية الإمام والرجوع دون إذنه ،ومازال المنصور يستعمل سياسة الترغيب والتهديد ، حتى أنخدع أبو مسلم وذهب للقائه بمدينه " المدائن " فأحسن المنصور استقباله ثم واجهه ببعض التهم مثل " ألسْتَ الكاتبَ إليّ تبدأ بنفسك ،والكاتب إليّ تخطب أمينة بنت عليّ ،وتزعم أنك ابن سليط بن عبد الله بن عباس ؟،ثم=

لقد دافع المؤرخ السيد عبد العزيز سالم [1] عن أبي سلمة الخلاّل ورأى أن محاولاته لنقل الخلافة لآل عليّ لم تكن خيانة منه لآل العباس ، لأنه — حسب رأي المؤرخ دائما — " كان يجهل الإمام الحقيقي الذي يدعو له فعندما قام محمد بن علي بالدّعوة ووزّع دعاته على العراق وخراسان لم يظهر لهم أهداف الحقيقية في الاستئثار بالأمر لنفسه ولبنيه دون العلويين ، إنما أظهر سعيه لقلب نظام الحكم الأموي ، وإعادة الحق إلى أصحابه الشرعيين حتى يجتذب إليه الأنصار و المؤيدين ".

نقول: إنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون أبو سلمة الخلال قد جهل الإمام الحقيقي الذي كان وراء الدعوة فهو كان رئيسا لدعاة العراق ومشرفا على الدعوة في خراسان وعلى اتصال مباشر ودائم بالإمام في " الحميمة "،ثم هل من المنطق أن يزرع آل العباس ويجني الثمار آل عليّ؟

من اللائق هنا ، أن ندعم رأينا — السّالف الذّكر — برأي أحمد شلبي [2] الحازم الذي جاء فيه :" أما القول بأن أبا سلمة كتب للعلويين لأنه خُدع في دعوة الْحُمَيْمَة ، فذلك شيء إن جاز على الجماهير فلا يجوز على القادة والوزراء ،وهل كان أبو سلمة يظن أن بَني العباس يضعون الخطط ويبثون الدّعاة ، و يشعلون الثورة ، فإن فشلت الحركة أو ظهر خلل فيها قدّموا دماءهم فداء لذلك كما حدث لإبراهيم الإمام ،وإن نجحت الخطة سلموها لقمة سائغة إلى العلويين الذين لم يسهموا في هذا النضال الطويل بقليل من الجهد أو كثير ؟ هل كان أبو سلمة يظن ذلك ؟ وهل لمثل أبي سلمة وضع التمويه الذي لجأ له قادة الْحُمَيْمَة "

أما المؤرخ بدر عبد الرحمن محمد [3] فقد ذكر في الأول آراء قيلت في سبب محاولة

= قتله،الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 159 وما بعدها ، ابن الأثير ،الكامل في التاريخ،ج 5 ص 468 وما بعدها ، ابن طباطبا،الفخري ، ص : 134 وما بعدها ، ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة،ج 2 ص 237 وما بعدها، المسعودي ، مروج الذهب،ج 3 ص 302 وما بعدها ،

(1) العصر العباسي الأول ، ص 24.

(2) موسوعة التاريخ الإسلامي،ج 3 ص 52.

(3) الدولة العباسية،ص 21.

نقل أبي سلمة الخلال الخلافة من آل العبّاس إلى آل علي وبين عدم اقتناعه بها وهي "أنه [أبو سلمة الخلاّل] أراد أن يجعل الأمر شورى بين بني هاشم من عباسيّين وعلويّين" وأيضا " إنه [أبو سلمة الخلال] خاف انتقاض الأمر وفساده بعد وفاة إبراهيم الإمام ، وتخوّف على مصير الدّعوة وفشلها " ورأى هذا المؤرخ- في الأخير أن السبب يعود إلى " أن الخلال لم يكن واثقا من أبي العبّاس كما كان واثقا من قَبْل بأخيه إبراهيم الإمام وخاف أن ينتهي الأمر بإبعاده عن السلطة أو على الأقل بالحدّ من نفوذه إن يُوَلَّى أبو العباس الخلافة" لذلك حاول أن يجد شخصية أخرى هاشمية غير عباسية يحتفظ معها بنفوذه السياسي الكبير فهو أراد أن يكون " صانع الملوك في الدولة الجديدة ."

نقول : إن هذا الرّأي ليس بالرأي النّاضج فكيف لا يثق أبو سلمة الخلال في أبي العبّاس وحده ويثق في الإمام إبراهيم أو العلويّين ، هل ضمن أن هؤلاء لا يتبدلون ولا يتغيرون معه إذا ما وصلوا الخلافة . بل وإننا نشك في الرواية القائلة بخيانة أبي سلمة الخلاّل ومحاولته نَقْل الخلافة إلى آل علي وبخاصّة أن ابن كثير[1] انفرد بروايته القائلة : " إن أبا سلمة الخلاّل كان أول من سلّم على أبي العباس بالخلافة " لذا فإننا لا نستبعد أن تكون رواية الخيانة من صنع آل العبّاس لتبرير قتلهم لوزير " آل محمد ".

أما تقزيم الدور الذي قام به أبو سلمة الخلال في نجاح الدعوة العباسية أو إنكار دوره تماما فيها مثلما أجزم أحمد شلبي[2] قائلا :" أما القول بأن أبا سلمة قام بدور كبير في قيام الدعوة العباسية فهو خطأ كبير ندعو القائلين به لتصحيح أنفسهم وتمحيص آرائهم ، فلا شك أنه قام بدور كبير ولكن ضد بنى أمية ، أمّا فيما يتعلق بقيام الدّولة العبّاسيّة فهو شيء تم من وراء ظهره (...) وأبو سلمة أجدر أن يُتّهم بمقاومة دولة بني العباس من أن يُنْسَب إليه العمل لِقيامها . " يُعَدّ ظلما لأبي سلمة الخلاّل الذي كان يعلم جيداً – كما أسلفنا – هُوِيّةَ أصحاب الدّعوة واجتهد وجاهد في سبيل الوصول بهم إلى الخلافة وكان أبو العباس

(1) البداية والنهاية،ج 10 ص 40.

(2) أحمد شلبي ،موسوعة التاريخ الإسلامي،ج 3 ص 51.

نفسه يقدر فيه ذلك حيث قال حينما أشير عليه بقتله — كما أسلفنا — " ما كنتُ لأفتتح دولتي بقتل رجل من شيعتي ، لا سيما مثل أبي سلمة ،وهو صاحب هذه الدعوة ،وقد عرّض نفسه وبذل مُهْجَته ،وأنفق ماله ،وناصح إمامه ،وجاهد عدوّه "[1] وقال أيضا " ما كنتُ لأُفْسِد كثيرَ إحسانه ،وعظيمَ بلائه وصالحَ أيامِه بِزَلّةٍ كانت منه ..."[2] .

لقد أبلى أبو سلمة الخلاّل بلاء حسنا في تنظيم الدّعوة ، فقد كان رئيسا على كل دعاة العراق وخراسان أيضا قبل أن يبعث الإمام إبراهيم أبا مسلم الخراساني إلى مرو . ويتضح ذلك من الرّواية [3] القائلة:إن إبراهيم الإمام " كتب [بعد وفاة بُكير بن مَا هَان] إلى أبي سلمة الخلاّل يأمره بالقيام بأمر أصحابه ،وكتب إلى أهل خراسان يخبرهم أنه قد أسند أمرهم إليه ومضى أبو سلمة إلى خراسان فصدقوه وقبلوا أمره ودفعوا إليه ما اجتمع عندهم من نفقات الشيعة وخمس أموالهم " ثم إن أبا سلمة اجتهد كثيرا في تثبيت قواعد الدولة العباسية وهي تولد، فقد فوّض له أبو العباس أمور الدولة كلها وسلم له الدواوين فأحسن الإدارة و الجباية حتى ملأ خزينة الدولة [4]. ونقول في الأخير لو لم يَرْغَب أبو سلمة الخلال في العباسيّين لكان قد قتلهم كلهم في الوقت الذي كان يخفيهم في الكوفة ولم يكن يعلم بوجودهم أحد .

لقد خرج أبو العبّاس أوّل خروج رسمي له في يوم الجمعة 12 ربيع الأول سنة (132 هـ / نوفمبر 749 م)[5] حيث تهيأ له الناس ولبسوا السلاح،واصْطَفّوا أمام دار الوليد ابن سعد حيث أنزله أبو سلمة الخلال ، فظهر و ركب بِرْذَوْناً أَبْلَقَ ،ورَكِب مَنْ معه من أهل

---

(1) المسعودي، مروج الذهب ، ج 3 ص 284.

(2) المسعودي ، نفس المصدر والصفحة .

(3) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ، ج 9 ص 66 • ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 339.الجهشياري ، الوزراء والكتاب،ص 84 • اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي،ج 2 ص 319 • الدينوري،الأخبار الطوال،ص 334.

(4) مجهول ، أخبار الدولة العباسية،ص 377،أحمد علبي ،العهد السّرّي للدّعوة العباسية،ص 102،بدر عبد الرحمن محمد ، الدولة العباسية،ص 22.

(5) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 125 • ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 411.

بيته فدخلوا دار الإمارة بالكوفة ثم خرجوا إلى المسجد فخطب الناسَ وصلّى ثم صعد المنبر وخطب خطبة طويلة ،[1] أهمُّ ما جاء فيها قولُه :" الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه وكرّمه وشرّفه وعظّمه واختاره لنا فأيّده بنا وجعلنا أهله وكهفه وحصنه والقوّام به والذّابّين عنه والناصرين له، فألزمنا كلمة التقوى وجعلنا أحقَّ بها وأَهْلَهَا ، وخصّنا بِرَحِمِ رَسُول الله، صلى الله عليه وسلم وقرابته وأنشأنا من آبائنا ، وأنبتنا من شجرته ، وأشتقنا من نبعته ، جعله من أنفسنا عزيزا عليه ما عنتنا حريصا علينا بالمؤمنين رؤوفا رحيماً ووضعنا من الإسلام وأهله بالموضع الرفيع ... "[2] ثم ذكر شرعيّة آل العبّاس في الخلافة قائلا : "زعمت السبئية [3] الضّلال أنّ غيرنا أحقّ بالرياسة والسياسة والخلافة منّا ، فشاهت وجوههم !وَلِمَ أيها النّاس وبنَا هَدَى اللهُ النّاسَ بعد ضلالتهم ، وبَصّرهم بعد جهالتهم ، وأنقذهم بعد هلكتهم وأظهر بنا الحق ، ودحض الباطل ، وأصلح بنا منهم ما كان فاسداً ، ورفع بنا الخَسِيسَة وتمّم بنا النَّقِيصَة ، وجمع الفُرْقَة حتى عاد الناس بعد العداوة أَهْلَ التعاطف والبّر والمواساة في دنياهم وإخوانا على سررٍ متقابلين في أخرتهم ..."ثم ذكر سوء الدولة الأموية قائلا :" ثم وثب بنو حرب وبنو مروان فابتزوها ،وتداولوها فجاروا فيها واستأثروا بها وظلموا أهلها بما أملى الله لهم حينا حتى آسفوه ، فلما آسفوه انتقم منهم بأيدينا ورد علينا حقنا و تدارك بنا أمّتنا وولى نصرنا والقيام بأمرنا ليمنّ بنا على الذين اسْتُضْعِفوا في الأرض ،وختم بنا كما افتتح " ثم أكد المودة والمصلحة الموجودة بين العباسيّين وبين أهل الكوفة قائلا : " يا أهل الكوفة أنتم محل محبّتنا ومنزل مودّتنا ، أنتم

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ص 125 وما بعدها ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 411 وما بعدها، ابن كثير ، البداية والنهاية،ج 10 ص 41.

(2) بيّن فضل آل البيت في الخلافة وذكر بعض الآيات من القرآن تؤكد ذلك منها الآية رقم 33 سورة الأحزاب والآية رقم 23 سورة الشورى .

(3) من غلاة الشيعة ، ينسبون إلى عبد الله بن سبأ الذي قال بألوهية عليّ رضى الله عنه وبحلول روح الله فيه ،وهم ينكرون موته ويقولون برجعيّة الأموات إلى الدنيا ، البغدادي،الفرق بين الفرق،ص 255 ، محمد عمارة ، الفرق الإسلامية،ص 29.

الذين لم تتغيروا عن ذلك ولم يُثنكم عنه تحامل أهل الجور عليكم حتى أدركتم زماننا ، وأتاكم الله بدولتنا ، فأنتم أسعد الناس بنا وأكرمهم علينا ،وقد زِدْتُكم في أُعْطِيَاتِكُمْ مِائَةَ دِرْهَمٍ فاستعدّوا فأنا السفّاح [1] المبيح الثائر المبير"

لقد أحس الخليفة بشيء من التوعك قبل أن يتمّ خطبته فجلس على المنبر وقام عمّه داود على مراقي المنبر وأتم الخطبة[2] التي نذكر منها :" أيها الناس ! الآن أقشعت حنادس[3] الدنيا ،وانكشفت غطاؤها ، وأشرقت أرضها وسماؤها ،وطلعت الشمس من مطلعها ،وبزغ القمر من مبزغه ، وأخذ القوس باريها ،وعاد السهم إلى منزعه ، ورجع الحق إلى نصابه في أهل بيت نبيّكم ، أهل الرأفة والرحمة بكم والعطف عليكم ...لكم ذمّة الله ، تبارك وتعالى ، وذمة رسوله صلى الله عليه وسلمّ ،وذمة العبّاس رحمه الله ، علينا أن نحكم فيكم بما أنزل الله ،ونعمل فيكم بكتاب الله ،ونسير في العامة والخاصة بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ...يا أهل الكوفة !إنا والله مازلنا مظلومين مقهورين على حقّنا حتّى أباح الله شيعتنا أهل خراسان ، فأحيا بهم ما لستم تنتظرون ، فأظهر فيكم

(1) السفاح في المعجم الوسيط ج 1 ص 432 " من يكثر سفك الدماء ومنه لقب الخليفة العباسي الأول " أما عند ابن منظور ، لسان العرب ج 2 ص 154 ." فالرجل السفاح هو المعطاء والفصيح والرجل السفاح هو القادر على الكلام" لقد لقب أبو العباس بالسفاح لكن عبد الحميد العبادي بحث في موضوع التسمية وقال :" إن المصادر التاريخية الأولى الموثوق بها كالطبري واليعقوبي والدينورى والجهشياري ، لا تنسب هذا اللقب إلى الخليفة أبي العباس فهي تكتفي بالقول " أمير المؤمنين أبو العباس " ولم يرد إسم السّفاح في كتابات المؤرخين إلا منذ القرن الرابع الهجري." ويقول أيضا ، إنه " في كتاب الإمامة والسياسة المنسوب لأبن قتيبة ، نجد إشارة صريحة على أن السفاح هو عبد الله ابن علي الذي يقال له السفاح على الشّام ..." ثم يضيف أن " الكتب التاريخية التي تلقب أبا العباس بالسفاح كتب تعتمد أحيانا على القصص والروايات التي تستهوي القارئ مثل كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني وكتاب مروج الذهب للمسعودي "،أحمد مختار العبادي،في التاريخ العباسي والأندلسي،ص 42.

(2) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 126 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 4135،أبو الفدا ، مختصر أخبار البشر،ج 1 قسم 1 ص 210 ، الذهبي ، العبر في خبر من غبر،ج 1 ص 184،الدينوري ، الأخبار الطّوال، ص 370 ، الحنبلي ، شذرات الذهب،ج 1 ص 183 .

(3) حندس الظلمة والليل شديد الظلمة ،و الحنادس ثلاث ليالٍ في آخر الشهر،مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط، ج1 ص 202.

الخليفة من هاشم وبيّض به وجوهكم ، وأدَالَكُمْ على أهل الشام ، ونقل إليكم السلطان ، وأعز الإسلام ، ومنّ عليكم بإمام منحه العدالة وأعطاه حسن الإيالة، فخذوا ما أتاكم الله بشكر ،وألزموا طاعتنا ، ولاَ تُخْدَعُوا عن أنفسكم ، فإن الأمر أمركم ،وإن لكل أهل بيت مصراً وإنكم مصرنا ، ألا وإنّه ما صعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أمير المؤمنين على بن أبي طالب وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد" وأشار بيده إلى أبي العبّاس ..."[1] ثم " نزل أبو العباس وداود بن علي أمامه حتّى دخل قصر إمارة الكوفة وجلس أبو جعفر يأخذ البيعة على الناس في المسجد ، فم يزل يأخذها عليهم حتّى صلى بهم العصر ثم المغرب وجنّهم اللّيل فدخل"[2]

مع أنّ الخطبة جاءت ارتجالية ، إلا أنها بدت محفوظة أو على الأقل مدروسة المعالم والأفكار فيما بين الخليفة وعمّه داود بن علي وإلا ما كان يستطيع المواصلة فيها ، كما يبدو أن أمر التوعك كان اصطناعيا أو لنقل ما كان شديدا حتى لا يقدر الخليفة مواصلة الخطبة أو وقد يكون الغرض منه إفهام الناس منذ أول يوم أن آل العبّاس كلّهم شركاء في الخلافة فمثلما يخطب الخليفة يخطب العمّ ويأخذ الأخ أبو جعفر المبايعة ، على عكس آل أمية الذين تقاتلوا من أجل الخلافة . ويجب أن نذكر هنا أن فلهوزن[3] يشك في صحة هذه الخطبة أوهاتين الخطبتين ويقول " إن الخطبتين قد وصلتا إلينا ، لكنهما غير صحيحتين وإن كان ما تضمنتاه يناسب الموقف ". لكنّنا نعارضه في هذا الحكم ونقول:إن الخطبة كانت واقعا حقيقيا ذلك لأنه كان من سُنّة الخلفاء والأمراء والولاة أو العمّال أن يبدأوا عهدهم

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 126 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5ص، 414 وما بعدها ، أبوالفدا ، مختصر أخبار البشر،ج 1 قسم 1 ص 210،الذهبي ، العبر في خبر من غبر،ج 1 ص 184 ، الحنبلي ، شذرات الذهب،ج 1 ص 183 ، الدينوري ،الأخبار الطوال،ص 370 .

(2) الطبري ، نفس المصدر ج 9 ص 127 ، ابن الأثير ، نفس المصدر،ج 5 ص 416 .

(3) تاريخ الدولة العربية،ص 515.

بخطبة رسمية في المسجد [1] ، نعم قد تكون ذاكرة الرّواة قد عجزت عن حملها بتفاصيلها وغيرّت بعض مفرداتها لكنها بالتأكيد أنها حملت معالمها وأفكارها الأساسيّة .

ومهما يكن فقد تبين من خطبة مسجد الكوفة التي ذكرنا أهم ما جاء فيها الاتجاهات الجديدة لمبادئ الحكم العبّاسي التي نلخصها فيما يلي :

1. إن المعارضة العباسية قامت من أجل الإسلام الذي فشل الأمويون في تطبيق مبادئه الحقيقية .
2. إن للعباسيين الحقّ في الخلافة ، لأنهم أقرباء الرسول من جهة عمّه العباس بن عبد المطلب الذي توفي بعد الرسول صلى الله عليه وسلّم وليست حقاً للعلويّين كما زعمت السَّبَئية (ويُعنى هنا بالسبئية كل العلويين).
3. إن العباسيين ما رغبوا في الخلافة إلا لإنقاذ الناس من ظلم وجَبَرُوت الأمويين وإن الله هو الذي اختارهم من دون آل هاشم لذلك .
4. إن لأهل الكوفة مكانة خاصة عند آل العباس " فلكل أهل البيت مصرٌ وإنّكم مصرنا " وإن انتصار العباسيين يعني انتصار آل الكوفة [والعراق] على الشام بعد كفاح مرير ، لذا،فهم " أسعد الناس بآل العبّاس وأكرمهم عليهم " . ولهذا قرّر زيادة أُعْطِياتهم مائة درهم وهو مستعدّ للزّيادة، لهذا ذكر " أن السفاح المبيح والثائر المبير " .

ومع ذلك يبدو أن ثقة الخليفة الجديد في أهل الكوفة لم تكن قوية إلى الحدّ الذي تجعله يقيم في قصر إمارة المدينة ، فهو يعلم جيداً أنّ قلوبهم كانت ولا زالت مع آل علي لذا اختار الإقامة بين أهل خراسان في معسكرهم " بحمام أعين " مدة شهور إلى أن ارتحل إلى " الهاشمية " .[2]

---

[1] الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد) الأيام والليالي والشهور ، تحقيق إبراهيم الأبياري،دار الكتب الإسلامية ، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني ، 1400 هـ 1980 ط 2 ص 38.

[2] الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص130 ، ابن الأثير ،الكامل في التاريخ،ج 5 ص 416.

وفي هذه الأثناء كان الخليفة الأموي مروان بن محمد قد خرج من حران مع جنود الشام والجزيرة ونزل على الزاب الصغير[1] وعقد عليه جسرا وحفر خندقا انتظارا لمواجهة آل العباس الذين أوّل ما وجهوا له القائد أبا عون عبد الملك بن يزيد الأزدي الذي كان قحطبة بن شبيب قد بعثه إلى " شَهْرُ زُور التي فتحها في ذي الحجّة سنة (131 هـ/ 749 م) ثم سار إلى أرض المَوْصِل – إلى شمال نهر دجلة – وثبّت أقدامه فيها .[2]

ولمّا كانت لهذه المعركة أهمية بالغة عند العباسيين ، دعّم الخليفةُ أبُو العبّاسِ أبَا عَوْنٍ بقادة[3] وجيوش ثم نزع عنه شرف قيادة المعركة وجعله في أهل بيته حيث أسنده لعمّه عبد الله بن علي[4] بعد أن أعلن رغبته في ذلك .[5]

بدأت المعركة في 2 جمادى الآخرة عندما سيّر عبد الله بن علي القائد عُيَيْنَة بن موسى في خمسة آلاف إلى بعض عسكر مروان فقاتلهم حتى أمسوا ثم رجع فرد الخليفة بأَنْ سَيَّرَ في الْغَد ابنَه عبدَ اللهِ الذي نزل أسفل من عَسْكَرِ عَبْدِ اللهِ بنِ عليّ الذي بادر بتسريح قائده المُخَارِق في أربعة آلاف نَحْوَ ابنِ مَرْوانَ الذي أسرع بدوره في تسريح القائد مروان بن الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم " الذي تمكن من التغلب على أعدائه بل وقبض على

---

(1) الزاب أو الزابي ، هو إسم لرافدين من روافد نهر دجلة ، أحدهما يسمى الزّاب الكبير أو المجنون (لشدة جريانه) والثاني يسمى الزّاب الأسفل أو الصغير الذي ينبع من المرتفعات التي تقع جنوب بحيرة "أو رمية " ويرفد دجلة في شمال بلدة " الفُتحة " ويبلغ طوله 520 كلم ويمثل لواء " أربيل " المنطقة الواقعة " بين الرافدين ، أحمد عطية الله ،القاموس الإسلامي،ج 3 ص 1.

(2) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 130 ، ابن الأثير ،الكامل في التاريخ،ج 5 ص 417 ، فلهوزن تاريخ الدولة العربية،ص 518.

(3) وهم : سلمة بن محمد في ألفين ، وعبد الله الطائي في ألف وخمسمائة ، وعبد الحميد بن ربعي الطائي وألفين ووداسُ بن نضلة في خمسمائة ، الطبري ، نفس المصدر والصفحة ، ابن الأثير ، نفس المصدر والصفحة .

(4) يذكر ابن قتيبة في المعارف ص 163 أن عدد أعمام الخليفة أبي العباس تسعة في حين يذكر البلاذري في أنساب الأشراف قسم 3 ص 72 أن عددهم يبلغ تسعة عشر .

(5) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 130 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 417 .

القائد المخارق أسيرا مع مجموعة من أصحابه .[1]

وخوفا من أن تنكشف هُوِيَّةُ القَائِدِ المخارق التي أخفاها عن الخليفة مروان بن محمد استعجل القائدُ أبُو عونٍ ، عَبْدَ اللهِ بنَ علي في القتال فنادى قادته إلى الحرب، وتقدم نحو أعدائه . ويبدو أن النهار كان في نهايته فطلب الخليفة مروان من أصحابه الكف عن القتال وأرسل إلى عبد الله يطلب منه الموادعة أو تأخيرَ القتال إلى الغد[2] لكنَّ خَتَنَهُ عَلَى ابْنَتِهِ الْوَليدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ بنَ مَرْوَانَ بَنْ الحَكَمِ عَارضَهُ الرأْيَ وتقدم إلى مقاتله القائد أبي العون فأمر عبدُ اللهِ بنُ عليّ قادتَه كلَّهم بدخولِ المعركة فدخلوها واثقين في النصر وكان الجيش في كامل رُوحِه المعنويّةِ وخاصة أن عبدَ اللهِ كان يشجِّعهم قائلا : يا أهل خراسان ! يا لثارات إبراهيم ! يا محمد ! يا منصور! "[3] في حين كانت الثقة في النصر قد ضاعت في نفس أصحاب مروان فلم يَرْضَ أحدٌ أن يضحّيَ بنفسه[4] " فأصبحوا يتأخرون كأنهم يُدْفَعون "[5] وأصبح الخليفةُ إذا ما طلب من قيس المبادرةَ تتراجعُ وتَطْلُبُ المبادرةَ من قُضَاعَةَ ولمّا يئس منهم طلب من صاحب الشرطة المبادرةَ لكنّه رفض هو أيضا .[6]

لقد فكر مروان في تشجيع أصحابه فأخرج الأموال وناداهم " اصبروا وقاتلوا فهذه الأموال لكم " لكن الوضع لم يتغير بل إنه أُخبر أن " الناس قد مالوا على هذا المال ولا نأمنهم أن يذهبوا به " فأمر ابنه أن يذهب في أصحابه إلى مؤخرة العسكر وَيقتُلَ كلَّ مَنْ

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 130 ـ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 417.

(2) قال مروان بن محمد :" إن زالتِ اليومَ الشمسُ ولم يقاتلونا كنّا الذين ندفعها إلى المسيح عليه السلام ،وإن قاتلونا فاقبل الزوال فإنّا لله وإنا إليه راجعون ". الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 131 ـ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 419. ابن طباطبا ، الفخري ، 115 .

(3) الطبري ، نفس المصدر والصفحة ـ ابن الأثير ، نفس المصدر والصفحة.ابن طباطبا ، نفس المصدر والصفحة .

(4) فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية،ص 515 .

(5) الطبري ، نفسه ـ ابن الأثير نفسه.

(6) قال صاحب الشرطة لمروان :" والله ما كنت لأجعل نفسي عرضا " قال الخليفة : " أما والله لأسوءنّك!" فقال صاحب الشرطة :" وددت والله أنّك قدرت على ذلك.الطبري ، نفسه ـ ابن الأثير ، نفسه ـ ابن طباطبا ، نفسه.

أخذَ المالَ فمال ابنه إلى الخلف برايته وأصحابه فنادى الناس الهزيمة !الهزيمة و هنا أمر عبد الله بن علي بقطع الجسر الذي كان يحمل أعداءه فقُطع وغرق معظم جيش مروان وقتل الباقي وذلك في يوم السبت 11 جمادي الآخرة (132 هـ / يناير 750 م [1]).

وتحاول بعض الروايات إعطاءَ فَرْقٍ كبير بين عدد جيش مروان بن محمد وجيش عبد الله بن علي العباسي في معركة الزّاب ، فالطبري[2] يذكر أن جيش مروان كان يبلغ عشرين ومائة ألف،ستّون ألفا معه وستّون ألفا مع ابنه عبد الله ، ويجعل ابن الأثير [3] عدد جيش عبد الله بن علي عشرون ألفا أو أثني عشر ألفا . ويعلق عن هذا الأمر المستشرق[4] فلهوزن حيث يقول : " ومن السَّهْل أن نفهم " المقصود من ذلك ، وهو إثبات القاعدة الكبرى وهي النّصر من عند الله ، فهو الذي يلقي الرّعب في قلوب الفئة الكبيرة من الكافرين أمام الفئة القليلة من المؤمنين ". ويجب أن نعلم هنا أن جيش بني أميّة في هذه الأوقات كان مقسّما إلى قسمين ،كما أسلفنا في السابق،قسم مع الأمير يزيد بن عمر بن هبيرة الذي أنكسر وذهب للتحصّن في مدينة واسط وقسم مع الخليفة مروان في الشام فلا يمكن أن يكون أبدا بهذه الضخامة ،وبالتأكيد إن الجيش العباسي كان يضاهي جيش عدوّه الأموي بل ويضاعفه مرّات و مرّات ، ولهذا خاف منه الأمويون وأصبحوا " يتأخرون كأنهم يُدفعون " [5] بل

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 9 ص 131 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 421 ، ابن طباطبا، الفخري،ص 116 ، ابن كثير ، البداية والنهاية،ج 10 ص 43 ، المسعودي ، مروج الذهب ، ج 3 ص 260 ، فلهزن ، تاريخ الدولة العربية،ص 518.

قتل في هذه المعركة ثلاثة رجال من البيت الأموي وهم إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك المخلوع ، أخو يزيد الناقص ، ويحيى بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ، أخو عبد الرحمن الداخل ،ومسلمة بن عبد الملك . الطبري ، نفس المصدر، ج 9 ص 131 و 132 ، ابن الأثير ، نفس المصدر،ج 5 ص 420 و 421 ، المسعودي ، نفس المصدر والصفحة .

(2) الطبري ، نفسه،ج 9 ص 133.

(3) الكامل في التاريخ،ج 5 ص 419 .

(4) تاريخ الدولة العربية،ص 518.

(5) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج 9 ص 131 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 419 .

إنهم تأكدوا من الفشل ورأوا أن مشاركتهم في المعركة تعني صراحة أن يضحوا بأنفسهم (1)، ونقول هل من المعقول أن يبعث أبو العباس أثني عشر ألفا فقط في معركة فاصلة مثل هذه؟

لقد بدأت نهاية مروان الفعلية بعد فشله في معركة الزاب ، فهو بالتأكيد سوف لن يحاول لقاء أعدائه من جديد ، بعدما رأى من قوتهم ومن انكسار جيشه وغرقه لهذا حاول وصول مدينة الموصل يائسا لكن أهلها منعوه من الدخول وقطعوا عنه الجسر وسودوا إعلانا لميلهم إلى آل العباس ،(2) فَعَبَرَ مروانُ دجْلة وأتى حَرّانَ وبها ابن أخيه أبّان بن يزيد بن محمد بن مروان [– عامله عليها –] فأقام بها نيفا وعشرين يوما.(3)

في هذه الأثناء كان خبر انتصار العباسيّين في الزّاب قد وصل الخليفة أبا العباس فصلى ركعتين وأمر لمن شهد الوقعة بخمسمائة خمسمائة دينار ورفع أرزاقهم إلى ثمانين.(4) وبقي عبد الله بن علي وجيشه في معسكرهم سبعة أيام(5) حتى وصله أمر الخليفة أبي العبّاس باتّباع مروان فسار عبد الله إلى الموصل التي ما إن بلغ أهلَهَا ذلك حتى فتحوا له المدينة مرحّبين .(6)

ومن الأفضال التي تحسب للخليفة مروان بن محمد حينما عاد مهزوما إلى حرّان –

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 131، ابن الأثير،الكامل في التاريخ،ج 5 ص 419 ، فلهوزن،تاريخ الدولة العربية،ص 518.

(2) نادَى أهلُ الشامِ أهلَ الموصلِ : " هذا أميرُ المؤمنين مروان !" فقالوا :" كذبتم ، أمير المؤمنين لا يفر! " ثم سبوا الخليفة قائلين :" يا جعدي ! يا معطل الحمد لله الذي أزال سلطانكم وذهب بدولتكم !الحمد لله الذي أتانا بأهل بيت نبينا ! ".الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 135 ، ابن الأثير،الكامل في التاريخ،ج 5 ص 424 ، ابن طباطبا ، الفخري في الآداب السلطانية،ص 116.

(3) الطبري ، نفس المصدر،ج 9 ص 134 ، ابن الأثير ، نفس المصدر والصفحة .

(4) الطبري ، نفسه،ج 9 ص 132 ، ابن الأثير ، نفسه،ج 5 ص 421 .

(5) الطبري ، نفسه،ج 9 ص 131 ، ابن الأثير ، نفسه،ج 5 ص 420.

(6) الطبري ، نفسه،ج 9 ص 135 ، ابن الأثير ، نفسه،ج 5 ص 425.المسعودي،مروج الذهب،ج 3 ص 260.

التي كانت داره ومقامه[1] أنه خلىّ سبيل كل المعتقلين السياسيّين الذين وجدهم في الحبس أمامه أما الذين كانوا قد حاولوا الهروب منتهزين الغوغاء الذّي حل بالمدينة بعد فشل الخليفة في الزاب فقد قتلوا من طرف أهاليها .[2]

لما سمع الخليفة مروان بن محمد بملاحقة عبد الله بن علي العباسي له ، خرج مسرعا من حران التي سود عاملها الأموي أبان بن يزيد طالبا للأمان الذي ناله ودخل عبد الله المدينة دون عناء وتوجه أوّل ما توجه إلى البيت الذي سجن فيه إبراهيم الإمام . وهدمه[3] كما هدم قصر الخليفة مروان الذي كان قد أنفق على بنائه عشرة آلاف درهم ، ثم احتوى على خزائنه وأمواله[4] وبدأ في مطاردته من جديد من حران و واصل الخليفة مروان ابن محمد رحلة ذُلِّه فذهب إلى قِنَّسْرِين ومنها إلى حِمّص ثم دِمَشق ثم نزل " أبي فطرس"[5] ولما كان آل العباس قد تغلبوا على فلسطين اتصل بأحد معارفه وهو عبد الله بن يزيد بن روح بن زنباع الذي أقامه عنده بعض الوقت .[6]

ظل عبد الله بن علي يتتبع خطى آخر خليفة أموي فاتحا دون عناء يذكر كل القرى والمدن التي في طريقه ، فمن حران دخل مَنْبِجْ[7] بعدما سود أهلها وفيها تلقى رسالة من

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 133 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 422 ، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية،ص 519.

(2) كان من بين هؤلاء الذين قتلوا : شراحيل بن مسلمة بن عبد الملك ،وعبد الملك ابن بشر التغلبي ، وبطريق أرمينية الرابعة واسمه كوشان الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9ص133،ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج5ص422.

(3) الطبري ، نفس المصدر،ج 9 ص 135 ، ابن الأثير ، نفس المصدر،ج 5 ص 425 ، المسعودي،مروج الذهب،ج 3 ص 261.

(4) المسعودي ، نفس المصدر والصفحة.

(5) أبو فطرس : هو اسم لنهر قرب الرّملة بأرض فلسطين ، ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج 3 ص 603.

(6) الطبري ، نفس المصدر والصفحة ، ابن الأثير ، نفس المصدر والصفحة .

(7) مَنْبِجْ: مدينة قديمة بناها كسرى لما غلب على الشام وسماها " منبه " أي أنا أجود ، فعربت فقيل لها " مَنْبِجْ" وهي مدينة كبيرة واسعة كثيرة الخيرات بينها وبين حلب عشرة فراسخ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان،ج 4 ص 654 .

أهل قنسرين يطلبون منه الدخول إلى مدينتهم ، فدخلها وأقام بها يومين حتى وصله أخوه عبد الصمد بن علي مددا في أربعة آلاف فتوجها إلى حمص التي كانت قد سودت أيضا ومنها إلى بعلبك " وعين الجرّ"[1] ثم "مزة"[2]حيث وصلهما ثمانية آلاف جندي مدداً من الخليفة تحت قيادة أخيهما صالح بن علي.[3]

لم ترحب مدينة دمشق بآل العباس [على عكس ما فعلت الكثير من المدن]، فقد أغلقت أبوابها في وجوههم فاضطروا إلى محاصرتها [4] ودخولها عنوة بعدما ظهرت العصبية بين أهلها و قتلوا بعضهم بعضا وذلك في يوم الأربعاء العاشر من رمضان سنة (132 هـ/ 750 م) [5] .

مَكَثَ عبدُ اللهِ بن علي في دمشق خمسة عشر يوما ، ثم سار يريد فلسطين ، فلقيه أهل الأردن مسودين مبايعين [6] ولما أتى نهر أبي فطرس كان الخليفة مروان قد غادره إلى مصر[7] ،فأقام عبد الله بعض الوقت في فلسطين ينتظر أوامر الخليفة إلى أن وَصَلَتْ تَأْمُرُهُ

---

(1) عين الجرّ ، يسميها ياقوت الحموي " عين جارة " وهي من أعمال حلب ، معجم البلدان،ج 4 ص 760.

(2) مزة ، هي قرية من قرى دمشق ، الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 135.

(3) الطبري، نفس المصدر و الصفحة ، أبن الأثير الكامل في التاريخ ، ج 5 ص 425

(4) الطبري ، نفسه ، ابن الأثير ،نفسه ،

(5) الطبري،نفسه ،ابن الأثير ، نفس المصدر والصفحة،أبو الفدا ، مختصر أخبار البشر،ج1 قسم 1 ص : 211 ، الذهبي ، العبر،ج 1 ص 184 ، اليعقوبي ، تاريخه،ج 2 ص 345 . المسعودي ، مروج الذهب ، ج 3 ص 261.

(6) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 135 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 426،فلهوزن،تاريخ الدّولة العربية،ص 519 .

(7) يذكر المسعودي في مروج الذهب ج 3 ص 264 " أنّ الخليفة مروان كان قد عزم على الفرار إلى بلاد الرّوم فرده إسماعيل بن عبد الله القشيري عن هذا الرأي ونصحه بالذهاب إلى مصر معللا :" أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من هذا الرأي ، تحكم أهل الشرك في بناتك وحرمك ،وهم الروم ، لا وفاء لهم ،ولا تدري ما تأتي به الأيام وأنت إن حدث عليك حادث بأرض النصرانية ضاع من بعدك ،ولكن اقطع الفرات ، ثم استنفر أهل الشام جندا جندا ، فإنك في كنف وعزّة ،ولك في كل جند وصنائع يسيرون معك حتى تأتي مصر فإنها أكثر أرض الله مالا وخيلا ورجالا ، ثم الشام أمامك وإفريقية خلفك ، فإن رأيت ما تحب انصرفت إلى الشام ، وإن كانت الأخرى مضيت إلى إفريقية ".

بإرسال صالح بن علي — [أخيه] — في طلب مروان .[1]

توجه صالح بن علي قاصدا مصر في ذي القعدة من سنة (132هـ / 750م) فنزل "بالعريش"[2] حيث كان يحل الخليفة مروان بن محمد الذي أمر بحرق كل ما حوله من علف وطعام حتى يموه الأعداء ويهرب إلى الصعيد .[3]

قدّم صالح القائد أبا عون الذي قدّم بدوره القائدين عامر بن أسماعيل الحارثي وشعبة بن كثير المازنيّ في مجموعة من خيل أهل الموصل اللذين التقيا ببعض جنود مروان في موضع يسمى " ذات السّاحل "[4] فقَتَلا واستبَاحا وأسَرَا ، وأمَّنَا أسْرَاهم على أن يعرفا مقام الخليفة فعرفا أنه في كنيسة " ببوصير " [5] وأعلما أبا عون الذي توجه معهما إليه سريعا وباغتوا الخليفة ليلا وقتلوه وذلك في ليلتين بقيتا من ذي الحجة لسنة (132هـ / 750م)[6].

لقد اختلفت الرّوايات كثيراً في مَنْ وكيفيّة قَتْلِ الخليفة مروان بن محمد . كما حوى الموضوع بعض الخرافات أيضا.[7] لكن ما هو معقول هي الرواية القائلة أن " رجلا من أهل البصرة يقال له "المغود" طعن الخليفة و هو لا يعرفه فصرعه فصاح صائح صُرِعَ أمير

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 135 • ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج 5 ص 426.

(2) العريش : وهي مدينة كانت أوّل عمل مصر من ناحية الشام على ساحل بحر الروم في وسط الرمل ، تعرف "بالقسية " أيضا • ياقوت الحموي ، معجم البلدان،ج 3 ص 660 .

(3) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج 9 ص 135 . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج 5 ص 426 .

(4) يسميها ابن الأثير " ذات السلاسل".

(5) الطبري ، نفس المصدر ، ج 9 ص 135 • ابن الأثير ، نفس المصدر،ج 5 ص 426.

(6) الطبري ، نفسه ، ج 9 ص 136 • ابن الأثير ، نفسه،ج 5 ص 426 • أبو الفدا ، مختصر أخبار البشر،ج 1 قسم 1 ص 211 • اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي،ج 2 ص 346 • المسعودي،مروج الذهب،ج 3 ص 261 .

(7) كأن كان بكير بن ما هان قد علم غيبا من سيقتل الخليفة فقد رأى ، عامر بن إسماعيل و هو فتى وقال له :" فأنت والله تقتل مروان لكأني والله أسمعك تقول : " يا جوانكان دهيد "أي اضربوا أيها الفتيان — [وعامر بن إسماعيل عربي]•الطبري ، نفس المصدر،ج 9 ص 137 .

المؤمنين وأبتدروه فسبق إليه رجل من أهل الكوفة كان يبيع الرمان فاحتز رأسه ".[1]

بعد سقوط رأس الأمويين الخليفة مروان بن محمد ، أُخِذَت رأسه إلى القائد أبي عون الذي بعثها بدوره إلى الأمير صالح بن علي الذي[2] أمر بقصّ لسان رأس الخليفة[3] أو حسب روايات أخرى أمر بنتف الرأس ونفضه فانقطع اللسان[4] فأخذته هِرّة كانت هناك وأكلته أو أن اللسان لم يُقطع ولم يَنقطع بل " أن هِرّة جاءته وقلعته وجعلت تمضغه."[5][6].

ولما وصلت الرأس إلى أبي العباس غامرته الفرحة وسجد ثم رفع رأسه قائلا :" الحمد لله الذي أظهرني عليك وأظفرني بك ولم يبق ثأري قِبَلك وقِبَل رَهْطِك أعداء الدين" [7] وأمر بتنصيب الرأس على قناة عند مسجد الكوفة [8] ، ثم بعثه إلى أبي مسلم الخراساني وطلب منه أن " يطوف به بلاد خراسان ".[9]

---

(1) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ،ج 9 ص 136،ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 426،ابن طباطبا الفخري،ص 116 أبو الفدا،مختصر أخبار البشر،ج 1 قسم 1 ص 211 . اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي،ج 2 ص 346 ، ابن خلكان،وفيات الأعيان،ج 3 ص 151.

(2) الطبري ، نفس المصدر ، ابن الأثير ، نفس المصدر والصفحة .

(3) الطبري ، نفسه ، ابن الأثير ، نفس المصدر ، الفخري،ص 116 .

(4) البلاذري ، أنساب الأشراف،قسم 3 ص 100 ، ابو الفدا ، مختصر أخبار البشر،ج 1 قسم 1 ص 211 .

(5) السيوطي ، تاريخ الخلفاء،ص 308 ، الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن أسماعيل) لطائف المعارف ، تحقيق ، ابراهيم الأبياري وحسن كامل الصيرفي ، دار إحياء الكتب القاهرة 1960 ص 145.

(6) قال صالح : " ماذا ترينا الأيّام من العجائب والعبر ! هذا لسان مروان قد أخذه هرّا،ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 5 ص 127 . البلاذري ، أنساب الأشراف،قسم 3 ص 100، السيوطي ، تاريخ الخلفاء،ص 308.

(7) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 427.

(8) البلاذري ، أنساب الأشراف،قسم 3 ص 104 ، ابن خياط (أبو عمر خليفة بن خياط العصفري) ت 240 هـ تاريخ خليفة بن خيّاط ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، مطبعة الآداب في النجف العراق 1967 ج 2 ص 428.

(9) ابن خلكاكن ، وفيات الأعيان،ج 3 ص 151 .

وبموت آخر خليفة أموي مروان بن محمد [1] ،" أقبلت سعادة بني العباس وَوَلّت الدنيا عن بني أمية "[2] وتبدّد شعار الرّجاء الذي كان قد أمّله أشْياعهم [3] ، ولما كان يزيد ابن عمر بن هبيرة لا يزال متحصنا في واسط ، تحولت أنظار آل العباس إليه ووجهوا كل قواهم إلى آخر معقل أموي.

لقد كان أبو سلمة الخلال — كما أسلفنا — قد بعث الحسن بن قحطبة لمحاصرة ابن هبيرة وعززه ببعض القادة.[4] كما واصله القائد مالك بن الهيثم الخزاعي أيضا ومعه جند من أهل خراسان من قِبَل أبي مسلم الخراساني .[5] ذلك لأن ابن هبيرة ظل يحارب العباسيين حتى بعد أن أعلنوا خلافتهم وانتصروا في فتوحاتهم المتتالية واستمرّت مقاومته أحد عشر شهرا على [6] الرّغم من أنّ أهل مدينة واسط تعصبوا وتشاجر فيها أهل مضر وأهل ربيعة ، لكنه حينما علم بموت الخليفة مروان بن محمد الأموي تهيّأ للدخول في مفاوضات مع الدّولة الجديدةوذلك في الشهور الأولى من سنة (133 هـ / 750 م) [7].

لقد كان من خطة الخليفة أبي العباس أن يعود شرف القبض على ابن هبيرة لواحد من أهل بيته ، فبعث أخاه المنصور إلى واسط بعدما كتب للحسن بن قحطبة يقول مجاملا:" إن العسكر عسكرك ، و القوّاد قوّادك ، ولكن أحببتُ أن يكون أخي حاضرا ،

---

(1) يذكر المسعودي ،مروج الذهب،ج 3 ص 261 وما بعدها،أن خادما للخليفة مروان بن محمد قال للقائد عامر بن إسماعيل حينما أراد قتله :" إنكم والله إن قتلتموني ليفقدن ميراث رسول الله (ﷺ) هلموا فاتبعوني " ففعلوا ، فأخرجهم من القرية إلى موضع رمل وقال :" اكشفوا هنا " ، فكشفوا ، فإذا ببردة وقضيب الرسول (ﷺ) كان قد دفنهما مروان لئلا تصير إلى بني هاشم ".

(2) الذهبي ، العبر،ج 1 ص 172.

(3) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ج 2 ص 428 .

(4) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 121.

(5) الطبري ، نفس المصدر،ج 9 ص 134 • ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 439.

(6) الطبري، نفسه ج 9 ص 144 • ابن الأثير ، نفس المصدر،ج 5 ص 440 .

(7) الطبري ، نفسه • ابن الأثير ،نفسه • فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ،531.

فأسمع له وأطع وأحسن مؤازرته [1] " فتنازل الحسن لأوامر الخليفة وترك خيمته للمنصور وجعل له حرّاسا يرأسهم عثمان بن نَهِيك واستمر في تدبير أمور عسكره مثلما كان من قبل .[2]

كان إسماعيل بن عبد الله القسري هو أوّل من جاء بخبر موت الخليفة مروان ابن محمد لابن هبيرة قائلا : " عَلَامَ تَقْتُلُونَ أنفسَكم وقد قُتِل مروان " [3] ولما كان الحصار قد أضر بأهل المدينة بعث ابنُ هبيرة إلى المنصورِ يطلب منه الصّلحَ على أن يصله أمانٌ رسميٌّ من الخليفة[4] فصاغ المنصور الكتاب وبعثه إلى ابن هبيرة الذي مكث يشاور فيه العلماء أربعين يوما حتى رضي به فأنفذه المنصور إلى أبي العباس وختمه [5].

لقد انفرد ابن قتيبة[6] من بين كل المؤرخين القدامى الذين كنا قد أطلعنا على مصنفاتهم بعرض النص الكامل لكتاب أمان ابن هبيرة الذي من بين ما جاء فيه " بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من عبد الله بن محمد بن على أبي جعفر، وَليّ أمر جيش المسلمين ، ليزيد بن عمر بن هبيرة ومن معه من أهل الشام والعراق وغيرهم في مدينة واسط وأراضيها من المسلمين والمعاهدين ، إني أمنتكم بأمان الله الذي لا إله إلا هو الذي يعلم سرائر العباد ، ويعلم ما تُخفي الصدور ، وإليه الأمر كله ، أمانا صادقا لا يشوبه غش ،ولا يخالطه باطل ، على أنفسكم وذراريكم وأموالكم ، وأعطيت يزيد بن هبيرة ، ومن أمنته في أعلى كتابي هذا الوفاء بما جعلتُ لهم من عهد الله وميثاقه الذي واثق به الأمم الماضية من

---

(1) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 449 • ابن قتيبة ، الإمامة والسّياسة،ج 2 ص 221 .

(2) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 449.

(3) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 144 • ابن الأثير ، نفس المصدر،ج 5 ص 440 .

(4) يذكر أن يزيد بن عمر بن هبيرة بعث إلى محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي ابن أبي طالب يعلن طاعته ومناصرته أثناء الحصار ولما لم يردّ عليه بادر بطلب الصلح من آل عباس • الطبري ، نفس المصدر والصفحة • ابن الأثير ، نفسه • ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة،ج 2 ص 221.

(5) الطبري ، نفسه • ابن الأثير ،نفسه •ابن قتيبة ، نفس المصدر والصفحة • أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي،ج 3 ص 56.

(6) نفسه،ج 2 ص 223 وما بعدها .

خلقه ،وأخذ عليهم به أمره ، عهدا خالصا مؤكدا ،وذمة الله وذمة محمد ، ومن مضى من خلفائه الصالحين ،وأسلافه الطيبين (...) إن عبد الله بن محمد — أي المنصور نفسه — إن نقض ما جعل لكم في أمانكم هذا ، فنكث أو غدر بكم ، أو خالف إلى أمر تكرهه . أو تابع على خلافة أحد من المخلوقين في سر أو علانية ، أو أضمر لك في نفسه غير ما ظهر لك ، أو أدخل عليك شيئا في أمانه ، وما ذكره من تسليم أمر المؤمنين ، التماس الخديعة والمكر بك ، وإدخال المكروه عليك ، أو نوى غير ما جعل لك من الوفاء به ، فَلَا قَبِلَ اللهُ منه صرفا ولا عدلا ، وهو بريء من محمد بن علي ، وهو يخلع أمير المؤمنين ،ويتبرّأ من طاعته ، وعليه ثلاثون حَجّة يمشيها من موضعه الذي هو به من مدينة واسط إلى بيت الله الحرام الذي بمكة حافيا راجلا ، وكل مملوك يملكه من اليوم إلى ثلاثين حجّة [–سنة–] بشراء أو هبة أحرار لوجه الله ،وكل امرأة له طالق ثلاثا ، وكل ما يملكه من ذهب أو فضه أو متاع أو دابة أو غير ذلك فهو صدقه على المساكين ،وهو يَكْفُرُ بالله وبكتابه المنزّل على نبيّه ، والله عليه فيما وكّد وجعل على نفسه في هذه الأيمان راعيًا وكفيلا وكفي بالله شهيدا"[1].

إذن ، لقد كان كتاب الأمان الذي ذكرنا أهم معالمه قويا ولا يَحْتَوِي على أية ثغرة للغدر أو الكذب أو عدم الوفاء لذلك وثق به يزيد بن عمر بن هبيرة ،[2] وإن كان ابن قتيبة[3] قد انفرد بالقول " إن ابن هبيرة وأصحابه ترددوا فيه أربعين يوما يتدبرونه ، ويستخيرون الله في الخروج إليهم ."

لقد فتح ابن هبيرة باب مدينة واسط وخرج إلى أبي جعفر في ألف وثلمائة رجل [4] وأراد أن يدخل على دابته ، لكن حاجب المنصور منعه من ذلك مهددا إياه بشيء من

(1) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة،ج 2 ص 226.

(2) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 144 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج5 ص 441 .

(3) الإمامة والسياسة ، ج 2 ص 227.

(4) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 144 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 441 ، ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة،ج 2 ص 227 .

الاحترام : " مرحبا بك يا أبا خالد ، انزل راشداً ! وقد أطاف بحجرة المنصور عشرة آلاف من أهل خراسان " [1] فنزل ودخل مع مجموعة من القواد ينتظر أمر الأمير بالدخول الذي أذن له بذلك وحده دون رفقائه . فدخل عليه وحدثه ساعة ثم خرج وظلّ يتردّد عليه يومًا بعد يوم في خمسمائة فارس وثلثمائة راجل [2] ، فقيل لأبي جعفر :" إن ابن هبيرة ليأتي فيتضعضع له العسكر وما نقص من سلطانه شيء" فأمره أبو جعفر أن لا يأتي إلا في حاشيته [3] ، " فكان يأتي في ثلاثين ، ثم صار يأتي في ثلاثة أو أربعة "[4].

نفهم من الطبري[5] وابن الأثير[6] وابن قتيبة [7] أن المنصور كان يريد الوفاء دائما بوعده لِا بْنِ هُبَيْرَة ، لكن الخليفة أبا العباس أمره بقتله ضاغطا"[8] بعدما استشار أبا مسلم الخراساني في الأمر ورد عليه : " إن الطريق السهل إذا ألقيت فيه حجارة فسد ، لا والله لا يصح طريق فيه ابن هبيرة "[9] وحسب ابن قتيبة [10] أن قواد المنصور شاركوا في

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج 9 ص 144 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 441 ، ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة،ج 2 ص 227 وما بعدها .

(2) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 145 ، ابن الأثير ،نفس المصدر والصفحة،ابن قتيبة ، نفس المصدر والصفحة،[ابن قتيبة يعكس الرّقم ويقول :" ثلاث مائة فارس وخمس مائة راجل "] .

(3) قال حاجب المنصور لا بن هُبَيرة : " يقول لك الأمير ما هذه الجماعة ؟ لا تسيرن إلا في حاشيتك ، كأنك إنما تأتينا مباهيا " فقال ابن هبيرة إن أحببتم أن نمشي إليكم فعلنا ."،ابن قتيبة،نفسه،ج 9 ص 229 .

(4) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج 9 ص 145 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 441 .

(5) نفس المصدر و الصفحة .

(6) الكامل في التاريخ ، ج 5 ص 441 .

(7) الإمامة والسياسة ج 2 ص 227.

(8) كتب أبو العباس إلى المنصور : " أن اقتل ابن هبيرة " فرادّه أبو جعفر بالكتاب فكتب إليه أبو العباس : " والله لتقتلنه أو لأبعثن إليك من يخرجه من عندك ، ويتولى ذلك عليك "،ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة،ج 2 ص 228 .

(9) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 145 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج 5 ص 441 .

(10) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة،ج 2 ص 228.

تحريضه على قتل ابن هبيرة مستعجلين التنفيذ حيث كانوا يقولون له في كل حين :" ما تنتظر به " .

في هذه الظروف حدث أن سَهَا ابن هبيرة في مجلس الأمير المنصور و كلمه قائلا :" يا هناه أو يا أيها المرء" ومع أنه اعتذر له كثيرا قائلا : أيها الأمير إن عهدي بكلام الناس بمثل ما خاطبتك به لقريب فسبقني لساني إلى ما لم أُرِدْه "[1] إلا أن الأمير لم يغفر له ، أبدا ووجد في ذلك على — ما يبدو — السبب الذي يبرر قتله .

بعث أبو جعفر مَنْ خَتَم بيوت المال في واسط ، ثم بعث إلى وجوه مَنْ مع ابن هبيرة من المضرية فأحضرهم ، فأقبل محمد بن نباتة ، وحوثرة بن سهيل في إثنين وعشرين رجلا فخرج حاجب أبي جعفر ،واستدعى ابن نباتة وحوثرة فأُدخلا حجرة دون حجرة أبي جعفر ، وبها ثلاثة من خواص المنصور ومائة من رجاله . فلما دخل ابن نباتة وحوثرة نزعت سيوفهما وكُتِّفَا ، ثم أُدْخِلَ بعدهما إثنان و فعل بهما كذلك ،وهكذا إلى أن نزعت سيوف الجميع وكُتِّفوا فقال بعضهم : " أعطيتمونا الأمان ثم خُنْتُم ، إنّا لنرجو أن يدمّركم الله " وقال ابن نباتة " :كأني كنت أنظر إلى هذا" ثم قُتِل الجميع وأُخذت خواتمهم .[2].

أرسل المنصور القادة خازم بن خزيمة والهيثم بن شعبة والأغلب بن سالم في نحو من مائة من أشداء رجاله إلى ابن هبيرة بحجة أنهم يريدون نقل خزائن بيت المال فقال ابن هبيرة لحاجبه :" انطلق فدلهم عليها " ، ولكنهم بدلا من أن يأخذوها بدأوا ينظرون هنا وهناك ليطمئنوا أنه ليست هناك قوة تدافع عن ابن هبيرة ، فأنكر ابن هبيرة ذلك وقال : "أقسِم بالله أن في وجوه القوم لشرًّا"[3] وكان معه ابنه داود وكاتبه عمر بن أيوب ، وحاجبه، وعدّة من مواليه ، وابن له صغير في حجره ، ولما أقبلوا نحوه قام حاجبه في

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 145 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 441 .

(2) الطبري ، نفس المصدر والصفحة،ابن الأثير ، نفس المصدر والصفحة ، أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج 3 ص 59.

(3) الطبري ، نفسه .

وجوههم، فضربه الهيثم بن شعبة على حبل عاتقه فصرعه ، وقاتل ابنه داود فَقُتِل ،وقاتل الموالي حتى قُتِلوا ، فنحّى ابن هبيرة الصبيّ من حجره وقال : " دونكم هذا الصبي "[1] وخرّ ساجدا ، فقُتل وهو ساجد ،ومضوا برؤسهم إلى أبي جعفر [2]

لقد انتهت فلول الأمويين بمقتل يزيد بن عمر بن هبيرة ،ويجب أن نقول إن قتله كان حتمية لا يمكن للدولة الناشئة بأي حال من الأحوال أن تتغاضى عنها فلم يكن الخليفة أبو العباس يحتاج إلى تحريض من أبي مسلم الخراساني ،ولم يكن أبو جعفر أيضا يحتاج إلى تحريض من قادته . فقد اعتادا و آل العباس كلهم على أن لا يغفروا زلات الأمويين ومعاونيهم ، بل وزلاّت ذويهم من آل العبّاس أنفسهم [3] فكتاب الأمان برغم ما حمله من وعود وعهود وقسم لم يكن سوى طُعّم لاصطياد ابن هبيرة .

مع أن سقوط الدوّلة الأموية أصبح أمراً واقعيا وأصبح ثبات الدولة العباسية قائما ،إلا أن حكامها آثروا أن يتخلصوا نهائيا من " شر الأسرة الأموية "[4] وأتباعها نهائيا حتى لا تتهيأ لهم فرصة الظهور من جديد .

كان المسرح الأكبر للفظائع التي ارتكبها العباسيون مع بني أمية هو بلاد الشام ذلك

---

(1) الطبري، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 145.

(2) الطبري ، نفس المصدر،9 ص 136 ، ابن الأثير ،الكامل في التاريخ،ج 4 ص 442.ابن قتيبة،الإمامة والسياسة، ج 2 ص 230 .

(3) لقد خرج عبد الله بن علي عن طاعة أبن أخيه المنصور وبايع لنفسه بالخلافة في مدينة حران معتمدا على الجيش الذي كان تحت قيادته والذي كان قد أعد لغزو بلاد الروم . مدعيا أن الخليفة أبا العباس قد أقامه وليا لعهده حينما أرسله لقتال مروان بن محمد ، فبعث له المنصور أبا مسلم الخراساني الذي تمكن من التغلب على عبد الله بعد ستة أشهر من الحرب ، فهرب عبد الله إلى أخيه سليمان والي البصرة ، لكن المنصور تسلمه بعدما كتب له أمانا ، لم يوف به ، فقد سجنه ثم تخلصّ منه.الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 156 و 157 و 172 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 464 و 465 و 496.

(4) فلهوزن ،تاريخ الدّولة العربية،ص 522.

لأنها ظلت دائما تموج بأنصارهم وذويهم[1] ولمّا كان آل أمية قد عاملوا بني العباس بكرم وعفو ، استعار آل العباس شيئا من أسباب الثأر التي كانت عند العلويين وظهروا بمظهر الثائرين لهم .[2]

لقد اسْتَدرَجَ عبدُ اللهِ بنُ عَلِيّ عندما كان بأبي فطرس نحو تسعين رجلا من بني أمية إلى حفل طعام أدعى أنه سيقسم فيه الجوائز والعطايا إحتفاء بنشوء الدولة الجديدة ولما حضروا أمر أتباعه بشدخ رؤوسهم بأعمدة من الحطب الثقيل ولما صُرعوا أمر ببسط الأنْطاع[3] عليهم ،وجلس عليهم يأكل الطعام وهو يسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعاً .[4]

نكاد نفهم من ابن الأثير أن عبد الله بن علي ما كان ينوي الإطاحة بهؤلاء الأمويين الذين هزمهم لولا أن شاعرا من موالي آل هاشم إسمه شبل بن عبد الله دخل عليه أثناء الطعام وحرّضه [بقصيدة طويلة [5]] على الثأر لمقتل العلويّين والإمام إبراهيم لكن الواقع يؤكد أن النّيّة كانت مبيّتة وأن عبد الله ما كان يحتاج أبدا لمن يحرضه على قتل آل أمية ،

---

(1) أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي،ج 3 ص 72.

(2) فلهوزن ،تاريخ الدّولة العربية،ص 522.

(3) الأنطاع مفردها النّطعُ : وهو بساط من الجلد كثيرا ما كان يقتل فوقه المحكوم عليه بالقتل ، يُقال : عليّ بالسف والنطع ،وكسا بيت الله بالأنطاع (جمع) أنطاعُ ،ونطوع وأنطع ، مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، ج 2 ص 930 .

(4) ابن الأثير،الكامل في التاريخ،ج 5 ص 430 • البلاذري ، أنساب الأشراف،قسم 3 ص 103 و 104. فلهوزن، تاريخ الدولة العربية،ص 523 و 524 • أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي،ج 3 ص 72.

(5) منها :

أصْبَح المُلْكُ ثَـابتَ الأَسَاس   بَالبَهَاليل مِنْ بَني العَبَّاس
طلَبُوا وَتْرَ هَاشـم فَـشَفَوها   بَعْدَ مَيْل مِنَ الزَّمَانِ وَيَاس
وأذْكروا مصْرَعَ الحُسَيْن وزيداً   وقتيلا بجانب المِهْرَاس
و القَتِيلُ الذِي بحرّان اضْحَى   ثَاوِيًا بَيْنَ غُرْبَةٍ وَتَنَاس

ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 430.

بل إنه كان يختار في ذلك أساليب أسطورية ومسرحية أيضا.أما الطبري[1] ولميوله العباسية[2] فلم يتحدث عن هذه الحادثة إلا مرورا قائلا: " قتل عبد الله بن علي من قتل بنهر أبي فطرس من بني أمية وكانوا اثنين وسبعين "، ويشاركه المسعودي[3] أيضا في طريقته لنقل هذا الحادث محدداً العدد بثمانين رجلا والزمان بيوم الأربعاء للنصف من ذي القعدة سنة (750/132م).

لقد كانت البصرة أيضا مقبرة للأمويين ،حيث قام واليها العباسي سليمان بن علي ابن عبد الله بن عباس بتتبع أثر كل الأمويين وقتلهم ، فيذكر أنه من بين ما قتل جماعة من بني أمية " عليهم الثياب الموشية المرتفعة وأمر بهم فجروا بأرجلهم فألقوا على الطريق فأكلتهم الكلاب "[4].

أمّا في الموصل فقد حدث مايَتَعجّب له كل عاقل ، فلَمْ يكتفِ عاملها إبراهيم ابن يحيى العباسي ابن أخ أبي العباس بإبادة ما فيها من الأمويين وحلفائهم بل إنّه أباد ديوكهم وكلابهم أيضا.[5]

لقد شارك الخليفة أبو العبّاس نفسُه في هذه المجازر حيث كان يأمر بقتل كل مَنْ يُحْمَل إليه من بني أمية أو مَنْ يأتيه منهم طالبا للأمان ، بل إنه قتل الأمير سليمان بن هشام بن عبد الملك الذي وقف مع آل العباس ضدّ ابن عمه مروان بن محمد ، وساعدهم في قيام دولتهم [6] .

ويا ليت الأمر كان قد توقف على القتل والتنكيل بأحياء بني أميّة وأتباعهم بل لقد أمر عبد الله بن عليّ بنبش قور خلفائهم " فنبش قبر معاوية بن أبي سفيان، فلم يجدوا فيه

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 137 .

(2) محمد ما هر حمادة ، الوثائق السياسية والإدارية،ص 16 .

(3) مروج الذهب ، ج 3 ص : 621.

(4) ابن الأثير،الكامل في التاريخ ،ج 5 ص 431 ، أحمد شلبي موسوعة التاريخ الإسلامي،ج 3 ص 71.

(5) ابن أبي حزم،جمهرة أنساب العرب ، ص 21.

(6) ابن الأثير،نفس المصدر والصفحة .

إلا خيطا مثل الهباء[1] ونبش قبر يزيد بن معاوية بن أبي سفيان فوجدوا فيه حطاما كأنه الرماد ،ونبش قبر عبد الملك بن مروان فوجدوا جمجمته،وكأن لا يوجد في القبر إلا العضو بعد العضو ، غير هشام بن عبد الملك[2] فإنه وجد صحيحا لم يبل منه إلا أرنبة أنفه ، فضربه بالسياط وصلبه وحرّقه وذراه في الريح.[3]

إذن ، لقد أحْسَنَ آل العباس التعبير عن كرْهِهم الشّديد لآل أميّة وبرغم ذلك انفلت من بين أيدهم عبد الرحمان[4] الداخل الذي تمكّن من الوصول إلى الأندلس وإحياء الدّولة الأموية بها .

لقد أشاد الكثير من المؤرخين[5] المُحَدَثين بالدور الذي قام به أبو مسلم الخراساني في إنجاح الدعوة العباسية في خراسان واعتبروه البطل الحقيقي الذي أسقط الدّولة الأموية

---

(1) الهبَاء هو التّراب الذي تطيره الريح ويلزق بالأشياء ، أو ينبث في الهواء فلا يبدو إلاّ في ضوء الشمس،مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط،ج 2 ص 971.

(2) لم تَبْلَ جُثّة هشام لأنه " طلي بالزئبق والكافور وماء الفُوَّة ".البلاذري،أنساب الأشراف،قسم 3 ص 104، والفُوَّة هو عشب معمر ينبت في شواطىء البحر المتوسط تعرف بفوّة الصباغين ، يستخرج منها مادة لصنع الحرير والصوف ، مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط،ج 2 ص 707.

(3) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 430.ابن طباطبا ، الفخري في الآداب السّلطانية،ص 120.

(4) هو عبد الرحمان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ، مؤسس دولة الخلافة الأموية بالأندلس ، ينعت بصقر قريش، ولد عام (113 هـ / 731 م) بقرية " دير خنان " بالقرب من قنسرين من أم بربريّة تدعى راح ، توفي أبوه شابا إبان خلافة جده هشام الذي كفله وعند سقوط الدّولة الأموية تمكن من الهروب من العباسييّن حتى بلغ المغرب حيث دعمته قبيلة " نفزاوة " البربرية (أهل أمّة) فكاتب حلفاء بني أمية بالأندلس فأجابوه وسيروا إليه مركبا فيه جماعة من كبارهم ، الذين بايعوه وحملوه معهم إلى الأندلس حيث أقام خلافة أموية فيها ، توفى في (172 هـ / 788 م)،أحمد عطية الله،القاموس الإسلامي،ج 2 ص 316 ، الزركلي ، الأعلام،ج 4 ص 112 ، عبادة عبد الرّحمن كحيلة ، صقر قريش عبد الرحمن الدّاخل تقديم محمد عبد الغني حسن،دار الكاتب العربي للطباعة والنشر،مصر 1968 ، ص 27 وما بعدها .

(5) شوقي ضيف ، العصر العباسي،ص 11 ، أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي،ج 3 ص 99 ، حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشّريف ، العالم الإسلامي في العصر العبّاسي ، ص 40 ، بدر عبد الرحمن محمد، الدّولة العباسية ص18 و 19 ، محمد زكي العشماوي ،موقف الشعر من الفن والحياة ، ص 24 ، برتولد أشپولر، تاريخ ايران در قرون تحتين اسلامي،ص 63 ، ژنرال سريرسى سايكس ، تاريخ إيران،ص 772 .

وأنشأ الأسس الأولى للدولة العباسية. فهو كما يرى أحمد شلبي[1] " داهية من دهاة السياسة، فوق شجاعته ونبوغة في الحروب وميادين القتال وحنكته السياسية ومقدرته على حياكة المؤامرات والدسائس " وهو – أيْضا– وكما يرى العشماوي :" من أبطال الحرب والسياسة ، شديد الإخلاص للعباسيين مسرفا في خدمتهم ، كثير الدهاء واسع الحيلة خبيرا بما يقتضي عمله من الحزم والقسوة فلا تعرف الرحمةُ قَلْبَهُ ولا يتناول الأمور إلاّ بالحزم والبأس الشديد." وهو أيضا وكما يرى شوقي ضيف " من دهاة الرجال ومن أكفئهم في النهوض بجلائل الأعمال ."

والواقع ، إن هؤلاء المؤرخين لم يدركوا أن أبا مسلم الخراساني لم يدخل خراسان إلا في سنة (128هـ / 745م) بعد أن كانت الدعوة العباسية قد بلغت أكثر من 27 سنة في الإقليم حملها دعاة ونقباء كثيرون قبله اجتهدوا جميعا وغرسوا غرسا [2] وكادوا أن يقطفوا الثّمار ، وهذا ما تنبه إليه المؤرخ عبد العزيز الدوري [3] حيث قال : " وهم ينسبون قيام الدولة العباسية إلى جهود أبي مسلم الخراساني وإلى عبقريته ، في حين أن الدعوة العباسية كانت قد ثبتت منذ زمن يزيد على ربع قرن قبل مجيء أبي مسلم ،وقد وضعت أسسها وأساليبها ومبادئها قبله ولم يُرْسَل أَبُو مُسْلم إلا بعد أن ثبتت وبلغت غاية خطورتها ، وأصبحت الحاجة ظاهرة للخروج بالدعوة من طورها السلمي السّرّي إلى الثورة العلنية ".

ويجب أن نذكر هنا أن أبا مسلم ما كان أبدا تلك الشخصية العبقرية الخارقة للعادة التي انبهر بها إبراهيم الإمام وأُعجب ، فإبراهيم الإمام لم يفكّر فيه إلا بعدما عرض الأمر على رجالات من آل بيته ومن أعيان العرب ولم يوافقوه [4]، بل إنه ظل دائما يراه دون الأمر الذي خول له.فجعله دائما تحت إمرة سليمان بن كثير الخزاعي ،الذي كان قد عرض

(1) أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي،ج 3 ص 99.

(2) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي،ج 2 ص 308 ، البلخي ، البدء والتاريخ،ج 6 ص 59.

(3) مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ص 18.

(4) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 76 ، ابن الأثير ،الكامل في التاريخ،ج 5 ص 348 ، رمزية الأطرقجي، الحياة الاجتماعية في بغداد،ص 93.

عليه الأمر لكنه رفض لكبر سنه.[1] ونستطيع أن نقول هنا : إن إبراهيم جعل سليمان العقلَ والحكمةَ، وجعل أبَا مسلمٍ ،الجسدَ المتَحرّكَ والمنفّذَ ، بل إن سليمان نفسه لم يكن مقتنعًا بأبي مسلم فقد كاتب أبا سلمة الخلّال القائم بالدعوة في الكوفة عند بداية فتن العصبية القبلية في سنة (129 هـ / 746م) " يسأله أن يكتب إلى إبراهيم يسأله أن يُوجِّه رجلا من أهل بيته "[2] فكَاتَبَ إبراهيمُ الإمامُ أبَا مُسْلِمٍ يطلب منه الحضور وإحضار ما اجتمع عنده من أموال[3] لكنه لما لم يجد البديل ردّه على مهامه[4] إلى الحين الذي وجد ضالته في شخصية قحطبة بن شبيب فعقد له لواء يجعله، إلى مقدمة أبي مسلم ويجعل له القيادة والعزل والاستعمال[5] .

وما يمكن أن يقال هنا هو أن أبا مسلم كان الدّاعية الأكثر والأكبر حظا من بين كل الدّعاة العباسيين ، ذلك لأنّ عهده تصادف مع عهد انفجار الفتن والمعارضات العربية في إقليم خراسان والأقاليم التابعة له التي أنهكت الوالي نصر بن سيار وجعلته لا يهتم إلا بالقضاء عليها . فأبو مسلم الخراساني لم يكن ذلك السياسي المحنّك الذي يصنع التاريخ ، فالمصادر الإسلامية الأساسية لم تذكر عنه شيئا ميّزه عن بقية الدعاة العباسيين الذين دخلوا الإقليم قبله . بل إنها لا تكاد تذكر عنه شيئا طيلة السنة الكاملة التي أقامها في خراسان قبل إعلان الدعوة جهرا . كما يمكن القول : إنه لم يكن بقدرته أن يقرّر شيئا في مسار الدعوة ، فقد جعل إبراهيم الإمام الإمرة والقرار تحت الشيخ سليمان بن كثير الخزاعي[6]،

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 76 .

(2) الطبري ، نفس المصدر و الصفحة،ج 9 ص 82.ابن الأثير ،الكامل في التاريخ،ج 5 ص 356 ، ابن كثير البداية والنهاية،ج 10 ص 30.

(3) الطبري ، نفسه،ج 9 ص 82 و 88 .

(4) الطبري ، نفسه،ج 9 ص 82 و83 ، ابن الأثير ،الكامل في التاريخ،ج 5 ص 357.

(5) الطبري ، نفسه ، ج 9 ص 104 ، ابن الأثير ، نفس المصدر،ج 5 ص 385 ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي،ج 2 ص 343.بطرس البستاني معارك العرب ، ص 88 ، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية،ص 509 .

(6) الطبري ، نفسه،ج 9 ص 76 ، ابن الأثير ، نفسه،ج 5 ص 348 ، رمزية الأطرقجي،الحياة السياسية في بغداد،ص 93.

الذي كان دائم الإتصال به ، ورأينا أن قرار الجهر بالدعوة كان من إبراهيم الإمام نفسه[1] وأن المنهج الذي اتبعه في السير بالدعوة العباسية كان مرسوما في الوصية التي قدمها له إبراهيم الإمام [2] و التي سبق أن عرضناها .

وما يثير الدهشة هنا هو كيف عُظّم أبو مسلم الخراساني هذه العظمة ولم ينظر إلى قحطبة بن شبيب نظرة احترام يستحقها مع أنه كان بطلا حقيقيا أبلي بلاء حسنا في سبيل قيام الدولة العباسية ودفع حياته ثمنا لذلك .[3]

يذكر بعض المؤرخين[4] أن الدعوة العباسية قامت على أكتاف الفرس مع أنّ هويّتها كانت عربية . فالمدبر الأول للأمرهم بنو العباس ؛ محمد بن علي أوّلا ثم إبراهيم بن محمد ثانيا وفي آخر الأمر أبو العباس مع الإعتماد على عدد كبير من الإخوة والأعمام والأقارب اشتركوا جميعا في تنظيم الثورة ووضعوا خططها وأشرفوا عليها ووجهوها كما يجب أن تُوَجَّه.[5] وقد عبرت وصية إبراهيم الإمام التي أوصى بها أبا مسلم الخراساني أنّ هدف الدّعوة هم عرب خراسان ،وبخاصة منهم اليمنيون ،حيث جاء فيها :"...وأنظر هذا الحيّ من اليمن فأكرمهم وحلّ بين أظهرهم فإن الله لا يُتِمّ هذا الأمر إلاّ بهم ،وانظر هذا الحي من ربيعة فاتهمهم في أمرهم وانظر هذا الحي من مضر فإنهم العدوّ القريب الدّار فاقتل من شككت في أمره ومن كان في أمره شبهة ومن وقع في نفسك منه شيء..."[6] ذلك لأن

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم و الملوك ، ج 9 ص 83.

(2) الطبري ،تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 76 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 348 ، المقريزي ، النّزاع والتخاصم فيما بين بني أميّة وبني هاشم،ص 95 و 96 ، ابن قتيبة،الإمامة والسياسة،ج 2 ص 201 .

(3) الطبري ، نفس المصدر ، ج 9 ص 119 ، ابن الأثير ، نفس المصدر، 5 ص 404 .

(4) الخربوطلي ، تاريخ العراق،ص 186 وما بعدها ، حسن أحمد محمود ، الإسلام والحضارة العربية،ص 46، حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف ، العالم الإسلامي في العصر العباسي،ص 22.

(5) يوسف العش ، محاضرات في تاريخ الخلافة العباسية،ص 16 والدولة الأموية والأحداث،ص 316.

(6) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 76 ، ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ، ج 5 ص 348 .

اليمنيين كانوا متذمرين من آل أميّة لأنهم قتلوا بعض أعيانهم وجعلوا خراسان في أغلب العصر الأموي تحت ولآة مضريين .

لقد ركزت الدّعوة العباسية منذ بدايتها في خراسان على المدن التي كان يكثر فيها استقرار العرب ، بل وعلى الحاميات العسكرية العربية أيضا[1] ذلك لأن العباسيين أدركوا " أن العنصر العربي — في خراسان — هو القوة الضَّارِبَة الرئيسية التي يجب كسبها إذا ما أريد للثورة العباسية أن تنجح "[2] فالمصادر الإسلامية الأساسية [3] تشهد أن أتباع الدعوة العباسية الأوائل كانوا عرباً ينتسبون إلى خزاعة وَطيّء وتميم وبكر بن وائل اختار منهم الداعي أبو عكرمة ثمانية نقباء وأضاف إليهم أربعة من مواليهم [4] تأكيدًا لشعار العدل والمساواة بين العرب والموالي الذي كانت تنادي به الدعوة العباسية ،وإن كانت بعض الدراسات الحديثة[5] تجزم أن النقباء الإثنى عشر الذين اختارهم أبو عكرمة كان منهم نقيب واحد غير عربي وهو من موالي بني الحنفية .[6]

وما يؤكد الهُوِيّة العربية للدعوة العباسية هو أن كل الدعاة الذين اختارهم آل العبّاس

---

(1) فاروق عمر ، العباسيون الأوائل ، بيروت (دت)،ج 1 ص 55 ، رمزية الأطرقجي ، الحياة الاجتماعية في بغداد،ص 121 .

(2) فاروق عمر ، بحوث في التاريخ العباسي،ص 43.

(3) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج9 ص 98 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج 5 ص 53 و 54 و 380 ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج 9 ص 189 ، البلاذري ، أنساب الأشراف ، قسم 3ص 115و 116،مجهول ، أخبار الدّولة العباسية ، ص 216 و 217.

(4) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 98 ، ابن الأثير،الكامل في التاريخ،ج 5 ص 53 ، ابن كثير البداية والنهاية،ج 9 ص 189.

(5) فاروق عمر ، بحوث في التاريخ العباسي ، دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد 1977 م ص 43 ، رمزية الأطرقجي ، الحياة الاجتماعية في بغداد،ص 93 و 121 .

(6) هو شبل بن طهمان أبو علي الهروي ، الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 98 .

للإشراف على دعوتهم في خراسان لمدة تزيد عن ثلاثين سنة كانوا من أشراف العرب اللهم إلا أبو مسلم الخراساني الذي لم يختره إبراهيم الإمام — كما رأينا — إلا مضطرا ، فقد كان قد عرض الأمر على بعض أشراف العرب ولم يَلْقَ قَبُولاً منهم .[1]

لم يرض النقباء والأنصار بأبي مسلم عندما وفد إليهم على الرغم من أنه كان يحمل معه كتابا رسميا من إمامهم جاء فيه " إني قد أمرته بأمري فاسمعوا منه ، وأقبلوا قوله فإني قد أمرته على خراسان و ما غلب عليه بعد ذلك"[2] فاضطر للعودة إلى إمامه الذي أدرك أن اختيـــــاره لداع فارسي كان مغامرة ، فخاف من إثارة مشاعر النقباء والأنصار الذين كانوا بالتأكيد- جلّهم وإن لم نقل كلهم — عربا وإلاّ لما حدث هذا الرفض القاطع ، فقرر أن يجعل الإمارة للشيخ سليمان بن كثير الخزاعي[3]، الذي ظل يطالب دائما بضرورة وجود داع عربي وبخاصة عندما اندلعت المعارضات العربية في خراسان في سنة (129هـ / 746م)[4] بل إن الإمام نفسه ظل يبحث عن الشخصية العربية المناسبة حتى وجدها في النقيب قحطبة بن شبيب .[5]

ونقول هنا مستدركين أن الكثير من الدّعاة العباسيّين انتسبوا إلى المدن الخراسانية التي عاشوا [6] فيها أو عُرِفوا بأسماء فارسية كالدّاعي أبي عكرمة الصّادق الذي غدا اسمه ، مَا هَان[7] ، لذا ، اُعْتُبِروا خطأً مِنَ المَوالي الفُرْس .

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج 9 ص 76 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج 5 ص 348 ، رمزية الأطرقجي ، الحياة الاجتماعية في بغداد،ص 93.

(2) الطبري ، نفس المصدر والصفحة ، ابن الأثير ، نفس المصدر والصفحة ، الدينوري،الأخبار الطوال،ص 343 .

(3) الطبري ، نفسه ، ابن الأثير ، نفسه .

(4) الطبري ، نفسه،ج 9 ص 82 ،ابن الأثير ،نفسه ، ج 5 ص 356 ، ابن كثير ، البداية والنهاية،ج 10 ص 30.

(5) الطبري ، نفسه ، ج 9 ص 104 ، ابن الأثير ،نفسه،ج 5 ص 385 ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي،ج 2 ص 343.

(6) فاروق عمر ، بحوث في التاريخ العباسي ، ص 43 ، رمزية الأطرقجي ، الحياة الاجتماعية في بغداد،ص 93.

(7) أحمد علبي ، العهد السري للدعوة العباسية،ص 109.

لم تكن الثورة العباسية ثورة فارسية بل ثورة عربية — كما رأينا — أنظم إليها العرب أولا ثم جلبوا إليها أعدادا من مواليهم الفرس[1] أما من اعتُبِروا فرسا فما كانوا سوى عبيد انجذبوا إلى الدعوة بعدما أعلن أبو مسلم الخراساني " أيُّما عبد أتانا راغبا في أمرنا قبلناه وكان له ما لنا وعليه ما علينا "[2].

لقد كان عدد العبيد الذين انظموا إلى أبي مسلم عظيما جداً يكفي التعبير عنه أنه بَنَي لهم خندقا خاصا بعيدا عن خندق الأحرار في قرية شوال .[3] ويظهر أن بعض المؤرخين[4] اعتبروا هذا الخندق خندقا للموالي الأحرار فذكروا أن : " أكثر من انظم إلى أبي مسلم كانوا من الموالي المزارعين "، لإثبات مدى قهر آل أمية لهذه الطبقة متجاهلين أن أغلبية العرب في نهاية الدولة الأموية صاروا مزارعين أيضا مما جعل البعض[5] يرى أن " أسباب انضمام العرب للدعوة العباسية كانت اقتصادية ، فقد قَلَّتِ العطايا بعد انتهاء الغزوات مما اضطرهم إلى الاهتمام بالزراعة " متجاهلين أن الغزوات لم تتوقف إلا عندما غلبت الفتن والمعارضات على الدّولة الأموية .

إذن ، لم تكن الثورة العباسية ثورة فارسية قومية كما يرى البعض .[6] وإن اعتبرنا ، فَرَضًا ، أن المحرّك الأساسي لها هم الفرس فقد قامت لإبْعَادِ آلِ أمية العرب ،و تنصيب آل العباس العرب ، أو آل محمد العرب أيضا وليس لإعادة دولة آل ساسان .

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 84 .

(2) عبد العزيز الدّوري ، ضوء جديد على الدعوة العباسية،ص 79.

(3) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 90.

(4) الخربوطلي ، تاريخ العراق،ص 186 ، عبد المنعم ماجد ، التاريخ السياسي،ص 327 ، بدر عبد الرحمن محمد ، الدّولة العبّاسية،ص 17 ، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية،ص 502 ، محمد مصطفى هدّارة ، اتجاهات الشعر العربي،ص 42 ، كارل بركلمان،تاريخ الشعوب الإسلامية،ص 167.

(5) عبد العزيز الدوري ، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام،ص 18،فاروق عمر ، الجذور التاريخية للوزارة العباسية،ص: 180.

(6) الدوري ، نفس المرجع ،ص 69 ، محمد مصطفى هدارة ، اتجاهات الشعر العربي،ص 42،حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف ،العالم الإسلامي في العصر العباسي ،ص 53. ينظر أيضا HUART =

ومهما يكن الأمر ، فإنه من السذاجة اعتبار سقوط خراسان في يد العباسيين السبب المباشر لسقوط الدولة الأموية الذي تحكّمت فيه عوامل كثيرة من أهمها :

1. ضياع قدسية وهيبة وشرعية الخلافة الأموية بمقتل الخليفة الوليد بن يزيد في سنة (126هـ / 743 م) الحدث الذي يراه الكثير من المؤرخين(1) العلامةَ الحقيقيةَ التي أذنَت بسقوط الدولة الأموية ، فلم يجتمع الناس كلهم على مبايعة يزيد بن الوليد بن عبد الملك – القاتل – بالخلافة وظلوا يعتبرونه مغتصبا لها – على الرغم من اجتهاده في كسبهم وفي تبرير فعلته – مما أنتج الكثير من المعارضات تطالب بدم الوليد ، أقام بعضها أهل الشام واقام البعض الآخر نفر من الأسرة الأموية نفسها الذي كان في طليعتهم مروان بن محمد .

2. كثرة المعارضات المستمرة التي أنهكت قوى الدولة الأموية والتي تعد معارضات العلوية والخوارج من أهمها .

أما آل علي فقد ظلوا دائما يعتبرون الخلافة حقّهم الشرعي الضائع وظلت نفوسهم طيلة العصر الأموي – وبعد – تَغْلي حِقْدا فقد كانوا دوما إما في ثورة ناطقة أو في ثورة صامتة ضد آل أمية .(2)

أما الخوارج فقد كان خطرهم أكبر من خطر العلويين وشيعتهم ،وذلك لأن أتباعهم

(c-l) HISTOIRE DES ARABES,LIBRAIRIE PAUL GEUTHNER. = PARIS 1912.VOL.1 p281.

(1) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج 10 ص 6 • ابن طباطبا ، الفخري في الآداب السلطانية،ص 113، ابن واصل الحموي ، تجريد الأغاني،قسم 1 ج 2 ص 835 • السيد أمير علي ، مختصر تاريخ العرب،ص 162 و 163 • نبيه عاقل ، دراسات في تاريخ العصر الأموي،ص 298 • نظير حسّان سعداوي ، الدّولة العربية الإسلامية،ص 209. أحمد شلبي،موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية،ج 2 الدولة الأموية والحركات الفكرية) ص 102 • إحسان النص ، العصبة القبلية،ص 325 يوسف العش • الدّولة الأموية والأحداث،ص 291. عبد الله مبشر الطرازي ، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية،ج 1 ص 247 و 248 • كارل برو كلمان تاريخ الشعوب الإسلامية،ص 162.

(2) محمد أسعد طليس ، تاريخ العرب،ج 1 ص 208 و 209.

كانوا أكثر[1]، يبادرون دائما ولا يتراجعون فدماؤهم كانت رخيصة في سبيل إبعاد الأمويين - المغتصبين - في نظرهم عن الخلافة التي يجب أن تكون حقا - " ديمقراطيا " - لكل رجل مسلم عاقل تتوفر فيه شروط الخلافة ، بعيدا عن آل هاشم بخاصة وقريش بعامّة .

تعد ثورة الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي التي اندلعت في سنة (127 هـ / 744 م) في القسم الشمالي من الجزيرة - التي كانت استمراراً لثورة سعيد بن بهدل الخارجي الذي أعلن ثورته منتهزًا الفوضى التي عمّت البلاد بعد مقتل الخليفة الوليد - أخطر ثورة خارجية عرفها العصر الأموي". وذلك لأنه استطاع أن يمتلك العراق ويفصلها فصلا عن التراب الأمويّ لمدة تزيد عن السنتين ، كما استطاع أن يجمع الكثير من الأنصار حتّى تجاوز عَدَدُ جيشه مئة ألف رجل. ولشدته بايعه أمير العراقيّن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والأمير الأموي سليمان بن هشام بن عبد الملك وصَلّيَا خلفه .

لقد تحايل الخليفة مروان بن محمد كثيرا من أجل القضاء على الضحاك وقرر في الأخير الخروج إليه بنفسه فالتقى به بنواحي كَفَّر تُوثًا من أعمال ماردين [2] وقتله [3].

3. شدة العصبية القبلية التي جعلت ربيعة واليمن تتحدان ضد الخلفاء الأمويين - المضريين - ورجالاتهم ، فالدعوة العباسية لم تنجح في خراسان إلا بفضل اليمن وربيعة كما أنا العراق والشام لم يسقطا في يد العباسيين بحدّ السيف ، بل بحدِّ العصبية القبلية وحدها التي كانت تعم كل التراب الأموي .

---

(1) ابن كثير ، البداية والنهاية،ج 10 ص 25 . أحمد علبي ، العهد السرّي للدعوة العباسية،ص 77.

(2) ماردين:مدينة من مدن الجزيرة وهي قلعة مشهورة على قنّة جبل الجزيرة مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين . كانت معقل أمراء بني حمدان . ياقوت الحموي / معجم البلدان ج 4 ص 390 . كي لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية،ص 125 .

(3) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،ج 9 ص 57 وما بعدها وص 76 . ابن الأثير الكامل في التاريخ،ج 5 ص 334 وما بعدها وص 348 . أحمد علبي ، العهد السرّي للدعوة العبّاسيّة،ص 77 . الزركلي ، الأعلام،ج 3 ص 309 و 310 .

إذن ، لم تسقط خراسان إلا نتيجة للأوضاع السّيئة التي كانت تعيشها الخلافة الأموية ،وهذا ما هيأ الظروف المناسبة للمعارضة العباسية ، في الإقليم ، لاجتثاثها.

يخرج الدّارس لفصول هذا البحث بمجموعة من الاستنتاجات تعكس واقع إقليم خراسان الجغرافي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي، في العصر الأموي، وما وقع فيه من معارضات أدّت إلى نجاح الدعوة العباسية فيه ، وتتمثل في النقاط التالية :

- لم تكن خراسان الأموية تحتل المساحة التي احتلتها في العصر السّاساني — التي كادت أن تحتلّ إيران السّاسانية كلهّا — بل لقد تقلصت مسّاحتها وأصبحت لا تتعدّى نهر جيحون في الشمال الشرقي ، وتضم مرتفعات ما وراء نهر هُراة ، وأمّا حدودها الإدارية فقد كانت واسعة ، في أغلب العصر الأموي ، حيث كانت تشرف على سِجِسْتَان وجُرْجان وطَبَرِسْتَان وقهستان ودهستان وخوارزم وإقليم ما وراء النهر ، الشيء الذي جعل الأمويين يُولُونَها أهمية قُصْوى ويُوَلُّونَ عليها خيرة الولاّة ، لأنها كانت أهم ثغْر إسلامي تنطلق منه أغلب الفتوحات نحو المشرق وتَحْمِي الخلافَة الأموية من أخطار عدوّ عنيد تمثل في الأتراك.
- لقد فُتِحَتْ خراسان صُلْحًا دون أن يلقَى الأمويّون مواجهة من قِبَل سُكّانها ، من الطبقات الدّنيا، الذين تنفسوا الصّعداء للفتح الإسلامي، بل اعتبروه تحريرا من الظلم السَّاسَاني لهم. أما الطبقات الأرستقراطية ، وعلى رأسها الملك، يَزْدَجَرْد الثالث فقد واجهت الفاتحين .
- ولمّا كانت الدولة الأموية قد أبقت المَرَازِبة في وظائفهم التي كانوا يستغلونها أيام الدولة الساسانية ، على أساس الاعتراف بوالي خراسان، فإن بعضهم ظلّ ينتهز الفرص السانحة لنقض الصُّلح ، وبخاصة منهم مَرازبة طَخَارِسْتان التي لم يثبت الحكم الأموي فيها.
- لم تعرف خراسان استقرارا واضحا من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الهجري الأول وذلك لكثرة انتقاضات الصّلح واهتمام ولاّتها بالفتوحات خارجها وتحامل أتراك ما وراء النهر عليها ، أما في الثلث الأول من القرن الـهجـري الثاني فقد أصبحت الأوضاع تُنْذِر

بسقوط الدولة الأموية وذلك لكثرة العَصَبيّات القبلية فيها والمعارضات المذهبية وتوجيه آل هاشم معارضاتهم إليها .

- لم تختلف سياسة آل أمية المالية عن سياسة الخلفاء الرّاشدين وإنْ كانت هناك بعض الزيادات في الضرائب ، شَرَّعَها الفقهاء ، كما لم تكن هناك سياسة مالية أموية خاصة بإقليم خراسان ، كما أشيع، تُبْقِي الجزْيَة على من أسلم ولا تُفرِّق بين الجزْيَة وَالخرَاج. مع العلم أن النظام المالي للدّولة الأموية في كل ولاياتها كان مُوحّدًا، اتَّبَعَتْه — فيها بعد — الدولة العباسية. كما أنه لم تكن هناك سياسة أموية تهدف إلى احتقار الموالي الفُرْس وإبعادهم عن الوظائف السّامية في الدّولة ، بل بالعكس ، فقد احتكروا الوظائف المالية والكتابة — بخاصّة — وتخصّصوا فيها ، فكيف ، إذن ، يُبْعِدُون الموالي الفرس — المسلمين — في الوقت الذي كانوا فيه يقَرِّبُون أصحاب الكفاءات من أهل الذّمة ...؟ !
- أمّا القول بدُنْيَوِيَّة خلفاء بني أمية واستخفافهم بالدّين فلم يكن سوى اتهام أشاعه الكثير من المؤرخين ذوي الميول العباسية ،وبخاصة أن التاريخ الأموي لم يُكْتَبْ إلاّ في العصر العباسي ، هذا فضلا عن كتابات الشيعة والشعوبيين والقوميين من المستشرقين — وبخاصة الألمانيون منهم — الذين اعتبروا الفتوحات الأموية في أوروبا استعمارا .
- لقد كانت المعارضات التي برزت في خراسان في الإثنتين والثلاثين سنة الأولى من القرن الهجري الثاني عربية الأصل والزعامة ؛أقام بَعْضَها عربُ خراسان المستقرون فيها، وأقام البَعْضَ الآخرَ زعماءُ من آل هاشم، رأوا في خراسان المكان الأمثل لمعارضاتهم. ولم ينضم إلى هذه المعارضات الموالي إلاّ مُسَانَدة لمواليهم العرب ، ومناصرة لأصهارهم آل علي (رضي الله عنهم) الذين تعاطفوا معهم منذ أن تزوج الحسين بن علي من ابنة آخر ملك ساساني يزدجرد الثالث. فالموالي لم يكونوا أبدًا الطرف المباشر للمعارضة كما أُشِيعَ .

- أما الاعتقاد السائد — لدى الكثير من المؤرخين— بأن نجاح الدعوة العباسية يعود إلى عبقرية أبي مسلم الخراساني فإنه اعتقاد أثبت التحليل التاريخي عكسه ، وذلك لأن الدّعاة العبّاسيّين الذين سبقوه في الدعوة كانوا قد غرسوا غرسا وكادوا أن يقطفوا ثماره ، وجاء أبو مسلم إلى خراسان ، بعد أن كانت الدّعوة قد قضت أكثر من سبع وعشرين سنة في الإقليم ثبتت فيه ووصلت إلى الجهر بعد السرية ...

قائمة المصادر
و المراجع

ثبت المصادر والمراجع .

1. المصادر العربية .
2. المراجع العربية .
3. المصادر والمراجع باللغة الفارسية.
4. المراجع باللغة الإجنبية .
5. الموسوعات والمعاجم .
6. الدوريات .

1 – المصادر العربية:

– القرآن الكريم.

– الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر (توفي 370 هـ):

1– المؤتلف و المختلف، تحقيق عبد الستار أحمد فرج، دار إحياء الكتب العربية-القاهرة 1381 هـ 1961 م.

– أبو بكر العربي، المالكي (توفي 543هـ):

2– العواصم و القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه و سلم، حققه و علق حواشيه محبّ الدين الخطيب (1303–1389هـ) أخرج أحاديثه و علق عليه محمود مهدي الاستانبولي، دار الجيل-بيروت (دت).

– أبو حنيفة، النعمان بن ثابت بن روطي بن ماء التميمي (توفي 150هـ):

3– مساند، حيدر آباد، 1332هـ.

– أبو حيان التوحيدي (توفي 414هـ):

4– البصائر و الذخائر، تحقيق إبراهيم الكيلاني، مكتبة أطلس و مطبعة الإنشاء، دمشق، 1966.

– أبو عبيد. القاسم بن سلام (توفي 224):

5– الأموال، المكتبة التجارية، القاهرة 1353 هـ، ط1.

– أبو عبيدة، معمر بن المثنى (ت 209):

6– نقائض جرير و الفرزدق، تحقيق بيفان، طبع ليدن 1905.

– أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل (توفي 721هـ):

7– المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، لبنان، (دت).

– أبو هلال العسكري (توفي 395هـ) :

8– الأوائل، تحقيق محمد المصري ووليد قصّاب، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي. دمشق 1975.

– أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم أبو يوسف (توفي 182 هـ) :

9- كتاب الخراج، دار المعرفة للطباعة_لبنان، (دت).

– (ابن) أبي حديد، أبو حامد عز الدين عبد الحميد المدائني (توفي 656 هـ) :

10- شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية_القاهرة 1963.

– (ابن) أبي الربيع، أبو العباس أحمد بن محمد (ت ق 4 هـ) :

11- كتاب سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق ناجي التكريتي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1987.

– (ابن) الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (توفي 630 هـ) :

12- الكامل في التاريخ، دار بيروت للطباعة و النشر 1402 هـ 1982 م.

– الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (توفي 330هـ) :

13- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية_القاهرة 1389 هـ 1969 م ط2.

– الأصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الأصطخري المعروف بالكرخي (توفي في النصف الأول من القرن الرابع الهجري) :

14- المسالك و الممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، مراجعة محمد شفيق غربال، دار القلم_القاهرة 1381 هـ 1961م.

– الإصفهاني، أبو فرج الاصفهاني (284-356 هـ) :

15- الأغاني، دار الثقافة_بيروت 1957.

16- مقاتل الطالبين، شرح و تحقيق سيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1369هـ-1949م.

– الإصفهاني، أبو القاسم حسين بن محمد الراغب (ت 502 هـ) :

17– محاضرات الأدباء و محاورات الشعراء و البلغاء، منشورات دار مكتبة الحياة.بيروت 1961م.

– البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي التميمي (توفي 429 هـ) :

18– الفرق بين الفرق، حققه محمد محيي الدين عبد المجيد، دار المعرفة، بيروت، (دت).

– البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (توفي 279 هـ) :

19– أنساب الأشراف،القسم الثالث، العباس بن عبد المطلب وولده، تحقيق عبد العزيز الدوري، سلسلة النشرات الإسلامية، تصدرها جمعية المستشرقين الألمان،بيروت 1978م.

20– أنساب الأشراف،القسم الأول من الجزء الرابع، مؤسسة الدراسات الإفريقية الإسلامية، الجامعة العبرية، القدس 1971م.

21– فتوح البلدان، حققه عبد الله أنيس الطباع و عمر أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين.بيروت 1377 هـ 1957م.

– البلخي، أبو زيد أحمد بن سهل (ت 322 هـ) :

22– البدء و التاريخ، مكتبة الخواجة أنست، باريس 1970م.

– البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي (توفي 440 هـ) :

23– الآثار الباقية عن القرون الخالية،مكتبة المثنى، بغداد، دت.

– الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي (توفي 279 هـ) :

24– عارضة الأحوذي لشرح صحيح الترمذي بشرح ابن العربي المالكي، دار الكتاب العربي، بيروت (دت).

- (ابن) التغري بردي. أبو المحاسن (ت 874 هـ):

25- النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة، دار الكتب المصرية القاهرة 1929 - 1930م.

- (ابن) تيمية، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت 758 هـ):

26- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي و الرعية، تقديم عبد السميع جباري، و حدة الرغاية-الجزائر 1994م.

27- الفتاوى (ط1) جمع و ترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي و ساعده ابنه محمد، طبع بأمر صاحب السمو، فهد بن عبد العزيز، السعودية 1398هـ.

28- منهاج السنة النبوية، المكتبة العلمية، بيروت (دت).

- الثعالبي. أبو منصور الثعالبي (ت 429هـ):

29- تاريخ غرر الأخبار، المعروف بغرر أخبار ملوك الفرس وسيرتهم، مكتبة الأسدي، طهران 1963.

30- تحفة الوزراء، تحقيق حبيب علي الراوي و ابتسام مرهون الصفار، وزارة الأوقاف،سلسلة إحياء التراث الإسلامي، بغداد 1977م.

31- خاص الخاص، قدم له حسن أمين، منشورات مكتبة الحياة، بيروت (دت).

32- لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم الأبياري و حسن كامل الصيرفي. دار إحياء الكتب، القاهرة 1960م.

- الجاحظ. أبو عثمان عَمْر و بن بحر بن محبوب (ت 255هـ):

33- البيان و التبيين، شرحه و حققه، حسن السندوي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، القاهرة 1932م.

34- التاج في أخلاق الملوك، حققه و قدم له فوزي عطوى، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت 1970م.

35- ثلاث رسائل، المطبعة السلفية، القاهرة 1344هـ.

36- الحيوان (ط3) شرح و تحقيق يحيى الشامي، دار الهلال، القاهرة 1990م.

37- رسالة الجاحظ في بني أمية، دار المعارف، القاهرة (د.ت).

38- رسائل الجاحظ السياسية، دار مكتبة الهلال، لبنان، دت، ط1.

39- كتاب التبصرة بالتجارة، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1403هـ، 1983م، ط2.

- الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري (ت 331هـ):

40- الوزراء و الكتاب، حققه و وضع فهارسه مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري و عبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، القاهرة 1357هـ 1938م، ط1 .

- (ابن) الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت 597هـ):

41- المنتظم في أخبار الملوك و الأمم، حيدر آباد 1359هـ.

- (ابن) حزم، أبو محمد علي بن سعيد (ت 456هـ):

42- جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، طبعة دار المعارف، القاهرة 1962م.

43- الفصل في الملل و الأهواء و النحل، تحقيق محمد إبراهيم نصر و عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت (دت).

- الحميري، محمد بن عبد العزيز (ت 727هـ) :

44- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت 1980 ط2.

– الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد (ت 480هـ):
45– شذرات الذهب في أخبار من ذهب (ج1) المكتب التجاري للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت (دت).
– الحنبلي، الحافظ أبو الفرج عبد الرحمان بن أحمد بن رجب (ت 795هـ):
46– استخراج لأحكام الخراج، صححه و علق عليه سيد عبد الله الصديق، دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت (د.ت).
47– القواعد في الفقه الإسلامي (ط2)، راجعه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت 1908هـ، 1988م.
– الحنفي، صدر الدين محمد علاء الأذرعي الصالحي الدمشقي:
48– شرح العقيدة الطحاوية، حققها جماعة من العلماء خرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني، طبع لصاحبه زهير الشاويش، بيروت 1399هـ.
– (ابن) حوقل، أبو القسام بن حوقل النصيبي (ت 380هـ):
49– صورة الأرض، دار الحياة بيروت (دت).
– (ابن) خرداذبة. أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (توفي في حدود 300هـ):
50– مختار من كتاب اللهو و الملاهي، نشره عن نسخة يتيمة الأب أغناطيوس عبده خليفة اليسوعي، دار المشرق، بيروت (دت).
51– المسالك و الممالك، مكتبة المثنى، بغداد (دت).
– الخزاعي، عليّ بن محمد بن مسعود الخزاعي (ت 231هـ):
52– تخريج الدلالات السمعية (ط1)، تحقيق إحساس عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1405هـ، 1985م.
– الخطيب البغدادي. الحافظ أبو بكر أحمد بن علي (توفي 463هـ):
53– تاريخ بغداد و مدينة السلام، مطبعة السعادة، مصر 1931م.

- (ابن) خلدون، عبد الرحمان ولي الدين بن عبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ):

54- المقدمة، الدار التونسية للنشر، تونس 1984م.

- (ابن) خلكان، أبو العباس شمس الدين بن محمد بن أبي بكر (ت 681هـ):

55- وفيات الأعيان و أنباء الزمان، حققه إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، (د.ت).

أبناء

- الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف (توفي 387هـ):

56- مفاتيح العلوم، منشورات مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة، 1401هـ، 1981م.

- خواندمير، محمد بن خاوند شاه (توفي 903هـ):

57- روضة الصفا في سيرة الأنبياء و الملوك و الخلفاء (ط1)، ترجمه عن الفارسية و علق عليه و قدم له، أحمد عبد القادر الشاذلي. راجعه السباعي محمد السباعي، دار مصر للكتاب، القاهرة، 1408هـ 1988م.

- (ابن) خيّاط، أبو عمر خليفة بن خياط العصفوري (توفي 240هـ):

58- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، مطبعة الآداب في النجف، العراق 1967م.

- الدردير، أحمد بن محمد (ق 4هـ):

59- أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك، وحدة الرغاية، الجزائر، 1988م.

- الدمشقي، شمس الدين أبو عبد الله محمد أبو طالب الأنصاري الصوفي (ت 727هـ):

60- نخبة الدهر في عجائب البر و البحر، مكتبة المثنى، بغداد (دت).

- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (توفي 282هـ):

61- الأخبار الطوال (ط1)، مراجعة عبد المنعم عامر و جمال الدين الشيال، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، القاهرة 1960.

– الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ):

62– سير أعلام النبلاء، معهد المخطوطات، جامعة الدول العربية (ج5) تحت رقم ت 287.

63– العبر في خبر من غبر (ج1) تحقيق صلاح الدين المنجد، التراث العربي، الكويت، 1960م.

64– ميزان الاعتدال في نقد الرجال (ط1) تحقيق عليّ محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1382هـ، 1963م.

– الرازي، أبو حاتم بن حمدان (توفي 322هـ):

65– كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، تحقيق عبد الله سلوم السامرائي، وزارة الإعلام، بغداد 1972م.

– (ابن) رسته، أبو عليّ أحمد بن عمر (توفي 390هـ):

66– الأعلاق النفيسة، ليدن، 1981م.

– (ابن) سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منبع الزهري (توفي 230هـ):

67– الطبقات الكبرى، القاهرة 1355هـ–1936م.

– (ابن) سعد، أبو الحسن علي موسى بن سعيد المغربي (توفي 673هـ):

68– كتاب الجغرافيا (ط2)، حققه و وضع عليه إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات، الجزائر، 1982م.

– سهراب، (؟):

69– كتاب عجائب الأقاليم السبعة التي بها العمارة، قدم له وحققه هانس فون مريك، مكتبة أدولف هولزهوزن، فيينا 1347هـ 1929م.

– السويد، أبو الفوز محمد أمير البغدادي:

70– سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، دار إحياء العلوم، بيروت، (دت).

- (ابن) سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن (ت 428هـ):

71- القانون في الطب (ط4)، شرح و ترتيب زجران جبور، قدم له خليل أبو خليل، تعليق أحمد شوكت الشطي، مؤسسة المعارف، بيروت 1404هـ 1984م.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي (توفي 911هـ):

72- تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، 1408هـ1987م.

73- موطأ الإمام مالك، مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، القاهرة، 1370هـ-1951م.

- الشافعي محمد رايس (توفي 204هـ):

74- الأم، أشرف على طبعه و باشر تصحيحه محمد زهري النجار، دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت (دت).

- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (توفي 548 هـ) :

75- الملل والنحل (ط 5) تحقيق أمير علي مهنا و علي حسن فاعور، دار المعرفة، بيروت 1413 هـ 1992م.

- (ابن) طباطبا، محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (توفي 709 هـ):

76- الفخرى في الآداب السلطانية والدولة الاسلامية، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح و أولاده، القاهرة (د.ت).

- الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت 548هـ):

77- مجمع البيان في تفسير القرآن (ط1)، تصحيح و تحقيق وتعليق هاشم الرسول المحلاتي و فضل الله اليزيدي الطباطبائي، دار المعرفة للطباعة و النشر، لبنان 1406هـ-1986م.

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (توفي 310هـ):

78- تاريخ الأمم و الملوك، دار القاموس الحديث، بيروت (دت).

- الطرطوسي، أبو أمية محمد بن إبراهيم (ت 273هـ):

79- مسند عبد الله بن عمر (ط5)، تحقيق أحمد راتب عرموش، دار النفائس - بيروت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- (ابن) عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (توفي 214هـ):

80- سيرة عمر بن عبد العزيز، نسخها و صححها و علق عليها أحمد عبيد، المطبعة الرحمانية، القاهرة، 1346هـ 1927م.

81- فتوح مصر و أخبارها، ليدن، 1930م.

- (ابن) عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (توفي 328هـ):

82- العقد الفريد (ط2) شرحه و ضبطه و صححه و عنون موضوعاته و رتب فهارسه، أحمد أمين و آخرون، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة 1372هـ، 1952م.

- (ابن) العبري، غريغوس أبو الفرج بن هارون (ت 684هـ):

83- تاريخ مختصر الدول، وقف على طبعه الأب أنطوان صالحاني اليسوعي (؟).

- (ابن) عساكر، ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (توفي 571هـ):

84- تهذيب تاريخ دمشق (ط2) هذبه و رتبه عبد القادر بدران، دار المسيرة، بيروت، 1399هـ-1979م.

- العسقلاني، الحافظ شهاب الدين الفقيه أحمد بن علي الكناني (توفي 852هـ):

85- الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتاب العربي، بيروت (دت).

– العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر:
86– تقريب التهذيب (ط2)، حققه عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الباز للنشر و التوزيع،مكة المكرمة 1975م .
– الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (توفي 207هـ):
87– الأيام و الليالي و الشهور (ط2)، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، و دار الكتاب اللبناني، 1400هـ–1980م.
– (ابن) الفقيه. أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني (ت 292هـ):
88– كتاب البلدان، طبع في مدينة ليدن، 1303هـ.
– (ابن) قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، (توفي 276هـ)
89– الإمامة و السياسة، تقديم عبد الرحمن بوزيدة، موفم للنشر، الجزائر، 1989م.
90– الشعر و الشعراء، (ط3) قدم له حسن تميم، راجعه و أعد فهارسه عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت1407هـ–1987م.
91– عيون الأخبار، دار الكتب المصرية، القاهرة 1343هـ–1925م.
92– المعارف، (ط2)، صححه و علق عليه و راجعه محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1390هـ–1970م.
– قدامة، أبو الفرج قدامة بن جعفر (توفي 320هـ):
93– من نبذ كتاب الخراج و صنعة الكتاب، مكتبة المثنى، بغداد (دت).

- القرطبي، ابن عبد البر جمال الدين أبو عمر يوسف بن عمر (توفي 463هـ):

94- الإستيعاب في أسماء الأصحاب، دار الكتاب العربي، بيروت (دت).

- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت 671هـ):

95- الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت (دت).

- القزويني، زكرياء بن محمد بن محمود القزويني (ت 682 هـ):

96- آثار البلاد و أخبار العباد، دار صادر، بيروت (دت).

- القزويني، سيد مهدي القزويني العسني (توفي 700هـ):

97- أنساب القبائل العراقية، حققه و علق عليه عبد المولي الطريحي،المطبعة الحيدرية، بغداد 1383 هـ-1963م.

- القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت 646هـ) :

98- تاريخ الحكماء، مكتبة المثنى، بغداد (دت).

- (ابن) قيم الجوزية، الدمشقي (ت 691 هـ) :

99- زاد المعاد في هدي خير العباد، المطبعة المصرية و مكتبتها، القاهرة، (دت).

100- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة، اختصره محمد بن الموصلي دار الكتب العلمية، بيروت (دت).

- الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد (توفي 764 هـ) :

101- فوات الوفيات، حققه و ضبطه و علق عليه، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار النهضة المصرية، القاهرة 1951.

- (ابن) كثير، الحافظ الدمشقي (توفي 774 هـ) :

102- البداية و النهاية، (ط6) مكتبة المعارف، بيروت، 1409هـ-1988م

– الكرزيدي، أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود (توفي 443هـ) :

103– زين الأخبار ترجمة عفاف السيد زيدان، دار الطباعة المحمدية، القاهرة 1402 هـ 1982م.

– الكوفي، أبو محمد أحمد بن أعثم (توفي 314 هـ) :

104– كتاب الفتوح، دار بيروت، لبنان، (دت).

– (ابن) ماجة، الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (توفي 275 هـ) :

105– سنن ابن ماجة، حقق نصوصه و رقم كتبه و أبوابه وأحاديثه و علق عليه فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة (دت).

– الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (توفي 450هـ):

106– الأحكام السلطانية و الولايات الدينية (ط3)، شركة محمد محمود الحلبي و شركاه، القاهرة، 1390هـ، 1973م.

107– تسهيل النظر و تعجيل الظفر في أخلاق الملك و سياسة الملك، تحقيق محيي هلال السرحان، مراجعة و تقديم، حسن الساعاتي، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.

– المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد (توفي 285هـ):

108– الكامل في اللغة و الأدب، دار المعارف، بيروت (دت).

– مجهول (من القرن الثالث الهجري):

109– أخبار الدولة العباسية و فيه أخبار العباس و ولده، تحقيق عبد العزيز الدوري و عبد الجبار المطلبي، دار الطليعة، بيروت، 1971م.

– مجهول (؟):

110– العيون و الحدائق في أخبار الحقائق، قام بطبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد عن النسخة المطبوعة سنة 1869م.

– مجهول (؟):

111– نبذة من كتاب التاريخ، نشرها بطرس غرياز ينوبيج، معهد الدراسات الشرقية، موسكو، 1960م.

– محمود مقديش (حوالي القرن السابع):

112– نزهة الأنظار في عجائب التواريخ و الأخبار (ط1)، تحقيق علي الزاوي و محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.

– المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (توفي 346هـ):

113– أخبار زمان، المكتبة الإسلامية، لبنان (دت).

114– مروج الذهب و معادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1407هـ، 1987م.

– المقدسي، المعروف بالبشاري (توفي 387هـ):

115– أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن، 1960م.

– المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد (توفي 845هـ):

116– المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار، مكتبة إحياء العلوم، لبنان (دت).

117– النزاع و التخاصم بين بني أمية و بني هاشم، حققه وعلق عليه حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة (دت).

– (ابن) النديم، محمد بن إسحاق (ت 385هـ):

118– الفهرست، حققه و قدم لهُ مصطفى الشويمي، الدار التونسية للنشر، تونس، و المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1406هـ، 1985م.

- يحيى بن أبي بكر، العامري اليمني:

127- الرياض المستطابة في جملة من روى من الصحيحين من الصحابة (ط3)، أشرف على ضبطه و تصحيحه عمر الديراوي أبو حجلة، مكتبة المعارف، 1983م.

- يحيى بن يحيى الليثي (في القرن الثالث):

128- موطأ الإمام مالك (ط10)، إعداد أحمد راتب عرموش دار النفائس، بيروت 1407هـ-1987م.

- اليعقوبي، أحمد أبو يعقوب بن جعفر (توفي 284هـ):

129- البلدان، ليدن، 1891م.

130- تاريخ اليعقوبي، دار بيروت للطباعة و النشر، لبنان، 1379هـ-1960م.

2) المراجع العربية،

1. إبراهيم باستاني باريزي: يعقوب بن ليث الصفار، ترجمه و قدم له و علق عليه، فتحي يوسف الريس، دار الرائد العربي، القاهرة(د ت).

2. إبراهيم بيضون: الدولة الأموية و المعارضة (مدخل إلى كتاب السيطرة العربية) المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت 1405هـ – 1985م ط.2.

3. إبراهيم حركات: السياسة و المجتمع في عصر الراشدين، دار الأهلية للنشر و التوزيع، بيروت 1985.

4. إحسان النص: العصبية القبلية و أثرها في الشعر الأموي، دار النهضة العربية، القاهرة،(دت).

5. أحمد أمين: فجر الإسلام، دار الكتاب، بيروت، 1969م ط.10.

6. أحمد أمين: يوم الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1952م.

7. أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، مطبعة المدني، القاهرة 1387هـ – 1962م.

8. أحمد الخولي: سجستان بين العرب و الفرس من دخول الإسلام حتى ظهور الصفاريين، دار حراء، القاهرة(د ت).

9. أحمد رمضان أحمد: الخلافة في الحضارة الإسلامية، دار البيان العربي للطباعة و النشر والتوزيع، جدة 1403هـ– 1983م ط.1.

10. أحمد الشايب: تاريخ الشعر السياسي (إلى منتصف القرن الثاني) مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1396هـ – 1976م ط.5.

11. أحمد علبي: العهد السري للدعوة العباسية أو من الأمويين إلى العباسيين، دار الفارابي، بيروت 1988م ط.2.

12. أحمد محمد الحوفي: سماحة الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،1997م.

13. أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي و الأندلسي، دار النهضة، القاهرة، 1972م.
14. إدوارد براون: تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، ترجمة إبراهيم أمين الشواري، القاهرة 1954م.
15. إدوارد عطية: العرب، ترجمة محمد قنديل البلقي، مراجعة محمد مأمون نجا، الشركة العربية للطباعة، القاهرة، 1962م ط.1.
16. إسعاد عبد الهادي قنديل: فنون الشعر الفارسي، دار الأندلس للطباعة والنشر، لبنان (د ت).
17. الألوسي محمد شكري: (توفي 1246هـ)، المختار من كتاب بلوغ الأدب في معرفة أحوال العرب، اختار النصوص، محمد خالد الصحفي، مراجعة، عبد الحميد يونس، دار المعرفة، القاهرة(د ت).
18. إميل توما: الحركات الإجتماعية في الإسلام، دار الفارابي، بيروت 1981م ط.2.
19. أمين عبد المجيد بدوي: القصة في الأدب الفارسي، دار المعارف، القاهرة 1964م.
20. أنور الجندي: الإسلام و حركة التاريخ ، رؤيا جديدة في فلسفة تاريخ الإسلام، دار الكتاب اللبناني، 1986م ط.8 .
21. أنور علي عاشور: الزكاة، مكتبة الاعتصام، القاهرة، 1400هـ- 1980م ط.1.
22. بارتولد- ف، تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمة حمزة طاهر، دار المعارف، القاهرة، د ت ط.4.
23. بدر عبد الرحمن محمد: حكومة الرسول (صلى الله عليه و سلم) في المدينة و دورها في توحيد الجزيرة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة(د ت).
24. بدر عبد الرحمن محمد: الدولة العباسية (دراسة في سياستها الداخلية في القرنين الثاني و الثالث الهجري) مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة(د ت).
25. بطرس البستاني: معارك العرب في الشرق و الغرب، دار الجيل، بيروت 1987م.
26. توفيق بدر: تاريخ العرب القديم، دار الفكر، دمشق، 1404ه-1984م ط.1.

27. جبور عبد النور: الجواري، دار المعارف، القاهرة(د ت)، ط.2.
28. جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، دار مكتبة الحياة، لبنان (د ت) .
29. جرجي زيدان: تاريخ أدب اللغة العربية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1983م.
30. جهيدة بو جمعة: مجتمع سجستان في ظل الدولة الصفارية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي(جامعة عين شمس) 1991م.
31. جورج قرم: تعدد الأيان و أنظمة الحكم (دراسة سوسيولوجية و قانونية مقارنة) دار النهار، بيروت 1979م.
32. الجوزي بندلي صليبا: دراسات في اللغة و التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي عند العرب، جمع و تقديم جلال السيد ناجي علوش، دار الطليعة، بيروت 1977م ط.1.
33. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي، مكتبة النهضة، القاهرة ج1، 1948م، ج2، 1986م.
34. حسن إبراهيم و علي إبراهيم: النظم الإسلامية، لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة 1358هـ- 1939م ط.1.
35. حسن أحمد محمود: الإسلام و الحضارة العربية بين الفتحين العربي و التركي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1968م.
36. حسن أحمد محمود و إبراهيم الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة(د ت.) .
37. حسن پيرنيا: تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساساني، ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم و السباعي محمد السباعي، مراجعة و تقديم، يحيى الخشاب، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1979م.
38. حسن مؤنس: مقدمة النزاع و التخاصم بين بني أمية و بني هاشم دار المعارف القاهرة(دت) .

39. حسن عطوان: الشعر في خراسان من الفتح إلى نهاية العصر الأموي، دار الجيل بيروت، 1409هـ– 1989م ط.2.

40. الخربوطلي علي حسيني : تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي (السياسي و الاجتماعي و الاقتصادي)، دار المعارف، القاهرة 1959م.

41. الخربوطلي علي حسيني:العرب و الحضارة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1966م.

42. خليل داود الزرو: الحياة العلمية في الشام (في القرنين الأول و الثاني للهجرة)،دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1971م ط.1.

43. رضا زادة شفق: تاريخ الأدب الفارسي، ترجمة محمد موسى هنداوي، دار الرائد، القاهرة(د ت) .

44. رضى عبد الله عبد الحليم: دراسات في تاريخ خراسان، دار الأندلس للإعلام، القاهرة، 1987م.

45. رمزية الأطرقجي: الحياة الاجتماعية في بغداد منذ نشأتها حتى نهاية العصر العباسي الأول (132–232 هـ)، مطبعة جامعة بغداد، 1982م ط.1.

46. زكي مبارك: جناية أحمد أمين على الأدب العربي، عرض و دراسة حسين خريس، منشورات المكتبة العصرية، لبنان(د ت) .

47. السباعي محمد السباعي: في اللغة الفارسية، دار الثقافة للطباعة و النشر القاهرة، 1975م.

48. سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النهضة العربية، القاهرة، 1976م.

49. سيد أحمد الهاشمي: جواهر الأدب في أدب و أدبيات و إنشاء لغة العرب، مؤسسة المعارف، بيروت(د ت.) .

50. سيد أمير علي: مختصر تاريخ العرب، نقله إلى العربية عفيف البعلبكي، دار الملايين، بيروت ط.2.

51. السيد سابق: فقه السنة، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت 1397هـ –1977م ط1.

52. سيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية (تاريخ العرب منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية)، مؤسسة الثقافة، الإسكندرية 1974م.

53. سيد عبد العزيز سالم: العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 1993م.

54. سيرتومار أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، (بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية)، ترجمه إلى العربية حسن إبراهيم حسن و آخرون، النهضة المصرية، القاهرة، 1957م ط2.

55. شاكر الفحام: الفرز دق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1968م.

56. شفيق عبد الرزاق السامرائي: المشرق العربي، العراق، 1401هـ – 1980م.

57. شكري فيصل: المجتمعات الإسلامية في القرن الهجري الأول (نشأتها، مقوماتها وتطورها اللغوي و الأدبي)، دار العلم، بيروت (د ت.) .

58. شكري فيصل: مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، 1978م ط4.

59. شوقي أبو خليل: الإسلام في قفص الاتهام، دار الفكر، دمشق 1402ه —1983م ط5.

60. شوقي إسماعيل شحاته: التطبيق المعاصر للزكاة، دار الشروق، جدة، 1397هـ–1977م، ط1

61. شوقي ضيف: الفن و مذاهبه في النثر العربي، مكتبة الأندلس، بيروت، 1956م.

62. شوقي ضيف: العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة(د ت.).

63. صالح أحمد العلي: التنظيمات الاجتماعية و الاقتصادية في البصرة، دار الطليعة، بيروت، 1959م.

64. صالح أحمد العلي: خطط البصرة و منطقتها، دراسة في أحوالها العمرانية و المالية في العهود الإسلامية الأولى، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1406هـ – 1986م.

65. صبحي الصالح: النظم الإسلامية نشأتها و تطورها، دار العلم للملايين، بيروت (د ت)
66. صبحي محمصاتي: تراث الخلفاء الراشدين في الفقه و القضاء، دار العلم للملايين، بيروت، 1984م ط1.
67. صبحي محمصاتي: فلسفةالتشريع في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1380هـ – 1961م ط3.
68. صلاح الدين السلجوقي: أضواء على ميادين الفلسفة و العلم و اللغة و الفن و الأدب، المكتبة السلفية، القاهرة، 1381هـ – 1962م.
69. صلاح الدين محمد نوار: نظرية الخلافة أو الإمامة و تطورها السياسي و الديني، (11–41 هـ) (632–611م) دار المعارف بالإسكندرية 1996.
70. طه حسين: حديث الأربعاء، دار المعارف، القاهرة (د ت) ط9.
71. طه حسين: الفتنة الكبرى، علي و بنوه، دار المعارف القاهرة، 1969م ط7.
72. عبادة عبد الرحمن كحيلة: صقر قريش، عبد الرحمن الداخل، تقديم محمد عبد الغني حسن، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر، مصر، 1968م.
73. عامر النجار: الخوارج عقيدة و فكرا و فلسفة، دار المعارف، القاهرة 1988م، ط2.
74. عبد الأمير عبد الحسين دبكس: الخلافة الأموية (65–76ه) (684–507م)، دار النهضة العربية، بيروت 1973م، ط1.
75. عبد الرحمن الشرقاوي: شخصيات إسلامية، أئمة الفقه التسعة، دار اقرأ، بيروت 1401هـ – 1981م ط1.
76. عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي (41 – 132هـ)(661 – 750م)، القاهرة 1404هـ – 1984م ط1.
77. عبد العظيم محمود الديب: نحو رؤية جديدة للتاريخ الإسلامي (نظرات و تصويبات)، دار الوفاء للمنصورة، مصر 1997م ط2.

78. عبد العزيز الدوري: مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، الطبعة الكاثولوكية، بيروت، 1961م.
79. عبد القادر القط: في الشعر الإسلامي و الأموي، دار النهضة، بيروت، 1979م.
80. عبد اللطيف الطيباوي: محاضرات في تاريخ العرب و الإسلام، دار الأندلس، بيروت، 1402هـ – 1982م ط3.
81. عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية، (عصر الخلفاء الأمويين)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1976م ط5.
82. عبد المنعم ماجد: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1963م.
83. عبد المنعم ماجد: مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1971م ط3.
84. عز الدين إسماعيل: في الأدب العباسي، الرؤية و الفن، دار النهضة، القاهرة 1975م.
85. عطا سليمان، العدالة عند العرب، بغداد، 1988م.
86. علي إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامي العام، دار النهضة المصرية، القاهرة 1972م.
87. علي الجارم: مرح الوليد، دار المعارف، القاهرة(د ت)،ط3.
88. علي عبد الواحد وافي: فقه اللغة، دار النهضة للطبع و النشر، القاهرة(د ت)، ط6.
89. عماد الدين خليل: ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيزن مؤسسة الرسالة، بيروت (د ت) ط6.
90. عمر فروخ: العرب و حضارتهم و ثقافتهم، دار العلم للملايين، 1386هـ–1966م.
91. غوستاف لوبون: حضارة العرب، نقله إلى العربية عادل زعيتر، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه، سوريا (د ت.) .
92. فاروق عمر: بحوث في التاريخ العباسي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1977م.
93. فاروق عمر: الجذور التاريخية للوزارة العباسية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986م ط1.

94. فاروق عمر: العباسيون الأوائل، دار العلم للملايين، بيروت(د ت.) .
95. فامبري (أرمنيوس): تاريخ بُخَارَى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمه و علق عليه أحمد محمود الساداتي و يحيي الخشاب، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة(د ت.) .
96. فان فلوتن: السيادة العربية و الشيعة و الإسرائليات في عهد بني أمية، ترجمه عن الفرنسية و نقده و علق عليه، حسن إبراهيم حسن و محمد زكي إبراهيم، دار السعادة، القاهرة، 1934م، ط1.
97. فتحي أبو سيف: خراسان، تاريخها السياسي من سقوط الطاهريين إلى بداية الغزنويين ، مكتبة سعد رأفت، القاهرة، 1409ه–1988م ط1.
98. فتحي أبو سيف: المشرق الإسلامي بين التبعية و الاستقلال (الطاهريون، تاريخهم السياسي و الحضاري)، مكتبة سعيد رأفت، جامعة عين شمس، القاهرة 1978م.
99. فتحي عثمان: أضواء على التاريخ الإسلامي، دار الجهاد، القاهرة(د ت.) .
100. فتحي عثمان: التاريخ الإسلامي و المذهب المادي في التفسير، الدار الكويتية للطباعة والنشر 1969م، ط1.
101. فليب حتى و زمليه: تاريخ العرب (مطول)، دار الكشاف للنشر و الطباعة و التوزيع، لبنان، 1961م ط3.
102. كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية، نبيه أمين فارس و منير البعلبكي، دار الملايين، بيروت 1981، ط9.
103. كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية، عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة(د ت) ط2.
104. كريستنسن آرثر: إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيي الخشاب، راجعه عبد الوهاب عزام، دار النهضة العربية، بيروت(د ت.) .

105. كيرك جورج: موجز تاريخ الشرق الأوسط من ظهور الإسلام إلى الوقت الحاضر، ترجمه عمر الإسكندري، مراجعة سليم حسن، دار الطباعة الحديثة، القاهرة(دت).
106. كي لستنرنج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس و كور كيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ - 1985م ط2.
107. محب الدين الخطيب: تعليقاته وتحقيقاته في العواصم والقواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة الرسول(ﷺ)، دار الجيل، بيروت (دت).
108. محمد إبراهيم الفيومي: الاستشراق، رسالة استعمار، دار الفكر العربي، مصر، 1413هـ - 1993م.
109. محمد أبو زهرة: الإمام زيد، حياته و عصره، آراؤه و فقهه، دار الثقافة العربية للطباعة، القاهرة(د ت).
110. محمد أحمد محمد: بخارى في صدر الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، 1413هـ - 1992م، ط1.
111. محمد أسعد طليس: تاريخ العرب، دار الأندلس، بيروت(د ت).
112. محمد أمان صافي: أفغانستان و الأدب العربي عبر العصور، المكتبة السلفية، القاهرة، 1408هـ - 1988م، ط1.
113. محمد بديع شريف: الصراع بين الموالي و العرب (و هو بحث في حركة الموالي و نتائجها في الخلافة الشرقية)، دار الكتاب المغربي، القاهرة، 1954م.
114. محمد جمال الدين سرور: الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول و الثاني بعد الهجرة، دار الفكر العربي، القاهرة(د ت).
115. محمد خضري بك: تاريخ الأمم الإسلامية، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة 1382هـ، ط8.

116. محمد رشيد رضا: الخلافة، تقديم الطاهر بن عيسى، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 1992م.
117. محمد زكي العشماوي: موقف الشعر من الفن و الحياة في العصر العباسي، دار النهضة، بيروت 1981م.
118. محمد ضياء الدين الريس: الإسلام و الخلافة في العصر الحديث (نقد كتاب الإسلام وأصول الحكم)، دار التراث، القاهرة(د ت).
119. محمد ضياء الدين الريس: الخراج و النظم المالية للدولة الإسلامية، دار الأنصار، القاهرة، 1977م ط4.
120. محمد الطيب النجار: الموالي في العصر الأموي، دار النيل للطباعة، القاهرة 1949م، ط1
121. محمد عبد الرحمن مرحبا: أصالة الفكر العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ط2.
122. محمد عبد القادر محمد: إيران من فجر التاريخ حتى الفتح الإسلامي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1982م، ط1.
123. محمد عبد الله عنان: مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، طبعة خاصة من مكتبة الأسرة، بالاشتراك مع الهيئة المصريةالعامة للكتاب، القاهرة، 1997م.
124. محمد عبده: رسالة التوحيد، دار النصر، القاهرة، 1969م.
125. محمد العروسي المطوي: الحروب الصليبية في المشرق و المغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م .
126. محمد علي الخطيب: الصراع الأدبي مع الشعوبية، (الجاحظ الشاعر القروي)،دار الحداثة، بيروت، 1983، ط1.
127. محمد عمارة: الخلافة و نشأة الأحزاب، دار الهلال، القاهرة 1983م.
128. محمد عمارة: الفرق الإسلامية، المعارف للطباعة و النشر، سوسة، تونس(د ت).

129. محمد عمارة: المعتزلة و مشكلة الحرية الإنسانية، دار الشروق، القاهرة 1408هـ- 1998م، ط2.

130. محمد غنيمي هلال: مختارات من الشعر الفارسي ، دار الرائد، القاهرة 1384هـ-1965م.

131. محمد كامل الهاشمي: عقائد الشيعة، القاهرة(د ت).

132. محمد كرد علي الإسلام و الحضارةالعربية، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، 1968م، ط3.

133. محمد كرد علي: أمراء البيان، دار الأمانة، بيروت، 1969م، ط3.

134. محمد ماهر حمادة: الوثائق السياسية و الإدارية العائدة للعصر الأموي، دار النفائس، بيروت 1405هـ - 1985م، ط4.

135. محمد مصطفى هدارة: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، دار المعارف، القاهرة(د ت) ط2.

136. محمد نبيه حجاب: الصراع الأدبي بين العرب و العجم، المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة و الطباعة و النشر، القاهرة، 1963م.

137. محمد نورالدين عبد المنعم: دراسات في الشعر الفارسي حتى القرن الخامس الهجري، دار الثقافة للطباعة و النشر، القاهرة، 1976م.

138. محمود إسماعيل: قضايا في التاريخ الإسلامي، منهج و تطبيق، دار الثقافة ،الدار البيضاء، 1981م، ط1.

139. محمود الخالدي: سوسيولوجيا الاقتصاد الإسلامي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1989م.

140. محمود شلبي: حياة الإمام الحسين، دار الجيل ، بيروت، 1405هـ-1985 م، ط1.

141. مسعود أحمد مصطفى: أقاليم الدولة الإسلامية بين اللامركزية السياسية و اللامركزية الإدارية ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990م.

142. مصطفى الرافعي: حضارة العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1981م، ط3.

156. وليد الأعظمي: السيف اليماني في نحر الإصفهاني، صاحب الأغاني، شركة الشهاب، الجزائر(د ت).

157. يوسف العش: الدولة الأموية و الأحداث التي سبقتها و مهدت لها ابتداء من فتنة عثمان، جامعة دمشق، 1385هـ - 1965م.

158. يوسف العش: محاضرات في تاريخ الخلافة العباسية، مطبعة فتى العرب، القاهرة ، 1396-1397هـ، 1976-1977م.

159. يوليوس فلوهزن: تاريخ الدولة العربية، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة و حسن مؤنس، لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة(د ت).

143. مصطفى الشكعة: الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة(د ت) .

144. مهدي الخطيب: الحكم الأموي في خراسان، دراسة الوضع السياسي و الاقتصادي والاجتماعي (96 – 127هـ)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة عين شمس 1971م.

145. مهدي محمد ناصر الدين: ديوان الأخطل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1414هـ–1994 م، ط2.

146. موريس لومبار: الإسلام في مجده الأول (ق2–5هـ) (ق8–11م)، ترجمة و تحقيق إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1979م.

147. مي يوسف خليف: قضية الالتزام في الشعر الأموي، دار الثقافة، القاهرة(د ت.)،

148. ناجي حسن، ثورة زيد بن علي، مكتبة النهضة، بغداد(د ت.).

149. نبيه عاقل: دراسات في تاريخ العصر الأموي، المطبعة الجديدة، دمشق، 1395–1396هـ، 1975– 1976م.

150. نجدة خماش: الإدارة في العصر الأموي، دار الفكر، دمشق، 1400هـ – 1980م، ط1

151. نظير حسان سعداوي: الدولة العربية الإسلامية، (1–132هـ)، (622–750م)، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1967م.

152. النعمان القاضي: الفرق الإسلامية في الشعر الأموي، دار المعارف، القاهرة(د ت.) .

153. نعمة رحيم العزاوي: أثر الشعوبية في الأدب العربي و تاريخه، مطبعة إشبيلية الحديثة، العراق(د ت.) .

154. الهادي حمودة الغزي: الشعر الأموي في خراسان و البلاد الإيرانية، الدار التونسية للنشر، تونس، 1396هـ–1976م.

155. هاملتون جب: دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة إحسان عباس و آخرين، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م ط3.

3) المصادر و المراجع باللغة الفارسية،

1. برتولد أ شپولر، تاريخ إيران در قرون تحتين اسلامي، ترجمة جواد فك طورين شركة انتشارات حلمي فرينكَي، تهران (د ت) .
2. ذبيح الله صفا، تاريخ ادبيات درايران، جلداول أز آغار عهد اسلامي و وره سلجوقي، تهران 1338هـ .
3. ژنرال سريرسي سايكس، تاريخ ايران، ترجمة، أقاي سيد محمد تقي فخر داعي كيلاني، چايخانه ركين، تهران 1323هـ .
4. سعيد نفيسي، محيط زندكي و احوال و اشعار رودكي، نشر مكتبة ابن سينا، تهران، 1344.
5. عباس إقبال، تاريخ مفصل ايران از ظهور الإسلام تاحمله مغول جايخانه، شركة مطبوعات تهران، 1327هـ .
6. عبد الله رازي، تاريخ كامل ايران، مطبوعات اقبال، تهران (د ت) .
7. مجهول، تاريخ سيستان، بتصحيح ملك الشعراء محمد تقي، بهارجاب دوم، تهران 1352 هـ .
8. محمد عوفي، لباب الألباب، با تصحيحات جديد و حواشي و تعليقات كامل بكوشش و سعيد نفيسي، تهران 1335هـ .
9. محمد معين و جعفر شهيدي، لغت نامه، مؤسسة لغت نامه دهخد 1332هـ .
10. محمد معين، مزديسنا و تأثير آن در ادبيات بارسي، تهران 1326هـ .
11. مير غلام محمد غبار، أفغانستان در مسير تاريخ، طبعه كابل، 1967م.
12. ناصر الدين شاه حسني، تمدن و فرهنك ايران از آغار تا دوره بهلوى، تهران 1354هـ
13. يوهاند عبد الحي حبيبي، أفغانستان بعد ار اسلام، طبعه كابل، 1966م.

4) المراجع باللغة الأجنبية،

1. BARTHOLD (W) : TURKESTAN DOWN TO THE MONGOL INVASION. Translated from the original russion by the author with the assistance of H-A-R-Gibb.
2. BROWNE (E) : ALITERARY HISTORY OF PERSIA LONDON, 1909.
3. EMIR MOUSTAPHA CHEHABI , DICTIONNAIRE DES TERMES AGRICOLES FRANCAIS – ARABE LIBRAIRIE DU LIBAN. 1982.
4. FRYE (RN) THE CANBRIDGE HISTORY OF IRAN V 4 THE PERIOD FROM THE ARAB INVASION TO THE SALJUQS CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS.
5. FRYE (RN) : THE HERITAGE OF PERSIA, LONDON 1965.
6. GUEST (B.R) : ACTION OF ABU MUSLIM, THE JOURNAL OF THE ROYAL ASIATIC, SOCIETY 1932.
7. HUART (C.L) : HISTOIRE DES ARABES, PARIS 1912. (VOL1).
8. KHUDA BUKHSH : ESSAYS INDIAN AND ISLAMIC,LONDON 1912.
9. NICHOLSON (JOHN) : ALITERARY HISTORY OF THE ARABS, LONDON 1907.
10. NOUVEAU LAROUSSE MEDICAL, LIBRAIRIE LAROUSSE, PARIS 1981.
11. SHEDD (W.A): ISLAM AND THE ORIENTAL CHUECHES, PHILADELPHIA. 1904.
12. SYKES (P) : A HISTORY OF PERSIA. LONDON 1921.
13. TRITTON (A.S): THE CALIPHS AND THEIR NON MUSLIM SUBJECTS, OXFORD UNIVE RSITY PRESS 1930.
14. WATT (M): ISLAM AND THE INTEGRATION OF SOCIETY, LONDON 1966.

5- الموسوعات و المعــاجــم :

1. أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية،

ج2- الدولة الأموية و الحركات الفكرية، مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1969، ط3.

ج3- الخلافة العباسية مع اهتمامات خاصة بالعصر العباسي الأول، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1985م، ط8.

ج8- الإسلام و الدول الإسلامية غير العربية بآسيا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1983م ط1.

2. أحمد عطية الله، القاموس الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة(د ت).

3. بطرس البستاني، دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروت(د ت).

4. الجرجاني (أبو الحسن علي بن محمد بن علي، المعروف بالسيد الشريف)، توفي 1340 هـ، التعريفات، الدار التونسية، تونس 1971م.

5. دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى اللغة العربية، محمد ثابت أفندي و آخرون، القاهرة(د ت)،ط1 عدة أجزاء.

6. الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القدر) مختار الصحاح، عنى بترتيبه، محمود خاطر، راجعتها و حققتها لجنة من علماء اللغة العربية، دار المعارف، القاهرة(د ت).

7. الزركلي خير الدين، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين، بيروت(د ت) ط3.

8. ابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل) ، توفي 458 هـ، المخصص، لجنة إحياء التراث العربي، دار الأفاق الجديد، بيروت(د ت).

9. عبد الله مبشر الطرازي، موسوعة التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية لبلاد السند و البنجاب (باكستان الحالية في عهد العرب)، عالم المعرفة، جدة، 1403هـ – 1983م، ط1.

10. عبد النعيم محمد حسنين: قاموس الفارسية، فارسي/عربي، مطبعة نهضة مصر، القاهرة 1402هـ -1982م ط1.
11. الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، دار الجيل (د ت) ,
12. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، قام بإخراج هذه الطبعة إبراهيم أنيس و آخرون، أشرف على الطبع حسن علي عطية و محمد شوقي أمين، مطابع دار المعارف القاهرة 1973م ط2.
13. محمد رواس قلعرجي، موسوعة فقه عبد الله بن عمر، عصره و حياته، دار النفائس، بيروت، 1406ه-1986م، ط1.
14. محمد رواس قلعرجي، موسوعة فقه عمر بن الخطاب، عصره و حياته، دار النفائس، بيروت، 1406هـ - 1986م ط3.
15. محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة، بيروت 1971م ط3
16. ابن منظور (محمد بن مكروم بن علي)، توفي 711هـ ، لسان العرب، قدم له عبد الله العلايلي، دار لسان العرب، بيروت (دت)
17. ويتنفلد، ف : جدول السنين الهجرية بلياليها و شهورها. بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها و شهورها، عبد المنعم ماجد وعبد المحسن رمضان، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ط1، 1980م.

6- <u>الدوريـــات :</u>

1. مجلة العربي : عدد 1986 ربيع الثاني 1394ه مايو 1974م. مقال، تقويم جديد للدعوة العباسية بقلم فاروق عمر فوزي.
2. مجلة كلية الآداب جامعة بغداد 1957م العدد الثاني، مقال، ضوء جديد على الدعوة العباسية بقلم عبد العزيز الدوري.
3. مجلة كلية الآداب جامعة بغداد 1957م العدد الأول، مقال، استيطان العرب بخراسان، بقلم صالح أحمد العلي.
4. مجلة ندوة التاريخ الإسلامي، مطبعة المعارف، القاهرة، 1982، مقالن الجذور الفكرية لحركة الشعوبية الإيرانية بقلم فتحي أبو سيف.

فهرست

فهرست